

الجزء الخامس

من

﴿ الجواهر ﴾

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب

الآيات الباهرات

﴿ تأليف ﴾

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع في المطبعه

مُصِطَفَى البَابِى الحَبَلَى وَأَوْلَادُهُ بِمُصَنَّر

حقوق اعاده الطبع محفوظه

محرم سنة ١٣٤٤ هـ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تفسير سورة الأنفال ﴾

﴿ وهي مدنية وهي ست وسبعون آية ﴾

﴿ وهي تشتمل على خمسة أقسام ﴾

- ﴿ القسم الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - ورزق كريم - في صفات المؤمنين الكاملين
- ﴿ القسم الثاني ﴾ في ذكر غزوة بدر من قوله - كما أخرجك ربك - الى قوله - وان الله مع المؤمنين -
- ﴿ القسم الثالث ﴾ في وصايا ومواظب للمسلمين من قوله - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله - الى قوله - والله ذو الفضل العظيم -
- ﴿ القسم الرابع ﴾ في ذكر ضلالات الكفار وخبائثهم مع وعيدهم وزجرهم من قوله تعالى - وإذ يترك بك الدين كفروا - الى قوله - نعم المولى ونعم النصير -
- ﴿ القسم الخامس ﴾ في قسمة الغنائم . وكيف يعامل الأسرى . ووصايا عامة في الحرب والاحتباس من الأعداء من قوله تعالى - واعلموا أن ما غنمتم من شئ - الى آخر السورة

(مقدمة السورة)

اعلم أن الله عز وجل لما أبان في سورة البقرة الأحكام الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وجعل آل عمران للدلالة على الله ولازلة الشبهات عن رسالة بعض الأنبياء وأكمل في سورة النساء الأحكام التي في البقرة فبين الميراث وأحوال الأزواج والأقارب وأتبعها بالمائدة ذات الفائدة مبينة ما يحل من الصيد وما يحرم وجعل الأنعام ميدان الحكمة والعلم . والأعراف لتعريف زوال الملك وموت الممالك التي نام ملوكها وشذ أفرادها عن النهج القويم فهلكت مدنها بعد أن بارت تجارتهم . ولما انتهى الكلام الى هذا المقام ناسب أن يوتى بعدها بسورة الأنفال ليؤسس مجدا اسلاميا جديدا ويرفع شأن أمة جديدة ويبني لها صرحا

على انتقاض الأمم السالفة في (سورة الأعراف) • فهو عز وجل يقول - لقد أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - كما جاء في سورة المائدة وذلك لم يكن إلا بعد أن شرح في البقرة
كثيراً من الأحكام الشرعية • وكذا في (سورة النساء) • وأبان في آل عمران النصرانية والإسلامية •
وأبان في الأنعام المحرمات والمحللات • وفي الأعراف ذكر القصة التي استبان فيها كيف تكون سياآت
الأخلاق من أسباب الفضيحة والحرمان • وكيف تصبح ديار الأمم قاعاً صافصفاً متى زاغت عقائد أهلها وتولوا
عن النصائح وأعرضوا عن القويمات الصحائح ونحسوا الناس أشياءهم وعشوا في الأرض فساداً وبغوا
وطغوا • هنالك تقررهم القارعة وتنزل عليهم الصاعقة وتمحقهم الماسحة وتذرهم حصيداً خامدين • هذا
هو المقصود من سورة الأعراف • وإذا كان هذا هو المثل القديم للأمم الغابرة • فقد ذكر سورة الأنفال
والتوبة بعد ذلك ليبين للمسلمين كيف تفنى الأمم وتبديد ويقول هأنذا فعلت بالأمم السالفة وقد أنلتكم قوة
وأعطيتكم خلافة الأرض ومكنت لكم فيها وجعلتكم خلفاء لأهلها فلكم فارس ولكم الروم فلا بين لكم في
سورة الأنفال والتوبة معاملتكم مع الأمم وكيف تحاربون وتعاهدون • وإياكم أن يغركم أني جعلتكم أقوياء
فاذا تكبرتم وأبيتُم فافروا الأعراف ان شئتم ويونس وهودا ان أردتم ولا تغرنكم سورتا الأنفال والتوبة
الذاتان على أن لكم شأنًا وانكم منصورون • فالأعراف ويونس وهودا المكتنفات للأنفال والتوبة تشهدان
أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده - وتلك الأيام نداؤها بين الناس - وما مثلكم إلا كمثل الأمم
قبلكم وأنا الحكم العدل • ولذلك لما انصرم الزمان وذهبت تلك الأيام سلطت الفرنجة عليكم كما سلطت
أما ودولا وحوادث جوية وزلازل أرضية على الأمم المذكورة في يونس وفي هود وفي الأعراف • ولقد تبين
صدق هذا المعنى المأخوذ من الترتيب المذكور باجتياح الفرنجة بلاد الإسلام وغلبهم عليهم فصاروا في ذل بعد
عزهم • وفي شقاء بعد سعدهم • وفي شر بعد خيرهم • وفي ضر بعد نفعهم • - سنة الله التي قد خلت
في عباده وإن تجد لسنة الله تبديلاً - • وقد آن أن أشرع في تفسير سورة الأنفال • فأقول

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ *

(التفسير اللفظي)

اعلم أيها الدكي أن هذه السورة مدنية كلها وهي (٧٦) آية • واعلم أن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر
كيف تقسم ومن الذين يستحقونها المهاجرون أم الأنصار • وورد أن الشبان تسارعوا إلى الهيجاء فقتلوا
سبعين وأسرُوا سبعين • ثم طلبوا الغنائم وكان المال قليلاً • فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند
الرايات كمنارداً لكم وفئة تنحازون إليها فنزلت الآية فقسمها رسول الله ﷺ بينهم على السواء فلم

يخص الشبان لقتلهم وأسرههم الأعداء ولا الشيوخ لمحافظةهم على رسول الله ﷺ ولا المهاجرين لسبقهم في الإسلام ولا الأنصار لنصرهم الرسول ﷺ وإيوائهم النبي والمهاجرين . وهذا قوله تعالى (يسألونك عن الزيادة) أي الغنائم يعني حكمها . وإنما سميت الغنيمة نفلا لأنها من فضل الله وعطائه والنفل في الأصل الزيادة (قل الأنفال لله والرسول) أي أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمر الله به . وقد علمت آنفاً أن النبي ﷺ سوى بين المحاربين في القسم وقد نزل بيان القسمة بعد ذلك في قوله تعالى - واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسة الخ - فتلك الآية تبيان لكيفية القسم فتكون هذه الآية محكمة كما قاله عبد الرحمن بن زيد . ولما كان أمر الغنائم أمراً دينياً والأموال المادية تنزل بالتنوع الانساني الى دركات الأخلاق وتفاصيل الأعمال أخذ سبحانه يردعهم عن ذلك ويردّهم الى الفضائل الخلقية لأن التماذي في المادة يقطع الأرحام ويفرق الجماعات ويولد البغض فقال (فاتقوا الله) في الاختلاف والمشاجرة والتناوب والشقاق في حوز الغنائم (وأصلحو ذات بينكم) حقيقة وصلكم أو أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق ولا تصلح أحوال الألفة إلا بالمساعدة والمواساة وتسليم الأمر لله تعالى لا بالمشاكسة والمشاجرة (وأطيعوا الله ورسوله) فيما أمرتم به في الغنائم وغيرها (إن كنتم مؤمنين) كأملي الإيمان * قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه نزلت فينا معاشراً أصحاب بدر اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزع الله من أيدينا جفلة لرسول الله ﷺ فقسمه بين المسلمين على السواء * وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قتل أخى عمير وقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأتيته رسول الله ﷺ واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولالك اطرحه في القبض فطرحته وبني ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخى وأخذ سلمي فما جاوزت إلا قليلاً حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول الله ﷺ سالتني السيف وليس لي وأنه قد صار لي فاذهب نخذه اه

ومقتضى هذه الآية أن كمال الإيمان بطاعة الأوامر وانقاء المعاصي وإصلاح ذات البين بالعدل والاحسان ثم أخذ يبين صفات كمال الإيمان فوصفهم بخمس صفات . وهالك بيانها

(١) أن توجل قلوبهم وتفزع لذكركه استعظاما وتهيبا من جلاله . وهذا الخوف عند العصاة من العاقبة يكون من العقاب . وعند الخواص يكون من الهيبة والعظمة لأنهم يعلمون عظمة الله فيخافونه أشد خوف فالخوف على مقتضى المراتب . وفي آية أخرى - ولطمئن قلوبهم بذكر الله - والاطمئنان إنما يكون بالمعرفة المذكورة في الصفة الثانية وهي

(٢) أنهم إذا تليت عليهم آيات الله زادتهم إيماناً . فمن كانت الدلائل عنده أكثر كان إيمانه أقوى فالعامة يكفيهم دلائل الدين والقرآن . والخاصة يفكرون في ملكوت السموات والأرض وعجائب النبات والحيوان والانسان وعجائب هذا الوجود . ومما يزيد الإيمان عند الطائفتين العبادات ومزاولة الأعمال الدينية . ومتى كان المرء وجلاً من خشية الله موقناً به لتتابع الآيات الكونية والقرآنية على قلبه توكل عليه وفوض أمره اليه . واليك بيان الوصف الثالث

(٣) وهو التفويض لله فلا يخشى إلا هو ولا يرجو إلا ربه

(٤٥٤) صفتان عمليتان وهما إقامة الصلاة المفروضة بمحدودها وأركانها في أوقاتها . وانفاق الأموال فيما أمرهم الله به من الانفاق فيه كالزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق في أنواع البر . وهذا قوله تعالى (انما المؤمنون) الكاملوا لإيمان (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكركه (وإذا تليت عليهم آياته) أي القرآن (زادتهم إيماناً) لزيادة المؤمن به أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين . إما بالآيات القرآنية . وإما بالأدلة الكونية التي يشير لها القرآن . وإما بالعمل بما تقتضيه الآيات (وعلى ربهم يتوكلون) ومن رثى بوعد

الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لأعلى غيره وهي درجة عالية ومرتبة شريفة . وهذه الصفات الثلاث وهي
﴿الوجل . وزيادة الإيمان . والتوكل ﴾ من أعمال القلوب وقوله (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون) أى الذين يحافظون عليها ويؤدونها كاملة تامة حاضرة قلوبهم وينفقون المال لمستحقه فلا تربط
قلوبهم كما حصل للذين تشاجروا لأجل الغنيمة فهؤلاء وأمثالهم خير لهم ألا يجعلوا المال مقصودا لذاته بل هو
وسيلة والوسيلة للحبوب غير المحبوب والمحبوب هو الكمال والفضائل والوصول لله بما قدموا من أعمال
مبرورة وأفعال مشكورة وقوله (أولئك هم المؤمنون حقا) أى لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه مكارم
أعمال القلوب من الحشية والإيقان والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح من الصلاة والصدقة وحقا مصدر مؤكد
(لهم درجات عند ربهم) مراتب بعضها أعلى من بعض . وذلك المراتب والدرجات على مقتضى تلك الصفات
فمن الناس من يعرف جمال الله في السموات والأرض ولكنه غير واثق به قلق القلب . ومن العاقبة من هم
متوكلون على الله واثقون به ولكنهم لا يعرفون جلال الله ومنهم المتوكلون الموقنون . ولكن الأموال
شغلت باهم وقلوبهم لا تحضر في الصلاة وإن حضرت كانت غير تامة الحضور . فهذه المراتب المتفاوتة تكون
درجات الإنسان بعد الموت ويوم القيامة على مقدارها وهي إلى الزهد في الدنيا والولوع بالله وآياته أقرب فهؤلاء
لهم درجات عند ربهم (ومغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) أعد لهم في الجنة لا منتهى له

﴿لطائف القسم الأول لسورة الأنفال﴾

﴿اللطيفة الأولى﴾

اعلم أيها الذكي أن المسلمين اليوم قد نسوا حظا من هذا القرآن والا فكيف تخاذلوا وتنابدوا وتشاجروا
فترى ملوك العرب في الجزيرة ورؤساء القبائل في بلاد المغرب وبعض عظماء المصريين متقاطعين متدابرين
متكالبين على الأموال والعظمة والرئاسة جهالة ونذالة وقلة كمال
أومارأوا أهل أوروبا مع تباعد مذاهبهم الدينية . فهذا (كاثوليكي) وهذا (بروستانتى) ومع تباعد مطالعهم
وتشعبها فانهم يتقاتلون على دول وممالك أفلا ينظر رؤساء المسلمين إلى هؤلاء وهم يجلسون على المنضدة
ويتحاسبون ويصطلحون حقنا للدماء وحفظا للجوارح وراحة للشعوب . أما هؤلاء الأمراء الاسلاميون
فانهم يتقاتلون على أمور صغيرة . أو مافروا هذه الآية فاطلعوا على فعل الله ورسوله وكيف نزلت الآية عند
التشاجر على الغنائم فقسمها ﷺ بين المجاهدين بالسوية فكيف لا يفعل هؤلاء ما فعله نبينا ﷺ وكيف
لا يقيمون الوزن بالقسط ولا يجلسون مجلسا يدلى فيه كل بحجته ومتى ظهر الحق أطاعوه واتبعوه وإن يفعلوا
ذلك إلا إذا كانوا كاملين في الإيمان . فهؤلاء لا بالاسلام عملوا ولا بالعقل اصطلمحوا - انها لانعمى الأبصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور - . وقد شغل قلوبهم عرض الدنيا فغشى على قلوبهم غشاء كثيف
واعلم أن الدنيا لا تنقاد إلا لنفوس عالية وقلوب واعية بعيدة النظر فان المواد والأعراض نتائج المعنى فلا عمل
إلا بعد فكر . ولا نتائج إلا بعد تعقل . فهؤلاء الذين ملكوا الممالك لهم آراء أدتهم إلى ذلك ولهم مواهب
وعقول وجيوش فلامادة الإحيث يكون صدق وعدل وفكر وتكون المادة على مقتضاه وهذا بأحد أمرين
أما بدين يذكر المرء بصفات المؤمنين وهي هذه الخمسة وغيرها . وأما بعقل كما اتفق لكثير من ملوك الفرنجة
فبعض أمراء الشرق المسلمين لم ينالوا نصيبا من الحكمة ولاحظا من الدين فلذلك يتقاتلون على صغائر
الأمور ومحقرات الأشياء وهم ساهون لاهون والفرنجة من حولهم على أذقانهم يضحكون صم بكم عمى فهم
لا يرجعون . فهلا وجلت قلوبهم . وهلا ذكروا ربهم . وهلا نظروا نظرة في المال الذي تعادوا لأجله
فعرفوا أن انصافهم بحميل الصفات يعطيهم ملكا أوسع ورزقا أشرف - والله هو الولي الحميد - اه

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

اعلم أيها الذكي أن المتوكل على الله يستفيد فائدتين ﴿ الأولى ﴾ ألا يحزن في الحال للمستقبل ﴿ الثانية ﴾ أنه يجد التوفيق عند حصول مأموله في المستقبل . وليس يكون متوكلا حقا إلا إذا أتقن عمله اتقاناً تاماً وقام بشروطه على الوجه اللائق وفكر فيه وعمل ولم يدخر وسعاً ولم يبق إلا أن تبعد عنه الآفات النادرة والأحوال العارضة . فهذا هو التوكل حقا . فأما الكسالى الساهون اللاهون الذين لا يعملون ويدعون أنهم متوكلون فأولئك هم المغرورون وهم كثير من عامة المسلمين . اهـ

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

تبين من هذه الآية أن أعمال القلوب مقدمة على أعمال الجوارح . ألا ترى أن الإيمان بالله وخشيته والاطلاع على عجائبه والتوكل عليه مقدمات على الصلاة والزكاة وهذا من لطائف القرآن . إن أعمال القلب وتوافرها عند الناس تفيلهم خيري الدنيا والآخرة . ولقد أجمع العلماء أن أثر القلب في أحوال الإنسان أقرب إلى الثواب من أثر الجوارح ولولا النية وهي من أعمال القلب لكانت العبادات كلها باطلة وهكذا في أحوال الدنيا . فالنظر كيف أصبح الناس في هذا الزمان وفي غيره لا صلح بينهم ولا اتحاد ولا التثام إلا بنظافة البواطن . ولذلك ترى أمم الاسلام المتخاذلة إنما حصل لها ذلك بالجهل السائد بمصالح الدنيا والآخرة . والجهل من صفات القلب . ومن أعظم الجهل أنهم أعرضوا عن عجائب هذه الدنيا وما فيها من البدائع واللطائف التي تزيد المرء إيقاناً بربه وهي التي جاءت في قوله - وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً - فهذه الدنيا كلها من آيات الله ومعرفتها عمل قلبي ولا سبيل إلى استثمار ما فيها من معادن ونبات وحيوان إلا بعد العلم فهؤلاء الأمراء لما جهلوا آيات الله نقص إيمانهم . ولما نقص الإيمان انحصرت عقولهم فيما بين أيديهم من موارد ضئيلة فتقاتلوا وتحاسدوا وتعادوا وذلك لجهلهم بآيات الله وهي إحدى الخصال القلبية الثلاثة . ولقد جعل الله صلح ذات البين وإطاعة الله ورسوله معلقين على هذه الأمور القلبية فمن فقدوها فقد الطاعة والصلح ومن جمعها نال الصلح وهؤلاء المسلمون أعرضوا عن جمال الله في هذا العالم فلم يدرسوا عجائب هذه الدنيا وفرحوا بما عندهم من العلم الضئيل والمال الكثير - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون - فلا سبيل لرفيهم وصلاحهم وطاعتهم لربهم إلا بما يأتي

(١) أن ينتشر العلم بينهم بعجائب هذه الدنيا وما علم أدب اللغة والتاريخ إلا مقدمة لذلك العلم الشريف

(٢) أن تهذب النفوس حتى يخشى الناس ربهم وذلك بذكر الآيات والأحاديث الزاجرة والخوفاً بطش

المنتقم الجبار

(٣) إقامة الصلوات وبذل المال . فهذه هي المهذبة للنفوس وأهمها تعميم العلوم العصرية

﴿ حكم ظهرت في هذه الآيات ﴾

قد يظن القارئ أن هذا العنوان كغيره مما يجعل للتشويق أولالباقة والاغراق . ولكن أقول إن المقام مقام علم وحكمة وإذا كان صدق الكتب الدينية مرجعه العلم كان ذلك أثبت . ألا ترى إلى ما ذكره علماؤنا كالامام الغزالي إذ يقول ﴿ إذا أردت أن تعرف صدق هذا الدين فاعمل ببعض ما فيه ثم انتظر النتيجة ﴾ مثل قوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - وكفوله ﷺ ﴿ من استغف الله ومن استغنى يغنه الله ﴾ فانه جعل صدق النتائج للحديث أوللاية هو المعيار لصدقهما قد قدمت لك هذا لتنظر في تركيب هذه السور كما أشرت إليه سابقاً . ولكن يجدر بي هنا أن أعطي المقام حقه وأبينه فأقول . قد قلت سابقاً أن سورة الأعراف جاءت انذاراً للكافرين وذكرى للمؤمنين بنص الآية في أولها وها أنت ذا قد اطلعت على هلاك الأمم السالفة مثل قوم نوح وعاد وثمود الخ وختمها بثلاثة

أشياء (١) أن يصفح الانسان عن الجاهلين ولا يتبع خطوات الشيطان في العداوات (٢) وأن يسمع القرآن وينصت له (٣) وأن يذكر ربه في نفسه مع المراقبة . هذان هما اللذان جاءت بهما سورة الأعراف مضمون السورة كلها ونصائح في آخرها . فانظر في سورة الأنفال والتوبة اللذين جاءا في أمر الغنيمة والحرب والنصر . فهنا أمران (١) أمر مقاصد السورة العامة وهذا يطول الكلام على مناسبتة لهاتين السورتين (٢) وأمر مناسبة آخر سورة الأعراف لأول سورة الأنفال . فلا تكلم عن ثاني الأمرين أو لا ثم أتبعه بالأول الذي هو المقصود بالحكم فأقول . المناسبة بين السورتين أي بين آخر الأعراف وأول الأنفال . ان آخر الأعراف كما اشتمل على الاعراض عن الجاهلين وترك العداوة والبغضاء وعلى الانصات للقرآن وعلى ذكر الله ذكرًا بحضور القلب . هكذا أول سورة الأنفال ففيها الصلح بين المتخاصمين وهو راجع للأول وفيه قوله تعالى - الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم - وقوله تعالى - واذا نلت عليهم آياته زادتهم ایمانا - وهما راجعان الى الثاني والثالث . فهذا هو تمام الكلام على ثاني الأمرين وهو المناسبة بين آخر الأعراف وأول الأنفال . أما الكلام على أولهما وهو ملخص الأعراف وملخص الأنفال والتوبة وهو المقصود من ذكر الحكم فأقول مفصلا بعد أن ذكرته مجملا في آخر سورة الأعراف . اعلم أن هذا العلم لا يمكن معرفته إلا في زماننا الحاضر لأننا جئنا بعد ١٣ قرنا فشاهدنا بأعيننا وقرأنا في كتبنا وتاريخنا ما دلنا على حسن نظام هذا القرآن . ان سورة الأعراف فيها هلاك الأمم التي فسقت . وبماذا فسقت . فسقت بالترف والنعيم والظلم وأكل أموال الناس بالباطل والتعالى على الناس الخ كل هذا مع الكفر . هؤلاء هلكوا وقد أُنذِر الله الكفار به وذكر المسلمين بما ذكرهم . ذكرهم بأنكم أيها المسلمون يوما ما ستفتح لكم البلاد وستجوسون خلالها وستعمرون أرض ربكم . فلتعلموا أيها المسلمون أني أنا الحكم . أنا العدل . أنا الأبقى في أرضي من لا ينفع الناس . ان الناس جميعا عبادي فكل من ساعدهم أحبيته . وكل من حافظ عليهم ساعدته . أنا أساعد الطيور في أعشاشها والاسود في آجامها والحشرات في مخابئها فكيف أترك الانسان سهيلا بلا نظام . فها أتم أولاء أيها المسلمون قد ملكتم الأرض في العصور الأولى فصدقم ثم بعد ذلك فسقم . أنا وعدتكم بالنصر في سورة الأنفال وقسمت الغنائم بينكم وهي التي تأخذونها من عبادي وهكذا توالى النصر عليكم وذقم البأساء والضراء وكانت الحرب سجالا . كل ذلك في الأنفال والتوبة ثم كانت الغلبة لكم مع علمكم بأن سورة الأعراف لم تزل ماثلة أمامكم تقرؤها بحيث اذا أخلتكم بنظام عبادي أهلكتكم وأذلتكم ولن تجدوا لسنتي تبديلا

سورة الأعراف منذرة وسورة الأنفال والتوبة مبشرتان بالنصر والغنيمة . مضى العصر الأول بعد نبئكم فهاذا حصل . تفرقت شيعا وذاق بعضكم بأس بعض وأصبحت الخلافة ترفا ونعيا وصار الملك للعلو والفساد ومن أراد العلو في الأرض أو الفساد أذلت وأهلكته فلما توالى الملك في العباسيين أجيالا واستنموا الى ممالئكم سلطتهم عليهم فأخذوا يحبسونهم ويقتلونهم * وقال شاعرهم

خليفة في قصص * بين وصيف وبغا

يقول ما قال له * كما تقول البيغا

فكيف تكون حال قوم خليفهم عبد لعبد من عبيدهم وهما وصيف وبغا . وسبب ذلك أنكم تركتم الشورى التي سميت سورة باسمها ولا قائمة للاسلام إلا بها . ولما تماديت في الضلال أرسلت التتار فأزالوا الدولة العباسية وهكذا في الأندلس أستفحل ملككم ولما فسقم واكتفيم بالشعر والشعراء وتركتم مواهبكم وعقولكم سلطت عليكم الفرنجة فاحتلوا بلادكم . ثم ان الأمة التركية أصابها ما أصاب العرب فهي في أولها حازمة وفي آخرها اضمحل ملكها بسبب الترف والنعيم وجهل الملوك وفساد النظام والظلم وهذا لترك

الشورى كما تقدم التى هى أقرب الى اصلاح ذات البين المذكور هنا . أيها المسلمون ها أنتم أولاء ذقتم
الأميرين وأصبحتم من أضعف الأمم . لماذا هذا . لأنى أنا الذى جعلتكم خلافت الأرض مریدا بذلك
أن ترقوا النوع الانسانى وقد حصل فعلا ولما فشلتم وتنازعتم وتقاتلتم على الملك أذلتكم للفرنجية
أندرن لماذا هذا كله لأن علماءكم وأدباءكم وحكامكم لم يريدوا أن يدرسوا لكم القرآن وسرّه ولم يفهمواكم
لماذا وضعت سورة الأعراف قبل الأنفال والتوبة . ألم يقل رسول الله ﷺ لكم ﴿ ان الدنيا خضرة
حلاوة وان الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون ﴾ . قد استخلفتكم فى الأرض كما قلت فى كتابى وكما قال
نبيكم ونظرت كيف تعملون فرأيتكم فى الزمان الأخير لاتصلحون لقيادة أهل الأرض فنحيتكم عن الملك
وأقصيتكم عن الرئاسة على عبادى . إن خليفتى لابد أن يتخلق بأخلاقى . ألم تدرسوا ما جاء فى سورة
يونس بعد التوبة . ألم أقل لكم فيها - فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير -
فها أنا ذا استخلفتكم وأنا بصير بعملكم فنحيتكم عن السيادة فى الأرض . إني أنا القائل - إن يشأ
يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز -

قدمت سورة الأعراف على سورتي الغنائم والحرب والنصر وذكرتكم بعدها بعدم الطغيان . فها أنتم
إذن قد طغيتم وبغيتم فأقصيتكم عن قيادة خلقى . هذا هو الذى فهمته الآن من ترتيب هذه السور الأربعة
سورة للانداز وسورتان للغنائم والحرب وسورة فيها الأمر بعدم الطغيان . انظر لم يقل الله لنا لا تطغوا فى
سورة الأعراف وهى مكية بل آخرها بعد ذكر الغنائم والنصر فى السورتين لأنه هنا يمكن الطغيان
هذا هو السرّ فى ذكر النهى عن الطغيان فى سورة يونس لافى سورة الأعراف . فانظر أيها الذكى
كيف كان ترتيب السور مفيدا معانى قد حققها الحوادث وأظهرها الزمان

وقد كنت فى آخر سورة الأعراف ذكرت معنى حديث ذم الدنيا وها أنا ذا الآن أذكره بنصه
﴿ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال إن
مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل أو يأتى الخير بالشرّ فسكت رسول الله ﷺ
ورأينا أنه ينزل عليه فأفاق بمسح عنه الرضاء وقال أين هذا السائل وكأنه حده فقال انه لا يأتى الخير بالشرّ
وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضر فإنها أكلت حتى امتدت خاصرتها فاستقبلت عين
الشمس فطالت وبالت ثم ربت وان هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين
واليقيم وابن السبيل وان من يأخذه بغير حقه كمن يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة ﴾ أخرجه
الشيخان والنسائى . ويحسن أن نذكر تفسير بعض ألفاظ هذا الحديث الشريف فنقول (زهرة الدنيا) حسننها
وبهجنها (الرضاء) العرق الكثير (الحبط) النفخ يقال حبط بطنه اذا انتفخ فهلك به (يثلط) (١) اذا ألقى
رجيعه سهلا رقيقا . وفى الحديث مثلاً أحدهما للفرط فى جمع الدنيا والآخرة لاقتصد فى أخذها والانتفاع
بها . انتهى من كتاب تيسير الوصول لجامع الاصول

﴿ دواء هذا الداء ﴾

علىّ أنا وعليك أنت وعلى كل مطلع على هذا التفسير أن نجعل كل حياتنا وقفا على ارشاد الأمم الاسلامية
فى قرانا وبلادنا وأممنا فنقول لهم لنرجع بمجد الاسلام ومجد أئمتنا السالفة وأن نسلك سبيلا أخرى غير ما يسلكها
التأخرون من المسلمين فانهم التعليم ولنعلم الصغار كيف ينظرون فى هذه الدنيا واذا أسمعناهم القرآن فلنعطهم
نماذج من الطبيعة جميلة حلوة سارة شارحة للصدور فاذا قرأ التاميد - والشمس وضحاها - رسمنا له صورة
الشمس وذكرنا له منافعها وجمالها وشرحنا صدره بالجمال والحكمة التى أبدعها الله فيها وأنزلنا له

سبل العلم فيها كما ستره ان شاء الله في سورة (الشمس) عند تفسيرها هناك وكيف كان الفهم والنبات والماء والرياح كلها مسخرات بضوء الشمس وهي التي سخرها الله فيخرج الطالب من تلك الصور بعلم وحكمة لاحفظ مجرد ولا معان مدحجة لاثير في النفس اعجابا وتشويقا . هكذا فليكن القرآن ودرسه أى انه يكون مصحوبا بحمال العلم حتى يعشقه ويعشق النظر والبحث الطلاب من صغرهم . فبهذا يستوى صغار المسلمين على عرش الحكمة في ابدان صغرهم فيدربون على النظر والجمال فيشربون على البحث عا كفيين وعلى الدراسة مجتدين . وهذا أولا شكر الله والشكر واجب وجوبا عينيا . وثانيا زيادة في التوحيد . وثالثا زيادة في حب الله . ورابعا زيادة في نمو عقولهم للبحث فيما خبأه الله في هذا العالم من المنافع التي يكون استخراجها فرض كفاية ليقوم بها أمر المعاش في هذه الدنيا . هذا هو الذي قصر فيه المسلمون فناموا . وهذا هو الذي سيكون العمل به بعد انتشار هذا التفسير وستكون التعاليم الاسلامية مخالفة كل المخالفة لما عليه المتأخرون من قديم بال ويصبح في الاسلام جيل هو خير الأجيال ويكونون رحمة للعالمين لأنهم ورثة من خصه الله بهذا الوصف الجليل . انتهى

(الحكمة العامة في هذه الآيات)

ان هنا مراتب (ثلاثة) وجل عند ذكر الله . وزيادة الايمان . بزيادة الدلائل . وتوكل على الله بحيث يفوض أمره اليه ولا يرجو ولا يخاف غيره لعلمه أن العالم نظام تام وهو سبحانه وتعالى قد تكفل بالجليل والحقير من خلقه . هذه أعمال القلوب وهناك (عملان) للجوارح وهما اقامة الصلاة وانفاق المال في الوجوه المطلوبة . فمن اتصف بهذه الصفات الخمسة فهو المؤمن حقا * قال الواحدى من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان إيمانه أزيد لأنه عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفة الله أقوى فيزداد اليقين . انتهى والدلائل المذكورة سمعية وعقلية على حسب درجة المستدل . ثم ان المؤمن يخاف الله لعصيانه أو هيبته جلالة ونظمته بنفسه باليقين متى كثرت الدلائل . فالإيمان اذن يشمل الأعمال القلبية والأعمال الجسمية ويؤيده حديث الشيخين * عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال ﷺ (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة ألا لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى من الطريق والحياء شعبة من الإيمان) اهـ فالإيمان يزداد وينقص على مقتضى أعمال العبد

قال عمير بن حبيب وكان له محبة (ان للإيمان زيادة ونقصا قيل له فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وجدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه) اهـ

أقول ولما كانت هذه الآيات بهذه المثابة بحيث تجمع جميع فروع الدين من العقلى والعملى وبها وبحديث الشيخين صار المؤمن حقا عزيز الوجود فان انصف بوصف نقص آخر . أقول لما كانت كذلك أوردت خلافا بين المتقدمين الأجلاء من أمة الاسلام . هل يقول المسلم أنا مؤمن حقا كما في هذه الآية أم عليه أن يحترس وأصحاب أبي حنيفة رحمه الله لا يمتنعون المسلم أن يقول (أنا مؤمن حقا) وأصحاب الشافعى رضى الله عنه يقولون (الأولى للمسلم أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله)

وسأل رجل الحسن رضى الله عنه . فقال أمؤمن أنت . فقال الحسن ان كنت سألتني عن الإيمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا بها مؤمن وان سألتني عن قوله تعالى - انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم - فلا أدري أنا منهم أم لا

هذه جملة صالحة من مجامع أقوال ساداتنا وآبائنا المتقدمين فهل تحب أن ألقى اليك ما نتيجة هذه الأقوال للمسلمين في المستقبل أقول لك ان آباءنا السابقين قد أحضروا لنا الحجارة والآجر والجص والزجاج والخشب والحديد وجميع ما يلزم لبناء البيت العظيم وهو الإيمان وقالوا لنا هذه تركناها لكم فابنوا مساكن الإيمان

وأسسوه . وهانحن أولاء قد مهدنا لكم الطرق وسهلنا لكم السبل فعلينا الأساس وعليكم البناء
هذا ملخص ما ذكره في هذا المقام . اجتهد أبو حنيفة واجتهد الشافعي في هذه الآية وهذا الحسن
وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين فاسمع ما قر في نفسي مفصلا وموضحا

اعلم أيها الدكي أني مسؤل عن العلم وعن الأمة وأنت وجميع من قرؤا هذا الكتاب وأمثاله عن هذه الأمة
مسؤلون . المسؤولية مشتركة بين أهل العلم لافرق بين متقدم ومتأخر . أقول اعلم أن الانسان في أول أمره
يجول بخاطره أمور مجهولة عمومية وهو يحاول فهمها فلا يقدر حتى اذا كشف الحجاب كان ذلك اطمئنانا للنفس
والاطمئنان هو سعادة الدنيا والآخرة . يسمع الوعيد ويخاف ربه من ذنوبه فاذا كثرا الاستغفار والاعتبار
والنظر فاستبصر عرف الحقائق فاطمأن قلبه . وللاول الاشارة بقوله - وجلت قلوبهم - وللثاني بقوله
- زادتهم ايمانا - وقوله في سورة أخرى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - لانطمئن القلوب ولا يكون
الايمان حقا مستكملا جميع شرائطه إلا اذا قلنا بما جاء في حديث الصحيحين في الايمان وأتينا بشعب الايمان
كلها . الله أكبر . ما الايمان الحق . الايمان الحق علم وعمل . العلم له فروع والعمل له فروع .
فروع العلم كثيرة والعمل فروعه كثيرة . ذكر الله اجمالا لهذا كله في هذه السورة خمسة أمور ولكن
حديث الشيخين جعله جميع فروع الحياة صغيرها وكبيرها . جل العلم وجلت الحكمة ونصح العلماء وجد
الأئمة وصدق رسول الله الذي هو أفضل من الجميع وكيف لا يكون كذلك . انه جعل الايمان أشبه بانسان
الانسان له عقل يفكر وجوارح وحواس . الانسان لا تتم انسانيته إلا بجميع الحواس والعقل وسائر
الأعضاء حتى الظفر والشعر . هكذا الايمان ان لم يستكمل هذا كله فانه لا يكون حقا كما اذا لم يستكمل
الانسان جميع هذه القوى والقدر فانه لا يكون تام الأعمال . ان النبوة أنارت الموضوع وشرحته ولكن
الأئمة تحيروا واختلفوا وكل له حجة . الانسان اذا نقص ظفرا أو أصبعاً أو عيناً أو أذناً فانه لا تسلب منه صفة
الانسانية ولكنه يكون غير متمكن من جميع مطالبه بل ينقصه بعضها مادام انه من نوع الانسان . هكذا
الايمان لا يقال انه قد ذهب من الانسان اذا نقصت بعض الأعمال ولكن لا يكون مستوفيا جميع ما يكون
به الكمال . ولكن هنا حكمة عجيبة وآية غريبة وبدائع مدهشة . يقول الله - انما المؤمنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم الخ - لم يقل المؤمن بل قال المؤمنون كأنه فتح لنا باب حل المشكلة التي حيرت
الألباب بل فتح الباب على مصراعيه فعلا وهأنذا أدخل معك في ساحات العلم الواسعة وأشرب معك من
رحيقها المختوم والشراب الممتع اللذيذ للشاربين

علم الله قبل أن يخلق الناس وقبل أن ينزل القرآن أن الحياة لا كمال لها إلا بالاجتماع والناس في اجتماعهم
أشبه بانسان واحد فكل واحد عليه عمل لا يناسب الآخر فاذا لم يقدر صاحب العلم على عمل ما قدر عليه
صاحب العمل . وترى التجار والحداد والزجاج وصانع الكهرباء وسائق القطار وصانع السفن ومحرك
الطائرات والمنطاد كل واحد قام بعمل لا يحسنه الآخر فبالاجتماع هؤلاء يكونون قد اكملوا الايمان في الأمة
ثم ان علماء نارحهم الله هم الذين قالوا ان هذه فروض كفايات ففتى قصرت الأمة في أمر منها عذب
المجموع في الدنيا بالدلة وفي الآخرة بجهنم على التقصير فالأمة كلها متضامنة هنا في الدنيا والآخرة فأنا مكلف
أن يكون في بلاد الاسلام كل صناعة وكل علم ومعنى ذلك أن أكون مساعدا بالفكر أو بالمال أو بما أستطيع
فعله ومتى قصرت كان ايماني ناقصا على مقدار تقصيري في منفعة المجموع . فتى استكمل في الأمة أهبتها بما
يطابق زمانها كان الناس في حال تشبه حال تمام الايمان ولكل فرد من الأفراد قسطه من الكمال الذي
يناسبه ويلائمه

فاذا سمعت أصحاب الشافعي يحترسون من قول القائل ﴿أنا مؤمن حقا﴾ واذا سمعت الخفية لا يمتنعون

أن يقولوا ﴿أنا مؤمن حقاً﴾ وإذا سمعت الحسن يقول ﴿أنا لا أدري حالى فيما عدا الإيمان بالله الخ﴾ فاعلم أن ما ذكرناه لك واف بما قالوه كاف . ان الحسن يعلم انه لا يقدر أن يقوم بجميع الأعمال ففي حديث الصحيحين ﴿الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله الخ﴾ وقد تقدم ذكره قريباً في هذا المقام

إذن الإيمان لا يذر زراعة ولا تجارة ولا صناعة ولا سياسة ولا طرقاً تمهد ولا أنهاراً تحفر إلا دخلت فيه فإذا كان الكناس والزبال ومصلح الطرقات للقطرات ورجال مصلحة المجارى التى فى القاهرة التى لا عمل لها إلا اخراج المواد البرازية منها الى جهة الجبل الاصفر بالخانكة

إذا كان هؤلاء كلهم أعمالهم من الدين الاسلامى بنص نفس الحديث . فاذن الإيمان فى ديننا قد ابتلع جميع الفنون والصناعات . هذا هو الدين . وهذا هو الذى أخاف الشافعى والحسن أن يقولوا نحن مؤمنون حقاً . وعلى هذا يكون المؤمنون فى هذا الزمان مقصرين حقاً ولا يقولون اننا مؤمنون حقاً لأننا قصرنا فى الأعمال العامة التى نص بعض علماء الاصول انها أفضل من فرض العين

هذا هو الجواب الذى فتح الله به فى هذه المسألة وصار الإيمان حقاً يرجع لشيوع النظام العام فى الأمة فعلى مقدار استتباب النظام وكمال العلوم والصناعات يقال ان هذه الأمة إيمانها حق وكامل وعلى مقدار النقص يكون النقص والأفراد فى الأمة متضامنون لم يخلق الإنسان وحده . يذكر النبي ﷺ فى الحديث اماطة الأذى ومعنى ذلك المحافظة على راحة الجمهور ورفاهيته وهذا لا يتم بالأعمال الفردية ألبتة . اننا لم نقدر أن نخرج القاذورات من القاهرة الا برجال متعلمين . إذن علينا أن نجتمع شملنا لسائر مصالح الحياة فتنى كملت كنا مؤمنين حقاً ويكون الفرد الواحد إيمانه على مقدار ما أثر فى هذه الحياة العامة . هكذا يقول هنا - انما المؤمنون - ولم يقل المؤمن مشيراً بذلك الى الاجتماع العام كما فى قوله تعالى - إياك نعبد وإياك نستعين - بالنون لا بالهمزة مشيراً للجميع وإياك أن تظن أنى أريد إيماناً خيالياً للمجموع كلاً بل أقول ان كمال المجموع فى المصالح الدنيوية والاخرية يدعو لتكميل إيمان الأفراد وذلك بتعاونهم واتحادهم . فالمؤلف يعين القارئ على احداث الأعمال النافعة والقارئ يعاضده اخوانه فيحدثون أعمالاً فى لظام الأمة وهذه الأعمال ينتفع بها الكاتب وغيره من عباد الله

ومن أهم أعمال الإيمان الصلح بين المتخاصمين عملاً بقوله تعالى - وأصلحوا ذات بينكم -

﴿الصلح فى بلاد الاسلام﴾

يقول الله - اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله - ان هذا من أهم شعب الإيمان ولذلك ذكرها هنا . فإذا كان الإيمان يدخل فيه اماطة الأذى من الطريق فما أحرى أن يدخل فيه ما ذكره الله هنا من الصلح بين المتخاصمين فان اماطة الأذى من النفوس واحيائها بالمودة والمحبة أفضل وأفضل وآلاف الآلاف من ازالة الأذى من الطريق . ان الأمة المتفرقة المتباغضة لاترفع مناراً ولا تدفع عاراً ولا تورى ناراً ولا تحفظ الحرث ولا الذسل بل يقربها البلا ويحرق عليها أذياله الردى وتنغمس فى العداوات وتغرق فى بحر الضلالات ويحيط بها الأعداء ويستفحل الداء ويستعصى الدواء

ولعمري ما قتل الإيمان ولا أضعف شوكة أهله إلا الجهل الفاضح الذى غمر هذه الأمم المسكينة إذ جعلوا بأسهم بينهم شديداً فهم فى عمرة ساهون والجهل مرتع وخيم وأعشاش تبيض فيها وتفرخ نواصب الغربان ومنذرات الدمار

أمر الله عز وجل بصلح ذات البين فى هذه السورة . ثم ذكر حقيقة الإيمان أو الإيمان الحق وحار العلماء فى وصفه وعرفت مقصود القرآن والسنة والأئمة أنه عبارة عن حقيقة جامعة لجميع أعمال الحياة الدنيا

والآخرة فالإيمان أمر واحد كما أن الإنسانية عبارة عن الجسم والروح من حيث الكمال فالجسم بلا روح ليس بالإنسان والروح بلا جسم نسميها جنا أو ملكا فما دمنا في الأرض فعلينا حفظ الأمرين ﴿ الجسم والروح ﴾ هكذا الإيمان وهذه الحقيقة الإيمانية التي شرحها النبي ﷺ في معنى الإيمان هي ما شرحت لك الآن من النظام العام في الأئمة . ولكن هذه الحقيقة لم يرد الأئمة رضوان الله عليهم أن يوضحوها مع أن النبي ﷺ أحاط بها في حديث الشيخين لأنهم رأوا أن السائلين لم يستعدوا لفهمها . وهكذا الحسن رضي الله عنه فكل من هؤلاء الأعلام نحوا في الإيمان يناسب زمانه وعصره . ولكن هذا هو الزمان الذي يلي العلم فيه صريحا ولا يوجه اليه طعن ولا لوم ولا قدح . أن نور النبوة يظهر في هذا الزمان حقا . حقا هذا هو نور النبوة ظاهر . نعم ظاهر في هذا التفسير . ظاهر أشد الظهور . أن المسلمين اليوم مساكين متعطشون إلى العلم يريدون الهدى والله لقد جاء الهدى ووضح الحق وجاء النصر وهذه بشارت بنت اليوم هي بشارت العلم والهدى والنور المبين

هذا هو الزمان الذي يحق لنا أن نكشف النقاب عن تلك الأنوار المحجبة التي منع ظهورها للناس فيما مضى نوازع الملوك فأجلوا العلماء فخطبوا الناس على قدر عقولهم وما يسمع به زمانهم في حقيقة الإيمان فالإيمان حقيقته اليوم في هذا التفسير مشرقة مسفرة ضاحكة مستبشرة . وخصال الإيمان ترفع أعلام الدنيا والدين . وقد أوضحنا لك فيما تقدم أن أهم خصال الإيمان صلح ذات البين ولذلك خصها الله بالذكر في هذا المقام

﴿ الكلام على صلح ذات البين ﴾

قد ذكرت في المقام السابق مضار التفرق والشقاق . وأزيد الآن أيضا فأقول
أن المسلمين اليوم في قراهم وفي مدنهم وفي أممهم ابتلوا ﴿ بأمرين ﴾ أولهما شر من ثانيهما وهما الجهل والشقاق . أن الشقاق يكون على مقدار الجهل . والعلم هو الذي يجمع القلوب . وأين العلم في الإسلام الآن . فتش في القرى وفي المدن لا تجد إلا جهلا فاضحا وشقاقا شديدا وربما يقوم النزاع بين بعض الأفراد على شيء لا يذكر وقد يؤدي إلى مالا تحمد عقباه

﴿ القرى ﴾

لقد ولدت في بلاد (الشرقية) من البلاد المصرية وكنت أقرب حركات الناس في ابان صغرى فكنت أراهم يحقرون كل صادق ويمقتون كل صريح العبارة ويعتونه رجلا لا وزن له وعندهم الرجل العظيم هو الذي يخادع الناس ويخدعهم ويقول بلسانه ما ليس في قلبه

﴿ المدن ﴾

ثم اني وجدت أهل المدن الذين عاشرتهم عدة من السنين لا يعيشون إلا بالمحاباة والمباجلة ولما قلت سعادة القلوب لعدم الاخلاص اخترع الناس سعادة لفظية . أما للعظماء فألقاب الفخامة كقولهم ﴿ سعادة الباشا ﴾ و ﴿ معالي الوزير ﴾ ويلقبون سلاطينهم وأمرأهم بأصحاب الجلالة أو أصحاب الدولة أو ما أشبه ذلك . كل هذا لكي يسمعو باسم السعادة من جلسائهم وهذه قامت مقام ما كان الشعراء في العصور الأولى يقومون به من مدح الملوك والأمراء . كل هذا ليستعوض الإنسان عن اللذة والسعادة الحقيقية النفسية بالسعادة اللفظية . وليس معنى هذا أن كل من أطلق عليه لقب من هذه الألقاب لا يعمل له أو لا سعادة . كلا . فكثير منهم يحسون في نفوسهم بسعادة عظيمة لما لهم من الأعمال ولكن المقام مقام بحث وتنقيب فان قلة الاخلاص وعدم السعادة النفسية حلت بعض الأمراء في الأزمان السالفة على اختراع هذه الألفاظ السمجة ليستظل في ظلها الذي هو - من محموم لا بارد ولا يغني عن اللهب - بل هو له شر

يرمى به عليهم ويورثهم ذلاً ومهانة ويتحملون ذلك لأجل المظاهر الكاذبة ويسعدون سعادة لفظية أى ليقال لأحدهم ﴿سعادتك﴾

وإذا كانت هذه حال المدن فإن التقاطع والتدابير يحصل بين القلوب إذ لم يجتمع على فضيلة إلا قليلاً فلذلك كثر الشقاق والنفاق . كل هذا للعلم الناقص أو للجهل المبين

﴿ الأمم الإسلامية ﴾

اعلم أيها الذكي أن الأمة من الفرد . فأخلاق الفرد هي أخلاق الأمم . فالذي رأته في قرينتي ورأته في بعض المدن رأته بين أم الإسلام قاطبة

﴿ الأمم الإسلامية وجمعية الأمم في أوروبا ﴾

أنظر رعاك الله نحن أولاء في عصرنا الحاضر كيف نسمع أوروبا لها جمعية أمم وإن لم تقم بواجبها بل ظهر أنها تريد ابتلاع الشرق وهضمه . وأهم بلاد الشرق بلاد الإسلام . فلماذا نرى أمم الإسلام لا رابطة بينها ولا قوة تحفظ توازنها ولو صورية كجمعية الأمم الصورية فإن هذه الجمعية وكذلك محكمة (لاهاي) ربما تأنيان بالغرض على طول الزمان وهم الآن يلجئون إليها عند الاصطدام . فلماذا نرى المسلمين ليس بين دولهم مثل هذه الجماعات

﴿ الإصلاح العام ﴾

واعلم أن دواء هذا الداء في الأمم الإسلامية يجب له الشروط الآتية

- (١) أن كل من يعنى له فكر يجب عليه أن يبيده باخلاص
- (٢) يجب تعميم التعليم العقلي والديني ولكن بشرط التعقل والتفكير فقد مضى زمن الحفظ بلا عقل وفي هذا التفسير بعض طرق التفكير مطولة
- (٣) أن تلقى آيات الأخلاق والمواعظ للمسلمين بهيئة جذابة ولا يتكل الناس على المفسرين بل يطبعون نفوسهم بطابع الكمال فيؤثرون في السامعين
- (٤) أن تلقى إلى الناس آيات العلوم التي تبلغ (٧٥٠) آية بشرط أن يكون إلقاؤها بهيئة تعشقهم في مخلوقات الله فيحبونه بحميل صنعه وبديع أفعاله كما ذكرنا في هذا التفسير غير مرة
- (٥) أن يبتعد الناس عن التغالى في الألقاب فكل أمة ارتقت أقلمت عن هذه العادة العقيمة التي هي بالأطفال أولى منها بالرجال

(٦) أن يتعلم الناس التعقل والاخلاص والاستقلال الفكري فكفى ما أضعناه

(٧) ويجب الاتجاه الكلى لتعميم التعليم

هذه هي التي تحدث في العقول انقلاباً وفي الأمم رجالاً وههنا نقدر أن نقول ﴿تؤلف جماعات في كل قرية وفي كل مدينة وفي كل أمة لإصلاح ذات البين﴾ واذن تقبل النفوس قول المصلحين . فأما الآن فحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ تحسر المؤلف على الأمم الإسلامية ﴾

فيا ليت شعري متى نسمع بالتعليم العام (الاجباري) في الإسلام . ومتى نسمع اتحاداً بين الأمم الإسلامية كاتحاد الأمم الأوروبية ضد الشرقيين . ومتى نسمع شيوع العلم والصناعات بينهم . ومتى يكون لهم جمعية عامة للفصل في مشاكلهم المادية والأدبية . بل متى يكون فيهم حكماء ناظرون وعلماء مدققون وخلفاء لله في الأرض دارسون ينظرون في أمر الأمم الإسلامية كلها شرقياً وغربياً
إن الله وضع المسلمين في وسط الأرض بين الشرق الأقصى وأوروبا . فمتى يقومون بهيئة الوساطة بين

الطائفتين ويكونون حكما عادلا بين الشرق والغرب • هذا هو المركز العام للأمم الاسلام • هذا ماسطرته ليلة الجمعة (٣١) ديسمبر سنة ١٩٢٦ وسأبعه بمقالة كنت كتبته قبل ذلك في بلدة المرج توضح ما في آخر هذا المقال ايضا شافيا فأقول

لله كتابان • كتاب كتبه بيده وهو عالم النبات والحيوان ونحوهما • وكتاب أنزله كلاما نسمعه وهو الكتب السماوية والكتابان متطابقان

﴿ تفسير القرآن في الحقول والحشرات ﴾

هل لك أيها الذكي أن أحدثك حديثا عجيبا يطول شرحه ويحسن وضعه • ان جمال الطبيعة وبهاءها ونورها واشراقها وبدائعها شاخصات أمامنا ظاهرات بهجات ولكن أكثر الناس لا يعلمون • يعلمون ظاهرا وهم عن التفكير معرضون • إن صلح ذات البين نتيجة الاتحاد وحسن النظام في الأمة بأسرها وفي سورة الحجرات خاطب الله الناس جميعا لأنهم عباد الله فقال - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - • هاتان الآيتان في القرآن صلح ذات البين بين المسلمين وتعارف بين جميع الناس • والمسلمون اليوم لم يقوموا بأولهما ولم يسمعوا وصية ربنا في ثانيتهما - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا -

فها أنا ذا أحدث المسلمين المعاصرين لنا والذين من بعدنا وأذكر لهم نظرتي في الحقول إذ توجهت الى ناحية المرج من ضواحي القاهرة بمصر لأمور زراعية • خرجت وأنا كاره لأنى يزجنى كل ما يقطع النظر العقلى على فركبت القطار في الطريق الموصل من القاهرة الى بلدة المرج • فها ذا حصل • عاودنى الله بعادة الاكرام ﴿ ذلك ﴾ أنه قابلنى بعض قراء هذا التفسير وهو مفتش من مفتشى الزراعة وقد توجه للرج ليشرف على أعمال فرقته من العمال التى تقتل الحشرة الفاتكة بالأشجار المسماة (بق الهبسكس الدقيقى) فقلت له صف لى هذه الحشرة • فقال ان (بق الهبسكس الدقيقى) من الفصيلة النصفية الجناح وهى ذكور وإناث والذكر أصغر حجما من الأنثى (١) وطوله من ملليمتر تقريبا الى ملليمتر ونصف (٢) له أجنحة (٣) وعدد أفرادها أقل من عدد أفراد الإناث (٤) الأنثى لونها قرنفلى فاتح بيضاوية الشكل تعلو جسمها طبقة شمعية (٥) طولها من ملليمترين الى ٣ ملليمتر (٦) تضع الأنثى بيضا من ١٥٠ بيضة الى ٣٠٠ بيضة والبيضة لا ترى إلا بالنظار المعظم (٧) يكون البيض فى كيس شمعى يسمى كيس البيض وبعد (٦ الى ٩) أيام يفقس حسب حالة الجو وتخرج صغاره نشطة جدا شكلها كشكل الحشرة الكاملة وتكون هذه الصغار فى أول أمرها ذات أرجل ثم تغير جلدها أكثر من مرة فتترك الأرجل معها • وهكذا الزوائد التى تحس بها وتكتفى بأن تضع خرطومها فى النقط المهمة فى الأغصان وتعلق بها وتمتص العصارات ولا تزال تلك الصغار تتغذى أربعة أسابيع ثم تستعد للحمل كأمهاتها وهذه لا تحتاج الى الذكور فبعضها يلقحها ذكورها وبعضها يتكون البيض فيها ولا تحتاج الى ذكر وهذا من العجب فقد أطلعنى ذلك المفتش على الكتاب المطبوع فوجدته كما قال وقال ان الذكور أكثرها يموت (٨) ان هذه الحشرة تفرز مادة كالدقيق على جسمها وقد رأيتها أنا بعينى رأسى وهذه المادة تقيها المؤثرات الجوية وهذه الحشرة تنام فى أوائل اكتوبر الى حوالى نصف مارس وبعد ذلك تستيقظ • فسألته فى أى تاريخ جاءت هذه الحشرة الى مصر • فقال من سنة ١٩١٢ ميلادية أحضرها رجل انجليزى اسمه المستر (براون) من الخارج • قلت وكيف ذلك • قال أحضر نباتا من بلاد أوروبا يسمى (الهبسكس) فسميت باسمه وقد كان مصابا بهذه الحشرة فأخذت تنتشر من هذا النبات الذى زرعه ببلادنا للزينة فقط الى أشجارنا من التوت والنبق واللبخ والخرنوب والقطن والبايبا والتيل وانتشر فى القاهرة وضواحيها والجيزة وبنى سويف والفيوم وسوهاج ومركز جرجا والاسماعيلية والسويس • كل هذا حصل

بسبب ذلك النبات الذي أتى به المستر (براون) الانجليزى . فقلت وكيف تكون العدوى . فقال تكون بالماء وبالهواء وبالحيوانات . وذلك . أن الهواء يمر بالشجر فيحمل معه تلك الحشرات الى شجر آخر سليم وهكذا الماء والانسان والحيوان . فالماء تعلق به تلك الحشرة وكذلك يد الانسان وثوبه وهكذا الحيوانات يعلق بها اذا لامست هذا الشجر . ثم ان هذه الحشرات لا تمتص إلا فى النقطة التى فيها نمو الشجر ومتى امتصت العصارة رأيت الورق يجانبها يتقلص ويتجعد وهكذا الغصن كله ثم الشجرة وهكذا الشجرات حولها ثم أخذنى المفتش وأرانى العمال يرشون الشجر والورق والأغصان بالماء الذى فيه (بتروى قليل) أى لم يصف وهذا البتروى مستخرج من البلاد المصرية بقرب السويس ومع هذا أيضا طين من طين (قنا) والأجزاء هى واحد من البتروى ٢ من الطين و ١٢ من الماء ومتى رشوا الماء على الورق غمر الحشرة فسدت المسام بالطين والبتروى فمات الحيوان . هذا ملخص العمل الذى يقوم به المفتش وعماله . وقد كان معى صديق لى من أهل العلم . فقال مافائدة هذا الكلام . فقلت فيه تفسير آيات كثيرة والآية التى نحن بصددنا . قال هذا شئ بعيد المرمى فأوضحه . قلت أأست ترى أن هذه الحشرة فى أكثر أحوالها أتناها لاحتياج للذكر بل يكون بيضها الذى قد يصل الى (٣٠٠) بيضة بلا ذكر . قال بلى . قلت أفأست ترى أن الله قد أعطى هذه الحشرة وقاية من الحر والبرد وعوارض الجوع بما تفرزه على ظاهرها مما هو كالدقيق . قال بلى . قلت أفأست ترى أن الأرجل اذا جاء وقت الاستغناء عنها خلعتها الحيوان وعاش بلا أرجل كما ذكرناه . قال بلى . قلت أفأست ترى أن العدوى تنتشر من هذا الحيوان كما تنتشر عوامل الالقاح فى النبات فكما كان الالقاح فى النبات بالرياح وبالحيوان وبغيرهما كما ستره فى سورة الحجر مفصلا . هكذا هنا نرى الالقاح فى الهلاك والتدمير يشبه الالقاح فى الاصلاح هناك . قال بلى . قلت أأست ترى أن الانسان يحارب هذه الحشرة ومع ذلك تنتشر بسرعة هائلة . قال بلى . قلت ان نظرا الانسان للعلوم (قسمين) نظر يؤدى الى المنافع المادية ونظر يؤدى الى مافوق المادية . أما النظر الى المنافع المادية فان الطبيب والمهندس وعالم الزراعة كل يبحث عن المنفعة المادية التى هو بصددنا . وليس يرتفع نظره الى ما هو أعلى كمؤلاء الذين يقتلون هذه الحشرة فى الحدائق المصرية فليس لهم مطلب وراءها . فأما النظر لما هو أعلى من ذلك فهو نظر يرتقى الى عالم أعلى من عالمنا . فهنا يرى الانسان أن الله تعالى هدى هذه الحشرة وحفظها ونحن نحاربها وهذا قوله تعالى - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - وقوله - سبح اسم ربك الأعلى - الذى خلق فسوى - والذى قدر فهدى - فالله أعلى واذا كان أعلى فيستوى لديه جميع خلقه فى النظام . رأى المصلحة توجب أن تكثر الحشرات الملقحة للأشجار والحشرات القاتلة لها فأكثر منهما وجعل الانسان سعيدا بالأولى شقيا بالثانية وهذا قوله تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - علم الله أن هذه الحشرة سيحاربها الانسان بكل الوسائل فأمدتها بالتربية الكثيرة وجعل الأنثى لاحتياج الى ذكر - فتبارك الله أحسن الخالقين - وهذا قوله - وكل شئ عنده بقدر - وقوله - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - قال هذا حسن ولكن لم نصل للمقصود هنا . قلت فلننظر الى الذكور والاناث من هذا النوع . أليس هذا الحيوان قامت فيه الأنثى مقام الذكر والأنثى وهذه أشبه بنوع من النبات يشتمل على الذكر والأنثى معا ويسمونه خنثى كالداتورة والبنج كما تقدم فى سورة الأنعام . قال ثم ماذا . قلت فاتحاد الذكور والانوثة ظاهر فى هذه الحشرات من الحيوان وفى بعض النبات وقد ظهر الخنثى فى نوع الانسان فهذا معناه أن الطبيعة تنطق قائلة (ان الذكران والاناث فى كل شئ متحدة بحسب أصلها) ولذلك تجد النوعين يتجاذبان على تباعد للديار وجميع أحوال هذا الانسان كأحوال الذكور والاناث أى انهم متحدون متضامنون مشبكة مصالحهم فكما نرى الذكور والاناث ظهر اتحادهما فى الطبيعة ونوادرها . هكذا نراهم متحدين غاية ونتيجة

ومقصدا . لذلك يتعارفون . هكذا سائر شؤون الحياة . فأهل الشرق وأهل الغرب جميعا يحتاج بعضهم الى بعض . قال ثم ماذا . زدنى ايضا . قلت ان اتحاد الذكر والأنثى فى أدنى النبات وأدنى الحيوان وشواذ الانسان رمز الى اتفاقهما مقاصد وغايات تجمعهما والذكورة والانوثة المذكورتان لافرق بينهما وبين سائر أعمال الحياة . فأهل الشرق والغرب يحتاج بعضهم الى بعض . ألا ترى أن الحشرة المذكورة وهى (بق الهبسكس) قد انتقل مع الشجرة من الأقطار البعيدة ونقل العدوى الى القطر المصرى فى أشجاره . قال ومافائدة هذا . قلت فائدته أن كل مصيبة تحل بأمة تضر بغيرها على هذه الأرض . فالطاعون والجدرى والحمل وأنواع كثيرة من الأمراض تأخذها الأمم بعضها عن بعض ولذلك ترى لكل أمة على حدودها مكانا تمتحن فيه القادمين لينظروا أفقيهم مرض معد أم لا وهكذا . وإذا حصل حط فى أمة أثر فى غيرها من الأمم ولقد كان للحروب الأهلية فى بلاد الصين فى هذه الأيام ولاعتصاب عمال مناجم الفحم فى بلاد الانجليز أثر سيئ فى رخص أسعار القطن المصرى وساعده على ذلك كثرة القطن الأمريكى فانظر كيف صار الناس على الأرض متضامنين وهم يجهلون انهم متضامنون . متصلين وهم يجهلون انهم متصلون . بينهم علاقة كبيرة فى السراء والضراء وهم يجهلون . عنهم السلك الكهربائى وأحاط بهم من كل جانب نظام بريدى وآخر جوى واتصل الشرق بالغرب وحلقت الطيارات التى صنعها الانسان فى الجو . وفى هذه الأيام (فبراير ١٩٢٧) صنع الألمان طيارة تحمل جميع ما يلزمها مدة بحيث تطير حول الكرة كلها وترجع الى مكانها من غير احتياج الى ذخيرة أخرى . أليس هذا بعض قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - هاهوذا بعض التعارف قد ابتدأ . فقال ياسبحان الله قد كان أول الكلام لا يشعر الانسان فيه بأن له مناسبة لهذه الآية حين ذكرتها . لم ندر أى مناسبة بين نبات (الهبسكس) وبين هذه الآية فظهر أن الذكورة والانوثة فى العالم الانسانى والنباتى والحيوانى قد اتحدتا فى بعض أفرادها وكان ذلك فى الانسان رمزا الى توثيق الروابط فى سائر مصالحه . فللأول الرمز بقوله - خلقناكم من ذكر وأنثى - وللثانى الرمز بقوله - لتعارفوا - فقلت إذن هذه الآية وردت لخطاب العقل الانسانى العام ومعنى هذا أن المسلمين يحسن لهم أن يقوم فيهم حكماء وفلاسفة ويدرسوا نظام الوجود ويعرفوه كالذى ذكرته فى كتابي (أين الانسان) الذى عرفه أهل أوروبا أنه خطاب للأمم كلها ويبينوا للأمم أن العقل يبين أن الناس متحدون أصلا وغاية وأنه يجب أن يكون هناك نظام عام يمنع الضرر والضرار من أى نوع ويسمون هذا النظام (التعارف) . قال لى ولكن المسلمين الآن ليسوا قادرين على ذلك . قلت نعم والسبيل الى ذلك أن يقوم فيهم مفكرون ويعمموا التعليم فى الأمم الاسلامية ويجعلوا لهم نظاما يسمى (اصلاح ذات البين) وهو المذكور فى هذه الآية - وأصلحوا ذات بينكم -

فهنا (درجتان) فى الاصلاح . درجة اصلاح ذات البين بين المسلمين . والدرجة الأخرى درجة التعارف العام بين أمم الأرض كافة . قال وما السبيل الى ذلك . قلت السبيل اليه هو ما ذكرته فى هذا التفسير وما يذكره غيرى من علماء الأمم الاسلامية فى أقطار الأرض . أقول فليقم كل مفكر فى الاسلام بفهم المهم من هذه الآراء فى الاسلام وليعمم التعليم لأنه لاجل الحياة ولإسعاد للأمم إلا بالعلم * وقيل فى المعنى ما الفضل إلا لأهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء

وهناك يظهر المصلحون الذين يصلحون ذات البين بين أمم الاسلام حتى يكونوا على الأقل أشبه بالممالك المتحدة بأمرىكا التى ليست عندها هاتان الآيتان أو كأمم الألمان الذين لا يقرؤون هذه الآيات . اللهم انك أنت الذى زرعت النبات وخلقته الحيوان ونظمت الانسان وأعطيت كل شئ خلقه وهديته وجعلت الذكورة والانوثة فى الانسان رمزا الى اتحاده أصلا وغاية وألهمت أمما أن تعمل لهذه الغاية بالبريد الجوى والأرضى

والطرق البرية والبحرية وأتمت المسلمين قرونا وقرونا وقرونا ثم أنت الذى جعلت أمثال هذا التفسير فى الأمم الإسلامية والآراء التى تصدر من كبار الأئمة فى عصرنا موقظات لشعوب الإسلام أن يدرسوا نظام الوجود ويعمموا التعليم كما قدمنا ويبتدؤا يصلح ذات البين بين المسلمين

ومتى تعارف هذه الأمم كانت سببا فى التعارف العام وأعلى الأقل قبلت هذا من المصلحين فى جميع الأمم فاصلاح ذات البين المذكور فى هذه الآية يتقدمه دروس العالم . فاذا كنا نرى اننا قد طلب منا التعارف العام بآية الحجرات ونداء الله للناس جميعهم فبالأولى علينا صلح ذات البين بيننا الذى هو فى هذه الآية فانظر كيف كان التعارف العام لسائر الناس والصلح الخاص بين الأمم الإسلامية . ولا جرم أن الصلح والمودة أخص من التعارف العام . وهذا عجيب إذ وضع فى كل آية ما يناسبها فالتعارف للعموم والمصالحة للخصوص أى لخصوص الأمم الإسلامية . اللهم ان المسلمين لم يعملوا اليوم لأخص الأميرين فضلا عن أعجمهما ولن يوقظهم إلا أن يتذكر عقلاؤهم فى أمثال ما نسكتبه فى هذا التفسير . اللهم انك أنت الذى حكمت على الانسان أن يحتاج الى الطيور فى أوكارها لتنقى له الحشرات الآكلات لزعره كابى قردان والغراب وغيرهما مما مر ذكره فى سورة المائدة فى مقدمتها وهكذا العنكبوت الآتى فى سورة إذ يأكل الحشرات أيضا ليبقى زرعنا سليما فكأنك جعلت هذه المخلوقات الحية كأسرة واحدة وقلت فى سورة الأنعام - وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم الخ - فجعلتها أمما أمثالنا ثم أثبت فى العالوم فى الشرق والغرب أننا ملزمون بالمحافظة عليها لتساعدنا فى بقاء نباتنا . فالطيور مساعدا وذوات الأربع من البهائم والأنعام مساعدا فهذه أم أمثالنا فلنحافظ عليها لأجل حياتنا ومعاشنا . واذا كان هذا شأننا مع الحيوان الأعجم فهانحن أولاء مع الانسان العام علينا أن نسعى للتعارف معه كما نتعرف بالحيوان وندرسه ثم ههنا فى هذه السورة أتيت لنا بأخص من ذلك وهو صلح ذات البين بيننا

اللهم ان الأمم الإسلامية اليوم فى قصور معيب وتقصير مخجل . فلا يبينهم اتفقوا . ولا مع الأمم تعارفوا ولا للأمم الحيوانية درسوا . ثلاث درجات جهلوا . درجة الحيوانية والإسلامية والانسانية المذكورات فى الأنعام والأنفال والحجرات على هذا الترتيب . وأخص هذه الدرجات مانحن بصددده الآن فى هذه السورة وهذا هو تفسير آياتنا التى نحن بصدددها وهى - وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله - وهذه أول الدرجات اعتقادا وعملا ويلها التعارف العام المذكور فى الحجرات ويلها دراسة الأمم الحيوانية على اختلاف أنواعها . هذا هو الذى يجب على المسلمين فليدرس ولينظر

(مافوق المادة)

(تذييل لهذا المقام)

قال صاحبى لقد قلت ان هناك نظرا يؤدى الى مافوق الامور المادية فما معنى هذا وهل الانسان يرتفع عن المادة فى هذه الأرض . قلت اعلم أننا نحس فى نفوسنا فى هذه الحياة بنزعة شريفة الى حال عالية وذلك كما فى هذا المقال يتعالى الانسان عن ملابسات الأجسام الى أقصى مرام . فخيرنى رعاك الله ألم أبين لك أن كل عالم بعلم قد حصر عقله فيه . فعالم الهندسة يبحث عن الأشكال وتتأججها . وهكذا علماء الزراعة لا يدرسون إلا ما يخص ما هم فيه كهؤلاء الذين يقتلون الحشرات . ان هؤلاء لا يستلذون اللذة التى يجدها صاحب العلم العام . ان الانسان على الأرض مغلوب على أمره خاضع لهذا الجسم يسعى لنموه ولحفظه فشغله ذلك عن النظر العام والتفكير فى بديع صنع الله . وهذا التفكير هو لب الدين الإسلامى قال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض -

وقد اصطفى الله أناسا وهم الأنبياء والحكماء فلهم نزعة الى النظام العام فاذا نظروا فى أمثال هذه الحشرات

وفي سعادة الأمم وشقاوتها وفي نظام السموات والأرض . وفي الحياة والموت . وفي القحط والجذب والحبس كانوا عند ذلك النظر كالمجردين عن هذه المادة . اللهم ان عقولنا التي غمست في أجسامنا قد حبست عن عالمها الجميل

ان هنا نظاما أدركناه وهذا النظام استوى فيه ما يؤلفنا وما يسرنا فان حشرات الهلاك وحشرات الحياة قد ساعدهما الله وحفظهما ورزقهما . إذن نظام هذا الوجود الذي نعيش فيه تكافؤ الخير والشر والضر والنفع ولذلك تجد عندنا موتا وحياة . امرأة تلد وملك يقبض الأرواح . فهنا تعاون بين الحياة والموت والخير والشر ونحن بذلك ممتحنون . لو كانت العاطفة الانسانية كاملة لاستوى عندها الموت والحياة والخير والشر . ان نظام الوجود ساوى بين الأمرين ونظام الوجود محكم . ان العقل الانساني متى قرأ الحكمة عرف أن هذا النظام جميل وأن الموت والحياة والخير والشر ضروريان لنظام هذا الوجود . ومع هذه الحكمة التي يعرفها نراه يحزن ويفرح وهذا نقص مشين مزر بنا دال على نقصنا في هذا الوجود ولعلنا في عالم بعد هذا يتساوى عندنا الخير والشر فتكون عواطفنا سائرة على نظام عقولنا . اللهم ان العواطف لا تكون كاملة إلا اذا كانت جارية على نسق نظامك العالى ونحن اليوم على الأرض أطفال في أحوالنا ونحن سائرون الى هذه الغاية حتى توازى عواطفنا نظامك ونكون - على سرر متقابلين - لاهم ولا حزن ونكون راضين رضاء تاما بنظام هذا الوجود الذي هو على أتم نظام . ان الانسانية الجاهلة اليوم سترتقي اما في الأجيال الآتية واما في عالم الأرواح . ولا سبيل لسعادة الانسان إلا بالاتحاد العام والوثام التام بين الأرواح بحيث يكونون في العالم الروحي متحدين متحابين وتزول الفوارق بينهم . فليكن المسلمون اليوم مبتدئين بصلح ذات البين بينهم ثم ينبعون ذلك بالتعارف العام بقدر الامكان حتى يعم الإصلاح ويوم القيامة يوضع الناس في مراتبهم وأحوالهم إما في نعيم وإما في جحيم

ان صلح ذات البين والتعارف العام للأمم من الأنوار التي يقذفها الله في قلوب الخواص من عباده لتتهدى الأمم ويستنير الوجود

قال صاحبى اضرب لى مثلا لهذه الصفة العالیه . قلت ان مثلها كمثل الطبيب فانه أفضل راحم للمريض يقطع عضوه وهو رحيم فليس يكون المريض منتفعا بالطبيب حق الانتفاع إلا اذا أدرك الغرض من عمله فالطبيب برحمة لا يبالي بالآلام التي تعترى المريض من جراء تعاطي الدواء . هكذا الله تعالى والعوالم التي تتولى نظام هذه الدنيا يريدون الإصلاح العام ولا يبالون بحشرة تأكل الزرع وطاعون عام وأمراض فاتكة لأنهم يدبرون التدبير العام فالأرض كلها أشبه بانسان واحد . فوت أمة وحياة أخرى وسعادة أمة وشقاوة أخرى أشبه بما يعترى الانسان من حلق شعره وتقليم أظافره تارة وتطويلها أخرى ومرض عضو وصحة آخره فنظر العالم الأعلى الذي يتلقى الأمر عن الله هو هذا النظر . فقال من أين أتى لك هذا القول . فقلت أنا لم أقل أحدا وإنما هذه خواطر هجمت على النفس ونفوسنا لها اتصال بعوالم أخرى . فأنا أحسن الآن بأن هذا المعنى حق وأن هناك عوالم أرق منا نظرها للأرض هو هذا النظر لأنى أنا وأنا في هذه الأرض أجد في نفسى سرورا ولذة وانسراحا عند ادراك نظام هذه الحشرة الفاتكة بأشجارنا المهلكة لزرعنا فلماذا هذه اللذة وكيف أدركتها نفسى كما أدركت وسرت بنظام الحشرات اللاتي تكون سببا في القاح النبات . فاذا كانت نفسى على هذا النمط أى نسر بحسن النظام سواء كان لشهوتها أولضدها فهذا دليل أن هناك عوالم هذا دأبها تشرف على عملنا وتجعله أمامها كأنه مدرسة أو حيوان لاتفعل فيه إلا المصلحة العامة

ان سرورنا بالنظام العام وابتهاجنا به سعادة وبهجة وجمال . فقال وهل السرور بذلك واللذة تكون لكثير من أهل العلم وهل هذه دائمة . قلت . كلا . ان نفوس الحكماء تشعر بها في أوقات قليلة ثم تغلب

عليهم العوالم الأرضية فيحزنون ويفرحون كبقية الناس وإنما يتسلون بالحكمة تارة وبالرضا أخرى . فاما عدم الاحساس بالألم فهذا غير معقول . اللهم اذا هزل الانسان ذهولا علميا أوديتنا أشبه بذهول المنوم (بالفتح) المغناطيسى

ولقد شرح هذا الامام الغزالي في الاحياء فاقرأه هناك في ﴿باب الحب﴾ ويشير الى هذه المرتبة قوله تعالى - إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - فمن أيقن أن الله هو الذى أعطاه ومنعه فان ذلك يخفف الألم ومع المداومة والصبر يصير الألم كالمعدوم . قال صاحبى مملخص هذا الموضوع كله . فقلت نحن في تفسير - وأصلحوا ذات بينكم - فدرسنا حشرة (المبسكس) وهى تؤذى الأشجار وتعدى أشجار الأم الشرقية بعد الغربية وقد حفظها الله لهذه الغاية وذلك يوجب تعاون الأم جميعا لاشتراكهم فى الضراء . وأنتى هذه الحشرة لا تحتاج لذكر وكذلك بعض النبات فيه الذكورة والانوثة معا وهكذا الخثاني من بنى آدم فالذكران والاناث فى الامم متحدون أصلا وغاية والله يقول - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - فافترقهم لإليجمعهم فرق الشعوب والقبائل وهاهوذا الآن يجمعهم كما فرق الذكر والأنثى وجمعهم وهذا الآن واجب على حكماء أمة الاسلام وأخص من ذلك صلح ذات بينهم . ثم ان هذا النظر شريف وعال وحكيم إذ يجعل للانسان منزلة ملكية عالية لأنه ينظر للعوالم نظر الحكيم والمملك ويحبه الله ويحب هو الله تعالى لأن الحب على قدر العلم والتفكير والتبصر . قال ان الحشرة المذكورة تفرز مادة على نفسها لتحفظها من الجوق . فقلت فأندتها عظيمة جدا . انها تعطينا درسا أن جسم هذه الحشرة قد اكتفى بنفسه ففرز منه نفس المادة التى تحفظه من الجوق كالود الأنعام وأشعارها وأوبارها فهى كلها نسيج أجسامها . هكذا الانسان له نفس معذبة بالأطوار والأحوال والجهل فهاذا يكسوها فيحفظها من الهوان . لاسبيل الى ذلك إلا بأن تفرز النفس مادة تحفظها ولافراز لها إلا العلم والعمل فكل عمل وكل علم يرجع الى النفس فيعطىها قوة ولاجرم أن النظر العام الحكيم الذى نحن فيه الآن هو السند الأقوى والمقام الأعلى وكلما زاد الانسان اتساعا فى النظر والحكمة اشتدت قوته الروحية ونزعاته الفكرية وأمباله الملكية واذن يصلح ذات البين ويكون سببا فى تعارف الأم فى الأقطار

﴿ تذكرة ﴾

سترى أيها الدكى ان شاء الله فى سورة الحجرات عند قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - كيف كان خلق الذكر والأنثى فى العالم الانسانى متساويين تقريبا وكيف كانت عقول الناس واستعدادهم موزعات على الأفراد بحسب الحاجة العامة للنظام المطلوب . وكيف كان ذلك موجبا لتعاون الأم عموما . وكيف كان اختلاف استعداد الأرض واختلاف استعداد العقول يوجب ان ذلك وهكذا من المباحث التى وضعتها فى كتابي ﴿أين الانسان﴾ ولخصه العلامة ستنيلانه الفيلسوف الطليانى فى مجلة العلوم الشرقية . وهكذا ذكره الاستاذ البارون (كراديفو) فى كتابه ﴿مفكرى الاسلام﴾ وسترى ذلك التلخيص هناك وما بعده وما كنت لأعلم أن ذلك الكتاب كله داخل فى معنى تلك الآية ﴿تبصرة فى كتاب (أين الانسان) الآتى فى سورة الحجرات ومناسبتة لما هنا وبيان أنه ملخص الآية هناك . وكيف كانت سورة الحجرات فيها الأمران معا ﴿الصلح بين المسلمين . والتعارف بين جميع الأم﴾ اعلم أيها الدكى أنى أقول ما خطر لى تأليف كتاب ﴿أين الانسان﴾ كنت أفكر فى تعداد الذكور والاناث على سطح الكرة الأرضية فوجدت أن هذا العدد متقارب فى كل بلدة وقرية ومدينة وأمة وشرق وغرب فأخذنى العجب كل مأخذ وقلت فى نفسى كيف يتساويان ولم كانا على قدر الحاجة أليس ذلك بعناية

خاصة وعسى أن تكون جميع الصناعات والعلوم قد جعلت لها استعدادات في الفطرة كما ظهر ذلك في الذكورة والانوثة بحث هذا الموضوع بحثا كثيرا . ورأيت أن الاذكياء يقولون وأصحاب الاجسام العملية يكثرون على مقتضى المطلوب . ثم نظرت الى نفس الارض فوجدتها مختلفة البقاع استعدادا للمنافع المختلفة فثبت في نفسي أن هذه الدنيا وضعتها عجيب من حيث الارض ومنافعها والناس واستعدادهم فألفت الكتاب وانتشر في أوروبا بلاقوة منى لأني ليس لي معينون في هذا لأن الشرق ليس له عهد بعمل مثل هذا . وذكرت في الكتاب أن الناس لا يهنا لهم عيش إلا اذا استخرجوا جميع القوى في الانسان وفي الأرض ولا يتم هذا إلا بأن يكون الناس كأسرة واحدة . ولما عرف هذا أهل أوروبا قرظوه ولخصوه كله وسترى في سورة الحجرات ملخص الكتاب بقلم الكتاب الاوروبيين . انظر الى سورة الحجرات ترهناك آيتين ﴿ الأولى ﴾ - انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون - ﴿ الثانية ﴾ - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الخ - فالآية الأولى تتفق مع ما هنا فالمسلمون يكون بينهم الصلح والمودة ثم هم بعد ذلك يتعارفون مع غيرهم . ان في الحجرات الأمرين معا فأولهما هو مافي هذه السورة من الصلح بين المسلمين . وثانيهما هو التعارف العام . وأهم مافي هذا المقال أن آية التعارف هي ملخص كتاب ﴿ أين الانسان ﴾

ألا ترى رعاك الله أن مسألة الذكور والاناث التي في أول الآية هي عينها التي كانت أول ما فكرت لظهور الكتاب وأن مسألة التعارف التي في آخرها هي بعينها التي قررتها في آخر الكتاب . أفلا تتعجب معي أن يكون هذا الكتاب تفسير الآية واحدة من القرآن وتلك الآية متممة للآية هنا . فان السلام العام يحتاج ﴿ لأمرين ﴾ صلح خاص بين المسلمين واتحاد مع الأمم في الأعمال العامة . وانظر كيف كانت آية الصلح بين المسلمين جاءت في هذه السورة التي هي مقدمة في الترتيب على تلك السورة وأيضا هي في الحجرات أيضا مقدمة ذلك هو الحب الذي ستره وانحما هناك وهذا يدعو المسلمين الى ﴿ أمرين ﴾ صلح بينهم وتعارف مع الأمم وقد ابتدأ ثانيهما وشرع عقلاء المسلمين في أولهما فليشر المسلمون بعدنا . وهذه من عجائب ومجرات القرآن في هذا الزمان اهـ

﴿ كيف قصر المسلمون في قوله تعالى - وأصلحوا ذات بينكم - ﴾

ان المسلمين ينقصهم الرقي في كل شيء . ان المودة لا تكون إلا بعلم ومادام العلم قليلا كانت المودة ضعيفة بل هي معدومة . لا ترى بين المسلمين اليوم مودة كالتي نراها بين الأمم الأخرى . نعم المسلمون مودتهم مخبوءة وليس يظهرها إلا الحركة العلمية والعملية . واني ليحزنني ألا أقرأ للمسلمين مثل ما قرأته اليوم ٢١ يناير سنة ١٩٢٧ أن أول محادثة جرت (بالتلفون) الذي لاسلك له جرت يوم ٧ يناير المذكور بين صاحب جريدة (نيويورك ورلد) وبين رئيس تحرير (الديلي اكسبريس) بلندن وبينهما ثلاثة آلاف ميل أي نحو ثمن الدائرة المحيطة بالأرض . وقد تبادلوا التحيات والايخبار عن جو البلدين (نيويورك ولندن) وأخذت صورة كل منهما وهو في بلده وأرسلت صورة الأول حالا بطريق اللاسلكي وهكذا صورة الأمواج عند تسكاهم ونشر هذا كله في جريدة (الديلي اكسبريس)

هذه هي مودات الفرنجة والأمريكان . أيها القارئ لهذا التفسير فكر فيما أقول وقل لي هل سمعت مثل هذا بين مصر وبغداد أو بينهما وبين الاسنانة والافغان أو بينهما وبين شمال أفريقيا . كلا . فهذه أم أقعدها صغار العلماء عن العلوم وعن الصناعات فجعلوا العالم الذي نعيش فيه وجهلوا أنفسهم . وسيكون هذا التفسير من مبادئ النهضة العلمية والعمل بعد العلم . انتهى

(فريضة مشرقة في سورة الانفال والتوبة ثم القتال والفتح والحجرات)

ومن عجائب القرآن أن ذكر الصلح جاء قبيل الكلام على القتال والنصر في هذه السورة (ذلك) لان قتال العدو لا يتم الا بعد اتفاق المجاهدين كما قدمنا فاذا تباغضوا فلا قتال ولا نصر . والظر الى سورة الحجرات التي بعد سورة القتال ثم سورة الفتح كيف ذكر فيها الصلح بين المسلمين والتعارف بين الامم . كأنه يقول هنا لا جهاد الا بعد اتفاق الامة واتحادها . ويقول هناك اذا جاهدتم وفتحت البلاد فعليكم (أمران) صلح فيما بينكم شامل كما كنتم قبل القتال ثم تعارف مع الامم وتكون النتيجة هكذا صلح دائم قبل الحرب وبعدها في الامة . ثم انكم اذا ملكتم الامم فتعارفوا مع دوام الصلح . هذا ما يؤخذ من ترتيب السور والآيات والله على ما نقول وكيل . انتهى الكلام على القسم الاول

(القسم الثاني)

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكَكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ * وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ذَلِكَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوْهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ * إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ *

(مقدمة في سبب غزوة بدر)

روى أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في غير قريش في أربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومعهم جمال تحمل عطرًا وميرة وبرا (١) حتى إذا كانوا قريبًا من بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يومًا في السنة فبلغ النبي ﷺ خبرهم فقال لأصحابه هذه غير قريش فيها أموالهم وحرضهم على الخروج إليهم فخف بعضهم وقتل بعضهم فلما سمع أبو سفيان بمسير رسول الله ﷺ إليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشا يستفزهم ويخبرهم أن محمداً في أصحابه قد عرض لغيرهم فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة وكانت عائكة بنت عبد المطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة أيام أفزعته فأخبرت بها أخاها العباس بن عبد المطلب قالت رأيت راكبا أقبل على بعيره حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته قائلاً ألا فانفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث فأرى الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فيبنيهم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها بأعلى صوته ألا فانفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت أسفل الجبل أرفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا ودخلها منها فلقة فقال العباس والله إن هذه الرؤيا فظيعة فاكتمها ولا تذكريها لأحد ثم ذكر العباس الرؤيا للوليد بن عتبة واستكتمه إياها والوليد ذكرها لأبيه عتبة وفشا الحديث . قال العباس فعمدت أطوف بالبيت وأبوجهل ابن هشام في نفر من قريش يتحدثون برؤيا عائكة فلما رأاني أبوجهل قال يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا قال العباس فلما فرغت من طوافي أقبلت إليهم فقال لي أبوجهل يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه النبوة فيكم . قلت وما ذاك . قال الرؤيا التي رأت عائكة . قلت وما رأت . قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن تنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم لقد زعمت عائكة في رؤياها أنه قال (انفروا في ثلاث) فستربص بكم هذه الثلاث فإن يك ما قالت حقاً فسيكون وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً بأنكم أكذب أهل بيت في العرب . قال العباس فأنكرت أن تكون عائكة رأت شيئاً ثم تفرقنا فشاع قول أبي جهل في الناس فلم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقلن أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم حتى تناول النساء وأنت تسمع فأين الغيرة فاحتدم الغيظ في صدر العباس وأقسم أن يتعرض له ويقتص منه قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عائكة وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاني شيء أحب أن أدركه منه . قال فدخلت المسجد فرأيت فوالله أني لأمر نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال العباس فقلت في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا فرقاً مني أن أشأته قال فإذا هو سمع ما لم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره وقد جدد بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة (تقدم معناها) هذه أموالكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد في أصحابه ولا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشغله عني وشغلني عنه ما جاء من الأمر فخرجت قريش سراعاً ولم يتخلف إلا أبو لهب وقد بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه لليال مضت من شهر رمضان حتى بلغ وادياً يقال له (ذاقرد) فأتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن غيرهم فسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء أخذ عينا للقوم فأخبره بخبرهم وبعث رسول الله ﷺ عينا له يدعى (أريقط) فأتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله ﷺ فجاء الوحي - إن الله وعدهم إحدى الطائفتين أنها لكم - أما العير وأما قريش فكانت العير أحب إليهم فامتنار رسول الله ﷺ

(١) وهذا هو معنى اللطيمة

أصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا أخرجنا للعير فرد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبوجهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله ﷺ فقام أبو بكر فقال وأحسن وكذلك عمر والمقداد بن عمرو اذ قال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى - اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون - ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون الخ فدعاه رسول الله ﷺ بخير ثم قال سعد بن معاذ من الأنصار فأحسن في المقال فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله عز وجل وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم • روى مسلم عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال ان رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا • فقال عمر يا رسول الله كيف تسلكم أجسادا لا أرواح فيها • فقال ما أتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شياً فذلك قوله سبحانه وتعالى - واذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم - يعني طائفة أبي سفيان مع العير وطائفة أبي جهل مع النفير • اذا عرفت أيها الذكي هذه المقدمة الوجيزة فما أسهل تفسير الآيات

يقول الله الأنفال ثابتة لله والرسول مع كراهتهم لذلك ثباتا مثل ثبات إخراجك ربك من بيتك يعني بالمدينة لأنها مهاجرة ومسكنه أو بيته فيها مع كراهتهم وهذا قوله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون) أى أخرجك في حال كراهتهم (بمجادلونك في الحق) في إثارة الجهاد باظهار الحق لا يثارهم تلقى العير عليه (بعد ماتين) أنهم ينصرون أيها توجهوا باعلام الرسول ﷺ (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) أى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد أسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم • إذ روى انهم رجاله وما كان فيهم إلا فارسان • وفيه إيحاء الى أنهم كانوا فزعين ربعا (واذكر) اذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم (وقوله - انها لكم - بدل من - إحدى - (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) يعني العير اذ لم يكن فيها إلا أربعون فارسا فتمنوها وكرهوا النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك (ويريد الله أن يحق الحق) أن يثبت ويعلية (بكلماته) الموحى بها في هذه الحال (ويقطع دابر الكافرين) ويستأصلهم يعني انكم تريدون أن تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها بملاقاة العير والله يريد اعلاء الدين واطهار الحق بملاقاة النفير فعل ما فعل (ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) ذلك • واعلم أن رسول الله ﷺ نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لى ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يابى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك • وأيضا كان الصحابة يقولون ﴿ ربنا انصرنا على عدونا أغثنا يا غياث المستغيثين ﴾ وذلك لما علموا أنه لا محيص من القتال وهذا قوله تعالى مبدلا من قوله - اذ يعدكم الله إحدى الطائفتين - (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم) أى بأنى (بألف من الملائكة مردفين) بكسر الدال وفتحها أى متبعين فهم على الأول كانوا ساقه الجيش وعلى الثانى كانوا مقدمته • ويقال ردفه اذا تبعه وأردفته اياه اذا اتبعته (وما جعله الله) أى الامداد (الا بشرى لكم) أى الابشارة لكم بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم) فيزول ما بها من الوجع لقلوبكم وذلكم • وظاهر الآية يفيد أنهم لم يقاتلوا (ولذلك) قال بعض العلماء انما كانوا يكثر السواد ويثبتون المؤمنين

والا فلك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا * ويقول بعضهم انهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا في سواء من الأيام وهناك روايات وردت في نزولهم يوم بدر وقتلهم لانطيل بذكرها هنا (وما النصر الا من عند الله) أيها المؤمنون فتقوا بنصره ولا تاكلوا على قوتكم وشدة بأسكم وما كثرة الجيوش ولا امداد الملائكة ولا قوتكم وكثرتكم الا وسائط لا تأثر لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تياسوا منه بفقدها (ان الله عزيز) قوى منيع لا يقهره شيء (حكيم) في تدييره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء . ولما كان المسلمون قليلي العدد وكان أهل مكة كثيرا عددهم اعتراهم الخوف على أنفسهم أن يغلبوا ويقهروا . ومما زاد الطين بلة أن المسلمين نزلوا ذلك اليوم (يوم بدر) على كتيب رمل أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان وقال تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم . فهذه أمور خمسة (الأول) الخوف من غلبة العدو (الثاني) ما أصابهم من الحدث والجنابة والعطش (الثالث) وسوسة الشيطان لهم وكيف يكونون على الجوع وهم بهذه الحال (الرابع) عدم الوثوق وزلزلة القلوب (الخامس) أن الأقدام لا تثبت في ذلك الكتيب الأعفر الذي لاماء فيه فلذلك أكرمهم الله بإزالة الخوف في قوله بدلا ثانيا من - يعدمكم - (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه) النعاس النوم الخفيف - أمنة منه - أي أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم وهو مفعول لأجله (وذلك) أن الخائف على نفسه لا يأخذه النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وإزالة الخوف وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لأنه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم . وهذا كالمعجزة لاسيما اذا كان ذلك النعاس وقع دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم كما قيل . وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة فهذا هو الأمر الأول من الامور الخمسة وهو الامن المزيل للخوف . وأشار الى الثاني وهو ما أصابهم من الحدث الخ بقوله (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) فأنزل عليهم المطر فشربوا واغتسلوا من الجنابة والحدث . وأشار الى الثالث وهو الوسوسة بقوله (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسته (وذلك) أنهم أمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت الوسوسة والاضطراب . وأشار الى الرابع بقوله (وليربط على قلوبكم) بالوثوق بلطف الله . وأشار الى الخامس بقوله (ويثبت به الأقدام) أي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أو يربط على القلوب حتى تثبت في المعركة . فهذه هي الامور الخمسة التي أنعم الله عليهم بها لازالة ما ابتلوا به من نقائصها . واعلم أن هذه القصة اشتملت على ثلاثة أقسام (الملائكة والمؤمنين والكافرين) فهنا أخذ سبحانه يشرح لكل طائفة ما يناسبها . فقال في الطائفة الأولى وهم الملائكة (إذ يوحى ربك) بدل ثالث من - اذ يعدمكم - (الى الملائكة أني معكم) في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى (فتثبتوا الذين آمنوا) بالبشارة وقوا قلوبهم . واقتد تقدم في هذا التفسير في مواضع كثيرة أن السنة والعلم الحديث في أمريكا وأوروبا على اتفاق أن الأرواح الشريرة وهي الشياطين لها قوة تلقى بها الوسوس في قلوب بني آدم وتثير فيها الشر وهكذا للملائكة قوة الالهام بالخير في قلوب الناس . فالأول وسوسة . والثاني الالهام فهذا هو التثبيت ومنهم التبشير بالنصر والظفر وربما تعدى ذلك القلب الى الظهور عيانا نادرا كما في هذه الغزوة * قبل كان الملك يمشي في صورة رجل أمام الصف ويقول (ابشروا فان الله ناصركم عليهم) ومن صور التثبيت قوله تعالى للملائكة قولوا للمؤمنين (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) أي الفزع ثم خاطب الله المؤمنين قائلا (فاضربوا فوق الأعناق) أي أعالي الأعناق التي هي المذابح والرؤوس (واضربوا منهم كل

بنان) جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين أي خزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم فضرب الرأس به هلاك
الانسان والبنان به يمكن الانسان من مسك السلاح وجعله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله
(ذلك) الضرب (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي بسبب مشاققتهم لهما واشتقاقه من الشق لأن كل من المتعادين
في شق خلاف شق الآخر (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) وعيد لهم بما أعد لهم في الآخرة
بعد ما حاق بهم في الدنيا (ذلكم) القتل والأسر الذي نزل بكم أيها الكفرة واقع (فندوقوه) عاجلا في الدنيا
وأنه ليسير بالاضافة الى ما أعد لكم في الآخرة من العذاب (وأن للكافرين عذاب النار) منصوب على أنه
مفعول معه كقولك مرت والنيل أي ذوقوا ما عجل لكم من العذاب مع ما عجل لكم في الآخرة وقد وضع فيه
الظاهر موضع المضمرة دلالة على أن الكفر هو السبب في جمع العذاب العاجل مع الآجل . ولما انتهى الكلام
على خطاب الملائكة وما يتبعه شرع سبحانه يخاطب المؤمنين وهم الطائفة الثانية فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا
لقيتم الذين كفروا زحفا) وهذا حال من الذين كفروا . والزحف الجيش الذي يرى لكثرتة كأنه يزحف
أي يدب ديبا من زحف الصبي اذا دب على إسته قليلا قليلا سمي بالمصدر . فالعنى اذا لقيتم الذين كفروا
كثيرا عددهم (فلاتولهم الأدبار) بالانهزام فضلا عن أن يكونوا مثلكم أو أقل منكم أي اذا لقيتموهم
للقتال وهم كثير وأتم قليل فلاتفوتوا فضلا عن أن تدانوهم في العدد أو تساووه . وهذه مزية أولى الهمم
العالية الذين يتكلمون على ربهم ولا يبالون بما يعترضهم من كوارث ومحن (ومن يولهم يومئذ دبره لامتحنن
القتال) يريد الكفر بعد الفرّ وتغيرير العدو فانه من مكاييد الحرب (أو متحيزا) منضما (الى فئة) الى جماعة
أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما حالان من فاعل يولهم المضمرة (فقدباء بغضب من الله وماواه
جهنم وبئس المصير) واعلم أن المتحيز يشمل من تحيز الى فئة بعيدة * لما روى ابن عمر رضي الله عنهما
أنه كان في سرية بعثهم رسول الله ﷺ ففروا الى المدينة قال فقلت يا رسول الله نحن الفرارون قال بل أتم
الكرارون وأنا فتتكم . واعلم أن أكثر أهل العلم يقولون ان المسلمين يحرم عليهم الفرار يوم الزحف اذا
كان العدو مثليهم فأقل أما اذا كان أكثر من مثليهم فانه يجوز الفرار وذلك لأن هذه الآية مخصوصة بما يأتي
في قوله تعالى - الآن خفف الله عنكم - فأفادت الآية أن الواحد يغلب اثنين * قال ابن عباس من فرّ من
ثلاثة لم يفرّ ومن فرّ من اثنين فقد فرّ * وقال آخرون ان الفرار كان كبيرة يوم بدر . فأما يوم أحد يوم
حين فقد خفف الأمر في الآيات كقوله في الأولى - انما استزلم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم -
وفي الثانية - ثم وليتم مدبرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء . والقول بأن التولي ليس كبيرة
بعد غزوة بدر وأن المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فأما في يوم بدر فلم تكن لهم فئة
ينحازون اليها فلما انحازوا انحازوا الى المشركين مروى عن الحسن وقتادة والضحاك . وأكثر أهل العلم على
الأول كما تقدم فاذا كان المسلمون على الشطر من عدوّهم لا يجوز لهم أن يفرّوا منهم ويولّوهم ظهورهم
وان كان العدو أكثر من مثلي المسلمين جاز لهم أن يفرّوا منهم * روى مجاهد أنهم لما انصرفوا عن قتال أهل
بدر كان الرجل يقول أنا قتلت فلانا ويقول الآخر أنا قتلت فلانا فنزل قوله تعالى - ان افتخرتم بقتلهم - فلم
تقتلوهم ولكن الله قتلهم) يعني بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وامدادكم بالملائكة يبشرونكم ويلهمونكم
ويربطون على قلوبكم بل يكثرّون سوادكم ويحاربون معكم على قول ثم ان جبريل قال للنبي ﷺ خذ
قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول ﷺ كفا من الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم
وقال شامت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل في عينه وفه ومنخرية من ذلك التراب شيء
فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم . ومعلوم أنه ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفا من
الحصى في وجوه جيش فلا تبقى عين إلا وقد دخل فيها من ذلك شيء فصورة الرمي صدرت من رسول الله ﷺ

وتأثيرها صدر من الله عز وجل . فلهذا المعنى صح النبي والاثبات في قوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) يعني ان الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم وعليه يكون فعل العبد مضافا إليه كسبها وإلى الله تعالى خلقا فقد أثبت الفعل للعبد ثم نفاه عنه وأثبتته لله فقال - ولكن الله رمى - وإنما فعل ذلك ليهلك عدوكم (وليبيلى) وليعطى (المؤمنين منه بلاء حسنا) عطاء جميلا أى وللإحسان إلى المؤمنين (إن الله سميع) لدعائهم (عليم) بأحوالهم (ذلكم) البلاء الحسن (وأن الله موهن) مضعف (كيد الكافرين) يعني مكرهم وكيدهم معطوف على - ذلكم - أى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم ومكرهم

(لطيفة)

قال أهل التفسير والمغازى لما ندب رسول الله ﷺ أصحابه انطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قریش وفيهم أسلم وهو غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار وهو غلام لبني العاص بن سعد فأخذوهما وأتوا بهما رسول الله ﷺ فقال لهم ﷺ أين قریش قالوا هم وراء الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكتيب العقنقل فقال رسول الله ﷺ كم القوم قالوا كثير قال ما عددهم قال لا أندري قال كم ينحرون كل يوم قالوا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله ﷺ القوم ما بين التسعمائة إلى الألف ثم قال لهما من فيهم من أشرف قریش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البحتري بن هشام وحكيم بن خزام والحارث بن عامر وطعنة بن عدى والنضر بن حرث وأبوجهل بن هشام وأمية بن خلف ونبیه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله ﷺ هذه مكة قد ألفت اليكم أفلاذ كبدها فلما أقبلت قریش ورآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل وهو الكتيب الرمل جاء إلى الوادي فقال (اللهم هذه قریش قد أقبلت بخيلائها وغرها تحادك وتكذب رسولك . اللهم فنصرك الذي وعدتني) فكان ما كان من النصر والفوز وإلى هنا انتهى الكلام على خطاب المؤمنين

ثم انه سبحانه خاطب الكافرين وهم الطائفة الثالثة فقال (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) أى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لأهل مكة لأنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا (اللهم ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا) ولما التقى الجمعان قال أبوجهل (اللهم أينما كان أجر (يعنى نفسه ومحمدا ﷺ) قاطعا للرحم فأحنه اليوم . اللهم النصر أهدي الفئتين وخير الفريقين وأفضل الجمعين . اللهم من كان أجرا وأقطع لرحمه فأحنه اليوم) ويطلق الفتح على الحكم أى ان تستحكموا الله على أقطع الفريقين للرحم وأظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعنى جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم والمحق على المبطل والمقطوع على القاطع . روى البخارى ومسلم أن عبد الرحمن بن عوف قال انى لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يمينى وعن شمالى فاذا أنا بعلامين من الأنصار حديثه أسنانهما فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما فغمزنى أحدهما فقال أى عم هل تعرف أباجهل قلت نعم فما حاجتك إليه يا ابن أخى قال أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ فوالذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا فتعجبت لذلك وغمزنى الآخر فقال لى مثلها فلم أشب أن نظرت إلى أبى جهل يجول في الناس فقلت ألا ترى ان هذا صاحبكما الذى تسألان عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال كلا كما قتلته فقضى رسول الله ﷺ بسلبه لهما والرجلان معاذ بن عمرو بن الجوح ومعاذ بن عفراء رضى الله عنهما

فها هو ذا أبوجهل قد استفتح . وها هو ذا قد جاءه الفتح وحكم الله بقتله قال تعالى لكفار مكة (وان تنهوا) عن الكفر ومعاداة الرسول (فهو خير لكم) لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين (وان تعودوا) لمحاربته (نمد) لنصرته عليكم (ولن تغني عنكم) ولن تدفع عنكم (فتتكم) جاعتكم (شيأ) من الاغناء (ولو كثرت) فتتكم (وأن الله مع المؤمنين) أى ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثانى من سورة الأنفال

وههنا خمس لطائف (الأولى) اقتحام الأخطار فى قوله تعالى - واذا يعدكم الله احدى الطائفتين الخ - (الثانية) أن هذا العالم المادى خاضع لناموس العقول . وأن عمل القلوب مهيم على الأجساد . وعلاوة الهمة به تذلل الصعاب فى قوله تعالى - وما جعله الله إلا بشرى لكم - (الثالثة) دقة الملاحظة والبحث الصادق فى أمور هذه الحياة فى قوله - اذ يغشاكم النعاس أمنة منه - (الرابعة) الثبات وقوة العزيمة أساس الأعمال فى هذه الحياة . (الخامسة) عدم الاعجاب بالنفس وترك الكبرياء فى قوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - . ولنبدأ بإيضاح هذه اللطائف الخمسة فنقول

(اللطيفة الأولى)

فيها استبان خلق اقتحام الأخطار ومقابلة الحوادث الجسام والأهوال الفخام والامور العظام بالجلد والصبر واختيار أعظمها قدرا وأشدها بأسا وأعلاها شأنًا وأرفعها مقامًا وأسمها نظامًا وأبعدها سبيلًا وأقومها قيسًا ألا وهى التناهى عن العير والمصارعة الى النفي واصطفاء أشرف الامور . ولعمري كيف يساوى ذلك الزاد والميرة وبعض البر والعطر الذى كان مع أبى سفيان ذاهبا الى مكة قتل صناديد قريش . لعمري ما أبعد الفرق ما بين رأس الأمر وأعلاه . وبين ذنبه وأدناه . فعلق الهمة فى النظر الى معالى الامور وأشرفها لا الى أخسها وأحقرها . فلتكن هممنا فى حياتنا الدنيا متوجهة الى أعالى الامور والتسكب همما يكتفى به الجمهور من العرض القليل والنفع المذئ اذا كان هناك ما هو أشرف وأجدر وأعلى وأكبر

(اللطيفة الثانية)

لقد اطلعت على حديث الملائكة . وكيف أرسلهم الله فى غزوة بدر . وكيف اختلف العلماء هل هم حاربوا مع المسلمين وظهروا بصورة بشرية وأسلحة حديدية وملابس عربية وقطعوا الرؤس وأزالوا النفوس أم هم اكتفوا بتكثير السواد واهداء البشارة للمحاربين . أم كان نزولهم على القلوب بالالهام والتبشير وتقوية الهمم كما أنهم يقبضون هم الأعداء ويلقون فى قلوبهم الرعب . هذا كله قد تقدم ولكن الآيه قد ذكرت قصارى الأمر وجماداه ومبدأه ومنتهاه وشرحت المقام وأزاحت اللثام وأذهبت الغمام . فإذا قالت . جاء فيها قوله تعالى - وما جعله الله إلا بشرى لكم - فذكر ذلك على سبيل الحصر والقصر كأنه يقول انما خلقتكم فى الأرض مختبرين وظهرتم عليها ممتحنين فعليكم مقارعة الأبطال والطعن والنزال

وما كان انزال الملائكة لتعدوا وهم يعملون . وتنكصوا وهم يتقدمون . وتناموا وهم مستيقظون تالله لم تخلقوا سدى فلا تقتحموا الردى بل خلقتهم ممتحنين وفى الأعمال مختبرين . وما انزال الملائكة عليكم إلا لتبشركم بالالهام وتبسط هم الأقوام ولو ثبت انهم قتلوا معكم أناسى لم يكن ذلك إلا ليشجعوكم لا ليقعدوكم والا لذهبت فضيلة الاختبار وخرجتم من الحياة بلا اعتبار فلامنازل فى الآخرة إلا حيث الجهاد فى الحياة . ولا جهاد والملائكة قائمون مقامكم . مقاتلون عدوكم . مبدئون الأعداء وأنتم نيام . وكلما كان العمل أشق كانت النتيجة أرقى والعاقبة أبقي والسعادة أعلی

ألا وان النية تسبق العمل والأعمال لاقية لها إلا بعزمت القلوب . فكلما امتلأ القلب بالبشارة والآمال انتهجت الأعضاء بالأعمال . ان القلوب لعظيم سلطانها قوية عزمانها فتى صلحت صلحت الأعمال

ومتى جهلت أو خدعت أو نشاءمت أو شكت أو يئست بطلت أعمال الجوارح • وكيف يعمل المأمور والآمر
خامد الأنفاس كثير اليأس • وكيف تهيج الأعضاء للعمل إذا كان القلب قليل الأمل ضعيف الحيل خائر
العزيمة حائدا عن السنن • هنالك لاعمل له يلقاه • ولا تمر له يرضاه

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

أنظر الى الامور الخمسة المذكورة في الآيات وكيف فصلها الله تفصيلا • فذكر هواجس القلوب وخواطر
الضماير ولم يدع قطرات السحاب الماطرات • ولا عطش القوم في الفلوات • ولا ثبات الأقدام في الطرقات
ولانعاس القوم في لهجمات • بفعل لكل من هذه الحوادث حكمة إلهية ومنه ربانية انارة للعقول وتبصرة
للأفهام • كأنه قيل انظروا في أعمالكم اليومية وأحوالكم الانسانية وما ينتابكم من أمور طبيعية فتفقدوا
صغارها وتأملوا كبارها • واعلموا أن لكل منها نهجا صادقا وطريقا واضحاً فاعتبروا بكل منها وتدبروه
وتأملوا فيه واذكروه واعلموا أنه مامن صغير من الامور ولا كبير إلا وله نبأ ومستقر علمه من علمه وجهله
من جهله • فإياكم أن تمر عليكم الحوادث مرّة السحاب فلا تقيمون لها وزنا ولا تعرفون لها معنى وإذا
كنت قد ذكرت النعاس في غزوة بدر وجعلت لنزول المطر حكمة عملية ولثبوت الأقدام على التراب مكرمة
ربانية ولزوال وساوس الهواجس الشيطانية مزية حكمية • هكذا فلتكونوا في سائر أموركم مفكرين وفي
جميع أعمالكم ناظرين - وماتكون في شأن وماتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم
شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك
ولا أكبر إلا في كتاب مبين -

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

هذه داعية الثبات مرقية المهمات • كيف لا وإن تحرير التولى يوم الزحف من أجل الامور قدرا
وأعظمها أثرا وأشرفها مقاما • وفيها احتقار الحياة في عظام المهمات • وعدم التولى يوم الزحف يكون
من آثاره قوة العزيمة التي هي سر الحياة ومناط الكمال ونهاية الفضائل • ولقد ذكر القرآن الصبر نحو
(٧٠ مرة) وجعله مناط الأعمال • وعليه مدار السعادة في الحال والمآل • وأعظم الصبر ما كان في بذل
النفس في سبيل المجد الاخرى والدينوى وشرف المقام

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

فيها التواضع وأن يعرف الانسان مقامه في الوجود فلا يفتخر بما أتيح له من ظفر • وما أعطاه اياه القدر
ولا يلبس لباس الخيلاء • ويتبختر تبختر الحسنة • فاذا نال أمرا دينا أو دينويا فليرجع الى الله تعالى
ولا يكثر من الفرح بما آتاه • ان الله لا يحب الفرحين • وليعلم أن الله هو الذي أعطاه ولا حول ولا قوة
إلا بالله • ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير • لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم -
وهذا آخر الكلام على القسم الثاني من سورة الأنفال

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ
* وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ
وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ * وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ
النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا
أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ
يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *

﴿ تفسير بعض الألفاظ ﴾

قوله (ولاتولوا عنه) أى عن الرسول (وأنتم تسمعون) القرآن والمواظظ سماع فهم وتصديق (كالذين
قالوا سمعنا) أى كالكفرة أو المناققين الذين ادعوا السماع (وهم لا يسمعون) سماعا ينتفعون به فكأنهم
لا يسمعون رأسا (إن شر الدواب عند الله) شر ما يدب على الأرض أوشر البهائم (الصم) عن الحق
(البيكم الذين لا يعقلون) آياه • عدتهم من البهائم ثم جعلهم شرها لأنهم أبطلوا ما ميزوا به وبه فضلوا (خيرا)
أى سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات (لأسمعهم) سماع تفهم (ولو أسمعهم) وقد علم أن لا خير فيهم (لتولوا)
ولم ينتفعوا به وارتدوا بعد التصديق والقبول (وهم معرضون) لعنادهم (استجيبوا لله وللرسول) بالطاعة
(إذا دعاكم) أفرد الضمير هنا كما سبق في قوله تعالى - ولاتولوا عنه - لأن ذكر طاعة الله والاستجابة له
للتوسط والتنبية على أن طاعة الله واستجابته من طاعة الرسول • وأيضا ان دعوة الله تسمع من الرسول (لما
يحييكم) من

- (١) العلوم الدينية لأنها تحيى القلوب والجهل موت • قال الاول
لاتنجين الجهول حلتة • فذاك ميت وثوبه كفن
- (٢) ومما يورثكم الحياة الأبدية فى النعيم الدائم من العقائد والأعمال
- (٣) ومما يورث بقاءكم أحياء فى هذه الحياة الدنيا وهو الجهاد إذ لو تركناه أقتلنا العدو
- (٤) ومما يورث حياتكم الآخوية وهى الشهادة لله بالوحدانية
فطاعة الرسول واجبة للعلوم الدينية والعقائد الإسلامية والجهاد والشهادة • فبالأول حياة القلوب •
وبالثانى حياة الآخرة • وبالثالث حياتنا فى الدنيا • وبالرابع حياتنا حياة أرقى فى الآخرة بالشهادة
ثم قال تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) وهذه الآية لها أربعة أمور أيضا
- (١) فهو أقرب اليه من جبل الوريد • وهو عرق فى الرقبة شبه بالحبل • فهذا تمثيل لغاية قرب
من العبد
- (٢) وهو مطلع على خفيات القلوب فيعلم ماقد يغفل عنه صاحبه كما سيأتى إيضاحه فى التنويم المغناطيسى
- (٣) فليتجه الانسان الى قلبه فليخلصه من الشوائب قبل أن يحال بينه وبينه فلا ينسى له تصفيته
حين يحال بينه وبين قلبه بجنون أو موت
- (٤) وليعلم الانسان أن عزائمها الوسوس • وتفسخها المزجمات • وتنسبها الشهوات • وقد

بحكم عليه بالكفر فلا يقدر على الإيمان وينعم عليه بالإيمان فلا يكفر لشقاوته في الأول عند الأول وسعادته فيه عند الثاني

(واتقوا فتنة) الفتنة الذنب (لأنصين الخ) أى ان أصابتكم لاتصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم أى اتقوا ذنبا يعمكم أثره كأن يقرّ الناس المنكر . وكأن يداهنوا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكأن تفرّق الكلمة . وتظهر البدع . ويكسل الناس عن الجهاد . وهذا دلالة على أن المسلمين جميعا متضامنون والفرد منهم مثل جميعهم فليهتم كل امرئ بمجموعهم (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض) أى واذكروا أيها العرب إذ كنتم أذلاء بين فارس والروم لتفرقتكم ويا أيها المهاجرون أيضا إذ كنتم مستضعفين في أرض مكة تستضعفكم قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) أى فارس والروم للعرب عاقبة وكفار قريش وغيرهم من العرب للمهاجرين (فأواكم) جعل لكم مأوى تتحصنون به من أعدائكم في الأول وفي الثاني (وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات) الغنائم (لعلكم تشكرون) هذه النعم (لاتخونوا الله والرسول) بأن تركوا الفرائض والسنن . أو بأن يكون ما تبطنون خلاف ما تظهرون . أو يكون منكم غلول في المغنم (وتخونوا أماناتكم) فيما بينكم بأن لاتحفظوها (وأنتم تعلمون) تبعة ذلك ووباله والخيانة عن عمد ولستم بساهين . أو أنتم تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) أى سبب الوقوع في الفتنة أى الائم والعذاب . أو محنة من الله ليلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده (وأن الله عنده أجر عظيم) لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم . فليوجه الناس همهم الى مراعاة حدود الله فان الناس جميعا متضامنون وليس أولاد الانسان وأمواله بمغنية شيئا اذا ما حاق الهلاك بقومه وأموالهم وكيف يعيش المرء منفردا هذا لا يكون (يجعل لكم فرقانا) هذه تشمل خمسة معان

(١) هداية في القلوب بها تفرقون بين الحق والباطل (٢) ونصرا تفرقون به بين الحق والمبطل (٣) ومخرجا من الشبهات تفرقون به بين الحق والباطل (٤) ونجاة مما تخافونه في الدارين (٥) وظهورا واشتهارا بالصيت والذكر الحسن لأن من نجا مما يخافه فقد فرق بينه وبين الخوف منه . ومن اشتهر صيته فقد ظهر ظهور الصبح . تقول العرب ﴿بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان﴾ أى الصبح وهذه (المعاني الخمسة) حقة فان من اتقى الله هدى قلبه ونصر ونجا من الخوف وخرج من الشبهات لأن قلبه مرتن على الحقائق فتتضح له الطرق . وهذه المعاني الأربعة ترجع لمعنى واحد وهو التفرقة بين شئ وآخر . أما الخامس فهو معنى آخر وربما رجع الى الأول لأن الصبح يفرق بين الليل والنهار (ويغفر لكم) بالتجاوز والعفو (والله ذو الفضل العظيم) تذكير للمؤمنين أن ما أعده الله لهم بسبب التقوى انما هو تفضل واحسان . انتهى التفسير اللفظي . وهنا لطائف

- ﴿ اللطيفة الأولى ﴾ - إن شرّ الدواب عند الله الصم البكم الخ -
- ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ - ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم -
- ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون -
- ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ - واتقوا فتنة لأنصين الذين ظلموا منكم خاصة - الآية
- ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾ - واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون -
- ﴿ اللطيفة السادسة ﴾ - يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول -
- ﴿ اللطيفة السابعة ﴾ - واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

اعلم أن الانسان أرقى من عالم الحيوان وأقل من عالم الملك على سبيل الاجمال باعتبار المجموع ولم تكن

له هذه المنزلة الرفيعة والمقام الكريم وتكريم الله له لما اتصف به من قوة الجسم أو شهوة الأكل أو القدرة على التناسل أو القوة العضلية أو التزين بالزينة كالطاووس فإن ذلك كله شاركه فيه الحيوان وإنما امتياز به بالعقل والعلم والحكمة . ولا جرم أنه إذا نزل عن مرتبته ألحق بمراتب الحيوان . فمن غلب عليه طبع القتال لدانه والغلبة عد من الآساد . أو السفاد عد من العصافير . أو الزينة عد من نوع الطاووس . وهكذا تعد الحيوانات نوعا نوعا . ففتى غلب على الانسان طبع من هذه الطباع عد كأنه منها . وقد ذكرنا في سورة البقرة نحو أربعين طبعاً من طباع الحيوان عند قوله تعالى - وإذ قال ربك للملائكة الخ - ولا جرم أن الحيوان الذي اتصف بصفة خاصة لا عار عليه ولا عيب بل هو قائم بأمره عامل على شاكلته فأما ذلك الانسان الذي نزل عن مرتبته والتحق بالأفنى الأدنى فإنه مذموم مدحور كما قال تعالى - أولئك كالأنعام بل هم أضل - أولئك هم الغافلون - وهذا هو سرّ قوله تعالى - إن شرّ الدواب عند الله الصمّ البكم الخ - . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

اعلم أن هذا العالم كله ما ظهر إلا على علم سبق ونظام أسس على مقتضاه . ومن هذا النظام هذه النواميس التي نراها ونقرؤها في هذا الوجود وعلم الله يشمل الواجب والجائز والمستحيل ولا يكون العلم إلا على مقتضى المعلوم . فإذا اقتضى النظام العام والأحوال الخاصة بمقتضى النظام أن يكون زيد كافراً لا يعقل لأن مزاجه لم يتأهل لذلك . كما أن الحيوان ليس أهلاً لمراتب الانسان فإنه لا محالة يكون في علم الله لا يقبل الايمان وهو لا محالة إذا جاء في الأرض لا يقبل الايمان . فالعلم يكون على مقتضى المعلوم . كأنه يقول لو سبق العلم بأن فيهم خيراً لاستعدادهم له لأسمعهم سماع تفهم ولم يرتدوا بعد . وكيف يرتدون وهم أهل للايمان بفطرتهم ولو أسمعهم سماع تفهم في أول الأمر لتولوا عنه وهم معرضون لأن فطرتهم غير مستعدة للبقاء على ما فهموا فرضاً . وعلى هذا يكون هناك فرق بين قوله - لأسمعهم - وبين قوله - ولو أسمعهم - ﴿ فالأول ﴾ سماع تفهم مع الدوام عليه ﴿ والثاني ﴾ سماع تفهم في أول الأمر فليس بينهما التقاء فتأمل . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

اعلم أن الله قد خلق الانسان ولم يمكنه من الاستيلاء على جميع قواه فجعله أشبه بالقيم الذي يملك مالا . ألا ترى أن الانسان يحال بينه وبين ما يعلمه في أحوال

- (١) كالنوم فالنائم ربما لا يتذكر شيئاً من أحوال يقظته ويرى أنه في أحوال أخرى
- (٢) المجنون (٣) المغمى عليه (٤) الذي شرب الخمر (٥) الذي تعاطى الأفيون والمخدرات الأخرى
- (٦) أحوال المرض فقد ينسى في المرض ما كان يتذكره في الصحة
- (٧) ويتذكر عند الاحتضار أموراً لم يكن يتذكرها في صحته (٨) وفي العقائد كالإيمان والكفر
- (٩) والذنوب والأعمال الصالحة . فكثيراً ما يقصد الانسان الامتناع عن الذنب فيقع فيه . وكثيراً ما يقصد الخير فيقع في الشر . أو يقصد أن يفعل سوءاً فيصرف عنه

(١٠) تأثير الخطباء والشعراء فإنها تصرف الانسان بما تهيج به فؤاده بالأقوال الحلاقة والأبيات الموزونة فتصرفه عن غرض الى غرض مهما حاول التملص وأراد الامتناع

- (١١) الوسط والبيئة . والتعليم والديانات . والعادات الموروثة والممكنسية . كل هذه تجرّ الانسان الى طبائعها مهما حاول الانسان التخلص منها والتملص من أذاها . ناهيك ما قرره العلامة (جوستاف ليبون) في مؤلفاته من أن الوسط والبيئة وآراء الشعب تؤثر في العلماء والجهلاء على حد سواء . فتجد للشعب كله هزة

واحدة ورجة واضطرابا واحدا مسوقين الى ذلك . لاسلطان للنطق على عقولهم . وانما السلطان لذلك المؤثر العام الذي استحوذ على العقول فجمعها كما حصل في فرنسا وتركيا ومصر والهند من القوة الوطنية والقيام كأنهم رجل واحد للاستقلال . وترى الشاب وهو أحرص الناس على لذاته قد حيل بينه وبينها فيقدم نفسه للهلاك والموت الزؤام في سبيل انقاذ بلاده . وهذه الحيلولة نعمة عليه وعلى الناس * وبضد هاتين الأشياء *

(١٢) ومن هذا المقام ما أظهره العلم الحديث وأرانا الجمال . والعجب العجيب . والسحر الخلال . والجواهر اليتيمة . والعقود المنظمة . والبدايع الشائقة . والمحاسن الرائقة . والدور والمرجان . وغرائب الانسان (ذلك) في التنويم المغناطيسى . ومما مثل الانسان في أطواره الأربعة الآتى ذكرها في ذلك العلم إلا كمثل العامة والعلماء . فأما العامة فلا يعرفون من هذه الدنيا إلا ظواهرهم عن بواطنها معرضون . وأما الخاصة فهم على ثلاث درجات (الأولى) المتعلمون في المدارس الابتدائية (الثانية) المتعلمون في المدارس الثانوية (الثالثة) المتعلمون في المدارس العالية . فهذه أربع درجات العامة والابتدائيون والثانويون والعالون

أفلا ترى أن من لم يتعلم في المدارس العالية يجملها ويعرف الدرجات الثلاث قبلها وأيضا المتعلم الابتدائي يجمل الدرجتين فوقه ويعرف ما قبله . والعالي يجمل الطبقات الثلاث فوقه ويعرف درجته هو . اذا عرفت هذا المثال فاسمع ما أقول لتعرف سر الله في القرآن وحكمته في الفرقان

يقول علماء (التنويم المغناطيسى) ان له ثلاث درجات كما تقدم في هذا التفسير (الأولى) أن يفقد الاحساس ويكون قابلا لكل ما يلقيه اليه المنوم بكسر الواو (الثاني) أن يفقد الاحساس قسدا تاما ولكنه يتكلم ويسمع ويبصر ولكن لاسلطان لحواصه عليه (الثالث) أنه يعرف نفسه معرفة تامة ويصف علمه وعلاجه ويعرف أحوال الناس من بعد سحيق ويبني عن حوادث مستقبله ويتكلم بلغات شتى ويرى أرواح الأموات ويصف هيئتها وينقل الى الجالسين أقوالها . ولقد قال علماء هذا الفن ان النائم في الحال الأولى يتذكر كل ما عمله في اليقظة . وفي الحال الثانية يتذكر كل ما فعله في اليقظة وفي الحال الأولى وفي الحال الثالثة يتذكر كل ما فعله في اليقظة وفي الحال الأولى والثانية . وهكذا اذا رجع القهقري يحجب عنه علم ما فوقه ويكون عالما بما هو تحته . أفليس هذا عجيبا جدا وأصبح تمثيلنا بالتلاميذ في المدارس وبالعامة تمثيلا صحيحا . أفلمست ترى أن هذا من العجب العجيب وأن الانسان منا في هذه الدنيا يجمل نفسه كل الجهل وأن الله حال بينه وبين قلبه وانه قادر في حال من الأحوال أن يرى الأرواح ويخاطبها ويعرف مستقبل الامور ويعرف البعيد عنه . وهذا أصبح أمرا معروفا قد شاهدناه بأنفسنا . ولقد حضر في مصر قوم من أوربا ونوموا هذا التنويم في هذه السنة وساعدتهم رجال الحكومة والشرطة وهناك دبرت سرقة فلما أناموا رجالان منهم بحث عن السارقين وسرقاتهم وأحضرهم من أما كن مختلفة وهو مغصض العينين . فهذه العلوم أصبحت معروفة للعامة والخاصة أي لمن اطلع منهم عليها . أفلمست ترى اننا قد حال الله بيننا في الدنيا وبين مالدينا من علوم ومعارف وجمال وكمال ايزيدنا كمالا بهذا الجهد وبهذا الجهل الذي لولاه لكسلنا عن أعمال شريفة . ولكم غطى علينا وستر عنا عيوبنا وكالات في أنفسنا نتم ونشقي بها وهي ستكشف عند الموت قال تعالى - فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - (وهذا أسمعتك الحديث) فقد روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء) ثم قال ﷺ (اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك) اه

أوليس من المعجزة القرآنية والمجانب الحكمية أن يقول الله في هذه الآية - واعلموا أن الله يحول

بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون - فهو يقول هاأنا ذا حبستكم في الدنيا وحلت بينكم وبين عالم الأرواح وما انطوت عليه نفوسكم فاذا سامتكم من عالم الأجسام وخلصت أرواحكم من هذه الأحلام حشرتكم الى وأتم مطلعون على جميع ما انصفتكم به من خير وشر وكمل ونقص واذن يقال - كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - ويقال - يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً * وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً * ويحذركم الله نفسه -

فكأنه قيل في هذه الآية قد حلت بينكم وبين مكنون أعمالكم وأخلاقكم وعلومكم لكي تباينوا على الأعمال التي تزيدكم رقياً كما حلت بين نهر النيل مثلاً وبين انتشاره بلا ضابط ولا نظام كيلا يتفرق الماء بلامتنعة وأتما حفظته لبسقى الزرع ويدرت الضرع . فهكذا أنتم لم أمكنكم من عوالم الغيب والأرواح الجميلة اشفاقاً عليكم وحبا في كمالكم كي تزيدوا استبصاراً واستنارة بالأعمال والجهاد والكمال . وهذه هي الحيلولة فاذا انكشف الغطاء وقد صرتم في الدرجة الثالثة وذلك بالموت حشرتكم الى . فاذن الحياة حجاب والحشر كشف ولا يكون ذلك إلا بعد الموت . فتعجب من بدائع القرآن وغرائبه . وكيف ذكر المتقابلين الحيلولة بالحياة والكشف بالموت والحشر . ان في القرآن لمجائب وبدائع وما يدركها إلا العالمون بكسر اللام

(لمحات الأنوار وبواهر الأسرار في قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه الخ -) هذه الآية هي السر الذي ظهر في هذا الزمان بما حصل للمسلمين من الضعف والانكسار . ان الله عز وجل يحول بين الناس وبين قلوبهم وهذه الحيلولة تنحصر في ثلاثة أقسام (أولها) الاصول الصناعية الدنيوية (ثانيها) الاصول الخلقية (ثالثها) الاصول العلمية

أما الاصول الصناعية التي بها يقوى الناس في سيرهم في حياتهم الدنيا وبها يؤدّون ما فرض عليهم منها للمنافع المأتمّة فذلك (نوعان) نوع عام في المسلمين وغيرهم ونوع خاص بالمسلمين . أما النوع العام في المسلمين وغيرهم فذلك هو البخار والكهرباء والطيارات في الجوّ . هذه صناعات كانت مجهولة للأمم كلها شرقياً وغربياً . مسلمها وغير مسلمها

(١) كان الناس يرون بأعينهم البخار في قدورهم وهم يطبخون طعامهم صباحاً ومساءً في الشرق والغرب وأعينهم تنظره وهو يعالو الى الجوّ واذا وضعوا الغطاء على القدور أخذ البخار يضط على ضغطاً شديداً ولوسدوه سداً محكماً لتحرك القدر بما فيه . كل ذلك كان الناس يشاهدونه . ولا ريب أن الذي يضط على القدر هو نفسه الذي يحرك القطار في البرّ والسفن في البحر بطريق العقل ولكن الله حال بين الناس شرقاً وغرباً وبين هذه النتيجة حتى آن وقتها فأبرز هذا السرّ على يد قوم من ضعاف خلقه في أوروبا وأدركوا اليوم أن هذا البخار أخفّ من الماء (١٧٢٨ مرة) كما أن الهواء أخفّ من الماء (٨٠٠ مرة فقط)

(٢) وما من امرئ غالباً في الشرق والغرب إلا وقد علم أن الكهرباء يجذب ما يقرب اليه من مواد خفيفة ولكن الله عز وجل حال بين الناس وبين قلوبهم فلم يتبعوا هذه الظاهرة حتى يستخرجوا منها تلك القوة التي بها نصنع كل شيء من سقى لأرضنا وطحن لحبنا الخ وأبقاها حتى أظهرها في هذا الزمان لما كثر نوع الانسان

(٣) (١) وما من امرئ إلا وقد شاهد أن الدخان الخارج من أفراننا ومطابخنا يعالو الى الجوّ وأن المواد الخفيفة كالريش تطير فيه وهكذا يرى الناس الأطفال أيام العيد يلعبون بكرات تطير في الجوّ

(ب) وهكذا يرى الناس الطيور تطير في جوّ السماء وأجسامها أثقل من الهواء . فهذان النوعان من الأجسام أي الخفيفة التي لا قوة ترفعها وتحركها والثقيلة التي لها قوة ترفعها وتحركها . أظهرها الله للناس في الشرق والغرب ومضت آلاف السنين وقد ستر الله هذا العلم عن قلوب الناس وان كانت أبصارهم مفتوحة حتى

إذا جاء الأوان وأراد اظهار السرّ أوعز الى أناس بالالهام فاخترعوا النوعين من الطيارات النوع الخفيف الذى يسمى مراكب الهواء باللسان الفرنجى (ايرشيب) ويسمى بالعربية (منطاد) والنوع الثقيل الذى وضعت فيه القوى المحركة وله لوحان كجناحي الطائر وهو المسمى (عربية) بالطيارات . وسترى ايضاح هذا فى سورة النحل ان شاء الله مع صور تلك الطيارات وفى سورة تبارك لتعجب من صنع الله عز وجل الذى حال بين قلوب الناس وبينه فى الشرق والغرب فلم يفتنوا للبخار والكهرباء وللطير وغيرها الى أجل مسمى

هذا هو القسم الأول من الأصول الصناعية التى حجبتها الله عن الناس قاطبة وحال بين قلوبهم وبينها وان كانت أعينهم مبصرة وقلوبهم مفكرة فهو بقدرته وحكمته لمصلحة حال بينهم وبين ذلك السرّ العظيم الذى يرونه بعيونهم . وهذا معنى قوله تعالى - فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور - فهنا أبصر الناس جميعا ولكن الله أعمى القلوب عنها لحكمة حتى جاء الأوان

وهذا ونحوه هو السد الذى قال الله فيه - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون - وهو الحجاب فى قوله - واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا - فالحجاب والسد لا يريان ولكنهما موجودان عند أكثر النوع الانسانى

﴿ النوع الثانى من الأصول الصناعية التى حال الله بين المسلمين خاصة وبينها ﴾

ان المسلمين فى أقطار الأرض مهما كانوا لا تراهم إلا على وتيرة واحدة جهل تام بأكثر الصناعات ونوم عميق وذل متراكم إلا قليلا منهم . لماذا هذا لأن الله حال بين أكثرنا وبين المعارف . لماذا القرآن طافح بالنظر والفكر . ذلك لأن أكثر رجال الدين ورثوا علوما خاصة عن أشياخهم فعملوها للناس ولم يشوقوهم غيرها وصار هذا خلقا يتوارثه الخلف عن السلف . والانسان ابن عادته وابن بيئته فظنت الأجيال المتتابعة أن ديننا ليس له دخل إلا فى أمور العبادات ونحوها . وهجر الناس كل علم وكل فن فخطى بها أدم غيرنا وأصبحنا فى أخريات الأمم . فهذا لما حال الله بيننا وبين تلك الصناعات بسبب الأمراء والجهلاء وبعض العلماء المقلدين النائمين على فراش الراحة الوثير بما اكتسبوا من العادات وما ورثوا بالتقليد عن أشياخهم فهم لا يعلمون . كل هذا والمسلم يرى ويسمع أن الأجانب لهم الكلمة العليا فى الصناعة والتجارة والقول الفصل فى السلم والحرب بما نالوا من قوة الصناعات ولكن حال الله بين المرء وقلبه

فترى المسلم يرى بعينه الخطر المهدق ولكن التقليد وسوء الملكة والعادة ملك عليه مشاعره فأصبح كالأعمى كما اتفق للمصريين القدماء إذ عبدوا الهرة فلما حاربهم قنيز ملك الفرس وضع الهرر بين الصفين فامتنع المصري عن الضرب فدخلها الفرس وملكوها . هكذا حال المسلمين اليوم . وبهذا تم الكلام على الأصول الصناعية وهى القسم الأول من الثلاثة

﴿ القسم الثانى الأصول الخلقية ﴾

يعيش الانسان فى بيئة ووسط فيه مخالقات خلقية وآداب منحطة فتراه بسبب الممارسة المتتابعة وبما يرى من أساذته واخوانه يتنزل الى أخلاقهم وان لمس الضرر بنفسه . ألا ترى رعاك الله أن الناس شرقا وغربا يشربون الخمر ويدخنون (الطباقي) ويتعاطون ما لا يبيحه الطب وهم يعلمون أنه ضار كقهوة البن والشاي بل ان بعض الأطباء الذين يعلمون ضرر المسكرات هم يشربونها . لماذا هذا . لأن العادة غلبتهم وحال الله بين الناس وبين قلوبهم . فهنا الخيولة بسبب الشهوات والغباوة وفى الطيارات والكهرباء والبخار التى تقدمت بنحاق الكسل والتقليد واعتقاد المتأخر أن المتقدم قد أكمل كل شئ فى الوجود

﴿ القسم الثالث الأصول العلمية وهى فصلان (الأول) فى العلوم العامة (والثانى) فى معرفة الله تعالى ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

درج المسلمون في العصور المتأخرة على كتب اعتادوها وعلوم مارسوها كالفقه وعلم التوحيد وظنوا أنهم بهذا ارضوا ربهم فخال الله بين كثير منهم وبين قلوبهم بسبب المخالطة والمعاشرة والتقليد الأعمى واعتقاد التلميذ أنه ليس وراء علم أستاذه علم . وقد فرحوا بما عندهم من العلم - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون -

يرى المسلم الشمس والقمر والنجوم والأنهار والجبال وقد أكمل دراسة علم الفقه وعلم التوحيد على الطريقة التي ورثها عن أسلافه من سنيين وشيعيين . يرى جمالا في هذا الوجود . يرى حكمة عالية . يرى نور الله ظاهرا يكاد يذهب بالأبصار . يرى قلب الليل والنهار . يرى جمال الأنهار وبهجة الأشجار ونور الأبقار وجمال الوجود فيروعه ولكنه يحجب عن التفكير فيه لأنه اكتفى بما قرأ في الكتب الموروثة فكأنما هذه الكتب لجام له . أو كأنها سجن سجن فيه . وقد أشير لها في الحديث الصحيح المفيد أن العالم الذي لا يعمل بعلمه يدور في النار كما يدور الجار في رحاه . فأكثر المتعلمين يدورون في كتب مخصوصة في الدنيا كأنهم يشاءون بذلك ما سيحصل والعباد بالله يوم القيامة لغير العاملين بعلمهم في جهنم . فالتعلم الذي غشى بصره عن الحقائق يدور في الكتب التي قرأها ويرجع إليها كرة بعد أخرى ويحبس فيها حبسا مستمرا ويموت جاهلا بهذا الحبس نفسه . حبس المسلمون عن العلوم وهذا الحديث الذي ذكرت لك ملخصه كأنه يشير لهذا الزمان . ولعلك تقول ان هذا جرأة منك وكيف تصرح بهذا القول . أقول لك لست أنا المبتدئ به فاسمع ماجاء في الاحياء . فقد أورد المؤلف في الجزء الأول اعتراضا على نفسه ملخصه ﴿ كيف جعلت حد المتكلم أنه يحرس عقيدة العوام عن تشويش المتدعة فهو أشبه بالحراس في طريق الحاج يحفظون الأقمشة أن تتخطفها الأعراب وجعلت حد الفقيه أنه يحفظ القانون الذي به يستعين السلطان على كف الأشرار مع ان المشهور بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وقد جردتهما من الصفة الدينية . كيف هذا ﴾

هذا ملخص الاعتراض الذي أورده صاحب الاحياء على نفسه . ثم أجاب عن هذا الاعتراض بما يطول شرحه وملخصه ﴿ ان ما هو مشهور يخالف الحقيقة فعلى الانسان أن يعرف الرجال بالحق لا بالعكس ﴾ وأشار الى أنه عليه السلام مات عن آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كأبي بكر وعمر ولم يكن فيهم أحد يحسن صفة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم إلا بضعة عشر رجلا . ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم . فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة . فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام وإنما أريد العلم بالله تعالى . قلت أفترى انه أراد صفة الكلام والجدل ثم ذكر أن الشهرة عند الناس بالفقه وبالكلام غير الشهرة عند الله . وأفاد أن شهرة أبي بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة وفضله بالسرا الذي وقر في نفسه . وشهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وفضله بالعلم الذي مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب الى الله في ولايته وعدله وشغفته . وبهذا تم الكلام على الفصل الأول من القسم الثالث في الاصول العلمية

﴿ الفصل الثاني من الاصول العلمية في معرفة الله تعالى ﴾

وذلك أن الانسان يحول بنفسه خواطر وتتوارد على عقله وساوس فيقول كيف يكون الله واحدا وهو مع كل انسان وحيوان صغير وجليل . وكيف يسع هذا العالم كله . وكيف يطلع على ما في قلوب وقلوب كل مخلوق . ثم كيف يكون قريبا مني مع انه عظيم كبير متعال فكيف يكون قريبا بعيدا . يقول المؤمن أنا آمنت بالله ولكن الذكي يريد أن يتضح ذلك له ولو بضرب مثل . أذكر لك أيها الذكي ما جال بنفسي يوم الاثنين ١٧ يناير سنة ١٩٢٧ أثناء تقديم هذه السورة للطبع إذ جلست فحكي في ضوء الشمس وهو سبب هذا الموضوع كله

﴿ الله والشمس ﴾

اعلم أن الله عز وجل ضرب للناس مثلاً محسوساً لنفسه ﴿ ذلك ﴾ أن الشمس (١) كبيرة جداً (٢) كثيرة الضوء (٣) بعيدة عن الأرض بعداً شاسعاً ويراها الإنسان (٤) قريبة منه (٥) وإذا جلس للاستدقاء بها يراها في مقابلته كأنها لا تقابل غيره وهي قدر اطار المنخل (٦) والضوء الذي ترسله له خاصة لا حصر لعدد ذراته . هكذا الله الذي ليس كمثل شئ (١) كبير عظيم (٢) كثير الانعام (٣) بعيد المرتبة والعظمة من الإنسان (٤) وهو قريب علماً وقُدرة منه (٥) وكأن النعم التي في الأرض وفي السماء لم تخلق إلا لتكون لك أنت وحدك لأنك لا تعيش إلا بهذا النظام العام (٦) والنعم التي يرسلها لك لا تحصى هذا هو المثل المحسوس الذي يراه الناس والحيوان وهم لا يفطنون

﴿ إيضاح بعض صفات هذا المثل وهو الخامس ﴾

وذلك أن الإنسان إذا استدفاً بنور الشمس شتاء مثلاً يرى أنها تقابله كأنها دائرة الطبل وينظر يمينا ويسارا فلا يرى شمساً إلا هذه . وإذا كانت هي المقابلة لك فكأنها لا تقابل غيرك . ثم إن كل إنسان على سطح أرضنا يرى هذا الرأي وهكذا كل حيوان أرضي أو طائر فكل هؤلاء إنما ينظرون ما يكاد يخيل لهم أنه خاص بهم . هذه حال كل حي على الأرض يجلس والشمس بحذاءه لاسواء وهي في الحقيقة بحذاء كل واحد من سكانها حيواناً وإنساناً . ثم ما يقال في أرضنا يقال في سواها من السيارات وتوابعها وما أكثرها دوائر حولها وما أصغر أرضنا وأحقرها بالنسبة لغيرها من السيارات وهي صغرى وكبرى ومجموعها يعد بالآلاف لأن هناك سيارات صغيرة دوائر حول الشمس كما هو مدقون في هذا التفسير كثيراً . وهكذا حولها ذوات الأذناب التي يقولون عنها أنها كسمك البحر عداً . فالشمس حولها ما لا يعد من توابعها والسكان في تلك الكواكب والتوابع والأقمار إذا وجدوا تكون هذه حالهم بحيث يخيل لكل أنها خاصة به عند مقابلتها . وهذا المثل يوضح لنا قوله تعالى (١) - ونحن أقرب إليه من حبل الوريد - وقوله تعالى أيضاً (٢) - وإذا سألك عبادي عني فإني قريب - وقوله (٣) - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم - وقوله (٤) - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وقوله (٥) - وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير - (٦) وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم - (٧) - هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض الخ - (٨) وقوله - إن الله سريع الحساب - (٩) وهكذا قوله هنا - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه -

لهذا المعنى يشير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - وستقرؤه في سورة النور وتعجب من أن هذا المعنى قد ظهر ظهوراً جلياً في أحاديث رؤية الله تعالى . ففي حديث الشيخين عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لاتصامتون في رؤيته (أي لاتزدجون إذا شددت الميم أو لا ينالكم ضم إذا خففت) فإن استطعتم أن لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب - وذكر في حديث أبي داود أيضاً الشمس ليس دونها سحاب . ولم يذكر هذه الزيادة الترمذي

وإن تعجب فحجب ما سمعه من حديث أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه مخلياً به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك في خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخلياً به قلت بلى قال فأنه أعظم إنما هو خلق من خلق الله يعني القمر فإنه أجل وأعظم أخرجه أبو داود * وفي حديث مسلم أن رسول الله ﷺ قال إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم

فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى اه

فتأمل حديث أبي رزين • وأعجب كيف ضرب مثلا يشبه ما نحن بصدد الكلام عليه من أن الله يتجلى لكل أحد كأنه له خاصة بحيث يناجيه الإنسان والحيوان وكل حشرة ودابة • فكل هذه تسأله الرزق وشؤون الحياة كأنه خاص بها • وتأمل كيف كانت هذه الحال مشبهة مثل الشمس والقمر معنا • فأما الرؤية خاصة بأقوام من نوع الإنسان بخلاف السؤال فهو عام • ان هذا التشبيه لا يخطر ببال شاعر ولا كاتب وإنما هو من مقام أعلى وهو مقام النبوة

واعلم أن الوصول للحقائق العلمية بعد التخلي من الأخلاق الشائنة هو الوسيلة لرؤية الله تعالى والرؤية بالبصر أمر حيواني • أما الرؤية بالاحاطة بالعلوم فهو الموصل لذلك المقام • ومن لم يجد في نفسه شعورا بالنظام الجميل في هذه الدنيا فكيف يتصور أن يرى موجد هذا النظام • ان الله خلق الجبال في صور الإنسان والمخلوقات ليعلم الناس الهيام والغرام بالظواهر اذا كانوا جهالا • ويرتقى العلماء بالهيام بما هو أجمل وأكمل وهو النظام العام والاشراق التام والحكمة الباهرة والأنبياء فوقعهم جميعا • اقرأ مقام الحب في سورة البقرة عند قوله تعالى - يحبونهم كحب الله - • ان من لم يدرك جمال هذا الوجود في هذه الحياة فليس له حظ من رؤية ربه التي تنال بالعلم وان ما كتبه في هذا التفسير يعين على ذلك • فاذا كنت أيها الذكي به مغرما فاعلم أنك قد فتحت لك باب الوصول ولانكوص لك بعد الآن وخرجت من الجاهير الذين دخلوا في قوله تعالى هنا - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون - فهو لاء تكون العلوم حاضرة أمامهم وهم لا يعقلونها

تبين لك من هذا كله أن مثال الشمس واضح جلي ولكن الله يحول بين الإنسان وبين قلبه فلا يكاد أكثر الناس يعقلون سبب هذه الحيلولة • ان الله قريب منا مع بعد مرتبته عنا وأنه أقرب إلينا منوريد الذي هو عرق في الرقبة • بهذه الحيلولة يمتنع الإنسان عن تعقل ما هو محسوس ومحيط به من كل جانب • لولا هذه الحيلولة ما تعاطى الناس ما يضرهم من مطعم ومشرب • ان الناس فوق الأرض يكادون يكونون مخلوقين من النور والجمال بل هم في الحقيقة جمال ونور • ان المادة التي منها خلقنا ما هي إلا كهرباء مدججة كما هو آخر رأى للعلماء أو روح مجمدة كما هو رأى العلامة (استوارت ميل) وكلاهما نور هذا بالنسبة لأجسامنا • أما أرواحنا فأمرها ظاهر • والإنسان مع هذا كله حيل بينه وبين ادراك حقيقته الجميلة البهية الساطعة وهذا من سر هذه الآية فان الله حال بيننا وبين نفوسنا ولولا هذه الحيلولة لكنا في نور مشرق وجمال باهر يجعلنا في جو من النور والجمال والبهاء إلى الأبد • فهذه الحيلولة جاءت لسكانا هذه الأرض المظلمة لتتربى فيها عقولنا مدة ثم تنتقل إلى عوالم أخرى

(شفاء الصدور ومشرق النور من شمس بازغات ومعان باهرات في هذه الآيات)
(يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون الخ)

ان قوله تعالى - دعاكم لما يحبيكم - وقوله - يحول بين المرء وقلبه - فتح باب على مصراعيه للعقول أن تلج الحكمة لتحيا والا حيل بينها وبين السعادة بموت القلب والقلب هنا هي اللطيفة القدسية المنبعثة من العالم الالهي • فلنذكر هنا وصف العوالم المشاهدة من كوكب وقر وشمس وسحاب مطر زقوس قزح ثم تقف بجانب الجسم ثم النفس التي هي المقصودة بالحياة • وكيف كشف الناس انها تعترها حال تصبح فيها عالة بالمستقبل وتتكلم بلغات شتى حال الانخفاف الروحي بالتنويم والله حال بيننا وبين ذلك كله وهو اليوم

يدعونا لطاعته ليكشف عنا الغطاء يوما ما ولو بعد الموت فنقول الدنيا قصر منيف على الأكناف واسع
الاطراف • نظرت الى سقفه اذا هو مجمع المعجائب ومثار الغرائب قد وثى بطرائف التطريز ونقش بكل
جميل عزيز • ازدان بالدر والمرجان • وتلأل بمختلف الألوان • نور وهاج • وسراج يتلوه سراج •
فبينما تراه حالك السباب • مسود الجوانب • مرصعا بالدرارى البهجات • المشرقات فى الظلمات •
اذا بملءه بيضاء قرية منسوجة من الفضة قد نشرت على وجوه تلك المشرقات • وتارة يخيل لى أن ذائب
اللجين سال فى جنبات القصر وصار الجوبه كالنهر • ذلك هو نور القمر • أقول فبينما أنا على تلك الحال
اذا حادت غير تلك المعالم ونسخ تلك العوالم وهى عرائس الصباح ونوايس الطرف الصباح واقصات فى مشارق
النور تتلأل بهجات • وتزدهى ساحرات • بألوان مختلفات • وتجلى سافرات • وقد يخيل للرائى أن
أمواج النور تجافل • وجيوش بواسل • بأسنة لوامع • ومهندات قواطع • برزت فى المشارق وتراءت
فى المطالع • احتفالا بمقدم ملكة الكواكب • وسيدة المشارق والمغارب • ذلك هو وصف الصبح
فبينما نحن نرقب مجتلاها • انشاهد محياها • اذا بالغزالة برزت كالذهب الابريز • زينة للناظرين
وبهجة العالمين • فنشرت على السماء جلبابا لازورديا • فبرقت وجهه القمر والنجوم • وفرشت على
الأرض بساطا ذهبيا منمقا بجميل الأشجار وبديع الأزهار • من خفا بما فى الحشائش والزروع من بدائع
الألوان المختلفة الأشكال المزدهرات البهجات

﴿ وصف السحاب وقوس قزح ﴾

وتارة تنسج أيدى الرياح فى الجنوب أو الشمال مطارف مدهامات وحللا داكنات مدليات من الأعلى
الى الآفاق • فى سمت الرأس أعاليها • وعلى الأرض حواشيا • وقد طرزها قوس السحاب بأصفر فوق
أخضر يتلوه أحمر وأصفر

وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا • على الجود دكنا والحواشى على الأرض
يطرزها قوس السحاب بأصفر • على أخضر فى أحمر تحت مبيض
كهية خود أقبلت فى غلائل • مصبغة والبعض أقصر من بعض

تلك حال هذا الوجود الذى نعيش فيه • فدينا جميلة المحيا باهرة المناظر • ساحرة الطرف • رشيقة
القد • غيداء • هيفاء • كلاء • عيناء • ازينت للناظرين • زينهارب العالمين • فهى عادة لعبوب •
وفاتنة طروب • من عاداتها الدلال والتبختر فى الغلائل لا الأغلال فهى كما قال كعب بن زهير
فاندوم على حال تكون بها • كما تلون فى أثوابها الغول

﴿ الكلام على الكتب السماوية والمعارف النفسية والكتب الحكيمية ﴾

هذه صفات العوالم المشاهدة التى لأجلها نزلت الكتب السماوية كالتوراة والزبور والانجيل والقرآن
وألفت الكتب وخلقت الحكماء وتابعت العلماء • فهنا وحى يوحى لذوى النفوس الشريفة وكتب تؤلف
على أيدى حكماء ذوى جد وتشمير ونفوس منقوشة بتلك العوالم مزدانة بأجمل تلك الجواهر
إن الله أبرز لنا هذا الوجود كتابا نقرؤه • هذا الوجود كتاب مسطور فى رق منشور • كتاب
كتبه بيده • وما أحسن كتابه • وما أجمل عمله • وما أبدع صنعه • كتبه وزينه وأحسنه • كتب
الله هذا الوجود بحروف كبيرة ثم أوحى الى الأنبياء فكانت الديانات بألفاظ نسمعها وحروف نكتبها ومعان
نمقلها تدل على نظام هذا الوجود ثم ألهم الحكماء من كل أمة والأولياء من كل دولة فدوتوا وألفوا لاظهار
أسرار الديانات بمختلف اللغات لاجتلاء تلك المشاهدات وفهم الغائبات عن الحس والابصار

﴿ الجسم الانساني ﴾

ثم انه أسكن نفوسنا في أجسامنا ونقش الأجسام بنقوش تضاهي نقوش هذا العالم الكبير فنظم الهيكل الانساني وأبدع فيه من كل سر خفي ومظهر جلي . فنظم الأعضاء ووزنها وزوق الوجوه وحسنها ونقش الألوان وزوقها وسوى المفاصل وأحكم الأعضاء وأبدع الخواص وفصل الخواص ورتب الأحشاء ونظم مجرى الغذاء وطريق النفس وموارد الدم ومصادره . كل ذلك شرحته في سورة آل عمران شرحا جميلا ونسقته هناك تفسيقا قويا

فهنا كتب الدين يسمعها الناس كلمات في الهواء بأذانهم أو يبصرونها في الكتب بعيونهم ونظام هذه الدنيا حروف كبيرة يقرؤها المفكرون ويعرفها العالمون (جمع عالم) بكسر اللام ومختصر هذه الدنيا هو الجسم الانساني ففيه معنى العالم كله كما مر في آل عمران . اذن النفس لها لوحان لوح كبير هو هذا العالم ولوح صغير هو هذا الجسم . ولها دالتان دلالة الكتب السماوية ودلالة العلوم الحكيمة . هذه هي علوم الأولين والآخرين . فاقرا كتب الدين وتأمل نظام هذه الدنيا وادرس عجائب جسمك . بهذا تكون حكيما وصديقا تابعا لنبينا ﷺ بل وارثا من كبار الوارثين

﴿ النظر في النفس ﴾

واياك أن تغفل عن أفضل الامور وأجلها قدرا وأعظمها خطرا . ألا وهو القلب . وقد ورد في الآثار ﴿ قلب المؤمن عرش الرحمن ﴾

ان ماقلته لك في هذا المقال املاء من القلب فلا كتاب لدي ولا منظر أمامي . فأنا الساعة لست أنظر الى السماء ولا الصباح ولا الليل والنهار ولا أمامي الأشجار ولا الأنهار . ولكني أكتب من لوح القلب . ان الكتب السماوية والدروس الحكيمة وعجائب هذه الدنيا وغرائب الأعضاء الجسمية . كل ذلك يقصده تكميل النفس بتلك النقوش واسعادها بما في الطروس

كل ما في هذه الدنيا عيان ولسان وبنان وجنان . فالعيان كل مانعائنه من السموات والأرضين وغيرها والكلام باللسان والكتابة بالبنان معبران عن ذلك العيان والقلب هو الذي ترسم فيه تلك النقوش

﴿ غفلة الناس عن القلب ﴾

يعيش الناس ويموتون وأكثرهم لا يعلمون أن هناك عالما كبيرا كامنا في نفوسهم . الانسان يؤمن بانه يرى ولكنه لا يصدق أن نفسه عالم كبير لا يراه الناس وإنما يراه هو . أنا أكتب هذا وكأني أشاهد في لوح نفسي النجوم والسماء والشمس والقمر والصباح والمساء وأشاهد رسوم الأعداد من الواحد الى العشرة الى الألف وهكذا وألاحظ كل ما بقى من المحفوظ من علم أو نظم أو اثر وكل محفوظ يخيل للنفس أن له مكانا رسم فيه وكأن هذه النفس عالم واسع قد ابتلع عوالمنا التي نعيش فيها وزاد عليها . أنا أكتب هذا وكأن نفسي هي التي تمل على

يقول العلماء اذا عرف الانسان هذا الوجود كله وجهل نفسه فقد جهل كل شيء . ان النفس هي الباقية لنا في سفرنا وخضرنا وموتنا وحياتنا وهي التي فيها رسمت كل هذه المناظر فصارت لوحنا الذي نقرؤه أنظر الى رسوم نفسك ترها عجيبة وأضرب لك مثلا بالأعداد والكلام المحفوظ وبالكواكب . أنت أيها الذكي تحس في نفسك بالأعداد مرتبة منظمة بترتيبها ولولا هذا الترتيب ما عرفت العدد ولا كونت الحساب وتسمع الجبل العامية فترسم صورتها في نفسك حتى اذا احتججت اليها عرفتها ونفعتك . وتفكر في الشمس والقمر فتراهما حاضرين في قلبك . هذه ثلاثة أمثلة ﴿ فالأول ﴾ وهو العدد لا وجود له في الخارج وإنما وجوده في نفسك فقط وليس في الخارج إلا المعداد ﴿ والثاني ﴾ وهي الجبل ما هي إلا ألفاظ والألفاظ صوت

والأصوات حركات في الهواء والحركات تضمحل حين بروزها وتختفي وقت ظهورها (والثالث) وهو الشمس والقمر باقيان في السماء . فههنا حفظت النفس لنا مالا وجود له وهي الأعداد وما وجد وضمحل بسرعة وهي الجبل وما هو باق وهو الشمس والقمر . اذن النفس أرقى من هذا العالم فان فيها موجودات لا توجد فيه وفيها تبقى الموجودات التي اضمحلت فيه . ألا ترى انك ترى انسانا جيل الطلعة يوما ما ثم يدور الدهر دورته فيصبح قبيحا ضعيفا وهو لا يزال في نفسك على ما كان عليه . فكأن نفوسنا صادقة حافظة والمادة لا تصدق ولا تحفظ بل فيها تتغير الموجودات وتبدل والنفس تحفظ . ان نفوسنا هي المقصود من هذا العالم ويقول بعض العلماء (ان الغذاء فينا يلطف حتى تكون خلاصته سمعا وبصرا وفكرا وهذا الفكر أشبه بسنابل القمح التي دلت بظهورها على أصل بذرها فلولا أن البذر حب قمح ما كان الناتج قمحا) اذن أصل العالم فكر أو نفس ونفوسنا تسيطر على هذه المواد وتحكم وتحلل وتركب . اذن هي من عالم أسمى من عالم الحس . وكأنها خلقت هنا للتمرن والتعلم وكأن هذا الوجود وهذه الأجسام لوح تقرأه حتى اذا أتمت عملها فارقت الأرض حاملة معها زادها في هيئتها

ان هذه العلوم الفلسفية والدينية والنظام والطبيعة والهيكلة الانسانية بالتشريح رسوم وتقوش تغذى النفس كغذاء الطعام للأجسام . وكلما زادت النفس غذاء فكريا ازدادت كمالاتها حتى تقرب من العوالم القدسية . ان هذا العالم صنع بحساب ونظام وعلى مقدار عقله تقرب النفس من صانعه . وكلما استكملت بالعلم ازدادت الى ذلك الصانع شوقا . واذا غفلنا عن تلك القوة القدسية المعبر عنها (بالقلب) ابتعدنا عن السعادة . وأمثال هذا هو المقصود من آية - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون - ولما كان الحشر اليه وهو لطيف خبير منزّه عن المادة وجب أن تكون النفوس القريبة منه بعد الحشر مغرمة بالعلم والحكمة حتى تستعد للقائه وهل يجالس الصعاليك الملوك

وفي بعض الأخبار (من عرف نفسه عرف ربه) وفي القرآن - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وقوله تعالى - والشمس وضحاها * والقمر اذا تلاها * والنهار اذا جلاها * والليل اذا يغشاها * والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها * ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها - ان هذه الآيات هي نفس الموضوع الذي ذكرته الآن وان هذه الصورة المرسومة لك تبيانا لهذا العالم . ما كنت وقت كتابتها ملاحظا هذه الآيات اذا هي كالتفسير لها فان هذه العوالم كلوح للنفس

ان نفسك هي جنتك وهي نارك . هي جنة العلوم والمعارف وهي نار الجوانح بالشهوات والعداوات والذنوب . ان النعيم الأوفى انما يكون بجمال النفوس ومتى جلت بالعلم والحكمة استغنت عن جميع العوالم بقاء ربها ولا يلقي الله ويشاهده إلا نفوس مشرقات . أما النفوس التي حال الله بينها وبين قلوبها واستعدادها فقد حرمتم النظر اليه

ان النفس تصوّر الجائز والواجب والمستحيل . الجائز بجميع هذا العالم المشاهد كأن تجعل (٤٠) من ضرب (٤ في ١٠) أو من ضرب (٥ في ٨) والواجب كالاله وكلملك وكأن تصوّر أن (٢٥) من ضرب (٥ في ٥) والمستحيل كشريك الباري وكأن تصوّر أن (٤٠) من ضرب (٥ في ٥) أي انك تحكم أن أر بعين مستحيل أن تكون حاصل ضرب هذين العددين فهي تصوّر الواجب وحكمت بثبوته والمستحيل وحكمت بعدمه وهي تصوّر للجبروتات عن المادة صورا فيها ولذلك تنوعت طرق الوصول الى الله وأعان النفس على استحضار معبودها ظهور الشعائر والمنابر والمساجد والمنائر ومناسك الحج وأمكنة الطواف والوقوف والمشاهد المعلومة . كل هذه وأمثالها لتعين النفس على استحضار من هو مجرد عن المادة ولو كان مشاهدا كما تشاهد الشمس وهو حاضر دائما عند حواسنا لم نحتاج الى جميع هذه الشعائر

النفس أدركت العلوم الطبيعية التي تحتاج في تعقلها الى المادّة في الخارج وفي الذهن . وأدركت العلوم الرياضية المحتاجة في تعقلها الى المادّة في الخارج لا في الذهن . وأدركت العلوم الالهية التي لا تحتاج الى المادّة لا في الخارج ولا في الذهن . والعلوم الالهية هي العلوم العائمة كتقسيم العلوم وكلقولات الخ ﴿ النفس في حال النوم تعطيك صورة من الدنيا والآخرة ﴾

ألا ترى انك في اليقظة تفكر وتحسّ وفي حال النوم كذلك تحلم وتفزع وتفرح وتحزن ثم يمرّ عليك وقت في النوم لا يكون لك احساس بهذا الوجود البتة . ولا معنى لحياتي إلا أنني أحسّ وأفكر فأنا إذن عند فقد الشعور والادراك صرت كالميت فتشابهت الحالان حال الميت وحال النائم الذي لا يشعر فما هو أشبه بالموت أصبح من لوازم الحياة . لانتمّ الحياة إلا بنوم . وقد يكون في النوم زوال الحسّ والشعور . والمعنى الخوف منه في الموت عند الناس كافة هو فقد ذلك الشعور وقد حصل في نفس الحياة وحينئذ يقال اذا حصل فقد الشعور في حياتنا الدنيا ولم يكن سببا في الفناء فربما يكون فقد الشعور بالموت ليس سببا في الفناء بل الحياة ربما كانت كامنة وتظهر بحال أخرى

﴿ استيقاظ النفس ونومها يثلاثان الحياة والموت ﴾

ان الناس في كل يوم وليلة يموتون ويحيون تمرّنا على الموت الأكبر والحياة الكبرى . ولقد استدل (سقراط) بتعاقب هاتين الحادثتين على أن الحياة ستكون بعد الموت كما قدمناه في سورة الأنعام . النفس ترسم فيها صور الآثار الواصلة اليها بالمرض فتتخيل في الأحلام الجي نارا متأججة تحيط بها . ويتصوّر الذي اعتراه البرد أو الأمراض الباردة أنه في بحر لحيّ كما يعرفه أكثر الناس في أنفسهم . وهكذا السوداوى يزاول أعمال الموتى وسواد الأجسام وهكذا النفس تجعل لكل ما تدركه صورة تتخيلها له . ان النفس بحر لحيّ لا ساحل له . النفس يحكم وهما على من يمشي على الحائط بالسقوط . ان الانسان اذا مشى على الأرض لا يشغل مقدار عرض الحائط ولكن الوهم يحسب للمشى عليه أنه ساقط لاحالة فيسقط ذلك لأن وهم النفس صور له السقوط فسقط . الوهم أبرز لصاحب الشهوة البهيمية صورة ما يشتهي من صور النساء والأغذية فتمتع بها في المنام . وصوّر لدى القوّة الغضبية صور الأعداء فجندلهم في ميدان الأحلام والأوهام النفس هي التي اذا أدبت وهذبت وربيت لم تؤثر فيها الأوهام . فترى أولئك اللاعبين الذين دربوا على المشي على الحبال أو الجلوس على كرسي موضوع فوق عمود مرتفع لا يسقطون كما يشاهد في هذا الزمان ذلك لأن الوهم اتجه الى النجاة وضبط الأفكار . النفس أثرت في جسم المحتلم فأفرز مادّة من جسمه . والنفس بالتهذيب والرياضة تؤثر في غيرها إما بالعلم وإما بالآثار الظاهرة . كل ذلك اشارة الى أنها في هذا العالم قوّة الهية أنزلها الله الى الأرض لتكون مظهر جلاله وجماله - وما يعقلها إلا العالمون - ولا يحجب عنها إلا المغفلون . هذه قطرة من بحر قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون - . انتهى

﴿ يا قوّة في عقد هذا المقال ﴾

بعد أن كتبت هذه المقالة تبين لي أن هذا الموضوع لا آخر له ومنه يتفرّع علوم الأمم القديمة والحديثة في النفس ولواني أطعت البنان والقلم اطال بي الأمد ولكنني أقصر على هذه الياقوتة فضعها أمامك فاهانضي . لك هذا الوجود وتشرق اشراق الكواكب والشمس والقمر . ليس المدار على كثرة العلوم وانما المدار على حسن التصرف والتعقل . وقليل يكفيك خير من كثير يلهميك . فهاهي ذه الياقوتة أهديها اليك فأقول أنظر في سورة البقرة عند تفسير آية - وما أنزل على الملّكين ببابل هاروت وماروت - فانك تقرأ هناك انهم في التنويم المغناطيسي في الأكاديمية الطبية الفرنسية أمهروا المسيو (فرواساك) فنوم المسيو كازو

المصاب بداء الصرع وقد كان فرواساك في حجرة والمسبوكازو في أخرى ولم يعلم الأخير بحضور الأول وحصل ما حصل من اخبار المسبوكازو المريض عن مرضه ومستقبله وكيف تمكن مداواته وعين اليوم والساعة والدقيقة التي سيأتي فيها المرض ثم ترى هناك قبل ذلك الدرجات الثلاث المتقدمة في هذا المقام قريبا

هذا هو الذي تقدم في سورة البقرة وإذا كانت هذه الامور أصبحت الآن معروفة في أوروبا وان من تنويع تنويعا تاما تكون هذه حاله فاذن أمر النفوس البشرية عظيم جدا مدهش ونفسي ونفسك فيهما هذه القدرة وقد حال الله بيننا وبينها وهو يدعونا ليحيينا بالطاعة حتى يرد إلينا ملكنا العظيم في هذه النفس واذن نفهم هذه الآية فنحن في هذه الحياة قد حال الله بيننا وبين قلوبنا • فاعجب للقرآن واعجب للتعبير بالحيولة وكن ماعشت مفكرا إذا كرا نعيش حكما تقيا وترقب هذه الحال التي انطوى قلبك عليها

ان الآية تثير الى أننا في هذه الحياة أموات لأنه حال بيننا وبين قلوبنا • ولقد وجدنا أن قلوبنا تعلم عجائب لانهاية لها وتقدر على ما لا تقدر عليه في حال التنويم • فهذه الحياة كأنها موت وهو يدعونا للحياة فانعكست القضية حياتنا موت وموتنا حياة وهذا ما يفسر ماورد في الآثار (الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا) ياسبحان الله وياسعدانه • ان هذه المقالة فتحت باب لفهم قوله تعالى - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا -

ومن قرأ كتب علماء الأرواح في العصر الحاضر واطلع على علوم الهنود وما تضمنه كتاب (راجا پوقا) المؤلف باللغة الانجليزية مترجما من اللغة الأوردية أدرك بعض سر - قل الروح من أمر ربي - • ان ما جاء في تلك الكتب هو الذي أشار له قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - وقوله - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - فها هو ذا الله قد أطلع الأمم اليوم على بعض سر الروح الذي هو بعض آيات الله في الأنفس وعجائبها فاذا كان أهل الديانات قديما وللمسلمون يؤمنون بأمر الروح ايماننا فان الذين اطلعوا على كتب الأمم يؤمنون يقينا • وكيف لا يوقن المرء بسر الروح والروح قد تبدت عجائبها في المجالس الروحية وبداء جالها ونطق الأبكم وأبصر الأعشى وبرع في العلم الغبي الجاهل وبرز في الفلسفة من لا يحسن خطابا ولا يقرأ كتابا ولا يحير جوابا اعلانا لاسرا • ومتى فارق تلك الحال رجع الى سيرته ان رجال الصوفية في الاسلام قد ظهر لهم بالرياضات نفس مظهر بالتنويم المغناطيسي اليوم • وذكر زهاد الهند وعبادهم من تلك الأسرار مالا يكاد يتخيله العقل وأتوا جميعا بالمعجب المحجب من اخبار بالمغيبات وأعمال عجيبات • وقد يدفن التلميذ في قبره ستة أشهر ثم يخرجونه ويكثفون الغطاء عنه ويخرج من الصندوق في جمع حافل ثم يتحرك ويتكلم • ولقد صنع بعضهم هذه العجائب على ملائمة الناس في هذه السنة والتي قبلها في انكسرتا وقد شهدها القوم في المسارح العامة وقد أغشى على السيدات عند مشاهدتهم تلك الظاهرة فأمرت الحكومة بعدم تكرار هذا رفقا بالنساء والضعاف منهم • هذا كله من سر قوله تعالى - قل الروح من أمر ربي - • ان النوع الانساني مقبل على سعادة لا يحلم بها الآن • وهذه السعادة وهذا الملك العظيم هو الآن كامن في أنفسهم ويظهر تارة بالعبادة وأخرى بالرياضة وأخرى بالتنويم المغناطيسي لحظة فاذا استيقظ ذلك النائم لم يدرك شيئا مما كان يعرفه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم المذكور في قوله تعالى - وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملاكا كبيرا • عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا - في تلك الحياة التي جاءت في قوله تعالى - وان الدار الآخرة لمى الحيوان لو كانوا يعلمون - فقوله - لو كانوا يعلمون - اشارة الى أن الناس يحبوا عنها

حصر الله الحياة في تلك الحال مؤكدا بان وباللام • فلاحياة إلا تلك الحياة التي ظهرت طلائعها فيما ذكرناه وحال الله بيننا وبينها • وهذا هو المعنى المنطوي في قوله تعالى هنا - لما يحبيكم - فهذه هي الحياة

المذكورة في آيتنا وما نحن عليه في الدنيا موت • فأهل الأرض اليوم ميتون في حياتهم الحيوانية التي بسببها حال الله بينهم وبين تلك الحياة

ويقول علماء الهند في الكتاب المتقدم • ان سرّ هذا العالم كله في الانسان مخبوء في عجب ذنبه وان هذا العجب في نظرهم مرآة للوجود كله وان الرياضة والعبادة والذكر والعلم والفلسفة كل هذه تمنع الحجاب الحاجز للنفس بين عجب الذنب وعلومه وبين الدماغ الانساني • وان علوم أهل الأرض التي وقفوا عليها من طريق الحواس والعقل فصل للمخ من طريق أعصاب الحس والحركة والفكر • أما أسرار الملك والملوكوت المحجوبة في عجب الذنب فاما تترأى للعقل بطريق الانطباع من عجب الذنب في المخ • وانما ذكرت هذه التي لا برهان عليها ولا أى دليل لأن عجب الذنب المذكور في الأحاديث انه هو الباقي الذي لا يفنى كالروح فهذا هو العجب العجيب أن يكون كلام الهنود منذ آلاف السنين بطريق العلم المكتسب بالرياضة هو الذي جاء به نبينا ﷺ وهذا معجزة له ﷺ ذكرتها استطرادا لمسألة الحياة في قوله تعالى هنا - يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحيبكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون - • انتهى

﴿ ضوء الياقوتة وازدياد في عجائبها ﴾

ان تعجب فعجب ماجاء في كتابي المسمى (كتاب الأرواح) صفحة ١٩٢ من ذكر حادثة مدهشة في سنة ١٨٧٣ ذكرتها جرائد أوروبا وأمريكا • وهي أن المؤلف الانجليزى ديكنس فاجأته المنية في مدينة لندن سنة ١٨٧٠ قبل أن يتم روايته المدعوة (أسرار ادوين برود) فأتتها بعد موته على يد الوسيط الأمريكي (جيمس) في مدينة (بوستون) وجيمس هذا لم يكن إلا غلاما صانعا قليل العلم يقضى أيامه في اتقان حرفته واتفق انه حضر سنة ١٨٧٢ في احدى ليالى (تشرين الأول) جلسة روحانية تجلى فيها روح ديكنس وطلب أن يكون جيمس المذكور وسيطا يتم به روايته فقبل جيمس اوصار يجلس في كل ليلة وتتحرك يده وهي تكتب القراطيس أقوالا لا يعلمها ودام على ذلك سبعة أشهر أكمل فيها الرواية بألف ومائتى قرطاس ولقد شهد رجال الصحافة عموما أنه يستحيل على الفارئ أن يميز بين ما كتبه ديكنس قبل موته وبين ما كتبه الوسيط جيمس بعد موته أقل اختلاف لافي الانشاء ولا في الخط ولا في نسق الرواية حتى ان الأغلاط الاملائية التي كان المؤلف في حياته يعتادها بقيت كما هي • اهـ

وفي صفحة ١٩٣ من هذا الكتاب نقلا عن علماء الأرواح في عصرنا مافيه ولقد جاءت مقالات في الفلسفة والعلوم والفنون والتاريخ واللغات الأجنبية كتبتها الأرواح على أيدي فتيان حديثي السن أوفتيات ساذجات لا يحسن القراءة • اهـ

وجاء في صفحة ١٩٨ من الكتاب المذكور نقلا عن المشتري الفقيه (سارجان كوكس) مانعريبه كثيرا ما رأيت غلاما صيرفيا وهو وسيط عابر عن كل علم وتهذيب يجادل عنداستيلاء الروح عليه قوما من الفلاسفة في مسائل المنطق ومعرفة الغيب والارادة والقدرة وغالبا كان يفهمهم بأجوبة السديدة وأنا نفسي ألقيت عليه يوما بعضا من معضلات علم النفس فخلها لي ببراهين قاطعة وألفاظ في منتهى الرقة والنصاحة مع انه في حاله الطبيعية لا يدري ما الفلسفة ولا يجد ألفاظا يعبر بها عن أفكاره الصغيرة

وجاء في صفحة ٢٨٠ من الكتاب المذكور (الطبعة الثانية) انه ليس كل ماجاء في الكتاب المذكور مسلما به بل حال البرزخ مشكلة فلا تتخذ الأقوال الروحانية كلها دليلا إلا ماورد عن أرواح نقية وساعده الدليل ﴿ آراء علماء الاسلام في النفس الانسانية وصفاتها واطلاعها على العجائب ﴾

وقد جاء في صفحة ٢٨١ من الكتاب المذكور (الطبعة الثانية)

اعلم أن مناجاة الأرواح هي الصفة الخاصة لأمة الاسلام لاسيما رجال الصوفية . وهذا شائع ذائع ولكن الناس يكذبون ما لا يعلمون . وهالك ما قاله الامام الغزالي في كتابه (كيمياء السعادة)

اعلم أنه مامن أحد إلا ويدخل في قلبه الخاطر المستقيم وبيان الحق على سبيل الالهام وذلك لا يدخل من طريق الحواس بل يدخل في القلب لا يعرف من أين جاء لأن القلب من عالم الملكوت والحواس مخلوقة لهذا العالم . ثم قال ولا تظن أن هذه الطاقة تفتح بالنوم والموت فقط بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة وتخلص من يد الشهوة والغضب والأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة . فاذا جلس في مكان خال وعطل طريق الحواس وفتح عين الباطن وسمعه وجعل القلب في مناسبة عالم الملكوت وقال دائما الله الله بقلبه دون لسانه الى أن يصير لا خبر معه من نفسه ولا من العالم ويبقى لا يرى شيئا إلا الله انفتحت له تلك الطاقة وأبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم فتظهر له أرواح الملائكة والأنبياء والصور الحسنة الجميلة الجليلة وانكشف له ملكوت السموات والأرض ورأى ما لا يمكن شرحه ولا وصفه كما قال النبي ﷺ (أزويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها) وقال عز وجل - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض - الى آخر ما هنالك فاقرأه ان شئت

فانظر في هذا القول الجامع إذ جعل الانكشاف في النوم وفي الموت وفي صفاء النفس . ولا جرم أن النوم (قسمان) نوم طبيعي . ونوم صناعي . والصناعي هو الذي استعمله اليوم علماء أوروبا المسمى (التنويم المغناطيسي) الذي تقدم في هذا المقام كالغلام الصيرفي الذي يجادل في الفلسفة والمنطق في تلك الحال وكالغلام الصانع جيمس الذي أتم رواية ديكنس بعدموته . فهذان وغيرهما ممن يعدون بالآلاف كشف لهم العلم في نومهم الصناعي . وهكذا تجد العلامة (أوليفر لودج) أكبر علماء الانجيز في الطبيعة وهو معاصر لنا يقول اني حدثت الأموات وعرفت أن هناك أرواحا أعلى منا تهتم بنا وتحيط بنا من كل جانب فعرفت أن ما كان يقوله الأنبياء والقديسون من مساعدة الملائكة ومساعدة الله نفسه لنا هو كلام حق وليس مجازا ولا موارد . ولكن هؤلاء عرفوا ذلك بصفاء نفوسهم . أما أنا فلم أوفق لطريقهم وإنما طريق علمي لا غير ولكنه مؤد إلى ما أدت اليه طريقهم من حيث النتيجة واليقين . اهـ

وهنا تبدى من جليسي هذا السؤال فقال . هذا بيان جميل جامع علوم الشرق والغرب في هذه المسألة وأنت اذا لم تذكر كلام علماء الاسلام لم يهتم بما تنقله عن الفرنجة أمم الاسلام . فن أجل الحكمة وأعجبها أن وفقك الله لجمع الرأي الشرقي والغربي في مقام واحد مع الايضاح . ولكني أريد أن تفصل القول بعض التفصيل في طرق الصوفية في الاسلام ثم بيان الكشف هل نهتم به ونجعل حياتنا وقفا عليه أم ماذا تكون السبيل . فقلت له أما طرق الصوفية فاسما واسعة النطاق لاحد لها . الطرق لله بعدد أنفاس المخلوقات وكما تختلف النبات وتعدد اختلاف الطرق لله وتعددت . ويقولون ان الجوع والسهر والصمت والعزلة هي الأركان الأربعة لها . وترى في الاحياء للامام الغزالي شرح طريقة الجوع (وذلك) انهم يأمررون التلاميذ باقلال الطعام تدريجا حتى يصل الى أقصى حد في القلة . ومن أسهل تلك الطرق أن يتناول الانسان الطعام في مواعيد خاصة ثم يؤخر الميعاد كل يوم دقائق معلومة بحيث لا يضر بصحته ولا يشعر بتعب وجوع ولا يزال يؤخر كل يوم ذلك الموعد حتى يأكل كل يوم مرة ثم يزيد الى يومين ثم ثلاثة وهكذا الى عشر ثم الى ٢٠ ثم الى ٤٠ . وهناك يفتح له هذا الباب وذلك بشروط خاصة . ثم ان هذه الطريقة وأمثالها مما لا يحصى اعترضها قوم فقالوا آمنا أن العلوم تفتح أبوابها بهذا ولكن أكثر الناس لا يقدرون عليها واذا قدروا كان ذلك خطرا عليهم إذ لا علم عند المريد يصون به فكره من الوسوس بل ربما جن . ثم قالوا وخير الآراء أن يتعلم المريد أولا ثم يهذب نفسه آخر . هذه هي ملخص آراء علماء

الاسلام . وأما قول صاحبي هل نهتم بالكشف ونجعل حياتنا وقفا عليه . لجوابه أن المدار على تهذيب النفس تهديبا على قدر الامكان حتى نكون أمة وسطا فالتطرف يضيع الأمم . فلما سمع ذلك قال لم أفهم ما تريد . فقلت يقول علماء الصوفية ان الكشف للمريد يحدثه الله له في فترات ليثبت به عقيدته فأما اذا اطمأن المريد وعرف أن هذه المجاهدات لها ثمرات فان دوام الكشف له يعوقه عن ارتقاء نفسه فغادام ناقصا تكشف له أحوال بعض اخوانه أو بعض الامور المستقبلية فاذا كمل علم هو نفسه أن ذلك نقص . فاذن يستعين بالله منه وينفر . وخبر الفتح والكشف انما هو الكشف العلمي ومعرفة الحقائق التي يزيد بها جلاء صفاء النفس . فهذا هو الكشف المأمود . فاذا سمعت أن رجلا صوفيا يخبر بما في قلوب الناس أو أحوالهم أو مستقبلهم فاعلم أنه ان اغتر به هذه الحال وفرح بها فانها تصدّه عن العلوم والمعارف ويصبح شيطانا رجما والناس يظنونه من الأولياء وما هو بولي إن هو الا رجل انجبت نفسه لأمر شهواني لجمع الناس حوله ليفرح بهم ويأخذماهم ويشاركهم في العرض الزائل ولا فرق بينه وبين أرباب الأموال وأرباب الجمال وأرباب الصيت والشهرة في علم أوفى . فكل هؤلاء لهم حظ دنيوي ناقص ويكون هؤلاء أشبه بالمنوم (بالفتح) المغناطيسي الذي يخبر بما لا يعرف

ولقد قرأت في بعض كتب الامام الشيرازي ما معناه أن الرجل السوقي أفضل من المجذوب الذي لا عمل له فانه ينفع الناس . وفيه أيضا أن الانسان قد يكون من أولياء الله لاجتهاده ولكن الله يؤخر له كشف الحقائق الى ما بعد الموت . اهـ

هذا هو الذي فتح الله به في هذا المقام وأنا قد أفضت الكلام فيه لدقته وعظم شأنه ولأنه هو الذي فتح الله به على - وما أدري ما يفعل بي ولا بكم - وفوق كل ذي علم عليم - واعلم أن الأمم اذا اتجه أكابرها لفتح الحس الباطني اتجاها كليا انحدرت الى الانحطاط كما في أهل الهند وبعض أمم الاسلام المتأخرين . وانما السبيل المتوسط في الأمر فيكون الناس وسطا يهذبون نفوسهم ويقرؤون العلوم يأخذون من كل فن طرفا . وهذه طريقة الاسلام كما تقدم عن الامام الغزالي ولذلك سمو أمة وسطا فلاهم في الشهوة وحدها مغمورون . ولا على الباطن وحده عاكفون . وفي القرآن - قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة - . هذا ذكرته لتعلم تفسير قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون - اهـ صباح الأحد ٢ رمضان سنة ١٣٤٥ هجرية

﴿ اللطيفة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة ﴾

هذه اللطائف الأربع ذات علاقة ومناسبة لللطيفة الثالثة . ذلك أن هذه اللطيفة الثالثة قد شرح فيها كيف كان الانسان محجوبا عن عالمه مغمورا في حياته تأثرا في بيدا المادّة الجرمانية وشهواته الجثمانية كما انضح في قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - فانظر كيف أبقها بالنهي عن الأعمال التي توجب أذى الجمهور وضياع الأمة وتمزقها وضرر المجموع . ألا وان النوع الانساني اليوم على هذه الأرض مغمور في جهالة تأثره في بيدائها ظالم جهول . فكما جهل نفسه في اللطيفة قبلها جهل اتصاله بالمجموع فأصبح يتلمس في الظلام السعادة وما هو والله بسعيد وأنت لو فنشت في أهل الشرق والغرب لرأيت مسألة النوع الانساني واتصال بعضه ببعض واحتياج أهل الشرق الى الغرب والعكس قد أصبحت واضحة ظاهرة فترى أهل روسيا اذا قلّ القمح من بلادهم تهتاج لذلك أعصاب الانجليز . وقل نظير ذلك في القطن والذرة والصلح والحرب والمرض وما أشبه ذلك . فالأمم الأرضية اليوم متصلة اتصالا حقيقيا لا شك فيه . كل ذلك معلوم ولكن القوى العائلية في النوع الانساني لم تباع منزلتها السامية ومقامها الرفيع فهم كالأطفال فترى كل أمة في حاجة الى أختها ثم هي تحاربها وتناوئها لتحصل على ما في يدها . هذا في الأمم ومثلها الأفراد

فكل أمة أفرادها محتاج بعضهم لبعض وبارتقاء المجموع يرتقى الفرد وبضتها تميز الأشياء ومع ذلك نرى الرجل يبحث على حنف أخيه ويودّ لو يصبح فقيرا سائلا أو مريضا . كل ذلك للجهالة العمياء والضلالة الكتباء . وقد يقدر الرجل أن يصلح المجموع فيكسل أو يبخل . وإنما كسله وبخله على نفسه لأن المجموع إذا سعد فقد سعد مثله . وإذا شقى فقد شقى مثله . وهكذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل ذلك مضعف للمجموع والمرد عضو من هذا الهيكل الكبير وهو الأمم كما في معنى الحديث الشريف ﴿ مثل المؤمنين في تعاونهم وتعاضدهم كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ﴾ فإذا جهل الإنسان نفسه في قوله تعالى - راعوا أن الله يحول بين المرء وقلبه - فهو يجهل المجموع وواجبه لتراكم الشهوات حتى أصبح الأفراد والأمم يجهلون أنهم لأحياء لهم إلا بالمجموع فيلعن بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا . فالجهل في المجموع كالجهل في الأفراد

وأما ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾ فانها تابعة للتين قبلها وهي ثمرتهما ونتيجتهما إذ استبان فيما تقدم في الرابعة أن ترك معاونة المجموع ضرر كبير وجهل عظيم . فالتعاون إذن يورث السيادة والسعادة في الدنيا والآخرة ولذلك قال هنا - واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس - لتفترقكم وعدم اهتمامكم بمجموعكم - فأواكم وأيدكم بنصره - لما اجتمعتم . وأما ﴿ اللطيفة السادسة ﴾ وهي - يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الخ - فهي كسوابقها النظر فيها للمجموع لا للأفراد يقصدها التحاب والتعاون وعدم الخيانة فيكون الناس كأعضاء أسرة واحدة . وقد نزلت هذه الآية كما قال السدي في جملة كانوا يسمعون السر من النبي ﷺ فيفسشونه حتى يبلغ المشركين . وقال جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة فأخبر به جبريل النبي ﷺ فأخبر النبي ﷺ أصحابه وقال اخرجوا إليه واكتبوا قال فكتب رجل من المنافقين إليه أن محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأمر الله عز وجل هذه الآية . وأيضا نزلت في أبي لبابة ﴿ وذلك ﴾ أنه ﷺ حاصر بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صلح اخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى اخوانهم بأذرعات واريحاء بأرض الشام فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل لنا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا ما ترى هل نزل على حكم سعد بن معاذ فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدمي حتى علمت أنني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فبكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد ثيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني فجاءه فله بيده فقال ان من تمام توبتي أن أهجردار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال عليه السلام يحزبك اثنتان أن تصدق به وأما ﴿ اللطيفة السابعة ﴾ فهي من نتائج السابقات إذ جعل الأموال والبنين فتنة بهما يشغل الإنسان عن مجموع الأمة وعلى قدر التهاون بالمجموع يبتعد الإنسان عن الله عز وجل ويقل نصره في الدنيا والآخرة فالمال والبنون فتنة وامتحان للمرء في هذه الدنيا فيختبر المرء فان جمع بين المال والولد ولم يشغلاه عن المجموع كان عبد الله حقا ومن طمست بصيرته فاكتفى بما لديه فانه جهل المجموع ولم يعرف نظام الانسانية العامة ولا الانسانية الدينية وكفى بالجهل بابا للعذاب في جهنم وبئس القرار

(القسم الرابع)

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ

اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَائِهِ إِنْ أُولِيَائُهُ إِلَّا الَّذِينَ اتَّقَوْا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُسْكَاةً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا كُفْرُهُمْ شَأْنٌ وَإِنَّ يُحْيِيهِمْ اللَّهُ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ الْأَنْتَهَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُؤْتِي * وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعِمَّ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرُ *

(التفسير اللفظي)

اعلم أن الله عز وجل لما ذكر نعمه على المؤمنين بقوتهم بعد ضعفهم وبنصرهم بعد ذلهم وبأمنهم بعد خوفهم أعقبه بذكر ما أنعم به على النبي ﷺ فيما اتفق له في مكة وكان وقت نزول هذه الآيات بالمدينة .
ومحصل ما ذكره المفسرون في سبب هذه الآيات أن قريشا خافوا لما أسلم الأنصار أن يعظم أمر رسول الله ﷺ فاجتمع نفر من كفار قريش في دار الندوة لينشأوا في أمره فاعترضهم ابليس في صورة شيخ نجدي فدخل معهم فقال أبو البحتري رأي أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة ثلثون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت . فقال الشيخ النجدي بلئس الرأي بأنكم من يقاثلكم من قومه ويخاصه من أيديكم . فقال هشام بن عمرو رأي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع . فقال بلئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاثلكم بهم . فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على ضرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه . فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه . فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره الخبر وأمره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه في مضجعه وخرج مع أبي بكر رضي الله عنه إلى الغار . وذكر بعضهم أنه أخذ قبضة من تراب وأخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فخرج وجهه ليل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا - إلى قوله - فأغشيناهم فهم لا يبصرون - وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله ﷺ ويحسبون أنه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه ليقتلوه فرأوه عليا فقالوا له أين صاحبك قال لا أدري فاقتفوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لودخله لم يكن لنسج العنكبوت على بابه أثر فكش في الغار ثلاثا ثم خرج إلى المدينة

قال القاضي رحمه الله ان هذه القصة موافقة للقرآن ولكن حديث ابليس وظهوره بصورة انسان باطل ولقد ردت عليه العلامة الرازي . أما أنا فأقول ان العلم الحديث جعل مثل هذه الامور جائزة فان الأرواح الشريرة تظهر بأشكال شتى ولا مانع من ذلك وابس المقام مقام تحقيق فانه ليس يهم في تفسير الآية وهذا هو قوله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا) أصل المكر الاحتيال في خفية (ليثبتوك) ليحبسوك وهو رأى أبي البحتري (أو يقتلوك) وهو رأى أبي جهل (أو يخرجوك) طردا وهو رأى هشام ابن عمرو كما تقدم (ويمكرون ويكمر الله) يعاملهم معاملة الماكرين بأن أخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حلوا عليهم فقتلوا (والله خير الماكرين) أى مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا . ثم اعلم أن النضر بن الحارث من بنى عبد الدار كان يختلف الى أرض فارس والخيرة ويسمع أخبارهم عن رستم وأسفنديار وأحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويبكون فلما جاء مكة وجد النبي ﷺ قد أوحى اليه وهو يقرأ ويصلى فقال النضر بن الحارث (قد سمعنا) يعنى مثل هذا الذى جاء به محمد (لنشاء لقلنا مثل هذا) الخ فقال له رسول الله ﷺ ويلك انه كلام الله فقال (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء) أى فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل (أوائتتنا بعذاب أليم) نوع آخر من جنس العذاب الأليم وقد أجاب الله دعاءه فقتل صبيا يوم بدر . والمقصود من هذا القول التهمك واطهار اليقين على كونه باطلا وروى أيضا البخارى ومسلم عن أنس أن أبا جهل قال كما قال النضر فنزلت (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الآية فلما أخرجوه نزلت (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصتدون عن المسجد الحرام)

﴿ ايضاح المقام ﴾

قالوا نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فأنزل الله (وما كان معذبهم وهم يستغفرون) ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذى وعدهم . وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه فقال الله - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون - يعنى المسلمين فلما خرجوا قال الله - وما لهم ألا يعذبهم الله - وهذا هو قوله تعالى - وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا - الى قوله - وهم يستغفرون - ثم قال تعالى - وما لهم ألا يعذبهم الله - أى أى شئ يمنعهم من أن يعذبهم الله بالقتل والأسر بعد خروجك من بين أظهرهم - وهم يصتدون عن المسجد الحرام - أى وحالهم ذلك ومن ذلك الصد الجاؤهم رسول الله ﷺ والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية (وما كانوا أولياءه) مستحقين ولاية أمره مع شركهم وذلك رد لما كانوا يقولون نحن ولاية البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (ان أولياؤه إلا المتقون) من الشرك (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أنه لا ولاية لهم عليه وأما أقلهم فانه يعلم أن دين الاسلام حق ولكنه يعاند ويكابر كبرياء وخيلاء . وكيف يكونون ولاية البيت (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) أى صفيرا وتصفيقا . وكيف يكون الصفير بالقم والتصفيق باليدين صلاة وذلك لأنهم كانوا على دين الحليل عليه السلام وقد مضت الأحقاب تلو الأحقاب والقوم قد خلوا من الحكمة فانقلبت صلاتهم مدعاة للضحك والسخرية من صفير وتصفيق كما يفعل بعض جهلاء الصوفية من ضرب على الدفوف ورفع الأصوات فى الطرقات وفى المساجد . ولقد تفنن القوم فى هذه الجهالة العمياء ونسوا الصلاة الاسلامية والتوجه لندى الجلال والا كرام فيها والتوجه بالقلب لله فى العبادة شأن كل دين نام عنه حكماؤه وغاب عنه علماءؤه وذهبت دوله وضاع مجده وتبدل شأنه وغابت شمسُه وأقبل ظلامه وذهب ضياؤه ومضائه واستبدل بسعوده نحسا وبرفعته خفزا وبأوجه حضيضا وبشرفه ضعة . ساء مثلا القوم

الجاهلون * قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون . ويقال مكا الطائر يمكو اذا صفر . وقال حسان بن ثابت صلاتهم التصدي والمكاء ولذلك عذبهم الله فقال (فتوقوا العذاب) أى القتل والأسر يوم بدر وعذاب الآخرة يوم القيامة (بما كنتم تكفرون) اعتقادا وعملا هذه هي عبادتهم البدنية وهي المكاء والتصدية . وأما عبادتهم المالية التي لاجدوى لها أيضا فذلك أنه لما أصيب من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان بعيره الى مكة مشى عبدالله بن أبي بن ربيعة وعكرمة ابن أبي جهل وصفوان بن أمية فى رجال من قريش قد أصيب آبائهم وأبنائهم وأخوانهم يوم بدر فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة فقالوا يامعشر قريش ان محمدا قد وترككم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن أصيب منا فحصل ذلك يوم أحد فقال الله فيهم (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أى كان غرضهم فى الانفاق الصد عن اتباع محمد ﷺ وهو سبيل الله (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة) ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة (ثم يغبون) آخر الأمر وقد تم ذلك كله وهذا من دلائل النبوة لأنه أخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر (والذين كفروا) أى الذين ثبتوا على الكفر منهم لأن بعضهم قد أسلم (الى جهنم يحشرون) يساقون وانما يحشرون (ليميز الله الخبيث من الطيب) الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين (ويجعل الخبيث) الفريق الخبيث (بعضه على بعض فيركه جميعا) فيجمعه (فيجعلهم فى جهنم) أى الفريق الخبيث (أولئك) الاشارة للفريق الخبيث (هم الخاسرون) أنفسهم وأموالهم (قل للذين كفروا) أى أبى سفيان وأصحابه (إن يئسوا) عما هم عليه من عداوة رسول الله ﷺ وقتاله بالدخول فى الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنة الأولين) باهلاك أعداء الأنبياء فى الدنيا ونصر الأنبياء والأولياء . وقد أجمع العلماء أن الاسلام يجب ما قبله واذا أسلم الكافر لم يلزمه شئ من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته أمه فليس عليه ذنب (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) لا يوجد فيهم مشرك (ويكون الدين كله لله) أى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره (فان انتهوا) عن الشرك وايداء المؤمنين والصد عن سبيل الله (فان الله بما يعملون بصير) فلا يخفى عليه شئ (وان تولوا) يعنى أعرضوا عن الايمان وأصروا على الكفر وعادوا الى القتال (فاعلموا أن الله مولاكم) وليكم وناصركم وحافظكم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم (نعم المولى) لا يضيع من تولاه (ونعم النصير) لا يغاب من نصره فمن كان فى حفظه ونصره وكفايته وكلامه فهو له نعم المولى ونعم النصير

(لطيفة فى قوله تعالى - فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير - وفى بقية الآيات)
اعلم أن هذا المقام مقام اظهار الحقائق وابطال الأباطيل وأن الله ناصر الصادقين وخاذل المبطلين ولم يقصه علينا لمجرد التلاوة ولا لمجرد القصص ولكن أنزله الله وقرئ على طول الأزمان ليكون ذلك عبرة لنا . واعلم أيها الذكى انى ما كتبت فى هذا التفسير حرفا ولا خططت بقلمى كلمة إلا وفى قلبى استشعار النصر ورجاء الرجاء واعتقاد النعمة ألا وان هذا زمان العلوم والعرفان وأن الله قد قلب الكرة الأرضية فجعلها أعما ودولا تجددت فى العلم وتبحث فى هذه العوالم المحيطة بنا وانى قد انبثت همتى من ابان صغرى لتدوين الحقائق العلمية مع الآيات القرآنية وقد وجدت فى نفسى كالفطرة وكالغريزة فلم أقدر على مكاولتها ولم يمكنى دفعها * وقد قال علماء النفس الاسلاميون والصوفية منهم أن فكر الطاعة اذا كان ثابتا فى النفس هادنا دائما فانه من الله وضده ما كان من الشيطان وفكرة الشر التى تحدث باستفزاز من الشيطان وفكرة الخير المستفزة للرب الوقتية أيضا تكون من الملائكة . ولقد وجدت نفسى تائقة لهذه المباحث عاكفة عليها . وكم شدة على النكير قوم وكم أوديت فى هذه السبيل ولكن النصر وجدته حليفا وعانة الله كانت تكلونى والمشجعات القلبية والأخبار

الواصله من الآفاق وآلاء الله المترادفة واعانته المتابعة وعرفانه المتوالى والهامه الصادق وولاؤه الدائم . كل ذلك قد حلّ في نفسى محلا جعلها تنق بعون الله وبأن هذه الأئمة الاسلاميه ستنبؤا مكانها اللائق بها وتحلّ محلها الرفيع ومقامها البديع ومجدها الباذخ وعزها الشاخص وسعادتها المستقبلة وأن الله سيغير أطوار هذه الأئمة من الجهل الى العلم . ومن السكون الى الحركة . ومن الذل الى العزّة . ومن الضعة الى الشرف . وسيظهر في هذه الأئمة حكماء صادقون وعلماء محققون ويكونون شرف الانسانية وذخر الأئمة المحمدية ويكون لهم القدح المعلى في احقاق الحق وازهاق الباطل . وسيكون فيهم من يتبع صنعة ربه وبدائعه وسيقرؤن هذا التفسير وما ماله من كتب علماء الاسلام في بلاد الشرق . وبهذه الصفة يدرسون الوجود وماحواه ونظام الكواكب وما والاه وعجائب النبات وماسقاها وبدائع الحيوان وماغذاه وغرائب الهواء في مجراه وأنواع الماء في مسراه وفي باطن الأرض ومنتهاه

وهذا سرّ قوله تعالى - فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير - . اللهم انى وقت بوعدك وقد وعدتنا في القرآن . اللهم أتم النعمة على هذه الأئمة التى استند لها الطامعون وحقرها الأورو بيون . اللهم أعزها وانصرها وعلمها وانشلها من الجهالة العمياء الى نور العلم المبين . انتهى الكلام فى القسم الرابع

(الْقِسْمُ الْخَامِسُ)

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيهِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكِبِكُمْ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَكُمُ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَتَنَّازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَأَغْلِبَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِيئِهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَصْبَرْتُ وَإِنِّي أَخَافُ اللَّهَ

وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوْلًا دِينَهُمْ وَمَنْ
يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ
يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ
لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ
اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى
قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا
ظَالِمِينَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ
ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ * فَاِذَا تَخَفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدْتَهُمْ مِنْ
خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ * وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ * وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا
اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا
تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ *
وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ
يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَالْفَافَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ
أَنْفَقْتَ مِافِيَ الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَفَّتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ يَنْهَنَّهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
* يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا
أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ
ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ
بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْخِنَ فِي الْأَرْضِ
تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ

لَمَسْتَكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا
 يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ
 فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا
 وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ أَوْوَا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
 بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ
 فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ يَبْنِيكُمْ وَيَنْهَاهُمْ مِيثَاقَ اللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرَةٌ *
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ *
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ أَوْوَا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
 لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ
 مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

﴿ مقدمة لتفسير هذه الآيات ﴾

اعلم أن الغنيمة ما أخذ من مال الكفار على سبيل القهر والغلبة بإيجاف خيل عليه وركاب والنيء ما أخذ
 من مال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب . وقد ذكر حكم الغنائم هنا ﴿وملخصه﴾ أنها تقسم خمسة أقسام
 أربعة منها للمقاتلين وواحد يقسم على خمسة أقسام . قسم لرسول الله ﷺ وهو خمس الخمس . وقسم
 لأقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبنو نوفل وقد استحقوه لما روى أن جبير بن مطعم
 جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان النبي ﷺ فيما يقسم من الخمس في بني هاشم وبنو المطلب قال فقلت
 يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله ﷺ إنما بنو هاشم
 وبنو المطلب شيء واحد * وفي رواية أنا وبنو المطلب لانفترق في جاهلية ولا إسلام وإنما نحن وهم شيء واحد
 وشبك بين أصابعه . وقسم لليتامى . وقسم للساكنين . وقسم لابن السبيل وهو المسافر البعيد عن
 ماله . وأما الأخماس الأربعة الباقية فيعطى للفارس منها ثلاثة أسهم سهم له وسهمان لفارسه ويعطى الراحل
 سهمًا واحدًا * وقال أبو حنيفة للفارس سهمان وللراحل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان إذا حضروا
 القتال وحكم العقار حكم المنقول * وعند أبي حنيفة يخبر الإمام بين أن يجعل العقار مقسمًا بينهم وبين أن
 يجعله للمصالح العامة ومن قتل مشركًا استحق سلبه والسلب كل ما كان على المقتول من ملبوس وسلاح وهكذا
 الفرس الذي كان يركبه

ثم إن خمس الخمس الذي لرسول الله ﷺ والآخر الذي لدوى القربى قد سقط بوفاته ﷺ وصار الكل
 مصروفًا إلى الثلاثة الباقية عند أبي حنيفة * وقال مالك الأمر في سهم رسول الله ﷺ مفوض إلى الإمام
 يصرفه إلى ما يراه أهم

وأما النيء فذهب الشافعي في أحد قوله أنه لمصالح المسلمين ويعطى أولًا للمقاتلة ما يكفيهم ثم الأهم فالأهم

من المصالح والأكثر على هذا . واعلم أن النبي ﷺ وإن كان له خمس الخمس فإنه كان يعطيه أحيانا لمن يراه أهلا * روى عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله ﷺ يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم أخرجه النسائي إذا عرفت هذا فما أسهل أن تعرف قوله تعالى (واعلموا أن ما غنمتم) أي الذي أخذتموه من مال الكفار قهرا (من شئ) مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط (فأن لله خمسة) أي فثبت لله خمسة وانما ذكر الله للتعظيم لأن الله له ملك السموات والأرض لاسدس الخمس المذكور في الآية (وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) ولقد تقدم تفصيل القول في هذا آنفا . وأزيد عليه هنا أن سهم النبي ﷺ كان الشيخان أبو بكر وعمر يصرفانه إلى مصالح المسلمين عامة كما كان يفعل ﷺ وهناك أقوال غير هذه ضربنا عنها صفحا ثم قال (إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا) محمد من الآيات والملائكة والنصر (يوم الفرقان) أي يوم بدر الذي به فرقنا بين الحق والباطل (يوم التقى الجعان) المسلمون والكفار . يقول الله - إن كنتم آمنتم إلح - فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه إليهم واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية . فالمقصود بالذات هنا العمل بالأمر لا مجرد العلم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة . ثم إن الله قد أظهر في هذه الغزوة من الحكم الباهرة ما يؤيد النبوة ويثبت قلوب المؤمنين ﴿الحكمة الأولى﴾ أن المؤمنين لما نزلوا بدرا كانوا بشفير الوادي الذي هو أقرب إلى المدينة والشفير هو الشط وهو العدو مثلث العين وكانت هذه العدو رخوة تسوخ فيها الأقدام ولا يمشي فيها إلا بتعب ولم يكن فيها ماء ﴿الثانية﴾ أن كفار مكة كانوا بالعدوة التي هي أبعد من المدينة وأقصى منها وفيها الماء ولا تسوخ فيها الأرجل ﴿الثالثة﴾ أن ركب أبي سفيان المعبر عنه بالغير كان في مكان أسفل أي عند شاطئ البحر فكان قريبا من كفار مكة يستظهرون به عند الحاجة . والمسافة بين الركب وبدر ثلاثة أميال ﴿الرابعة﴾ أن المؤمنين لما خرجوا ليأخذوا الغير خرج الكفار ليمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد فكيف تمكن المحاربة إذن بين عدوين قوى مستعد وضعيف غير مستعد ولو أن الضعيف أعد القوى للقتال ثم علم حقيقة الأمر لتخلف طبعاً فكيف به وهو لم يواعده . فهذه ﴿الحكم الأربعة﴾ هي الآتي ذكرها في الآيات على الترتيب والحكمتان الأوليان في حكم الواحدة فكأنهما ثلاث حكم وهذا قوله تعالى (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) بدل من يوم الفرقان (وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم) أي في مكان أسفل منكم والجملة حال من الظرف قبله (ولوتواعدتم) أنتم وهم القتال (لاختلفتم في الميعاد) هيبة منهم ويأساً من الظفر . كل ذلك دلالة على أن هذا النصر إنما هو من الله وأنه من دلائل النبوة وهو مما زاد المؤمنين إيماناً (ولكن) جمع بينكم على هذه الحال (ليقض الله أمراً كان مفعولاً) حقيقة بأن يفعل وهو نصر المؤمنين وخذلان الكافرين ثم علق بقوله - مفعولاً - قوله (ليهلك) ليكفر (من هلك عن بينة) من كفر بعد حجة قامت عليه (ويحيا من حيا عن بينة) ويؤمن من آمن على مثل ذلك . فالهلاك هو الكفر والحياة هي الإيمان . أوليضل من ضل على بينة ويهتدى من اهتدى على بينة . أو يموت من يموت على بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لثلاث يكون له حجة ومعذرة فان وقعت بدر من الآيات العجيبة الواضحة (إن الله لسميع) لأقوالهم (عليم) بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه وهنا أخذ يذكر حكمة أخرى فقال تعالى (إذ يريكم الله في منامك) إلى قوله (والى الله ترجع الأمور) وحاصله أن الله سبحانه وتعالى أرى النبي ﷺ المشركين قليلاً فأخبر أصحابه بذلك فكان ذلك تشجيعاً لهم على عدوهم ولو أن النبي ﷺ رآهم كثيراً في المنام لفشل أصحابه أي جنبوا عن القتال وتنازعوا في أمر القتال وترددوا (ولكن الله سلم) أي عصم المسلمين من التنازع والمخالفة فيما بينهم وسلمهم من الهزيمة

ثم انه لما التقى الجمعان أرى الله المسلمين أعداءهم قليلا في أعينهم حتى قال ابن مسعود رضى الله عنه لمن الى جنبه أترأهم سبعين فقال أترأهم مائة وذلك ليثبت الله قلوبهم وليصدقوا رؤيا النبي ﷺ وكما قلل الكافرين في أعين المسلمين قلل المسلمين في أعين المشركين حتى قال أبوجهل ان محمدا وأصحابه أكلة جزور فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال استقلالاً لهم واستصغاراً لشأنهم اقلتهم في عينه . ثم قال سبحانه (ليرضى الله أمراً كان مفعولاً) أى أمراً كائننا وهو اعلاء كلمة الله ونصر أوليائه واذلال المشركين وتكرير هذه الجملة لسببين مختلفين فهناك القضاء المبرم باستيلاء المسلمين وغلبتهم على الكافرين مع اختلاف القوى وتباعد الأحوال وهنا القضاء بتقليل الكثير في الأعين ليكون ذلك باعثاً على القتال . فهما قضاآن بأمرين مختلفين أحدهما سبب والآخر مسبب

(لطيفة)

إن قصة بدر قد فصلت تفصيلاً في مواضع مختلفة بحيث حلت تحليلاً مفصلاً واسكل جزء منها حكمة . ألا ترى أنه ذكر في أول السورة (١) النعاس الذي اعتراهم (٢) وزول الماء عليهم (٣) وتطهيرهم به (٤) وزوال رجز الشيطان عنهم (٥) وثبتت قلوبهم . وهناك سادس وهو الهام الملائكة لهم بالتبشير وبعضهم شاهدتهم . وههنا زاد كونهم بالعدوة الدنيا وهو السابع . وكون العدو بالعدوة القصوى وهو الثامن . وكون الركب جهة ساحل البحر وهو التاسع . وكونهم حاربوا على غير استعداد وهو العاشر . وكون النبي ﷺ رآهم في منامه قليلاً وهو الحادى عشر وكون المسلمين رؤوهم لما التقوا قليلاً وهو الثانى عشر وكون الكفار رؤوا المسلمين في أعينهم قليلاً وهو الثالث عشر وجاء في سورة آل عمران أن الله كثر المؤمنين في أعين المشركين أى بعد احتدام وطيس الحرب كما قال - يرونهم مثليهم رأى العين - فصار المؤمنون الذين هم ثلث المشركين تقريباً في أعين المشركين مثلى عدد المشركين وهذا هو الرابع عشر

فانظر أيها الذكى كيف ذكر القرآن (١٤) مسألة في غزوة بدر بحيث لم يذكر نعاساً يغشاهم ولا مطراً يستقيم ولا خطراً في نفوسهم ولا رؤيا في منام نبينا ﷺ ولا رؤية أعينهم ولا منزلهم الذى ينزلون فيه ولا تراباً يمشون عليه إلا ذكره وأظهر حكمته . أليس هذا من العجب . أليس هذا التحليل يدلنا أن تفكيرنا فيما يحصل لنا من الجوانب في حياتنا الدنيا وأن تفكيرنا فيما ينزل بنا من خير أو شر ثم نعرف حكمة الله فيه . ان أحوالنا كلها سلسلة متصلة شرّ وخير ومرض وصحة وآراء تعرض لنا . فعليك أيها العاقل أن تفكر في كل ما يصيبك وماتاله وأن تحللها كما حلل الله غزوة بدر وتلمس لكل حال حكمة وتسأل الله أن يعلمك حكمة ما حصل لك فان هذا يفتح بصائرنا . وينور قرائحنا . ويشرح صدورنا . ويدلنا على عيوبنا . ويبصرنا بذنوبنا ويرشدنا الى طرق الصواب . ولرب حادثة واحدة في حياتنا مزججة تنير بصائرنا اذا تأملناها . وتفكر أيها العاقل فيما مرّ عليك فستجد من حكم الله فيها ومن الجوانب ما لا يشاركك فيها سواك فلكل امرئ تاريخ حياته مستقل عن سواه وإياك أن تستهزئ بتاريخ حياتك فلتعلم أنه ملأه من الجوانب متى فكرت فيه كما ان الزهرة الواحدة تحمل كنزا من العلم للتفكرين ولا يعرف لها معنى من لا يعقلون . وانظر الى أحوالك وكيف تجدد نفسك يوماً قد أحببت انساناً حتى عشقته ووقت بامرئ حتى جعلته قائماً بشؤتك كلها ثم يرى بعد حين أن هذا المحبوب المعشوق ليس أهلاً للحبة ولللعشق وأن هذا الموثوق به ليس أهلاً للثقة فتقلب الحال وتبدل العواطف والأخلاق ويصبح المحبوب مكروهاً والأمين خائناً حقاً أو باطلاً . وهكذا كل ما حولنا وما نسمعه من القول والسير وما نشاهده من الامور والصناعات . فترى زيدا تزين له صناعة الحدادة فأما عمرو فانه يزدرىها وهكذا نرى جميع أحوالنا كذلك الأغذية والملابس والمساكن . ولذلك ترى الناس لا يزالون يتقلبون وينتقلون من حال الى حال ويخترعون . وبهذه الآيات أظهر الله انه غالب على

أمره لافرق بين الصالحين والطالحين والأنبياء والمرسلين . فهاهوذا سبحانه أرى النبي ﷺ في المنام أن القوم قليل ثم أراهم للمؤمنين كذلك نهرا فظنوا أن الألف مائة أو أقل . ورأى أهل مكة أن المؤمنين لا يصح أن يقاتلوا بل يربطون بالحبال وبعد أن دارت المعركة رأوا أن عدد نحو ثمانمائة يبلغ ألفين فانهزموا كل ذلك ليتّم أمره وينفذ حكمه في خلقه ونحن نشاهد ذلك في أحوالنا . فترى زيدا يؤثر بقوله فيما وهو كاذب فأصبح القليل كثيرا في أعيننا ثم نعمل به ونسمعه آخر منا فيقول هذا كاذب في دعواه قبرى كثيرا ادّعائه كاذبا فيحجم عن آرائه وكل هذا كالتطبيق على قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - . ألا ترى أنه حال بين المشركين وبين قلوبهم - لما أراهم المؤمنين قليلا جدا وبين المسلمين وقلوبهم حين أراهم المشركين مائة وبين المشركين وقلوبهم لما رأوا المسلمين ضعفيهم فنفذ أمره بهذه الآراء التي أحدثها في النفوس . هكذا حال بين زيد وقلبه حينما صدق عمرا لما كثرت القليل وخدعه وغشه في معاملته وإنما فعل الله ذلك بزيد ليهذهه ويبصره بالعواقب فإن لم يتبصر بذلك توالى خطيئاته في أعماله

بل الحياة الدنيا كلها وشهواتها ولذاتها وأمواها وجنودها وجيوشها وممالكها وحب الإقامة فيها من باب تكثير القليل إذ نراها أضعاف مائة عليه من المنفعة وبعد حين نعرف حقيقتها . ويرى الزهاد أن عظيمها حقير وكبيرها صغير . كل هذا لتكثير القليل وتقليل الكثير - وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور - ويظهر أن هذه الحياة كمسرح التمثيل وحواسنا وشهواتنا تكبر لنا صورها والحقيقة مخفية وراء هذه الصور المزوقة والنتيجة من هذه الصور والأشكال والخيرة وخداع الأعين والأبصار وتوالى الغفلات علينا وتزيين الشهوات لنا والخيولة بيننا وبين قلوبنا . كل ذلك لتبصروا وتذكر أمر هذه الحياة وتتنور بصائرنا وترتقى عقولنا ونعرف أن الحياة الدنيا لعب ولهو ونستنبط الحكمة والعلم من هذه الأشكال كما تستنبط أجسامنا من المواد الغذائية حاجتها وترى باقيا خارج الجسم فائت أعطينا الهواء والماء والخبز وحرارة الشمس فان أجسامنا تعمل فيها أعمالا كيميائية عجيبة وأصطفى من ذلك مادة الغذاء الصافية وتوزعها على جميع أعضاء الجسم وترى بالباقي من الماء والهواء خارجه وإن زادت الحرارة فينا تداوينا منها . هكذا هذه الصور والأشكال المحيطة بنا يجب أن تدرك العقول حقائق المقصود منها ولا تنعأ بها . فالموت والحياة والغنى والفقر والصحة والمرض والمحبة والكراهة والعز والضعف . كل هذه صور تمثل فينا ونحن الممثلون لها لنعرف حقائقها وتهذبنا بوقائهم وندوتها في نفوسنا وترتفع بها إلى الملاء الأعلى حتى إذا فارقت هذه الدار كانت لنا سلاحا وجناحا نظير به في العلا ولا نبقى مع الجاهلين الذين يتسكعون في الطريق إلى الله بعد الموت

والتأمل في أحوالنا يجد أننا أشبه بالمؤمنين تنويم مغناطيسيا فقد رأينا أن المنوم (الكسر) يعطى المنوم حظلا ويقول هو سكر فيستلذه ويعطيه سكر فيقول هو حنظل فيتأذى منه وهكذا يجعله يتكيف بما يقوله ويظن نفسه كما يوحى إليه المنوم . هكذا تجد أحوال الناس في الدنيا . فترى نفوسنا تنقلب تقلبا كثيرا كما تقدم في الحديث ﴿ إن قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ﴾ وهو متردد أبدا بين المتضادات والمتناقضات وكأننا في هذه الحياة نيام . فإذا انحلت أربطتنا من هذا الجسد صعدنا إلى عالم أعلى وتيقظنا من غفلتنا ويقال لنا إن بصرنا حديد . ومما يعترى أنفسنا ما يكثر القليل ويقلل الكثير كما في غزوة بدر . فتقليل الكثير هناك نظيره عند الناس قاطبة المنظار القرب فقد قلل المسافة بيننا وبين المنظور وهكذا نظير تكثير القليل المنظار المعظم فانه يرينا الصغير كبيرا وهذا قوله تعالى - وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور - . انتهى

ثم أخذ سبحانه وتعالى يعظ المؤمنين فأمرهم أولا أن يثبتوا في الحرب ولا يهزموا ويلاقوا الأعداء بقلوب واثقة بالنصر ووعد الله والدار الآخرة وثانيا أن يذكر الله في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين

به داعين على عدوهم ﴿اللهم اخذهم﴾ وذلك يكون سبب الفلاح والظفر والنصر والثواب فينبغي للعبد ألا يشغله شيء عن ذكر الله وأن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل عليه فارغ البال واثقا بأن لطفه لا ينفك عنه في سائر الأحوال . وثالثا أن يطيعوا الله والرسول فيما أمروا به ونهوا عنه على كل حال . ورابعا أن لا يتنازعوا باختلاف الآراء كما اختلفوا بيد ذلك يورث الفشل والجبن والضعف ويذهب ربحهم أي قوتهم ونصرتهم . وخامسا أن يصبروا عند لقاء العدو في كل حال فان الله ينصر الصابرين ويعينهم * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف . ثم قال رسول الله ﷺ اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم * وروى الشيخان أيضا أن رسول الله ﷺ قال لا تمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا . وسادسا نهاهم أن يكونوا كأهل مكة الذين خرجوا من ديارهم أي من مكة (بطرا) نفرا واشرا (ورثاء الناس) ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة ﴿وذلك﴾ انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت غيركم فقال أبوجهل لا والله حتى تقدم بدرا ونشرب بها الخمر وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب ويسمع بنا الناس فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا فوافوها ولكن ماذا شربوا شربوا كأس المنون وذاقوا العذاب الهون وبكت عليهم الباكيات ورملت نساؤهم ويئت أطفالهم (ويصدون عن سبيل الله) أي ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله فنهى الله عباده أن لا يكون عملهم للرياء ولا لالتماس ما عند الناس وأمرهم الله أن يخلصوا لله النية وأن يكون قتالهم حسبة في نصر دينهم ومؤازرة نبيهم ﷺ وأن لا يعملوا إلا لذلك ولا يطلبوا غيره (والله بما يعملون محيط) وهذا وعيد وتهديد يعني انه تعالى عالم بجميع أعمال العباد فيجازي المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته وهذا هو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا) الى قوله (والله بما يعملون محيط) ثم أخذ سبحانه في اتمام الكلام على المشركين وكيف قلبت الحقائق عندهم وحيل بينهم وبين قلوبهم فقال (واذ زين لهم الشيطان) أي واذكر (أعمالهم) في معاداة النبي ﷺ بالوسوسة (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) وذلك بما يوسوس في نفوسهم فيرون الفخر والعز والشرف وبعد الصيت والسمعة فيما تخيلوه من أنهم يغلبون المؤمنين وانهم لا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وان ذلك كله قربى الى الله والله يجير من ينصره (فلما تراءت الفئتان) أي تلاقى الفريقان (نكص على عقبيه) رجع القهقري أي بطل كيدته وأصبح ما تخيلوه نفرا وشرفا سبب الهلاك والضعة والذلة (وقال إني بريء منكم إني أرى ما لاترون * إني أخاف الله) أي تبرأ منهم وأيس من حالهم لما رأى امداد الله المؤمنين باللائكة وهذا المعنى قاله الحسن واختاره ابن بحر * وقيل ان الآية على ظاهرها ﴿وذلك﴾ أن قريشا لما اجتمعت على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكان ذلك يشبه فتمثل لهم ابليس بصورة سراقه بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكانت يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى أين اتخذلنا في هذه الحالة فقال - إني أرى ما لاترون - ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهمزموا فلما بلغوا مكة قال هزم الناس سراقه فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا انه الشيطان فيكون على هذا قوله - إني أخاف الله - إني أخافه إذ يصيدني بمكره من الملائكة أو نحو ذلك (والله شديد العقاب) لمن كفر وطغى واذكر (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) أي الذين هم مؤمنون ولكن بقيت عندهم شبهة (غرة هؤلاء) المؤمنين (دينهم) فتعرضوا للهلاك وهم ثلثمائة و بضعة عشر رجلا يقتلون نحو ألف فأجاب الله قائلا (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز) لا يذل

من استجار به غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوى كما سلط البعوض على القمل فلا يقدر على التخلص منه وكما يسلط الذرات المسماة مكروبا على الانسان والحيوان (حكيم) يفعل بحكمته البالغة في هذا العالم ما تستعبده العقول وتعجز عن ادراكه اولو الألباب ويجعل من الفحم الحجري الذي كان من أمد قديم في باطن الأرض نارا ونورا وأنواعا من الأصباغ والألوان والمجانب مع ان منظره ليس فيه إلا أنه خم أسود اللون لاشية فيه . وهكذا يفعل بحكمته العجب العجائب قال تعالى (ولو ترى) ولو عاينت وشاهدت فان لو تجعل المضارع ماضيا وان بعكسها (إذ) ظرف لترى (ينوفى الذين كفروا الملائكة) يبدراى ولو رأيت الكفرة حين يتوفاهم الملائكة أى يقبضون أرواحهم يبدروا حال كونهم (يضربون وجوههم) اذا أقبلوا (وأدبارهم) أى ظهورهم اذا أدبروا (و) يقولون (ذوقوا عذاب الحريق) أى ذوقوا مقدمة عذاب النار وجواب لو محذوف أى لرأيت أمرا فظيحا (ذلك) الضرب والعذاب (بما قدمت أيديكم) بسبب ما كسبت من الكفر والمعاصي وهو خبر ذلك ثم عطف على لفظ ما قوله (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أى بذى ظلم * يقول ذلك العذاب (بسيين) بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله ليس بظلام للعبيد لأن تعذيب الكفار من العدل والمراد باليد هنا القدرة ثم قال (كدأب آل فرعون) أى دأب هؤلاء وعادتهم كدأب آل فرعون وعادتهم وطريقهم (والذين من قبلهم) من قبل آل فرعون ثم بين دأبهم فقال (كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم) كما أخذ هؤلاء (إن الله قوى شديد العقاب) لا يغلبه في دفعه شئ (ذلك) أى ما حل بهم (بأن الله) بسبب أن الله (لم يك مغبرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) يبدلوا ما بهم من حال الى حال أسوأ وذلك أن الله أنعم على أهل مكة بأن أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث لهم رسولا من أنفسهم فقابلوا هذه النعم بالكفران فلم يشكروها وكذبوا رسوله وقطعوا الرحم وغيروا ما بأنفسهم فسلبهم الله النعمة وأخذهم بالعقاب * قال السدى نعمة الله هو محمد ﷺ أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله الى الأنصار (وأن الله سميع) لما يقول مكذبو الرسل (عليم) بما يفعلون فيجازيهم بما فعلوا (كدأب آل فرعون) تكرر للتأكيد يعنى أن هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون (والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم) فبعضهم أهلكناه بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ فكذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف (وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) يعنى الأولين والآخرين . واعلم أن هذه الآية كما كررت للتأكيد كانت لبيان أن آل فرعون أهلكوا بالاغراق وانهم سجدوا نعم التربية . وأهم من ذلك كله حكمة عالية وآية عجيبة (ذلك) أن هذه السورة مدنية ولقد نزلت سور كثيرة من القرآن في مكة وجميع السور المكية فيها اهلاك الأمم بالكفر . واقدر ذكرت قصص الأمم وأخبارها كثيرا في سور مختلفة بحيث أصبح ذلك مألوفامعروفا لقراء القرآن وفي تلك السور كلها اشارات وتصريحات أن المكذبين للنبي ﷺ سيكونون مثل الأمم السابقة يصيبهم ما أصابهم . ألا ترى الى قوله تعالى - أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم - والى قوله - وكأى من قرية هي أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم - وقوله تعالى - ألم تركيف فعمل ربك بعاد - الى قوله - وفرعون ذى الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فسب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد - وهكذا كانت السور المكية مشحونة بهذا الانذار والتخويف وهو ﷺ إذ ذاك لا جيش له ولا حامية ولا قوة ولا سلاح ولا يظن أنه يكون كذلك ممن كانوا حوله فلما هاجر الى المدينة ونصر في غزوة بدر وهزم أهل مكة ذكرهم الله فقال - كدأب آل فرعون - وكررها منها على حصول ما كانوا ينذرون به وهذا هو السبب في تكرارها تنبيها على المجزة . واعمرى ان هذه هي المجزة حقا . وكيف لانكون من أهم المعجزات وقد حصل المنذره

وأهلكوا كما كانوا يندرون اه

ثم قال تعالى (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا) أصرّوا على الكفر (فهم لا يؤمنون) فلا يتوقع منهم إيمان (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) بدل من الذين كفروا بدل البعض تبيننا وتخصيصا . وذلك أن رسول الله ﷺ عاهد يهود بنى قريظة ألا يحاربوا ولا يعاونوا عليه أحدا فنقضوا العهد وأعانوا مشركى مكة بالسلاح على قتال رسول الله ﷺ وأصحابه ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدتهم الثانية فنقضوا العهد أيضا ومالّثوا الكفار على رسول الله ﷺ يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله ﷺ . والمراد بالمرّة مرة المعاهدة والمحاربة (وهم لا يتقون) أى لا يخافون الله في نقض العهد ولا سبة الغدر ومغبته ومن جمع بين الكفر ونقض العهد فهو من شرّ الدواب (فاما تثقفهم) تصادفهم وتظفرن بهم (في الحرب فشرد بهم من خلفهم) * قال ابن عباس معناه فنكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبير أنذر بهم من خلفهم . والتشريد تفريق على اضطراب (لعلهم يذكرون) أى لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نقض عهد بأمارات تلوح لك (فانبذ إليهم) فاطرح إليهم عهدهم (على سواء) يعنى على طريق ظاهر مستو يعنى أعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فستخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون أنك نقضت العهد أولا بنصب الحرب معهم وهذا اذا ظهرت الخيانة بأمارات تلوح وتضح من غير استفاضة كما يفهمه لفظ تخافن حينئذ يجب على الامام أن ينبذ إليهم العهد ويعلمهم الحرب وذلك كما اتفق ابني قريظة إذ عاهدوا النبي ﷺ ثم أجابوا أبا سفيان ومن معه فظاهروهم على النبي ﷺ فخاف النبي ﷺ الغدر به وبأصحابه وأما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله ﷺ بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله ﷺ فلم يرعهم إلا وجيش رسول الله ﷺ بمصر الظهران وذلك على أربع فراسخ من مكة وقد علل سبحانه الأمر بنبذ العهد واعلام الأمر واطهاره قبل الحرب لما أنه لم يكن مستفيضا بقوله (إن الله لا يحب الخائنين) الذين يحاربون قبل أن ينبذوا العهد حينما تظهر أمارات نقض العهد (ولا تحسبن) يا محمد (الذين كفروا سبقوا) الذين كفروا ومفعول أول وجمله سبقوا مفعول ثان أى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم * وفى قراءة - ولا يحسبن (من خلفهم) الذين كفروا سبقوا - والمفعولان كما هما (انهم لا يجزون) أى انهم لا يجزون الله فلا ينتقم منهم وفيه تسلية للنبي ﷺ فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فأعلمه الله انهم لا يجزونهم قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الاعداد اتخاذ الشئ لوقت الحاجة اليه . والقوة قال العلماء انها جميع أنواع الأسلحة والآلات التى تكون قوة فى الحرب على قوة الأعداء والحصون والمعقل والرمى وقد وقف رسول الله ﷺ على المنبر يقول - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة - ألا ان القوة الرمي . أخرجه مسلم

والمقصد أنه من جملة المأمور به وسيأتى تفصيل هذا المقام قريبا . قال تعالى (ومن رباط الخيل) اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فهى فعال بمعنى مفعول وهو معطوف على قوة كما عطف جبريل وميكال على الملائكة (ترهبون به) أى تخوفون بما استطعتم (عدوا الله وعدوكم) يعنى كفار مكة (وآخرين من دونهم) من غيرهم كاليهود والمنافقين والفرس والروم والأمم الادروبية الحالية الذين لا يخفون إلا اذا تأهب الناس لحربهم وقاموا لمقاطعتهم - وهبوا المناجرتهم (لا تعلمونهم) لانهم فونهم بأعيانهم وانما هم أعم من الكفار تقابل وتعادى أمما من المسلمين على توالى الأزمان فكل يعلم من يعاديه ولا يعرف سواه والله يعلم الجميع لأنه يحيط علما بمخلوقاته وهو قوله (الله يعلمهم) ثم حرض على الاتفاق فى الحرب ليعتدوا ما استطاعوا من قوة

ومن رباط الخيل الذي لا يتم إلا ببذل المال فقال (وماتنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم ثوابه وأنتم لأنظمهون) لاتنقصون من ثواب أعمالكم شياً . لما ذكر الله المعاهدة ونبذها وانه يحب اعلان الحرب اذا كانت هناك أمارات لنقض العهد وكذلك أعداد العدة والكراع والسلاح إذ يقول ان هذه العدة لا يقصد منها أن يكون المسلمون دائماً مهاجمين محاربين وإنما الاستعداد لقصد الارهاب فيها بونكم وهذا الارهاب هو الذي يجعل الناس تحترم دولتكم وتخشى جانبكم فيبرغبون في صلحكم والسلم معكم ولاسعادة في الدنيا بغير السلم مع الاحتراس واعداد العدة ولذلك أعقبه بقوله (وان جنحوا للسلم) مالوا للصالح والاستسلام (فاجنح لها) وعاهدهم (وتوكل على الله) فوض أمرك الى الله فيما عقدته معهم ليكون عوناً لك في جميع أحوالك ولا تخف من ابطانهم خداعاً فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيق بهم (إنه هو السميع) لأقوالهم (العليم) بنياتهم (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله) كافيك * قال جرير

انى وجدت من المكارم حسبكم * أن تلبسوا خر الثياب وتشبعوا

(هو الذي أيدك بنصره) قواك بأسباب النصر الباطنة (وبالمؤمنين) وهم الأسباب الظاهرة ثم بين كيف أيد به المؤمنين فقال (وألف بين قلوبهم) ومنهم الأوس والخزرج فقد ألف الله بين قلوبهم بعد تعاديهم مائة وعشرين سنة . ومعلوم أن العرب كانت فيهم الحية الشديدة والافقة والعصبية القوية والضعينة والعداوة الموروثة عن الآباء والأجداد ولا تزال هذه الامور مشاهدة في أبناء العرب قومنا بمصر والشام وبلاد المغرب والعراق لم تفارقهم فهم ينقادون لحية الجاهلية وكلما كانوا أقرب الى البداوة كعرب مصر كانوا أغرق في هذه الحال . فانظر كيف ألف الله بينهم لما جاءهم رسول الله ﷺ فأصبحوا اخواناً وهذه معجزة للنبي ﷺ فان اجتماع قلوبهم أمر لا يعهد له نظير مع هذه العداوة والحية ولذلك قال تعالى (لوانفقت مافي الأرض جميعاً ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) جمع بين قلوبهم وكنتمهم بالاسلام (إنه عزيز) يقهر من يخدعونك (حكيم) ينصر من يتبعونك . وباليث شعري أليس هذا هو النبي العربي . أليس هو جدنا وعم أقاربنا ودينه بين ظهرانينا . وكيف ألف الله بين قلوب العرب في الجاهلية ولم يؤلف بين أبناءهم في الاسلام . باليت شعري مالى أرى أبناء العرب في بلاد مراکش وفي الجزائر وتونس وطرابلس والشام والعراق والحجاز لا يكادون يعرفون انهم أبناء أولئك الأجداد الكرام . يا عجباً كيف يتقوى رجال أسبانيا بالعرب على العرب في مراکش . وكيف تقوى أهل فرنسا على العرب بالعرب في مراکش والجزائر . كيف وكيف . كيف أصبح أبناء العرب أشتاتاً حتى أذلهم أوروبا . أليس ديننا هو ديننا . أليس القرآن هو القرآن . أليس هؤلاء أبناء أولئك . أقول نعم انهم أبناءؤهم ولكن لم يظهر في الأمة من يجمع الكلمة فلكل قائد رغبة في الرئاسة على قومه وأكثرهم يأخذ النقود من الفرنجة ويحاربون اخوانهم وذلك لشدة جهالتهم وقلة تربيتهم وانه لم يظهر في الاسلام مصلح عام الاصلاح يقوم خليفة عن الرسول ﷺ بل هم جميعاً يتحاربون ويتعادون على حطام الدنيا القليل دلالة على أن العقول ضعيفة والنفوس ذليلة . أو ما علموا أن اتحادهم يكسبهم عزة وقوة ومنعة . أو ما علموا أن أمم أوروبا مع اختلاف لغاتهم وأجناسهم يتحالفون ويتحدون ويألفون على ابتلاع المسلمين وأبناء العرب نائمون . يا عجباً كل العجب تتحد الذئاب على اقتناص الشياه ولا تتحد الشياه على الفرار على الأقل فضلا عن انها تستأسد وتصد العدو المغير والآساد المفترسة

ولئن رأينا آباءنا في الصدر الأول قد تعادوا واقتتلوا ليكون الاجتهاد هو الذي أداهم الى ذلك وكان لهم ملك عظيم يخافون أن يضع فلما تعادوا لم يضع ملكهم ولو رأوه آيلاً للزوال بالتقاتل لم يتعادوا كما قال معاوية رضى الله عنه في خطابه لملك الروم لما طلب منه الجزية * لئن لم تكف عن طلبك الجزية لأصالحن صاحبي (يعنى علياً) وأكون أول جندي يحاربك بأمره * فكف ملك الروم عنه . أما أبناء العرب الآن فانهم

سأهون لاهون جاهلون يتقاتلون ليستعبدهم الفرنجة وهم في غيهم يعمهون
فهذا دليل على أن الله لم يؤلف بين قلوبهم وهذا دلالة على أن دين الاسلام عندهم ليس في المنزلة التي
كانت له عند أسلافهم . هذا تحقيق المقام فلينظر أبناء العرب اخواني في أنفسهم ولتفكروا ولينظروا لهم
مخرجاً فاما حياة سعيدة واتحاد إيماني واما أن يصبحوا عبيدا للفرنجة خاضعين . ثم قال الله تعالى (يا أيها
النبي حسبك الله) كافيك (ومن اتبعك من المؤمنين) في محل نصب مفعول معه * قال الشاعر
إذا كانت الهيجاء واشتجر القنا * فحسبك والضحاك سيف مهند

والمراد بالمؤمنين المهاجرون والأنصار فيدخل فيها عمر وغيره فلا لزوم لتخصيصها به وهي مدنية
وقوله (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) بالغ في حثهم عليه * وقرئ - حرص - من الحرص
(ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) * وفي
قراءة - وان تكن منكم مائة صابرة - (بأنهم قوم لا يفقهون) بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير
احتساب وطلب ثواب كالبهايم فيقتل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته * روى البخاري عن ابن عباس
قال لما نزلت - ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين - كتب عليهم ألا يفر واحد من عشرة ولا
عشرون من مائتين ثم نزلت - الآن خفف الله عنكم - الآية فكتب ألا يفر مائة من مائتين * وفي رواية
أخرى عنه قال لما نزلت - ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين - شق ذلك على المسلمين فنزلت
- الآن خفف الله عنكم - الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم وعلى
هذا تكون هذه الآية ناسخة لما قبلها وهي قوله تعالى (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فان يكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) بالنصرة والمعونة
* ويقال ان قتال الواحد للعشرة كان في يوم بدر فثقل ذلك وعلم الله أن فيهم ضعفاً في قتال الواحد للعشرة
قال العلامة الرازي مملخصه . واعلم أن جمهور العلماء ادعوا أن قوله - الآن خفف الله عنكم - ناسخ
للآية المتقدمة . وأنكر أبو مسلم الأصفهاني هذا النسخ وبينه بأن وجوب مقاومة العشرين للمائتين مشروط
بأن يكونوا قادرين على الصبر في مقابلة المائتين وقوله - الآن خفف الله عنكم الخ - يدل على أن ذلك
الشرط غير حاصل في حق هؤلاء فصار الحكم دائراً مع وجود الشرط وجوداً وعدمه ويصير المعنى ان حصل
منكم عشرون موصوفون بالصبر على مقاومة المائتين فليشتغلوا بمقاومتهم واذن فلانسخ وليس ذكر التخفيف
يدل على حصول التثقيب قبله لأن عادة العرب الرخصة بمثل هذا وفي القرآن - يريد الله أن يخفف عنكم -
وذلك عند الرخصة للحر في نكاح الأمة وليس هناك نسخ . انتهى ملخصاً مختصراً

وعلق عليه العلامة الرازي فقال ان ثبت اجماع الأمة على الاطلاق قبل أبي مسلم على حصول هذا النسخ
فلا كلام عليه فان لم يحصل هذا الاجماع القاطع فنقول قول أبي مسلم صحيح حسن اه من الرازي
(عجائب القرآن في هذا العصر)

اني وايم الله لفي عجب من هذه الحكم العجيبة . وآيات الله الحكيمة . فبينما أن أفسر في أول هذه
السورة إذ وردت الأخبار في الجرائد يوم الثلاثاء ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٤ ما يفيد أن العشرين يغلبون
مائتين وأن المائة يغلبون ألفاً في حرب المسلمين بمراكش مع الاسبانيين فحجبت كل العجب وأيقنت بهذا
وبتكرار أمثاله في الآيات السابقة ان هذا التفسير ملحوظ بالعناية الالهية والمساعدة الربانية فقد وردت الأخبار
أن القبائل الجبلية بمراكش انضموا الى جماعة المحاربين بالريف القائمين بمحاربة الأسبان ليتخلصوا من
استعبادهم وأن رجال القبائل تنهوا الآن وكثير منهم قتلوا رؤساءهم الذين أغراهم الأسبان بآمال أي أنهم
يريدون الرجوع الى العصر الأول عصر الاتحاد بالدين وأن هناك معركة في (وادي توه) هجم فيها الاسبان

بثلاثين ألف جندي على رجال عبد الكريم ففشنت معركة هائلة دامت ثلاثة أيام متوالية وفقد الاسبان يون فيها ثلاثة آلاف جندي بين قتيل وجريح ثم ارتدوا على أعقابهم خاسرين وكانت قوات الأمير الربيعي ثلاثة آلاف مقاتل وهؤلاء هم الذين قتلوا قائدهم المسمى سعد بن مرزوق الذي أسبغ عليه الاسبان نعمهم ليحارب المسلمين (انظر الاهرام المؤرخ ١٢ أغسطس المذكور)

ثم أقول ها أنا ذا الآن في ليلة الأربعاء ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦ أحضر التفسير للطبع وأقرر أن الأخبار وردت أن عبد الكريم سلم نفسه للفرنسيين ولاتزال الحرب كما هي بعد أن ظن الناس أنها قد انتهت وهؤلاء لا يزالون يحاربون الفرنسيين والاسبان معا . أفليس من العجيب أن تكون هذه الواقعة مذكورة بنصها أن ثلاثين ألفا قاتلهم ثلاثة آلاف مسلم . أليس هذا هو ما ذكرته الآية . واذن نقول الأمة الإسلامية اليوم تجدد مجدها وعهدها . وكيف قاوم ثلاثة آلاف ثلاثين ألفا . وكيف تصادف أن يكون وقت تفسير هذه الآيات

ان ما نصت عليه الآية الأولى أصبح موجودا في الاسلام فهل نقول لا يجب عليهم المقاومة . كلا . بل نقول يجب لأن هؤلاء ثلاثة آلاف صابرين قادرين على القتال . ولو أن ذئابا دخلت قرينتنا وهي ٣٠٠ ذئب وعندنا ثلاثة رجال أقوياء وهم قادرون على طردهم - لموجب على هؤلاء الرجال طردهم وبعض أهل أوروبا ذئاب فهل اذا وجدنا عندنا رجلا ذوى قوة قادرين على طردهم . نقول لا يجب عليكم . كلا . بل هو واجب فالوجوب تابع للقدر . ولو أن ثلاثين مريضا دخلوا قرية ليقاتلوها ووجدنا ثلاثة أقوياء أفلا يؤمرون بقتالهم على فرض أن لا قادر سواهم . ان كلام أبي مسلم لا غبار عليه كما قاله العلامة الرازي وقد أيده الواقع الذي شاهده الناس في هذا الاسبوع . ولقد تكرر ذلك كثيرا في حرب الأندلس وحرب الترك وغيرها فتعجب من الحكمة والعلم والقرآن

(لطيفتان)

(الأولى قوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم -)

ان علم النفس وتأثير قواها في أحوالنا اليومية وأخلاقنا الشخصية أصبح منتشرا في أوروبا وأمريكا ولهم الفصول الطوال فيه . يقولون ان النفس مخزن كقوة مودعة سموها القوة المغناطيسية وقد ذكرت هذا المقال في سورة البقرة فارجع اليها هناك فعلى العاقل اذا أراد السعادة أن يحفظ اللسان والشهوات والرغبات ومدح النفس وكثرة الضحك . وأن يكون رزينا ساكنا قليل الإعجاب . قليل الحركات . قليل التلهف على مطالبه واثقا بما يريد موقنا به حافظا لكل كلمة وحركة وفكرة . ويقولون ان هذه القوى تحفظ للانسان ذخيرة وتجعله وقورا . ويقولون أيضا أن قوة العزيمة وتوجه النفس للطلوب والثقة بحصوله لها أثر في الخارج ولهم أدلة خطابية سفسطية في ذلك ولكنهم يعتمدون على التجارب . فالتجارب عندهم هي محور الأعمال . وبالجملة ان النفس الانسانية لها آثار في الناس حقا . ومن أراد الخير فليجعل النفس متوجهة اليه ولا حاجة الى الاطالة في هذا بعد ما بينا في سورة البقرة

ولا أدل على ذلك في القرآن من قوله في هذه الآية - ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم الخ - وقوله تعالى - إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا - الى قوله - ذلك بأنهم قوم لا يفقهون - فجعل الفقه النفسي والفكر الوجداني والشعور الانساني منشأ الانهزام في الحرب وكذلك قوله تعالى - اني معكم فثبتوا الذين آمنوا - وقوله - وما جعله الله إلا بشري لكم - ولذلك يقول هؤلاء العلماء الاوروبيون ان المرء اذا استشعر في نفسه حصول مطلوبة وهو ثابت العزم قوى الارادة حصل له مطلوبة في الحديث (أنا عند ظن عبدى بنى) وفي الآية - من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع

فانظر - الآية . فهذا على أحد وجهيه يرجع لسوء الظن بالله وهو اليأس . فكل هذه ترجع ان شعور الناس بالخير والشر مؤثر في أخلاقها وأحوالها ويبرهن على ذلك الفلاسفة قائلين ﴿ ان الانسان يمشى على الحائط فيسقط لتكرار الوهم والحاجة عليه انك ساقط فيسقط ولكنه في العادة وهو على الأرض لا يمشى على ما هو أوسع من ذلك الحائط ﴾ وقد جعلوا هذا الدليل المعلوم عند العموم مقدمة للاعتراف بما يحدث في النفوس البشرية من آثار أفكارها من حب وبغض وسعادة وشقاء وما تجلبه تلك الآراء من أحوال الانسان المادية فان استحضاره في نفسه أنه من التجار أو العلماء أو العامة يلزمه أن يتزيا بزيهم . فهذه الفكر ألبس الجسم ملابس من فكر أنه منهم . هكذا ينقلون عن بعض علماء اليونان أنه يقول ﴿ ان الدجاجة اذا اعتادت أن تقاتل الديكة نبت لها (صيصية) كالتي لديك ﴾ ويقول علماء العصر الحاضر ﴿ إن كل تهيج دماغى ناتج عن أحد الآراء كثوران التعصب أو الهيام أو الغضب أو الرعب يمهد السبيل الى فقد الحس ﴾ وترى الجنى فى الحرب يصاب بجراح بليغة ولا يشعر بها ومن المحكوم عليهم بالموت من لا يضرب الجلاد فيهم وقت الاعدام إلا جثة باردة تركتها الروح لشدة الرعب . وبعض المحكوم عليهم بالاعدام عصبوا عينيهم وصبوا ماء دافئا على رقبتهم أو هموه انهم فصدوه فمات معتقدا أن دمه قد استنزف كله

وروى أن (موتيس شيقولا) فى ثوران حبه للوطن وضع يده على جرة متقدة ولم يشعر بألمها * وقد روى مثل ذلك عن بعض العاشقين وهذا بعض ما يدل عليه قوله تعالى - ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - جاء فى مجلة (المرشد) ما يأتى

﴿ امرأة تلد ضفدعا ﴾

فى مجلة الجالية (برازيل) ما خلاصته

فى ضاحية (اربول غراندى) من بلاد المكسيك مناجم زيت الكاز يعمل فيها عدد كبير من العمالة بينهم رجل اسمه (الينوزونيجا) وزوجته (حنه كونتراراس) وكان لا ينقصهما لتمام سعادتهما سوى ولد يكون محط آمالهما . ومنذ أشهر أخذ (زونيجا) يعدّ المعدات لولادة زوجته حتى اذا حانت الساعة المنتظرة خرج الطبيب وعلى يده (ضفدع) كبيرة خضراء اللون ضخمة البطن بارزة العينين طويلة اليدين والرجلين وقال له هذا هو ابنك يا زونيجا فذهل الرجل لدى رؤية هذا الحيوان القبيح الشكل وقال لا يمكن أن يكون هذا ابني وتراجع خائفا من منظر المولود الضفدعى الذى لا يقل طوله عن (٦٥) سنتيمترا

وكانت الأم تواقه لترى ابنها المبكر لكنهم منعوها من ذلك . ولما رأوا أن لامناص من أن تراه قتموه اليها فلما شاهدته صرخت وأغمى عليها وتوافد الناس ليروا المولود العجيب

وقد فحص الأطباء والوالدين ليعلموا هل فيهما عيب خلقى أو مرضى سبب هذه الولادة فلم يجدوا سببا إلا ما علموه من أن الأم كانت تكره منظر الضفادع وتخافها وانها فى الليلة السابقة إذ كانت نائمة شعرت بشئ أملس بارد يمر على وجهها فاستيقظت مذعورة وأضاءت المصباح فاذا هو ضفدع فأصيبت بنوبة عصبية وفى المساء التالى وضعت الضفدع . اهـ

﴿ أثر الوهم ﴾

جاء فى مجلاتنا المصرية فى ٢١ يونيو سنة ١٩٢٦ ما يأتى

يفسر لنا الاستهواء عدة مظاهر طالما حيرت عقولنا فى حياتنا اليومية ويكشف لنا الستار عن سرّ أوهامنا وآلامنا الخيالية التى كثيرا ما عكرت صفو حياتنا . وهكذا نكون مدينين بسعادتنا وهنائنا لعلم النفس الحديث . والاستهواء القاء فكرة أو اعتقاد ما فى نفس الموحى اليه فيقبلها دون معارضة . ولانلبث أن

تحوّل الى عمل أو عقيدة ثابتة دون أن يدري الموحى اليه

والقابلية للاستهواء تكاد تكون غريزة في الانسان إلا أنها تزداد كثيرا عند الأطفال والضعفاء قوة وإرادة والعصبيين والذين في حالة غير عادية بوجه عام . كما ان بعض الناس يمتازون بقوة الاستهواء مثل الرؤساء والزعماء في العلم أو الدين أو السياسة وأقوياء الإرادة والجسم والاستهواء إما ذاتي أو خارجي . فالداتي هو الذي يستهوى فيه الانسان نفسه . والخارجي هو الذي يستهوى فيه غيره من الأفراد أو الجماعات

ويعمارس البراهمة من الهنود نوعا من الاستهواء الداتي إذ يستهوى الواحد منهم نفسه الى الزهد والتقشف في الحياة فيخرج الى مغارة بعيدة ويجلس القرفصاء عاريا ويردد جملا خاصة طول يومه مثل (يجب أن أزهد الحياة لأنها دنيئة) فلا يلبث بعد بضعة أيام حتى يجد فكرة الزهد قد تملكته جميع مشاعره وتحوّلت الى عقيدة شديدة وبذا يصبح رجلا متقشفا زاهدا في الحياة قلبا وقالباً

ويمكن لمن مارس أى عادة ضارة أن يستهوى نفسه الى ابطالها . فالمدخن مثلاً يمكنه ترك التدخين ونسيانه اذا ردد في نفسه كل صباح ومساءً بالهجة العزم والحزم جملة خاصة مثل (يجب أن أترك التدخين لأنه مضر بصحتي) ولا شك أنه اذا واطب على ذلك تتحوّل هذه الفكرة التي تتردد في النفس الى عقيدة ثابتة ثم الى عمل وينتهي الأمر بإبطاله التدخين

وكثيرا ما كان الاستهواء وعلى الأخص الداتي منه منبعا لأوهامنا وآلامنا الخيالية . فالانسان قد يكثر من التفكير في مستقبله وينظر اليه خلال منظار أسود فيساوره الخوف ويسود عليه روح التشاؤم فلا يلبث أن يتحوّل هذا التفكير الى عقيدة ثابتة بل الى عمل وتصبح حياته سلسلة من الأحزان والهموم التي لا سبب لها ويعاوده الفشل في جميع أعماله وتنحط قواه الجسمية فيظن أن تنبؤاته قد صدقت والواقع انه انما هو الذي جعلها تصدق لأنه استهوى نفسه الى تحقيقها . وقد تأيدت هذه النظرية النفسية بالتجارب والبراهين المحسوسة في الانسان والحيوان فمثلا يخص الجهاز الهضمي لهرة أثناء فرحها وأثناء حزنها فوجد انه في الحالة الأولى يسير سيرا حسنا عاديا بينما يقف تقريرا عن العمل في الثانية

وقد جرب أحد مشاهير الأطباء قوة الاستهواء في الجسم فاستأذن من حكومته في قتل مجرم محكوم عليه بالاعدام بقوة الاستهواء وأخذه معصوب العينين الى غرفة سوداء مظلمة وكان هو أيضا يلبس الملابس السوداء القائمة وأخذ يعيد عليه كثيرا جملة (سأعدمك بقطع شريان من جسمك) بالهجة التأكيد والعزم ثم طرحه على سريره وكرر على مسامحة طريقة القتل وأوضح له ماسيشعر به ثانية وأخرى عند قطع الشريان من سيلان الدم الى الغيبوبة الى الموت ثم أمسك موسى عاديا وقطع به ذراع المجرم قطعاً سطحيا ثم فتح صنبورا كان قد أعدّه فأخذ الماء يسيل منه على ذراع المجرم كأنه الدم في حرارته العادية فلم يلبث المجرم أن مات تحت تأثير الاستهواء الشديد وتحققت الوفاة بواسطة مجمع من الأطباء فخصه خصا دقيقا

ومن التجارب التي عملت أيضا لاثبات قوة الاستهواء وتأثير الوهم على الجسم أن أحد علماء النفس في إنجلترا اتفق مع سكان بضعة منازل كان يمر عليها بائع لبن في الصباح لتوزيع لبنه أن يبدى كل واحد منهم عجبه من الضعف الجنائي غير العادي الذي يبدو على وجه هذا البائع بجملة خاصة بالترتيب كأن يقول الأول (مالي أرى وجهك اليوم شاحباً بخلاف عادتك) والثاني (لماذا ترعش وأنت تعطيني اللبن) والثالث (أراك لا تقدر على المشي اليوم) وهكذا فواصل البائع الى نهاية دورته حتى سقط على الأرض مغشيا عليه وقد كان بصحة جيدة عادية عند خروجه من منزله . وما ذلك إلا لأن فطرة الضعف التي ردها زبائنه في نفسه تحوّلت الى عقيدة بالتكرار ثم الى عمل فوقع على الأرض فاقد الرشده

ويبالغ (أميل كويه) الفرنسي في قوة الاستهواء ويقول انه يجب أن يتخذ كوسيلة لشفاء كثير من الأمراض ولاشك أن لقوله هذا نصيبا كبيرا من الصحة إذ انا كثيرا ما نشعر بالصداع أو الضعف أو الانحلال الجنائي وكثيرا ما نصاب بالأمراض العصبية نتيجة الأوهام والخاوف التي لا وجود لها والتي نلقيها في روع أنفسنا أو يوحى إلينا بها ماحولنا من بيئة محزنة أو من قوم ان قصدا وان عفوا

ولذا يمكن أن نؤكد أن الطالب مثلا الذي يفكر كثيرا في الرسوب إنما يستهوى نفسه للرسوب دون أن يدري فيرسب . وكذلك العامل الذي يفكر دائما في الفشل غالبا ما يفضل بقوة الاستهواء الذاتي فابتسم أيها القارئ في وجه الدهر يتسم لك وافرح بأتك الفرح واعتقد في الشفاء من أمراضك وآلامك لأنك تساعد بذلك نفسك على النجاة وتلهيها عن كل ما يحزنك بالرياضة البدنية والنزهة والأعمال اليدوية وانظر الى المستقبل دائما نظرة المتفائل المسرور المؤمن بالنجاح تذهب عنك أوهامك الكثيرة القتالة وتسمو بنفسك الى النجاح المحتم . انتهى

(المعالجة بالاستهواء وفيها أيضا في تاريخه)

(طريقة الدكتور أميل كويه)

في أواسط هذا الشهر (يوليو سنة ١٩٢٦) توفي في باريس العالم الفرنسي الشهير الدكتور (أميل كويه) الذي يعتبره أعظم دعاة الاستهواء وأكبر القائلين بمذهب الشفاء بطريقة الإيهام توفي هذا العالم في منزله بمدينة (نانسى) بعد عمر طويل قضى معظمه في المباحث النفسية وفي مدى تأثير الوهم في النفس . وقد طار صيته في جميع أنحاء العالم وكان الانكليز والأمريكيون يعتبرونه زعيم الأطباء الروحانيين أو الاستهوائيين بلامنازع

لم يكن هذا العالم مبتكرا ولكنه تقح آراء علماء الاستهواء الفرنسيين بما أذاعه من النظريات الجديدة وهي نظريات تقضى ببند كثير من المذاهب العلمية البحتة وعدم التقيد بها حتى لا يظل الاستهواء مجرد نظرية علمية بل يصبح من الحقائق التي هي في متناول الجميع

وقد كانت شهرة (كويه) مبنية على ما أبانه من سلطة النفس على الجسد وما أثبتته بتجارب عدة أمام جماهير من الأطباء . وكان دائما يقول ان الأطباء يغلطون غلطا فظيحا لأنهم يعنون بالجسد دون النفس ولأنهم يهتمون درس السلطة غير المنظورة التي للوهم على الجسد . فالطبيب الذي يستشار في معالجة العليل لا يفحص عادة سوى أعضاء الجسم وحالتها ولا يعني بحالة العليل النفسية وما يمكن أن يعطاه لانعاش تلك الحالة (وبعبارة أخرى) انه يتجاهل قيمة (المقوى المعنوي) الذي يفعل في شفاء النفس ما لا يفعله المقوى المادى . وقد أثبت الاستاذ (كويه) بتجارب عدة أن لفكر قوة عجيبة في كلا العالمين المادى والخيالى وأن تسليطه على الجسد يحدث تأثيرا عجيبا . وفي الواقع أن الفكر قد يكون سما زعافا أو مصلا شافيا . وطريقة الاستعانة به على مداواة الأمراض ليست حديثة بل قد كانت معروفة منذ أقدم الأزمنة وقد أهملها العلماء مدة ثم عادوا اليوم الى ادراك أهميتها في معالجة الأمراض

والحق يقال ان الدكتور (كويه) أبان طريقة المعالجة بالاستهواء أقصى الحدود وأثبت انها من الطرق التي يجب على الأطباء أن يضعوها في مقدمة وسائل المعالجة فإذا كان المصل المادى يفيد في بعض الحالات فان المصل المعنوي أى التطبيب بالاستهواء يفيد في جميع الحالات . وإذا علمنا كيف نستعمله نكون قد أسدينا الى الجنس البشرى أعظم معروف يتصوره الفكر . وليس ذلك فقط بل ان هذا (المصل المعنوي) يفيد أيضا في شفاء الكثير من الأمراض الأدبية . فالشخص الذي هورق لبعض العادات الرديئة يمكن شفاؤه من داء تلك العادات واصلاح ما فسد من أخلاقه . وشفافؤه بالاستهواء أسهل في هذه الحالة من

شفائه بالعقاقير . وفي هذه الحالة تصبح الهيئة الاجتماعية كلها مؤلفة من أفراد أصحاء البنية . أصحاء الأخلاق
ويصبح العالم فردوسا زاهرا تطيب الإقامة فيه

ان لكل امرئ ﴿ كيائين ﴾ أحدهما الوجدان الذى بواسطته يدرك كل مايقع حوله ويشعر بكل
ما يحدث . والآخر الوجدان السكامن الذى يدفع المرء الى انيان أعمال كثيرة بطريقة أوتوماتيكية مجردة
من عنصر الارادة وهذا الأخير أى الوجدان السكامن معروف بآثاره أو بنتائج الأعمال التى تدفع المرء الى
اتيانها وهو المهيمن على كل حركة من حركات الجسم . فاذا استغرق المرء فى سبات أو ذهول توقف ذلك
الوجدان عن العمل وهو الوسطة التى بها يعمل الفكر عمل المصل المعنوى الشافى الذى فى امكانه أن ينقذ
الجسم من أمراض كثيرة وآلام عدة

هذا وان ما يحدث فى النفس فى أثناء عملية الاستهواء يشبه عملية الانبات تماما . ولذلك يصح تسميته
بالانبات النفسى أو العقلى . ففكرة الشفاء هى البذرة التى يمكن بذرها فى النفس لتنمو وتكبر حتى تقاوم
كل شئ وتأتى بالثمر المطلوب . وطريقة الاستهواء المنسوبة الى الدكتور (كويه) بسيطة جدا يستطيع كل
امرئ أن يستعملها . وخلاصتها أن يردّد كل يوم على مسمع من نفسه هذه العبارة وهى قوله ﴿ أشعر
كل يوم بأننى أنتقل من حسن الى أحسن من كل الوجوه ﴾

ويجب ترديد هذه العبارة صباح مساء حتى تصبح فى النفس عقيدة راسخة . وكان (كويه) يلقنها
لكل من يقصده مستشفى ويشهد الكثيرون أنهم نالوا بواسطتها الشفاء ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان التفاؤل
الحسن هو أساس طريقة (كويه) . فاذا تشاءم المرء من كل ماحوله فلا يمكن أن يرى فى العالم إلا ظلاما
دامسا . وبعكس ذلك اذا كان كثير التفاؤل شديد الثقة بحسن حالته فان النتيجة تكون خيرا لا محالة
وفى أوروبا اليوم جمهور كبير من أتباع (كويه) الذين خبروا طريقته بأنفسهم وهم يعملون على اذاعتها
بين الناس . فكأن (كويه) علمهم أن يطببوا أنفسهم وينيروا عقول الغير . وبين الأطباء فريق غير
قليـل ممن يحاولون الجمع بين الطب الاستهوائى والطب المادى . والجمع بينهما ممكن لا يحتاج إلا الى شئ
من الخبرة . انتهى

كل هذا الذى نقلناه من سرّ قوله تعالى - ذلك بأن الله لم يك مغبرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم - وهذا من عجائب القرآن التى أبرزها العلم الحديث
(اللطيفة الثانية)

(ايضاح الكلام على قوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل الخ -)
(١) اعلم أن الله عز وجل قد نظم هذا العالم على القوى المتضادة والأحوال المختلفة والوجوه المتعارضة
والاصول المتناقضة . ولم يشأ أن يكون ساذجا قليل التركيب فسوّاه وهندمه وجعله مصقول الجوانب منظم
الأطراف مكمل الأكناف

(٢) ثم انه كلما كان أكثر عناصر وأعظم تركيبا كان فى المنافع أبعد غورا وأعظم وقعا وأعجب صنعا
ألم تر الى تفاعل الماء والطين والهواء والحرارة كيف نتج منها النبات المختلف الثمرات العظيم البركات والى
الذكور والاناث من أنواع الحيوان وبنى الانسان كيف كان اتحادهما منتجا بقاء الأنواع وتكاثر الأشخاص
ثم انه كلما كان المتحدان غير مقتربين كان التفاعل بينهما أعظم أثرا وأبلغ نفعا وأحسن صنعا

ناعيك ما ترى من تفاعل الفحم المسمى بفحم (المعوجات) مع بعض المعادن كيف نتج منهما الكهرباء
البديعة الصنع المدهشة الاب الموقدة النار السريعة الأخبار المنتجة للحرارة العجيبة الانارة والى الاكسوجين
والكربون كيف أوجب اتحادهما ظهور النار وعجائب الآثار . وهكذا اتحاد الاكسوجين والادروجين

كيف نتج منه بفعل الصانع الحكيم وجود الماء العجيب الارواء الذي هو حياة كل حي من عاقل وجاهل ووضيع وخامل ونام وحيوان

(٣) على هذه القاعدة بنى تقاتل الدول وتصادم الأمم ومصارعة الأقران واحتدام الوغى في الميدان . وكلما كان الاختلاف أشد إغلا وأبعد في العداوة كان الاصطدام أشد أثرا وأعظم وقعا وأظهر أثرا وأفتك بالأبطال وأغور في النكال . ولقد تقرر في الحكمة أن الأمم اذا لم توقد للحرب نارا ولم تشرعن ساعد جدها أدركها الخور واعتورها الضرر واستحلت طعم الكسل ونامت على وساد الراحة الوثير وذاقت من الوهن والضعف عذاب السعير كما ذكره الحكيم (أرسطاطاليس) في رسالته الى الاسكندر وقد ضرب لذلك الأمثال وقرره تقريرا . فكان مثل الأمم في ذلك كمثل العناصر المرمأة في القلاة والهواء الهاب في مجراه والماء الجارى الى منتهاه فلاعشب يسقيه ولا حيوان يرويه ومثل الذكران الذين اجتنبوا النسوان والنساء اللاتي أنفن الرجال فذهبت من بين هؤلاء ثمرات الاتحاد وباؤا بالخسران والخسرات . ان عالمنا الأرضى حكم عليه ألا يرتقى إلا بالتناقضات ولا ينشأ إلا بالمختلفات . فالقاعدة واحدة تباعد في الصفات وتناف في الأحوال ثم التقاء ينشأ منه أحوال جديدة وحوادث مفيدة وأعمال سديدة وأمور مفيدة

ولعل هذا العالم أقرب الى النقص وأبعد من الكمال . ولعل هناك في العوالم ما هو أشرف مقاما وأعلى في النظام كعبا . ولعل طبعه الغريب الذي ذكرناه قد قضت به الحكمة لنقص في أصوله ووهن في تركيبه بالنسبة لما هو أعلى منه وأبدع وأجمل . ولعل نسبته الى ما هو أرقى منه كنسبة تركيب الحشرات السامة من القاذورات المحدثه في الجو فسادا الى تركيب الانسان من العناصر الطيبة فكانت النتائج كالمقدمات والنهايات تابعة البدايات . لذلك كان الانسان في أعماله وأخلاقه وأحواله تابعا لعالمه الذي تركب منه حذو القذة بالقذة تابعا لخطواته سائرا في طرقاته دائرا على محوره ناهجا منهجه . فترى الجيوش في الميادين تلتقى التقاء أو تصطدم اصطداما كالتقاء الاكسوجين والادروجين وغم المعوجات وبعض المعادن فيما تقدم فتراموا بالحجارة والرصاص والحديد والنيران واستعملوا أنواع المفرقات وأعجب المركبات النارية من الديناميت والكرات المحرقة الملتهبة . المنزل الصواعق . المهلكة للأمم . المزيلة للممالك . المخربة للبنيان . المبيدة للقلاع ولوأها أمسكت عن القتال وتركت النزال لأعيانها الكسل ولعدمت الخيل ولأمانتها الخبل والخلل فنامت العيون وهدأت الجفون وأمنت الطوارق وأصبح أهلها أقرب الى الحيوان الأعجم فبطؤت الحركات وهدأت الجماعات وبارت الصناعات وساءت الحال وضاع المال وخابت للأمم الآمال

لذلك ترى أن الله قد هيا للأمم عناصر للقتال وأصولا للحروب منها ظاهر يعامه الخاص والعام كاللحجارة والحديد والرصاص . ومنها ما خفي تركيبه وعظمت آثاره كالمفرقات المركبة من القطن والمواد الملتهبة

(المفرقات في الحروب من القطن والمواد الملتهبة)

ان القطن مركب من شعور دقيقة قد بحث بالمنظار المعظم فظهرت بصورة أنابيب مفرطحة ملتوية شفاقة وهذه الأنابيب الشفاقة جلبها شجر القطن من المواد الأرضية والهوائية تسمى (سيلولوز) وهذه المادة تكون في جميع النباتات . فهذه المادة اذا خلطت بحامض النتريك وبحامض الكبريتيك تحولت الى مادة تسمى (نيتروسيلولوز) أو (قطن البارود) واذا نظرت الى هذه وجدتها كالقطن العادى في شكله ولكنه متى طرق أو سخن احترق من غير أن يترك بقية صلبة بل يتحول جميعه الى مادة هوائية لالون لها وهذه المادة اذا أذيت في الأثير وفي الكحول أو صنعت منها كتلة مرنة تصب في قوالب أو تقطع قطع صغيرة ذات أحجام متساوية فان هذه القوالب والقطع تكون مواد مفرقة وأول من كشفها العلامة (بول فيللو) فاستخدمته الحكومة الفرنسية سنة ١٨٨٧ م * وهذا هو البارود الذي لا دخان له لأن ماله دخان يحجب رؤية العدو

﴿ الديناميت ﴾

إذا خلطنا الجلسرين بحامض النتريك المضاف اليه حامض الكبريتيك نتج سائل زيتي القوام أثقل من الماء ولا يختلط به طعمه حلو ولكنه سام يستعمل في الطب بمقادير قليلة . وإذا سخن أو طرق فرقع بشدة متحولاً إلى غازات النيتروجين وثنائي أكسيد الكربون والأكسوجين وهو سائل خطر لا يؤمن له جانب ويصعب استعماله مفرقاً في حالته السائلة وهو يسمى (نيتروجلسرين) فإذا مزج بالفسارة وبعض الأتربة صنعت منه قوالب الديناميت

﴿ الجلاتين المفرقع وغيره ﴾

في سنة ١٨٧٥ خلط العلامة (الفرد نوبل) الكيميائي السويدي هذا السائل الشديد الفرقة بقطن الباورود المتقدم فخرج من هذا وذاك مفرقع مزدوج يسمى (الجلاتين المفرقع) . وهناك جسم صلب أصفر متبلور تصنعه جميع الحكومات من مادة تسمى (الفضول) وجسم آخر يصنع من مادة اسمها (تولول) وهما مادتان تستخرجان من الفحم الحجري . واعلم أن صنع المواد المفرقة المذكورة خطر للغاية ولذلك يبنون أبنية صغيرة بعضها منفصل عن بعض بحيث يكون بين كل بناء وآخر فضاء طلق واسع فإذا حصل انفجار في أحدها انحصر الخطر فيه فلا يتعداه إلى بقية العمل ويصنع هناك مقادير معينة من المفرقات في زمن معين ويلبس العمال والعاملات ملابس خاصة خالية من الجيوب والأشياء المعدنية ويضعون في أرجلهم أحذية خاصة خالية من المسامير الحديدية ولا يجوز للأجانب دخول هذه الأماكن إلا بأذن خاص وقبل الدخول يفتشون تفتيشاً دقيقاً ويؤخذ منهم كل ما يحتمل أن يحدث ضرراً مثل علب الكبريت والديابيس والأزرار المعدنية وغيرها ثم يلبسون أحذية خاصة وتضاء هذه الأماكن بالكهرباء وجميع الآلات البخارية والكهربائية المعدة لتوليد القوة اللازمة توضع خارج البناء ويمر من آن لآخر مفتشون لملاحظة النظام ومنع تجمع أتربة المواد المفرقة . واعلم أن أقل خطأ سواء أكان في تقدير المواد أم في تغيير أحوالها الخارجية كالضغط ودرجة الحرارة قد يؤدي إلى انفجارها أثناء صنعها ويتبع ذلك ضرر جسيم أقله موت الصانع . وعليه فإن صناعة المفرقات تستلزم من الحيلة والحذر والعناية ما لا يحتاج له صناعة أخرى . ولذلك قديماً من الصانع على حياته قبل الاشتغال بها حتى يعرض على ورثته ما فقدوه من حياته

فانظر كيف كان القطن والكبريت والنتريك الحامضات قد تحولت إلى مادة محرقة . وكيف كان وضع هذه المادة مع الكحول والأثير يكون مادة مفرقة . ثم انظر كيف كان الجلسرين إذا خلط بالحامضين المتقدمين مع نشارة الخشب وبعض الأتربة يصبح ديناميتاً يهدد الأبنية والقلاع الحصينة . ثم كيف كان الفحم أيضاً مصدر مادتين مفرقتين بأوزان معلومة ونظم خاصة

﴿ الله أمرنا بهذه الصناعات استعداداً للحرب ﴾

يقول الله - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة - فهذه القوة العقلية العارمة التي تتقدم القوة العملية الحربية . لقد كانت الحرب قديماً بالحجر والحديد والرصاص ثم ارتقت اليوم فصارت بالعقول والأفكار . فأهل أوروبا ضعافو الأبدان بالنسبة لأهل أفريقيا وآسيا ولكنهم استخدموا العقول فأكسبتهم صناعات قامت مقام القوى الجسدية فصار هؤلاء في باقي الناس أشبه بالإنسان في باقي الحيوان . فالحيوان قوي أجساده ولكن الإنسان الذي هو أضعف منه قوة خلق أقوى حيلة فضله فسخره . فأهل أوروبا اليوم ومن نحا نحوهم وكل من قرأ العلوم والصناعات الحديثة أصبحوا في نوع الإنسان سادته والبقية كأنهم عبيدهم . فإذا قال الله للمسلمين - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة - فمعناه لا تذكروا قوة جسمية ولا قوة عقلية إلا استعدادتم بها واذن أصبح علم الصناعات جميعها فرضاً واجباً على المسلمين وعليهم حتماً أن يدرسوا ما ذرأ الله

في الأرض من عجائب العوالم وما في ذراتها من كائنات المنافع ومدفونات العجائب ومكنونات البدائع وجواهر الحكم المسونة المحجوبة عن أنظار الجاهلين المتجلية للناظرين المكشوفة للجدّين العاشقين بالله ما أجل بهاء الطبيعة • وما أجل نورها وأبهر سناءها وأحسن وجهتها • لقدسترته عن الجاهلين وكشفته للعاشقين وازينت وابتهجت للناظرين • وقالت لمن ليس لها كفو ولم يعطها مهرا

• ومن خطب الحسنة لم يغلبها مهر •

فلتتنافس في تلك العلوم المتنافسون • وليقبل عليها المسلمون • وليطيروا في الشرق والغرب سراعاً لعلمهم لها يدركون • فيعجبوا للمسلمين كيف يعيشون بين أُمّ سلاحها (لديناميت) والمواد المحرقة والمعمية والمهلكة وسلاحهم البارود والرماح • وكيف يفلح قوم أحاط بهم الإصلاح والعمران وهم جامدون ﴿ نظرات الفلاح الى شجرة القطن ونظرات علماء الحرب ﴾

هل يعلم الفلاح المصري والبغدادي وأمثالهما حين يزرعون القطن ويضعون البذرة في الأرض ويسقونها الماء وتنمو في الحقول ويعزقونها بالفؤوس ويزيدونها ربا • وحين يظهر الشعر فيها • وحين يأتون بالنساء والأطفال لجمع تلك المادة الشعرية القطنية • وحين يحلجونها ويبيعونها للتجار بالاسكندرية وغيرها فيأخذون الدراهم والدنانير لقضاء حوائجهم • هل يعلمون إذ ذاك أن لهذا القطن نبأ عظيماً • وهل يعلم حكماء الاسلام وعلمائهم والمتفقهون فيهم أن لكل ظاهر باطنا وظاهر القطن لباس وأكسية ورياش وفرش ومخدات وغيرها مما يتجمل به الناس وباطنه ما يستخرجه علماء الكيمياء من البارود الذي لا دخان له يخلطه بالأجاض • وكيف كان القطن من أسباب الظفر في الحروب • وكيف كان من الفحم الذي يوقده الناس في بيوتهم مواد تؤخذ بطرق مخصوصة تكون مفرقة قاتلة • لجل الذي خلق المادة على هذا النظام وصورها على هذه الصورة البديعة العجيبة • ألا بعدا للقوم الجاهلين • وأف وتف لقوم لا يعقلون • وهل يعلم هؤلاء أن أمثال هذه المسألة مما يوجب فتح المدارس على مصراعيها واتخاذها أساسا للرق واستعدادا للطوارئ • وفيها تحلل عناصر كل يابسة وخضراء ورطب ويابس وجامد وناعم وحى وميت وحيوان ونبات وإنسان فلتحلل عناصر المخلوقات فلاحكم على مركب إلا اذا عرفت أجزاءه كما لم تعرف اللغات إلا بمعرفة حروفها • إن هذا الاستعداد والأمر به يرجع الى رقي العقول والآراء وانما أرسلنا الى هذا العالم وخلقنا فيه للوقوف على الحقائق ومعرفة أصوله • وكأن الله عز وجل يريد أن يطلعنا على عناصر ملكه وأصول خلقه وتركيب أجزائه وعجائب صنعه ووزنه ونظامه ومحاسنه حتى نرتقي الى ما هو أعلى مراما وأحسن نظاما وأبهى كمالات • وجعل من طرق ذلك نظام الحروب والقاء العداوات بين الناس ليتسابقوا الى المعالي ولا سبيل الى ذلك التسابق في عالمنا الأرضي إلا بهذه • وما مثل الجيوش في ميادين القتال • والقنا تقرر القنا • وموج المنايا متلاطم إلا كمثل اللاعبين (الشطرنج) أو غيره إذ يصبحون في وجل وأمل وخوف ورجاء

وكأنما هذا الانسان وهو في الأرض طائر على جناحين ﴿ أحدهما ﴾ الرجاء ﴿ والثاني ﴾ الخوف كما قال تعالى - هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا - فاذا لم يكن الخوف والطمع بالحروب القاهرة سعى الناس لهما باللعب ليطيروا مجتمعين في عالم الخوف والرجاء وهم يلعبون وكأنهم اذ لعبوا (الشطرنج) أو الألعاب (الالومبية) المشهورة اليوم بين الدول يقولون اننا مجبولون على المسابقة مفلطرون على المنافسة فان لم تكن بالحرب سعينا اليها باللعب • كل ذلك لتقوية الأبدان وتنشيط الشبان وتجديد البلدان وتقوية الأركان واسعاد المدن وتشديد العمران

﴿ تناسق آي القرآن وتلاحقها في مسألة عدة الحرب والقتال ﴾

فاذا قال الله في سورة البقرة - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا - وقال فيها - إن في خلق

السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس الخ -
 وإذا قال في آل عمران - إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء - وقال - شهد الله أنه لا إله
 إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم - وقال - ويتفكرون في خلق
 السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - • وقال في سورة النساء - والله ما في السموات وما في الأرض
 وكفى بالله وكيلًا • إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا - وإذا قال في
 سورة المائدة - يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين -
 وإذا قال في سورة الأنعام - إن الله فلق الحب والنوى - إلى قوله - وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا
 به نبات كل شيء - وقال - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - • وإذا قال في سورة
 الأعراف والوزن يومئذ الحق - وقال - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم الخ -
 إذا قال ذلك كله في السور المتقدمة على هذه السورة • فهذه السورة في سورة الأنفال - وأعدوا
 لهم ما استطعتم من قوة - • فهذه القوة من القوى التي خلقت لنا في الأرض كما جاء في البقرة • فجباب
 القطن وحض الكبريتيك وحض النيتريك والجلسرين والكحول والأثير والمواد المتخذة من الفحم
 الحجري • كل هذه مما خلقها الله لنا في الأرض وخطبنا قائلا - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا -
 فهذه خلقت لنا كما خلقت للفرنجة فخللوا الفحم الحجري والقطن والكبريت واتخذوا منها تلك الآلات المهلكة
 ونحن تركنا واكتفينا بالشراء منهم وهكذا هذه الأشياء مما جاء في قوله تعالى - إن في خلق السموات
 والأرض واختلاف الليل والنهار - آيات لأولي الأبصار - فانها من العجائب المدهشة والغرائب البديعة
 الدالة على حكمة الصانع المبدع • ولعمري من ذا الذي يقف على هذه الأسرار ولا يدهش لهذه
 الحكم العجيبة • والاف بالله كيف يكون هذا القطن الذي نلبسه بعد أن استخرجناه بالزراعة إذا أضفنا عليه
 بعض العناصر قلب لنا القلاع والحصون وخزنت السقوف من فوقنا • أليس هذا من العجب • أليس هذا
 من دلائل التوحيد المذكورة في آية البقرة المذكورة • ولعمري كيف تصير المواد الفحمية مفرقات • وكيف
 يكون القطن الذي يقينا الحر مهديا للساكن منزلنا للندن • وكيف اجتمعت هذه الأسرار في هذه المخلوقات
 التي تحيط بنا ولا ندري ما فيها • أليس الانسان وهو نائم في سريره متغط بلحافه قد أصبح نائما في وسط
 جهنم • فالقطن الذي يحيط به من كل جانب إن هو إلا مواد مفرقة ينقصها الكبريت والنيتريك فتصير
 هادمة البنيان • ثم هذه الأشياء وهي متفرقة غير مجتمعة قد خفيت عن الانسان في قديم الزمان فلم يعلم
 انها تخرب المدن وتهدم القلاع ولكن الله يقول في آل عمران - إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في
 السماء - وعلى ذلك يعلمه لمن يشاء من عباده • وهذه العناصر المذكورة تصنع بحساب دقيق حتى تصير
 مواد مفرقة فاذا اختلت الموازين أو الأعمال الصناعية اختلت تلك المصنوعات وهذا قوله تعالى - شهد الله
 أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فهنا لابد من القيام بالعدل في وزن المقادير وهذا
 من دلائل الوحدة إذ كيف كانت هذه الأشياء بموازين محدودة ومقادير معدودة ونظم قائمة وصناعات
 صادقة ولو اختل الوزن لانفجر المصنوع فأهلك الحرث والنسل • وكذلك قوله - ويتفكرون في خلق
 السموات والأرض - وهذا من نوع الفكر في المصنوعات ونظامها ودقتها • وهكذا قوله في سورة الأعراف
 - والوزن يومئذ الحق - فالقيام بالقسط في آل عمران والوزن الحق في الأعراف ظهرا في مقادير الديناميت
 والمواد المفرقة كما ظهرا في غيرهما • وهكذا قوله في سورة المائدة - يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا
 الغراب - • فهنا يقال إذا كان ابن آدم يقول متحسرا على نفسه كيف أعجزت أن أكون مثل الغراب
 وتأسف وندم على الجهالة فلتكن الحسرة والجهالة هنا أنكي وأشد تنكيلا • كيف لا والندامة في قصة ابني

آدم على الجهل بدفن القتييل مع علم الغراب به فقلده . وعهنا تكون الحسرة والندامة على أمم نهلك وقصور
تخرب . وجيوش تهزم . وأمم تموت . وبلاد تضيع . ونساء تسبي . وصبيان يصبحون ايتاما .
وذلك كله بسلاح الأعداء وهم من الآدميين . واذا ندم ابن آدم على جهله بصناعة الغراب وهو من غير جنسه
فهو بالندم على جهله بصناعة بنى جنسه أجدر . فانذا نرى الانسان يعجز عن صناعة النحل في خليته ولكنه
قط لا يعجز عن صناعة أخيه الانسان . فاذا أسف الانسان على جهله بصناعة غير بنى جنسه فهو على جهله
بصناعة أبناء جنسه أشد ملامة وأدنى الى الندامة وأبعد عن الكرامة وأقرب الى الالهانة . وهذا يناسب
قوله تعالى في سورة النساء - إن يشأ يذهبكم أبها الناس - لجهالتكم بمجائب خلقى وتباعدكم عن التبهر
فى عامى والشرب من مناهل فضلى - ويأتى بآخرين - أعلم بخلقى قبلوا النعمة فشكروها وسقنوها لم فقبولوها
وذلك أيضا قوله تعالى - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض - . أوليس هذا من عجائب
الملكوت فان الدقة المتناهية فى صناعة القطن حتى يصير مواد مفارقة من أعجب المجائب وأبدع الغرائب
واذا جاء فى الأعراف - يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوا أنفسكم - . وقد جعل المفسرون من هذا
اللباس القطن . فها هو يقول هنا - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة - فكان من تلك القوة القطن
المذكور فى السورة قبلها وكأنه لما قال - ذلك من آيات الله - مشيرا الى قوله - أنزلنا عليكم لباسا يوارى
سوا أنفسكم - يرمز الى ما نحن بصدده أى يقول ان اللباس الذى أنزلته عليكم من آيات الله أى الدالات على
عجائب الصنعة ومن ذلك اللباس القطن ومنه تكون المواد المفارقة . فلذلك جاء فى سورة الأنفال هنا يقول
- وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة - ومن تلك الاستطاعة استنباط المفارقات من القطن الذى عد من آيات
الله . وقيل بعدها - لعالمهم يذكرون -

لعمري ما أجل العلم وأبهج الحكمة وأبدع القرآن . وما أطف هذا المقام فله الحد اذ أنعم بفضله
على عبده وأطعمه أن ينظم هذه الآيات فى نظم ويجعلها متألفة متتالية . قد التأمت فيها المصلحة الدنيوية
بالمجائب الالهية . فهذا وأمثاله فليفسر القرآن فى هذا الزمان . والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم
واعلم أن هذا النهج من التفسير يبين اتحاد المطالب الدينية والدنيوية والآخرة والأولى . ولا تعجب من
هذا ولا يكن فى صدرك حرج فنفس القرآن قد صرح بهذا فى سورة البقرة فقال - وزاده بسطة فى العلم
والجسم - فهنا زيادة البسطة فى العلم تظهر فى المركبات الكيميائية ووزنها ونظامها . وكيف يكون القطن
مع حض الكبريتيك ومع حض النيتريك بمقادير محدودة . وكذلك الكحول والأثير والنشارة والتراب
والجلسرين فى صنع الديناميت . فعرفة هذه المقادير وتركيبها أثر من آثار العلوم التى تدرس فى المدارس فى
العالم الانسانى . ومتى صنعت هذه المقادير واستخدمها أقوياء الأجسام غلبت الأمة غيرها . ولا جرم أن
رجال الشرق اليوم أقوى أبدانا وأصح أجساما من رجال أوروبا ضعافى الأبدان . فاذا صنعوا هذه
المصنوعات غلبوهم لا محالة كما غلب جمع صغير من أهل مرا كش دولة اسبانيا على جلاله قدرها وعظم خطرها
فما بالك اذا عرفوا هذه الصناعات ودرسوها حق دراستها . فهنا يتم (الأمران) البسطة فى العلم
والبسطة فى الجسم . ولذلك أعقبه بقوله - والله يؤتى ملكه من يشاء - ثم ختم الآية بقوله - والله واسع
عليم - فالتفسير بأنه يؤتى ملكه من يشاء بعد ذكر البسطة فى العلم والجسم دال على أن الأولى بالملك العالمون
الأقوياء . فقوة العقل وقوة الجسم هما مفتاح الممالك والسلطان عليهما . والتعبير بأن الله واسع وأنه عليم
اشارة الى أنه تعالى لانهاية لمعلوماته ومعلوماته متقنة واسعة المدى . ولذلك نرى الأمم تنسابق الى الاستفادة
من سعتها . وكل من كان أسبق الى علمها كان أولى بالملك - وفوق كل ذى علم عليم -

﴿ زهرة ناضرة بهجة في قوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الح - ﴾
اعلم أن القوة ﴿ نوعان ﴾ نوع مادي ونوع معنوي . أما المادي فظاهر مما تهتم . وأما المعنوي
فذلك هو ما يحدث الثبات في النفوس ويقوى القلوب . ومن أهم ذلك كتمان الأمور وإظهار الجملد وعدم
الإباحة بما في البواطن والأسرار * قال أبو مسلم الخراساني الذي أباد الدولة الأموية وكان السبب في ظهور
الدولة العباسية في المثلث الأول من القرن الثاني الهجري

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
ضربتهم ضربة بالسيف فانتبهوا * من رقدة لم ينلها قبلهم أحد
ومن رعى غنما في أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

وفي الحديث ﴿ الحرب خدعة ﴾ وفي آيات هذه السورة سرّ الحرب بل أهم أسرار هذا الوجود . ألا ترى
إلى قوله تعالى - واذ يريكم وهم إذ اتقيتم في أعينكم قليلا وبقلالكم في أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا الح -
قلل الله الكثير قبل الابتداء في الحرب . وهكذا كثيرا قليل في أعين الكفار لينهزموا وبشر المسلمين بالنصر
والفوز والملائكة . كل ذلك من القوة المعنوية . ومن عجب أن أكابر رجال الحرب الكبرى التي حدثت
سنة ١٩١٤ وانتهت سنة ١٩١٨ قد أعلنوا في الجرائد في هذا الأسبوع من شهر (مارس سنة ١٩٢٧)
سرا من أسرار الحرب ونبا من أنباء التدبير وحسن النظام والتعقل وذلك أنهم كتبوا أن فرنسا (يوم أن
أعلن الألمان أنهم راضون بشروط الحلفاء) كان جيشها في غاية الانحلال . وقد اختمرت الثورة في الرأس
وأخذ الضباط والجنود يتسللون لوإذا طالبين الخروج من مأزق الحرب فكان رؤساء الفرق يحضرون هؤلاء
أمام المدافع ويقتلونهم أفرادا وعشرات ومئات . وكان ذلك كله سرا بحيث لا يطلع رئيس فرقة على ما عند
غيره من الفرق حتى باتت رئاسة أركان الحرب في حيرة وألم وخوف شديد من ذهاب الدولة وضياع البلاد
فكان جهل الألمان بما هو داخل الجيش الفرنسي هو السلاح الأقوى الذي به كسب الحلفاء الحرب .
ولو علموا حقيقة الموقف عند الجيش الفرنسي لضربوهم ضربة قاصمة في بضع ساعات ولاتهى الأمر وجاء
الفوز وانعكست الآية فأصبح الغالب مغلوبا والقاهر مقهورا وبذلك الحال والله عليم حكيم

﴿ مسامرة ﴾

ههنا أسامرك أيها الذكي . ههنا أحدثك عن الجلال والنور والعرفان والبهجة والعلم . أحدثك عن
هذا السرّ البديع والنظام الجليل . هذا هو الجلال هذا هو النور . أنظر في آيات هذه السورة وغيرها
إذ يقلل الله الكثير ويكثر القليل . وتعجب من أن يقلل الكثير وتكثر القليل هو سرّ هذه الدنيا . رجال
الحرب لا يعقلون إلا ما أمامهم ولا يفقهون إلا أن النصر حليفهم بكتانهم وخزمتهم وعزيمتهم . نعم هذا
حسن ولكن هناك ما هو أحسن وأجمل من العلم والحكمة . أنظر هذا الوجود تراه مبنيا على هذه النظرية
نظرية تقليل الكثير وتكثر القليل . هذه هي السياسة التي تراها بأعيننا . ونسمعها بأذاننا - ولكن
أكثر الناس لا يعلمون - . ألا ترى رعاك الله مناظر النجوم والشمس والقمر . فانظر كيف قللها الله في
أعيننا . الشمس جرم صغير والقمر في أعيننا والكواكب الثابتة والسيارة صغيرات جدا تراها مقدار الليمونة
تتألا في جو السماء . وحقيقة الشمس والقمر والنجوم غير ذلك . حقيقتها أنها أجسام هائلة عظيمة
حتى أن أرضنا بالنسبة للشمس جزء من أكثر من ألف ألف جزء من الشمس والثوابت التي تراها صغيرة
هي أجسام أكبر من شمسنا بما لا حد له حتى أن كوكب (السمك الراح) يبلغ نوره (٨٠٠٠) ثمانية آلاف
ضعف نور الشمس وهناك ما هو أعظم وأعظم فلو أن الله جعل أعيننا تنظر إلى الشمس وإلى تلك الكواكب
نظرا بجلى حقائقها ويظهر صورها وأنوارها على ما هي عليه لعميت الأبصار في لمح البصر أو أقرب . وكيف
لا تعمى الأبصار وتلك أضواء تفوق الوصف . وإذا كانت شمسنا الصغيرة لا تطيق أن نحقق فيها على الأرض

وبيتنا وبينها نحو ٣٦٥ سنة بسير القطر البخارية في أرضنا (١٢) سنة بسير قلة المدفع . فكيف بنا اذا رأيناها كأنها أمامنا . فهل يبقى لنا بصرا . ويبقى لنا وجود . واذا كان هذا في شمسنا الضعيفة فما بالك بالشموس الأخرى التي نسميها كواكب ثوابت . أأنت ترى معي أن سياسة الأمم في حربها أشبه بما نرى في هذا الوجود كما سمعت عن أبي مسلم الخراساني وعن الأمم الأوروبية كالألمان الذين يكتمون ما يخترعون من المدرات وكاليابان الذين لما حاربوا الروس اختبأت سفنهم في البحر بأن لونوها بلون يشبه لون الماء وزرقة الجوّ فلم يفرق الروس اذن بين الأمواج والجوّ وبين سفن اليابان فانقضّ الآخرون على الأولين فأهلكوهم وكسبوا قضية الحرب . فهذه من تقليل الكثير لأنهم أوهموهم ألا سفن أمامهم ثم انقضوا عليهم . إن الله عز وجل جعل نظامه واحدا . فاذا أرانا النجوم ضعيفة الضوء على حسب القانون المعلوم من أنه كلما طال البعد صغر الجسم فذلك ليسعدنا بالنظر اليها فندرسها ونعلم سيرها . وبهذا نساfer في البر والبحر بأنواع التجارة . فاختفاء الحقائق هنا وكمائها لمنفعة الناس . قل الله في أعيننا تلك الأنوار العظيمة لاسعادنا بالتجارة والسفر للعلم واكسب الرزق وأخفى الألمان والفرنسيون والمسلمون وغيرهم في حروبهم أحوال جيوشهم فنصروا . أخفى الله عظمة النور عن أعيننا بتباعد الأجرام المضيئة وأخفى اليابانيون سفنهم باعطائها لونا يشبه لون الماء . ونتيجة الأمرين واحد هو جهل الحقائق فيكون النفع العظيم اللهم انك محمود على جهلنا كما انك محمود على علمنا . جهل الانسان أجله فعمر وزرع ونظم وهندس ودبر وأحكم وبنى . كل ذلك لتكثير القليل . ربما لا يبقى من عمر الانسان الا أيام أو ساعات ولكن الله وضع في قلبه آمالا جساما . يطوف طائف الموت وينعب يوم الفناء وغراب الفراق والانطلاق من هذه الحياة ويدنو ملك الموت من المرء ولكن الله يكثر القليل في عينه ليدلوم على العمل ويقتطف الثمرات غيره فهذا هو تدبير الله في خلقه وقد قلده عباده لاسيما رجال الحرب ونحن في هذا التفسير (اذا رأينا هذا الجلال في العالم الذي نعيش فيه وأن مانسمعه في حروب الأمم نشاهده أمامنا وقليل ما نعهقه) أشد فرحا وأعظم نصرا وأعز نفرا وأكثر جندا من قواد الحروب لأن ولوج أبواب العرفان والنصر على جيوش الغفلة والجهالة أرفع مقاما وأوسع فناء وأرقى درجة وأقدس منزلة وأبعد مدى وأبقى أثرا

ان اللذات النفسية تكون على حسب المعلوم فكما كان المعلوم أشرف كانت اللذة به أقوى . وأى لذة أقوى مما تلاحظه نفوسنا من جمال هذا العالم الذي ينظره أكثر الناس وهم لا يعقلون ما ينظرون - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - . ومن ذا الذي كان يظن أن تقليل الكثير في الآية يحوى هذه المعاني ويجوس بلاد الألمان والروس واليابان وكواكب السماء ودنوا الآجال . أم من ذا الذي كان يظن أن آية واحدة من القرآن تسطع أنوارها وتشرق في ميادين الحرب والبضال ومشارق الأنوار في عوالم السماء وتكوين الأجنة في البطون إذ يكثر صانع هذا العالم القليل من الذرية في أعين الأمهات والآباء فلا ترى أبا ولا أمّا يستطيعان فراق طفل أمره هين ضعيف جسمه قليل أثره فيكبر في أعينهما حتى يكون أعظم قدرا من الملوك والأمراء والعلماء والحكام ويتجسم عندهما . فاذا قلل الله أمر الشمس والكواكب لنعيش بهذا التقليل وتقوى أبصارنا على رؤية النور الضئيل الذي يناسب عيوننا . فهو هكذا عكس القضية في أمر الذرية فعظم الولد في أعين أبويه حتى خييل لهما أنه سيكون أشجع من عنتره وأقضى من أبي حسن . وأخطب من قس بن ساعدة وسحبان . وأحلم من الأحنف بن قيس . وأوفى من السموءل ابن عاديا . وأسوس من (بسمارك) . وأدهى من سيدنا عمرو بن العاص . وأجل من سيدنا يوسف عليه السلام . وأعلم من عالم قریش الذي يملأ طباق الأرض علما . وأرقى في الفلسفة من سقراط . وفي الهندسة من اقليدس . وفي الفلك من (فلامريوس) . وفي الانشاء من ابن المقفع والصابي . وفي الشعر

من أبي العلاء المعري وشوقي بك المصري

هذا ما جعله الله في الأرض قانونا عاما ان كبر صغير الأبناء في عيون الآباء رحمة بالأولين وتسخيلا للآخرين كما كبر بالآلات المكبرة الأحجام فعرفنا سرها . ذلك كله من سرّ قوله تعالى في هذه السورة - واذ يريكموهم اذ اتقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم - فجّل العلم وجلّ الله الذي أتقن كل شئ وأحسنه وقدره تقديرا ووزنه بيزان عدل . فسخرنا بالتقليل والتكبير ونحن غافلون عما يراد بنا وكأن التقليل والتكثير المذكوران من أهم الأعمال الحربية والنظم العسكرية وتربية الذرية ونظام هذا الوجود كالجموعة الشمسية . انتهى يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان سنة ١٣٤٥ هجرية . هذا نهاية الكلام في قوله تعالى - وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة - والحمد لله على ما أنعم

﴿ وانشرع في الكلام على تفسير بقية السورة ﴾ قال تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى الخ) اعلم أن الغنائم لم تحل للأُمّ قبلنا فلذلك تجد التوراة التي بين ظهرائنا مصرحة بهذا في مواضع كثيرة وكانت نار تنزل من السماء فتحرق ما غنموه من الأعداء ويحرم عليهم أن يتعاطوه . فلما كان يوم بدر وجيء بالأمرى وهم سبعون أسيرا فيهم العباس وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم أبا بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعلّ الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوّة على الكفار . وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فدعهم نضرب أعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حنظلة من العباس فيضرب عنقه ومكني من فلان (نسب لعمر) فأضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر . وقال عبد الله بن رواحة أنظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحلك فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه ثم دخل ثم خرج رسول الله ﷺ فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال - فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم - ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال - إن أعدّتهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم - ومثلك يا عمر مثل نوح قال - رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا - ومثلك يا عبد الله بن رواحة كمثل موسى إذ قال - ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم - ثم قال رسول الله ﷺ اليوم أتمّ عالة فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الاسهيلي بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام ثم بعد هنيئة قال رسول الله ﷺ الاسهيلي بن بيضاء ثم قال ﷺ ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم فقالوا بل نأخذ الفداء . قال عمر فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله ﷺ وأبو بكر بيكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شئ تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد تبكيت لبكائكما فقال رسول الله ﷺ أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله ﷺ فنزل قوله تعالى (ما كان لنبي) * وقرئ - ما كان للنبي - (أن يكون له أسرى حتى يشخن في الأرض) يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى أهله . يقال أنحنه المرض اذا ألقاه وهو من الشخانة إذ قام النبوة لنشر الدعوة وتثبيت الايمان وهداية الناس وهذه أوّل غزوة غزوتوها فما كان لكم أن تستبقوا الأعداء لأخذ الفداء بل كان الاثنان فيهم أخرى بكم (تريدون عرض) الحياة (الدنيا) واقتطاف الثمرة قبل أوانها بأخذكم الفداء (والله يريد الآخرة) يريد لكم سبب نيل ثوابها من اعزاز الدين وقمع الأعداء (والله عزيز) يغلب أولياؤه أعداءه (حكيم) في تدبيره صالح عباده (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ألا يعاقب المخطئ في اجتهاده . أولا يعذب أهل بدر أو قوما بما لم يصرح لهم بالهوى عنه أو ان الفدية

التي أخذوها ستحل لهم (لمسكم) لأصابتكم (فيما أخذتم عذاب عظيم) وقوله من الله صفة وسبق صفة ثانية لكتاب وخبره محذوف أي موجود * قال محمد بن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدرا الا وأحب الغنائم الا عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ . ولذلك قال رسول الله ﷺ لو نزل عذاب من السماء لما نجما منه غير عمر وسعد بن معاذ (وذلك) لأن كلا منهما أشار بالانحان ثم اعلم أن قوله تعالى - تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة - تنبيه على ما تقرّر في الدين والحكمة أن تراكم الأموال واقبال الدنيا مدعاة للتوغل في اللذات والشهوات كما ورد في حديث البخاري أن رسول الله ﷺ قال (ان أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا وزخرفها فقال قائل يا رسول الله أويأتى الشر من الخير) فشبهه رسول الله ﷺ حال الدنيا واقبالها بحال البهائم الرائعة في الكلاء فهي (قسمان) قسم يأكل ويشرب وينام في الشمس وهو صحيح سليم . وقسم منها يأكل ما يضره من الحشائش أو يميته وان الكلاء والحشيش انما نبت بسقى الماء النازل من السماء . فالطرخيز والنبات منه ما ضرّ ومنه ما نفع . فهذا هو مثل الدنيا وعلى ذلك كانت الغنائم وكثرتها من أسباب تأخر الأمم اذا نامت على وساد الراحة وبطرت وفرحت فيخرج جيل قليل القوة لم يتعود العمل فتضيع الأمة وتهلك شأن الكاسلين النائمين ولقد علم الله أن هذه الأمة ستدو إلى عليها الغنائم فذكرها بالعذاب وبكى الرسول ﷺ ثم أحلّ لهم ذلك واكتفى بوعظ الرسول لنا وتحذيرنا من الدنيا وغرورها وأن القرآن مملوء من التزهيد في الدنيا وأن نبينا رحمة للعالمين ونحن تابعوه وهكذا فافهم . ولما نزلت الآية التي نحن بصدددها كف أصحاب رسول الله ﷺ أيديهم عما أخذوا من الفداء والغنائم فنزل (فكلوا مما غنمتم) من الفدية وبقية الغنائم (حلالا) حال من المغنوم (طيبا واتقوا الله) في مخالفته (إن الله غفور رحيم) أباح لكم ما أخذتم (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى) * وفي قراءة - الأسارى - (إن يعلم الله في قلوبكم خيرا) إيمانا واخلاصا وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء بأن يعطيكم في الدنيا أضعافه أو في الآخرة ثوابا (ويغفر لكم والله غفور رحيم) * نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة إلى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الوقعة ببدر فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقبلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرون أوقية معه فلما أسر أخذت منه فكام رسول الله ﷺ أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى رسول الله ﷺ وقال أما شئ خرجت به لتستعين به علينا فلا تركه لك وكلف فداء ابني أخيه عقييل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تركني أتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله ﷺ فأين الذهب الذي دفنته أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم (يعني بنيه) فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني به ربي قال العباس أشهد انك لصادق وأشهد أن لا إله إلا الله وانك عبده ورسوله لم يطعم عليه أحد إلا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل وأمر ابني أخيه عقيلا ونوفل بن الحرث فأسلما قال العباس فأبدلني الله خيرا من ذلك إلى الآن عشرين عبدا ان أدناهم ليتجر في عشرين ألفا وأعطاني زمزم وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربكم * وروى أنه قدم على رسول الله ﷺ مال البحرين وهو ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني قال تعالى (وان يريدوا) أي الأسرى (خيانتك) نقض ما عاهدوك عليه (فقد خانوا الله من قبل) بأن كفروا ونقضوا ميثاقه المأخوذ عليهم من الدلائل العقلية (فأمكن) أي أمكن الله المؤمنين (منهم) ببدر فقتلوا وأسروا فان عاد نقضهم العهد عاد الامكان منهم

(والله عليم) بما في بواطنهم من خيانة أو نقض عهد (حكيم) يجعل العقوبة على الذنب والثواب على الحسنات (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) وهم المهاجرون (والذين آووا ونصروا) أي آوهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الأنصار (أولئك بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة أو بالنصرة دون القرابات • وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالأرحام حيثما كانوا فصار ذلك منسوخا بقوله تعالى - وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله - (والذين آمنوا ولم يهاجروا) يعني آمنوا وأقاموا بمكة (مالكم من ولايتهم من شيء) يعني من الميراث (حتى يهاجروا) إلى المدينة (وان استنصروكم في الدين) أي ان استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا (فعليكم النصر) أي فعليكم نصرهم وأعاتهم (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد فلا تنصروهم عليهم لأن ميثاقهم يمنعهم من أن يبتدؤا القتال فكيف يمينون الذين لم يهاجروا على قوم لا يبتدؤن أذاهم (والله بما تعملون) من صلح وغيره (بصير) والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) في الميراث • ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وإيجاب مبادعتهم ومصادمتهم وان كانوا أقارب وأن يتركوا يتورث بعضهم بعضا (الانفعاله) أي الانفعلاوا الا ما أمر ربكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضا في التوارث تفصيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم يجعلوا قرابة الكفار كلقرابة (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) أي تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين مالم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا كما هو حاصل اليوم فترى أمراء الاسلام وعظماءه يتقربون من الفرنجة ويقاثلون معهم المسلمين في العراق والشام وبلاد الجزائر ومرا كش ولولا اعانة المسلمين في الحرب العامة لأوروبا على المسلمين ما أخذوا بلاد الاسلام ولولا اعانة المسلمين للحلفاء لا تنصرت ألمانيا على الحلفاء ولكن المسلمين ضيعوا مجدهم وقاتلوا في صفوف الأعداء ضد اخوانهم فانقلب الفرنجة عليهم وقسموا بلاد الاسلام بينهم فأخذ الانجليز العراق وفلسطين وأخذ الفرنسيون الشام كما أخذت فرنسا قبل أربعين سنة تونس وقبلها الجزائر وأخذت انكلترا مصر واقتسم الفرنسيون والأسبان مرا كش • كل هذا لتقاطع المسلمين وجهاتهم ومصادق لقوله تعالى - لا تنفعوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير - فهذه هي الفتنة وهذا هو الفساد الكبير وأي فساد أعظم من هذا أن يصبح المسلمون وممالكهم كقطع الشطرنج تنقل في الرقعة بلا علمها ويساقون للعذاب الهون • ذلك لقلّة العلم فيهم وغلبة الجهل وأن الطمع قد غشى على العقول والنفوس فلا ينظرون إلا بشهواتهم ولا يسمعون الا بأطماعهم القصيرة النظر العديمة الجدوى (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) • ولما بين الله أحكامهم من حيث المعاملات أخذ يبين حقائق إيمانهم وما أعد لهم تبينا لأحكام الآخرة بعد أحكام الدنيا • وأيضا لما جعل الله في أول السورة المؤمنين حقا هم الذين يوجلون عند ذكر الله ويزيدون إيمانا بتلاوة آياته ويتوكلون على ربهم ويطيعون الصلاة ويؤتون الزكاة أبان في آخرها هنا أن المهاجرين والأنصار قد استوفوا شروط المؤمنين حقا ولذلك أعقبه بقوله (لهم مغفرة) لدنوبهم (ورزق كريم) في الجنة (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم) يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة (فأولئك منكم) وذلك للترغيب • واعلم أن المهاجرين الأولين هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة قبل صلح الحديبية والمهاجرون الهجرة الثانية هم الذين هاجروا بعد صلح الحديبية إلى فتح مكة فقوله - والذين آمنوا وهاجروا إلح - يقصد به الهجرة الأولى وقوله - والذين آمنوا من بعد إلح - يراد به والله أعلم الهجرة الثانية فأما بعد فتح مكة فقد صارت دار اسلام لقوله ﷺ (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) أخرجاه في الصحيحين • وقال الحسن الهجرة غير مقطوعة أي من بلد يخاف المؤمن على اظهار دينه فيه

من كثرة الكفار فهذا يجب عليه أن يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه وفي هذا افهام أن المهاجرين الأولين أفضل من الذين بعدهم فألحقوا بهم - قال تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية فهذا تبين أن سبب القرابة أولى وأقوى من سبب الهجرة والاخاء فهذا نسخ لما تقدم . وكتاب الله أى حكمه أو اللوح المحفوظ . وتمسك أبو حنيفة بهذه الآية في توريث ذوى الأرحام . أما الشافعى رضى الله عنه فقال كتاب الله حكم الله الذى بينه في سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالأحكام التى ذكرها في سورة النساء من قسمة الموارث واعطاء أهل القروض فروضهم (ان الله بكل شئ عليم) يعنى انه سبحانه عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية

(لطيفة)

بينما أنا أكتب فى تفسير هذه الآية وأنقل آراء الاماميين الجليلين أبى حنيفة وامامنا الشافعى رضى الله عنهما واختلافهما واجتهادهما مصلحة الأمة . وكيف يقول أحدهما لا توريث لذوى الأرحام ويورثهم الآخر ويحتج كل منهما بحجة على مافتح الله عليه . فهذا يقول أولوا الأرحام يشمل من فى آية الميراث وغيرهم . والآخر يقول حكم الله الذى ورد فى سورة النساء يقيد - ولكل وجهة هو موليها - رأيت أنه مما يجب على فى هذا المقام . لقد اجتهدا فأحسنا الاجتهاد وحافظا على حقوق الأقارب بقدر طاقتهم البشرية . ولأنهما كانا حين ورأيا أوروبا وانهازها الفرص لاضطهاد الأمم الاسلامية وارتقاءها بالعلوم والمعارف والغنى والثروة والعلوم الطبيعية وما سخر الله لهم من العوالم المادية فأصبحوا ولهم مشارق الأرض ومغاربها . لوأنهما كانا حين لقالا معا بصراحة ان قوله تعالى - قل انظروا ماذا فى السموات والأرض - وقوله - انظروا الى ثمره اذا أثمر - وقوله - هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا - وقوله - وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين * وسخر لكم الليل والنهار - وقوله - هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب - من الآيات التى تبلغ سبعمائة وخمسين آية من القرآن أقول لو كانا حين ونظرا ما نظرناه لقالا ان هذه العلوم يجب دراستها فى جميع أقطار الاسلام دراسة كما تدرس الأحكام الشرعية بعناية أتم واهتمام أكمل . ولقد أوجبت المذاهب كلها العلوم والصناعات على سبيل فرض الكفاية . ولكن علماء الاسلام لم يعطوها العناية الكافية ولوأن فى المسلمين مجتهدين الآن متيقظين لأحيوا العهد الأول وحرصوا المسلمين على علوم الكائنات وسبق المسلمون الفرنجة وإقال لهم علماءهم من عرف فن الطبيعة والفلك والكيمياء فله ثواب من قرأ للميراث والوضوء والصلاة لأنها كلها علوم دينية لوأن هذين الامامين كانا حين لرأينا خلافهما فيما يجب على المسلمين من تلك العلوم ولرأينا حرصهما الشديد على أمتنا المسكينة

حرام على علماء الاسلام أن يناموا . حرام عليهم أن يذروا الأمة تتخبط وهم نائمون . حرام على الحكماء فى مصر وفارس والعراق والشام والترك وشمال أفريقيا وبلاد نجد أن لا ينفشروا وجوب العلوم على المسلمين ليسابقوا الفرنجة وليقاوموهم . فانظر كيف بلغ من اجتهاد امامينا أن بالغوا فى مبحث أولى الأرحام هل هم خاصون بمن ذكروا فى الآية . أم هم أعم منهم مع ان المال الموروث لا يزيد بهذا التقسيم سواء أكان للعموم أم للخصوص . ان المال الموروث لم يزد بعد هذا كله ولكن المسألة فى أن يعطى كل ذى حق حقه من أقارب الميت . هذا هو الخلاف فى الآية

فانظر لجهالة المتأخرين من المسلمين وقد رأوا بأعينهم أن الغربيين قد سخرروا الطبيعة فاستخرجوا منها أموالا وأموالا حتى أحاطوا بنا من كل جانب وفتحوا الممالك شرقا وغربا ودخل كل بيت من بيوتهم مكاسب ومكاسب ونالوا حظا عظيما مما رزقهم الله بهداية عقولهم وارشاد حكمائهم وتبيان رؤسائهم . كل ذلك رأوه فلم

فلم يحركوا ساكنا ولم يقولوا يا أبناءنا المسلمين ويا اخواننا المحمدين هذه أرض الله لكم وعوالمه فاملكوها واستخرجوا كنوزها حتى تقوى أمة الاسلام . وانظروا كيف كان أئمتنا يحافظون على القليل الموروث فلا يأخذ زيد مال عمرو . فكيف لا نحافظ على مال الأمة كلها الغنى والفقر والعظيم والحقير ذلك المال المستخرج من الأرض والجبال والهواء والماء . دونكم وخواص الطبيعة وعجائب الكيمياء وكيف وصل الألمان الى استخراج النترات من الهواء وأصبح الهواء المحيط بالأرض كنزا لآلات الحربية وللسماد في الزراعة ومكبسا عجيبا والمسلمون يتنفسون في الهواء ويشربون الماء وهم غافلون عن استنباط الحيل في استخراج كنوزها . وكيف أصبحت حركات الماء النازل من أعلى الى أسفل كما في شلالات مصر أو الخزانات التي أنشئت على النيل مبدأ الكهرباء التي تبعث النور وتوقد النار وتجري القطرات وتعطي الأمة من الفوائد ما لا حصر له . فاذا جئنا أئمتنا وبحوثا ودققوا حفظا لمال الأفراد . فبالتى شعري كيف قصرت أنظار المتأخرين فناموا نومة أهل الكهف فلم يرفعوا أبصارهم الى الميراث العام الذى يملأ البيوت جميعها مالا ويورثها جلالا ويجعل للأمة جمالا وكالا . فالأرض كلها لله - ولله ميراث السموات والأرض - وهذا هو الميراث الذى سخره لنا فقال - وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه - فهو الوارث وهو المسخر ومن أعرض عن النعم فهو حقيق بالحرمان ومن كسل عن مواهبه باء بالحسران

﴿ الميراث ميراثان ميراث الحى وميراث الميت ﴾

ان ميراث الميت ميت وميراث الحى حى . فالله هو الحى وهو الذى له خزان السموات والأرض . ان ميراث الميت فى علم الفقه انما ينفع أسرة واحدة بخلاف ميراث الحى فانه ينفع الأمم كلها . وميراث الميت يجعل الوارث بطيء الحركات قليل الهمة . وميراث الحى وهو الله يعطيه للناس على قدر أعمالهم لتقوى أبدانهم وتصح عقولهم فهو عدل . ولقد نجد الدين رقوا أمهم فى الزمان الحاضر من العصاميين الذين لا مال لهم ورثوه فجثوا فى العمل فرفعوا شأن الأمم . فأما الملوك الذين ورثوا ملكهم عن آبائهم فكثير منهم أصابوا الأمم بالنكبات وأحلوا بها الأزمات . ولقد ترى الأمم الانجليزية ضربت على كل تركة مقدارا من المال يكثر كلما كثرت التركة ويقل كلما كان المال قليلا . ونرى البلشفية منعت الملك وأمرت جميع الأمة بالعمل لترقى البلاد بأعمال أبنائها . النوع الانسانى اليوم ولى وجهته شطر ميراث الله الذى له خزان السموات والأرض فعلى المسلمين أن يوجهوا عنايتهم لذلك الميراث الذى يسع الممالك كلها ولم يضيق الله على أمة فيه ولم يمنعه عن أحد وانما يعطيه بالعلم فكلما كان الناس أكثر علما بمصنوعاته كانوا أكثر ثروة وغنى ان الأنبياء لم يورثوا مالا ﴿ نحن معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة ﴾ فالنبوة فتحت باب العلم على مصراعيه ولكنها أقفلت باب المال من ناحيتها تنبيها على تلك الخزائن الالهية والموارث الربانية . ومن هذا المقام - يرثى ويرث من آل يعقوب - ذلك ميراث العلم فالأنبياء يورثون الناس علما وذلك مفتاح خزان السموات والأرض

وعسى الله أن يجدد لهذه الأمة أمرها ويرجع مجدها ويرفع عنها نيرها ويجعلها رجة للعالمين . اللهم انى لا أريد بكتابتى إلا رقى النوع الانسانى وأن يكون المسلمون أرشد العالمين وأصلح بنى الانسان وأن يكونوا قادة وسادة ورجة لهم لا يظلمون ولا يظلمون . انتهى تفسير سورة الأنفال

سورة التوبة

هي مدنية بالاجماع إلا آيتين في آخرها - لقد جاءكم رسول من أنفسكم الخ - فانهما نزلتا في مكة وهي مائة وتسع وعشرون أو ثلاثون آية وترك التسمية في أولها لأنها نزلت لرفع الأمان والبسمة أمان لأن الرحمة فيها وأي أمان فوق الرحمة والتسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة وعيد ونقض عهود * وقيل ان الصحابة اختلفوا في سورة الأنفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم هما سورة واحدة لأنهما نزلتا في القتال ومجموعهما معاً مائتان وخمس آيات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال * وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيهاً على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيهاً على قول من يقول هما سورة واحدة وسأل ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك سيدنا عثمان رضي الله عنه فقال كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السور التي يذكر فيها كذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيها بقصتها وظنفت انهما منها وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا انها منها أو من غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطوال . أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن اهـ

﴿ تقسيم سورة براءة ﴾

هي أربعة أقسام ﴿ أولها ﴾ الآيات التي قرأها سيدنا علي بن أبي طالب يوم الحج الأكبر وهي أربعون الى قوله - فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل - ﴿ ثانيها ﴾ التحريض على الجهاد والافتاق في سبيل الله ووصف اليهود والنصارى والأحبار والرهبان والجزية والأشهر الحرم من قوله - الاتنفروا يعذبكم - الى قوله - ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون - ﴿ ثالثها ﴾ في المنافقين وتوبيخهم وأحوالهم من قوله تعالى - لو كان عرضاً قريبا وسفراً قاصداً - الى قوله - أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم - ﴿ رابعها ﴾ الكلام على المؤمنين وأحوالهم من قوله - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم - الى آخر السورة

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُمْ خِيَرَةٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ
 فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ * كَيْفَ يَكُونُ
 لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا
 لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ
 إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * أَسْتَرَوْا بِآيَاتِ
 اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَسَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا
 ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ * فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ
 وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ
 فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ
 وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَوُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ اتَّخَشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ
 مُؤْمِنِينَ * وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ
 حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا
 رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ
 اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمُرُ
 مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى
 أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *
 الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ
 أَوْلِيَاءَ إِنْ أُسْتَحْبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ

إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ أُفْتَرَفَتْ مِنْهَا
 وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي
 سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي
 مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ
 عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ
 اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ
 فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
 مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ
 عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ
 قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أُنَّى يُؤْفَكُونَ *
 اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا
 وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى
 اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
 لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
 وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ
 وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُخْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
 فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا أَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
 تَكْتَنُونَ * إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ
 كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ

يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ *

اعلم أن هذه الآيات أربعون وهي التي قرأها سيدنا علي يوم الحج الأكبر (العيد) على الناس وخلص هذا المقام أن رسول الله ﷺ كان مأمورا أن لا يقاتل المشركين أولا والآيات في ذلك كثيرة مشهورة ثم بعد ذلك أمر أن يقاتل من قاتله * قال الحسن أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بقتال من قاتله من المشركين فقال - وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم - فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لأحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر اه
وقوله رضي الله عنه فلم يكن لأحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر أى إلى ابني حزة وهم حى من كنانة أمر رسول الله ﷺ باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا عهدها وكان ابتداء الأشهر الأربعة يوم الحج الأكبر أى يوم العيد وكان ذلك في العام العاشر من شهر ذى القعدة فآخر الأشهر الأربعة العاشر من شهر ربيع الأول وانما كان الحج في شهر ذى القعدة لأجل النسيء الذي كان يحسبه العرب فلما كان العام الذي بعده صار الحج في العاشر من ذى الحجة وفيها حج رسول الله ﷺ وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض الحديث وهذا لمن كان له عهد أقول من أربعة أشهر فأما من لم يكن له عهد فقد جعل عهده أربعة أشهر ومن كان عهده فوق الأربعة حط أجله الى أربعة ان كان نقص شيئا من شروط العهد فأما ان كان أتم شروط العهد كبنى ضمرة من كنانة فهو لاء يوفى لهم بعهدهم

(سبب هذا النداء يوم الحج الأكبر)

اعلم أن مكة لما فتحت سنة ثمان من الهجرة وجاءت سنة تسع أراد رسول الله ﷺ أن يحج فقبل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لأحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر في تلك السنة أميرا على الموسم ليقم للناس الحج ثم بعث بعده عليا على ناقته العضاء ليقرأ على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله ﷺ من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولما كام أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ في ذلك قال أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وانك معي على الخوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميرا على الحجاج وعلي بن أبي طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل التروية بيوم خطب أبو بكر في الناس وحدثهم عن مناسكهم حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزيد بن تميم سألنا عليا بأي شيء بعثت في الحجة قال بعثت بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في حج ثم حج النبي ﷺ سنة عشر حجة الوداع فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي ﷺ حجة الوداع مشرك وأنزل الله في العام الذي فيه نبذ أبو بكر الى المشركين عهدهم - يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله - الآية وانما أمر سيدنا علي بالنداء في الناس لأن عادة العرب

جرت أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه إلا سيد القبيلة وكبيرها أو رجل من أقاربه وكان علي بن أبي طالب أقرب إلى النبي ﷺ من أبي بكر لأنه ابن عمه . ومما ذكره المفسرون في سبب هذا النداء أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى تبوك كان المنافقون يرجفون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى - وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء - في سورة الأنفال فهذه الآية النبذ على سواء . ولما وقف سيدنا علي ونادي في الناس بالآيات من أول براءة عند جرة العقبة وقال يا أيها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع وهي المتقدمة فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه إلا طعن بالرماح وضرب بالسيوف . هذا خلاصة ما ذكره المفسرون مع تشعبه فلنشرع في تفسير الآيات . قال تعالى (براءة) أي هذه براءة (من الله ورسوله) البراءة التباعد عما تكره مجاورته * قال الزجاج أي قد برى الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا (إلى الذين عاهدتم من المشركين) أي هذه براءة واصله من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) أي فسيروا أيها المشركون في الأرض كيف شئتم مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين والسياحة الضرب في الأرض والاتساع فيها والبعد عن مواضع العمارة والمعنى قل لهم سيحوا والقصد من الأمر الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الأمان وزوال الخوف والقتل والقتال وبعد الأشهر الأربعة التي شرحناها فيما تقدم وبيننا ما اخترناه من كلام المفسرين يقتل المشرك حيث أدرك ويؤسر إلا أن يتوب ويرجع إلى الإيمان . ولا تظنوا أيها المشركون انكم تفوتون الله فلا يمكن المسلمين منكم . كلا فلتعلموا أنكم لا تفلتون من أيدي المؤمنين (واعلموا أنكم غير معجزى الله) يعني ان هذا الامهال ليس لحجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب ويؤمن . ومما مثلكم في أنكم في قبضة الله وقد أمهلكم ثم اذا أخذكم وسلط المؤمنين عليكم لن تفلتوا بل تنقادون إلا كمثل ما قال طرفة بن العبد

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى * لكاطول المرخى وثنياء باليد

متى ما يشاء يوما يقده لحتفه * ومن يك في قيد المنية ينقد

فهكذا هؤلاء يسيحون أربعة أشهر كأنهم كالحوانات المربوطة في الطول وقد وضع الرجل ثنياء في يديه فبرقع الحيوان كما يشاء ومتى أراد الرجل جذبه ارتد إليه حالا هكذا الموت مع الناس وهكذا المؤمنون مع المشركين بعد الأشهر الأربعة فهم لا يفلتون بل هم في قبضتهم هذا معنى الآية لأن الله خاذل الكافرين (وأن الله مخزي الكافرين) بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب في الآخرة (و) هذا (أذان من الله ورسوله) أي اعلام صادر من الله ورسوله (إلى الناس يوم الحج الأكبر) يوم النحر لأن فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمي وإنما وصف بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر وجملة وأذان معطوفة على جملة براءة كأن الله يقول - واعلام من الله ورسوله - (أن الله) أي بأن الله وحذفت صلة الأذان تخفيفا (برىء من المشركين ورسوله) برىء على قراءة الرفع * وقرئ - ورسوله بالنصب - عطفا على اسم ان وقرئ بالجذر (حكى) أن اعرابيا سمع رجلا يقرأ - ورسوله - بالجذر فقال ان كان الله بريئا من رسوله فأنا بريء منه فليبه الرجل إلى عمر حكى الاعرابي قراءته فعندها أمر عمر بتعلم العربية وهذه قراءة واردة أيضا والجذر اما على الجوار أو على القسم فرسوله مثلثة اللام (فان تبتم فهو) أي فالتوب (خير لكم وان توليتم) عن التوبة أي تبتم عن التولي عن الاسلام والوفاء (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) غير فائتين من عذابه (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) في الآخرة ثم استثنى من قوله - براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين - فقولوا لهم سيحوا إلى آخره قوله (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا) من شروط العهد ولم

ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط كبنى ضمرة (ولم يظاهروا) أى ولم يعاونوا (عليكم أحدا) معنى من
عدوكم (فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم) أى الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين (إن الله يحب
المتقين) الذين يضعون الامور مواضعها ويوفون بالعهود مع الموفين ولا يجعلونهم كالناكثين (فاذا انسלخ
الاشهر الحرم) أى انقضت شهور العهد وانما سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها وهى التى أيسح لنا كثرين
أن يسيحوا فيها وهذا اختيار مجاهد ومحمد بن اسحق وهو الذى يناسب نظم الكلام واتزان المعنى
(فاقتلوا المشركين) الناكثين (حيث وجدتموهم) من حل وحرم (وخنوهم) وأسروهم * والأخذ الأسير
(واحصروهم) واحبسوهم أو حولوا بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) كل مرة ومجتاز
ترصدونهم به وهو منصوب على الظرف (فان تابوا) عن الكفر وآمنوا (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) حتى
تصدق توبتهم وإيمانهم (نقلوا سبيلهم) فاطلقوهم بعد الأسر والحصار ان وقعوا فى قبضتكم أودعوهم ولا
تعرضوا لهم ان لم تكونوا استحوذتم عليهم ومن ترك الصلاة ومنع الزكاة لا يخلى سبيله (إن الله غفور
رحيم) تعليل لتخليه سبيلهم فان الله يغفر بالاسلام ما قد سلف للكافر (وان أحد من المشركين) المأمور
بالعرض لهم (استجارك) استأمنك وطلب منك جوارك (فأجره) فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره
ويطلع على حقيقة الأمر (ثم أبلغه مأمنه) داره التى يأمن فيها أن لم يسلم ثم قاتله ان شئت فعلى المسلمين أن لا
يؤذوا مستأمنين وليس له أن يقيم فى دارنا وعلينا أن نمسكه من العودة (ذلك) الأمر بالاجرة (بأنهم)
بسبب انهم (قوم) جهلة (لا يعلمون) ما الاسلام وما حقيقة ما يدعوا اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى
يسمعوا ويفهموا الحق (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) كيف استفهام فى معنى الاستنكار
والتعجب ومعناه الجحد أيضا أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يفترون وينقضون العهد
(إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) وهم بنو ضمرة المتقدم ذكرهم ولم ينقضوا شرطا من شروط العهد
ولم يعينوا عليكم عدوا كما تقدم تفصيله فتربصوا أمرهم (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) أى فان استقاموا
على العهد فاستقيموا على الوفاء وهذا كقوله فيما تقدم - فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم - ولكنه مقيد هنا
بأن يستقيموا على العهد وما شرطية (إن الله يحب المتقين) الذين يتربصون ويستيقظون فى هذه الأحوال
وأماها ويميزون بين الحبيث والطيب (كيف) تكرار تعجب واستبعاد أى كيف يكون بينكم وبينهم عهد
(وان يظهروا عليكم) يغلبوكم أى كيف وحالهم انهم أن يظفروا بكم (لا يرقبوا فيكم) لا يراعوا فيكم (الا)
قراية (ولادمة) عهدا (يرضونكم بأفواههم) بالوعد بالايمان والوفاء بالعهد وهذا كلام مستأنف فى وصف
حالهم وأن ظاهرهم بخلاف باطنهم وهو يقرر استبعاد الثبات منهم على العهد وكأنه قيل لماذا يوصفون بذلك
فكان الجواب - يرضونكم الخ - (وتأبى قلوبهم) الايمان والوفاء بالعهد (وأكثرهم فاسقون) ناقضون
العهود متمردون فى الكفر لامرودة تمنعهم عن الكذب ولا فضائل تردعهم عن النكث وهذه حال أكثرهم
أما أقلهم فهم وان كانوا كفارا فهم ثابتون على العدالة فى دينهم ولذلك لم ينقضوا العهد (استبدلوا
بآيات الله) بالقرآن (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا وهو اتباع الشهوات ونقض العهود والمباغلة فى العداوات
(فصدوا عن سبيله) أى عدلوا عن دينه وصرفوا غيرهم أو صدوا عن سبيل بيته بحصر الحاج والعمار (انهم
ساء ما كانوا يعملون) والمقصود بالذم عملهم هذا ثم وصفهم هنا كما وصفهم قبلا بقوله - لا يرقبون فى مؤمن
إلا ولادمة) وهذا غير ما تقدم لأنه قال هناك - فيكم - وهنا قال - فى مؤمن - فهنا أعم * ويقال ان
هؤلاء نقضوا العهد بسبب أكلة أطعمهم إياها أبوسفبان بن حرب فذتهم الله بذلك ودلى هذا يكون هذا
خاصا بهؤلاء والأول أعم (وأولئك هم المعتدون) المجاوزون الغاية فى الظلم والشر (فان تابوا) عن الكفر
(وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم) أى فهم اخوانكم (فى الدين) لافى النسب (ونفصل الآيات)

نبيها (لقوم يعلمون) يفهمون فيتفكرون فيها وهذه جملة معترضة يعني ونبين حجج أدلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه كأنه قيل ان من تأمل تفصيلها فقد استحق منقبة العلم وذلك للتحريض على أن يتأمل الناس ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين والمحافظة عليها * وقال ابن عباس رضي الله عنهما حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة * وقال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يرك فإصلا له * وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وأبي أن يقبل الصلاة إلا بلزكاة وقال يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه يعني بذلك ما ذكره أبو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله (والله لا أفرق بين شيئين جمع الله بينهما) يعني الصلاة والزكاة * وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله ﷺ واستخف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال * ثم قال تعالى (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أي وان نقضوا العهد المؤكدة بالإيمان (وطعنوا في دينكم) وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم صاروا بذلك رؤساء مقدمين في الكفر فهم أحق بالقتل (اهم لايمان لهم) على الحقيقة وانما أثبت لهم الإيمان في قوله - وان نكثوا أيمانهم - لأنه أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال هنا لا إيمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على أن الذم اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده * وهنا قال الحنفية ان يمين الكافر ليست يميننا * ويقول الامام الشافعي ان أيمانهم لا يوثق بها ويجعل يمينهم يميننا حيث وصفت بالنكث * أقول ومتى كانت الأيمان معناها العهد لم يتأت هذا الخلاف ولا يكون الا حيث يجعل اليمين بمعنى الحلف في الموضعين وقوله تعالى (لعلهم ينتهون) أي فقاتلوا أئمة الكفر لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الإيمان * ثم أخذ يحض المؤمنين على جهاد الكفار فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا صلح الحديبية وأعانوا بني بكر على خراعة (وهو باخراج الرسول) يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة (وهم بدؤكم) يعني بالقتال (أول مرة) يعني يوم بدر اذ قالوا لا نصرف حتى نستأصل محمدا وأصحابه وبدؤا بقتال خراعة حلفاء رسول الله ﷺ (أتخشونهم) أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم (فإن الله أحق أن تخشوه) يا معشر المؤمنين فاحشوا ترك أمره (ان كنتم مؤمنين) أي ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعدده فاحشوه وهل يكمل الإيمان الا بحصر الخشية في الله وعدم المبالاة بمن سواه * ولما انتهى من توبيخهم على ترك القتال أمرهم به فقال (قاتلوهم يعدبهم الله) الى قوله (ويذهب غيظ قلوبهم) فجعل المرتب على القتال خمسة أمور (١) التعذيب بالقتل (٢) واللذل باقهر ونزول الهوان (٣) والنصر عليهم والظفر بهم (٤) وشفاء صدور المؤمنين وشفاء داء قلوبهم بما كانوا ينالونه من الأذى منهم ولا ريب أن من آذاه خصمه أمداطو يلا ثم مكنه الله منه فانه لا محالة يعظم سروره (٥) وذهب غيظ القلوب لما لقوا من المكروه * وكل هذا قد حصل وهذه من دلائل النبوة ثم استأنف قائلا (ويتوب الله على من يشاء) كبعض أهل مكة كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو (والله عليم) بما كان وما سيكون ومنه علم القلوب الصالحة للإيمان (حكيم) في قبول توبتهم وإيمانهم * ولما كان ما تقدم يرجع الى القتال واقامة الحروب واخضاع الأعداء وكان ذلك شاقا على النفوس صعبا على الناس أردفه بأن الناس في الدنيا مخلوقون للأعمال مبتلون بأثقالها والجهاد فيها فمن جد وصبر فاز ومن سقط في الامتحان نزل به الهوان وهذا هو قوله (أم حسبتم)

الى قوله (والله خير بما تعملون) أى أظنتم أيها المؤمنون أن تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تختبروا ليظهر
الصادق من الكاذب • والغث من السمين • والجيد من الردي • وهل تتركون ولم يتبين المجاهدون منكم
ولم يتخذوا - وليجة - أى بطانة من دون الله ورسوله والمؤمنين • وملخص الآية أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة
ولا براءة من المشركين - والله خير بما تعملون - يعلم غرضكم منه • ثم انه هاهنا شرع الله عز وجل يبين
فضل الايمان والجهاد ويعطى المسلمين صورة صادقة للمسلم الصادق فهو أولاً يفضل الايمان والجهاد على عمارة
المساجد لأن عمارة المسجد لا فائدة منها اذا لم يكن المعمر مؤمناً وكيف يعمر المسجد وعبادته ملغاة أم كيف
يعمر المسجد والعدو محيط به من كل ناحية • فعلى المسلم تصحيح العقائد أولاً فان الجسم لا ينشط إلا على
مقتضى الارادة وأن يجمع الجيوش ويطرد الأعداء ويخيف الأمم حوله حتى لا يطمعوا في دياره

ولعمري كيف يصلى الناس وهم خائفون • أم كيف يتعبدون في المساجد وهم محاصرون • أم كيف
يقومون بأعمالهم الدينية وهم لا يعتدون • وثانياً وضع الآباء والأبناء والاخوان والأزواج والعشيرة والأموال
والتجارة والمسكن في كفة والايمان والجهاد في كفة وفضل الكفة الأولى على الثانية • ذلك لأن من
اكتشفه العدو وأحاط به الظالمون من كل صوب فأبناؤه وأهله وأقاربه وماله ومسكنه وجميع ما يتمتع به في حكم
المفقود لأن العدو سيأخذه منه ويحرمه فاقتضت السياسة الحكيمة أن الجهاد والايمان يقدمان على سائر
ما ذكر • ان الجهاد به صيانة الأمة وحفظها • وقد هدد من أحب هذه الامور وفضلها على الجهاد والايمان
بعقاب شديد وقد عرفت العقاب فهو الذى وقع فيه المسلمون اليوم فقد ضعف الايمان وقل الجهاد فأخذ
الفرنجية المسلمين من كل جانب وهذا مصداق الآية وهذا هو قوله تعالى - ما كان للمشركين - الى قوله - والله
لا يهدي القوم الفاسقين - • وسبب نزول الآية أن أسرى بدر من قريش الذين تقدم ذكرهم في سورة
الأنفال ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ أقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ
يعبرونهم بالشرك وجعل على بن أبى طالب يوجع العباس بسبب قتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم فقال
العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا ف قيل له وهل لكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نحن
نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحبيج ونفك العاني يعنى الأسير فنزل قوله تعالى (ما كان
للمشركين أن يعمروا مساجد الله) سواء أكان المسجد الحرام أو غيره (شاهدين على أنفسهم بالكفر) باظهار
الشرك وتكذيب الرسول وعبادة غير الله وقد كان أهل مكة يطوفون بالبيت عراة وكانوا كلما طافوا طوفة
سجدوا للأصنام (أولئك حبطت أعمالهم) التى عملوها في الكفر من أعمال البر مثل قرى الضيف وسقى
الحاج وفك العاني وكل عمل ليس لله فقد حبط وبطل (وفى النارهم خالدون) أى من مات منهم على الكفر
فاذا كان أهل مكة قد عمروا المسجد الحرام فليس بنافع لهم لأمرين (الأول) أن أعمالهم حبطت بكفرهم
(الثاني) أنهم مغتصبون لحقوق المسلمين • فالأول في الآية السابقة • والثاني في قوله تعالى (انما يعمر
مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) أى انما تستقيم عمارة
المساجد لمن جمعوا بين قوتى العلم للمعبر عنه بالايمان الح والعمل باقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعدم خشية أحد
في أبواب الدين إلا الله فهو لا • وحدهم الذين يقومون بتزيين المساجد بالفرش وتنويرها بالسرج وإدامة
العبادة والتذكر ودرس العلم فيها وصيانتها فلو أوصى كافر ببناء مسجد لم تقبل وصيته وهكذا يمنع الكفار من
دخول المساجد بغير اذن مسلم وإذا دخل بغير اذن عزّر • ثم ان الله لما خص المؤمنين الموصوفين بما
ذكر بعمارة المساجد لم يشأ أن يؤمنهم من حوادث القدر بل أبقى لهم خوفاً في نفوسهم لئلا يظنوا أن
الاتصاف بما ذكر كاف للسعادة فان هناك من الامور النفسية والأخلاق السبعة والعوارض الشيطانية في
النفوس الانسانية ما يبعث على الخشية المذكورة في الآية فلذلك أعقبه بقوله (فعسى أولئك أن يكونوا من

المهتدين) بصيغة التوقع فهؤلاء مع كمالهم في الايمان يتوقع لهم الهداية . ثم أخذ سبحانه يزيده ايضاحا ويؤكد كده فقال على سبيل الاستفهام الانكارى (أجعلتم الخ) السقاية والعمارة مصدران أى أ جعلتم أهل - سقاية الحاج وهمارة المسجد الحرام كمن آمن - ثم قرر الحكم فقال (لا يستون عند الله) و بين عدم المساواة فقال (والله لا يهدي القوم الظالمين) ولا جرم أن الكفر ومعاداة النبي ﷺ ظلم فكيف يساوى هؤلاء الذين هداهم الله وقبلوا الحق ثم بين طائفة أعلى من غيرها وأعظم قدرا من أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ومن لم يستجمع الصفات المذكورة الآتية وتلك الصفات الايمان والهجرة والجهاد بالنفس والجهاد بالمال فهؤلاء أعظم درجة من غيرهم (وأولئك هم الفائزون) بالثواب ونيل الحسنى عند الله لأن المجاهد بنفسه وماله فوق المصلى المزكى الذى لا يجاهد ولذلك قال فى ما تقدم - فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين - وهنا خصهم بالفوز وأتبعه بالبشارة من ربهم بأنه يرحمهم ويرضى عنهم ويدخلهم جنات نعيمهم فيها دائم وهم خالدون فيها خلودا مؤكدا بالتأييد وعند الله الأجر العظيم الذى يحقر دونه نعيم الدنيا ولانسبة بين أعمال العاملين والأجر الذى استوجبوه . ثم أخذ سبحانه يبين أن الأمة مالم تجتمع أفرادها على رأى واحد تفرقت وحداتها وزالت جامعتها وأهم ذلك الاجتماع على الايمان وقد يستبدله قوم بالوطنية وآخرون باللغة الى آخر ما فى كتاب أهل المدينة الفاضلة للفارابى فهى سبحانه أن يتخذ المؤمنون آباءهم واخوانهم أولياء يوالونهم - ثم ان آثروا الكفر على الايمان وأوعدهم قاتلا (ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون) ثم بين أهم ما يحبه الناس فى الدنيا وهى ثمانية وفضل الجهاد والايمان عليه (قاتلا - قل ان كان آباؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أقرباؤكم (وأموال اقترفتهموها) اكتسبتموها (كساده) فوات وقت نفادها وقوله (فتربصوا حتى يأتى الله بأمره الخ) وعيد وتهديد بضياح الأمة وتشيت شملها

(لطائف فيما تقدم من الآيات من هذا القسم من السورة)

(اللطيفة الأولى) فى قوله تعالى - ونفصل الآيات لقوم يعلمون -

(اللطيفة الثانية) فى قوله تعالى - أم حسبكم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الخ -

(اللطيفة الثالثة) فى قوله تعالى - ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول -

(اللطيفة الرابعة) - أ جعلتم سقاية الحاج الخ -

(اللطيفة الخامسة) - قل ان كان آباؤكم وأبناءكم الخ -

(اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - ونفصل الآيات الخ - والكلام على الأمم الاسلامية ونومتها)

أنظر الى اجتهاد أبى بكر الصديق وكيف يقول بعض الأجلة الأعلام من صدر الأمة الاسلامية ما كان أفقه أبا بكر يريد بذلك أنه لم يفرق بين شيئين جمع الله بينهما يعنى الصلاة والزكاة لما جاءه عمر رضى الله عنه قاتلا يا أمير المؤمنين اكتب منهم بالصلاة رد عليه قاتلا وقد أخذ بلحيته يارجل أ جبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام والله لو منعونى الخ . فتعجب كيف كانت قوة الاسلام ومنعته وبقاؤه وبهجته وروقه وملكه لقارس والروم وحفظه الثغور راجعات كلها الى أمر واحد وهو قرن الصلاة بالزكاة وقد فهمها أبو بكر وعمل بحفظها الوحدة و بين الله أهمية ذلك بقوله - ونفصل الآيات لقوم يعلمون - وقد قال بعض المفسرين انه بذلك يستثير الهمم ويحرض الأذكياء على الفهم فى أمر المعاهدات . وكأنه قيل من تأمل تفصيلها فقد استحق منقبة العلم . وقد ظهر أن أول من استحق منقبة العلم فى هذا الباب أبو بكر الصديق فهو الذى فهم وهو الذى عمل . هذه هى المقدمة التى أ كتبها للنتيجة التى أ طلبها وهى

(العلوم المسماة بالعصرية من السموات والأرض ومعجائب الحكمة الالهية)

أنظر أيها الذكى كيف استقامت أمة الاسلام ونجح الصديق فى أمره . بماذا . بماذا جمع الاسلام .

جمعه بقرن الصلاة بالزكاة وهو الذي تفتن لهذا وحده ثم اتبعه المسلمون وأذعنوا . وبماذا مدحه الله .
مدحه هو وأمثاله بالعلم . بماذا . بانه عرف تفصيل هذه المسألة السياسية العمرانية الدينية فهل فطن
المسلمون بعد ذلك في هذه العصور . عصور العلم والعرفان . عصور الحكمة والنور . عصور الكشف
الحديث . عصور الكهرباء والبخار . عصور الكيمياء والحديد . عصور المواد اللطيفة الهوائية التي بها
تطير الطيارات وتحلق في جو الفضاء . عصور انقلاب المعمورة وتغيير العالم الانساني وانزال الصواعق من
الطيارات . هل فطنوا على من تقع تلك الصواعق . على الجاهلين . من هم الجاهلون . الجاهلون
بنظام الله . الجاهلون بما خلق الله . الجاهلون بهذا العالم المملوء جمالا وحكمة وبهاء وحسابا ووزنا .
كل العالم موزون منظم بهيج بديع . فواحسرتاه على أمة الاسلام . ووا أسفاه على هذه الأمة النبيلة التي
خلقها الله في الشرق مهد العلم والحكمة والفلسفة . فبالتشعري كيف يكون الشرق مهد المدنية والعرفان
وينزل فيه نبي صادق منهم ثم يكون ذلك الشرق نفسه مهد الغباوة والجهالة . وكيف أصبح في ظلام
دامس وجهل طامس . لعلاك تقول انك بهذا القول خرجت من المقام ودخلت فيما ليس منه وأى مناسبة
بين المعاهدات الاسلامية والنظامات الكونية . وانما أنت تريد أن تذكر المجائب الكونية بمناسبة وغير
مناسبة لأن هذا تحيل في الكلام وخروج عن سنن التأليف وهذا مما تنفر منه الطباع ويأباه العلماء الأعلام
أقول على رسلك ان هذا المقام به أليف وهو به حقيق . ألا ترى أن مناعة أمة الاسلام التي جاءت من
اقتران الصلاة بالزكاة وقد مدح من يعرفها بالعلم . قد جاء في القرآن في سورة الأنعام نظير هذا المدح بل هو
أبلغ منه فيمن يعرف علم النجوم وسيرها وعلم التشريح وعلم النبات وما أشبه ذلك . فاذا قال الله هنا
- ونفصل الآيات لقوم يعلمون - فقد قال في سورة الأنعام - وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في
ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون - وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فستقر ومستودع
قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون - ثم شرع يذكر الجنات والأعتاب والتخييل وقال - إن في ذلكم لآيات
لقوم يؤمنون - فانظر كيف يقول هناك قد فصلنا ففها قد للتحقيق وفيها فصلنا بصيغة الماضي وهي تفيد
التحقيق وعبر في جانب الامور الطبيعية وهو التشريح بالفقه وهو أبلغ من العلم لدلالته على شدة الفطنة
وختم بأن هذه دلالات لقوم يؤمنون . فانظر كيف ابتدأ الله الآيات بأنه عزيز عليم وبأن من يعرفها عالم
فقيه مؤمن فهذه الصفات الثلاثة التي ترتبت على معرفة هذا العالم المحيط بنا من النبات والحيوان والانسان
والتشريح والفلك وجميع العلوم الطبيعية لم تذكر في هذا المقام مقام المعاهدات والمعاملات المدنية بل قال
- نفصل الآيات لقوم يعلمون - وهناك أ كدها بقدر وكون الفعل ماضيا

أفلا تتعجب من المسلمين كيف يتفطن الصديق لمسألة اسلامية جمع بها الأمة كلها وهي قرن الصلاة بالزكاة
ولما جاء هذا العصر الحاضر وجدنا أنفسنا اليوم لافي العير ولا في النفير . فلانحن حافظنا على ماورثناه من
أولئك الأشراف الأكابر من العلوم العملية . ولانحن رفعنا أبصارنا الى ماحولنا وحولنا وجهة الأمراء
الاسلاميين ورؤساء العشائر من التخاذل الى الأمم التي حولهم وكيف سبقوهم في العلوم واستخدموا الطبيعة
فأعطاهم الله مما في خزائنها . وكيف ناموا عن القرآن ولم يتفطنوا لما تفتن له أسلافنا الكرام
ولوأنهم نظروا نظرات صادقات لوجدوا من الحث على العلم في الآيات السابقة ما يهيج الصدور ويبعث
الهمم الى حوز العلوم وفهمها . وكيف كان القرآن قد أعطى العلوم الطبيعية والفلكية من الأهمية فوق ما
أعطى العلوم الفقهية التي منها أمر المعاهدات في الآيات التي نحن بصدددها . يا عجباً كل العجب هل غاب عنكم
يامعشر علماء الاسلام . ان هذه العلوم الكونية هي التسبيح وهي العبادة وهي التوحيد وهي الذكر وبها
الفكر وبها حب الله وبها فضلا عن هذا كله الجهاد العلمي والرقى الفكري والفنى والثروة وغلبة الأعداء

لقد ظهر الآن سر القرآن . هذا هو السر المكنون . هذا هو العلم المخزون . هذا هو الذي خباؤه الله في القرآن ليظهره الآن على قلوب قوم يخلفهم لهذا في هذه الأمة فيسوقون الأمة الإسلامية الى دراسة العلوم والعرفان ويقرؤون ما في الأرض والسماء من العوالم المحيطة بنا حتى يكونوا عباد الله حقا وحتى يكونوا خلفاء الله في أرضه . وحتى يكونوا رحمة للعالمين . وحتى يظهر الله الاسلام على الدين كله

والا فلماذا نرى الله يصف نفسه في تلك الآيات بالعزة والعلم ويصف العالمين بها بالفقه والعلم وبالايمان تبارك الله رب العالمين . إن فرق ما بين العلوم الفقهية والعلوم الكونية كالفرق ما بين ذلك المدح العجيب بالعلم والفقه والايمان في آيات الأنعام مع الصيغة المفيدة للتحقيق وبين مجرد الوصف بالعلم مرة واحدة بصيغة المضارع . ولقد وصف العالمون بهذه العلوم أيضا بأولى الألباب والمتقين والموقنين وانهم يعلمون . لجميع صفات الكمال من علم وايقان وفقه وانهم أولوا الألباب . كل ذلك وصفهم الله به . وكيف لا يوصفون به وقد علمت أن قرن الصلاة بالزكاة وتوزيعها على الناس يفيد العدل فيما ملكه الناس فأما العلوم الطبيعية ونظام الله فانها يفيدان الناس فوق معرفة الله مالا وغنى وثروة وقوة حربية . فجعل الله الذي ألبس المعاني الألفاظ التي تناسبها فمدح عالم الزكاة بمدح أوجز من مدح العلوم الكونية لما يغدقه على الناس من نعمه بتعاطيها وجل الله الذي غشى على عقول المتأخرين من المسلمين خرمهم ذلك وهاهوذا يريد أن يطلعهم على خرائن نعمته وألهمهم من الآن دلائل رحمته وبدائع حكمته . فتبارك الله أحسن الخالقين -

﴿ اللطيفة الثانية - أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الآية - ﴾

تقد كثر الخوض في القرآن على الجهاد وهي قاعدة مقررة ألا سعادة في دين ولادنيا إلا بنفس الجهاد فأما اللذات والشهوات والأمانى فانما هي وقتية والسعادة انما قرنت بالصبر والجهاد في جميع الحياة فليجاهد الانسان في العلم والعمل والصدق والأمانة فهذا الجهاد وحده تكون السعادة وهذا المقام مستوفى في سورة البقرة عند قوله تعالى - ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع الخ -

﴿ اللطيفة الثالثة قوله تعالى - ألتقانون قوما نكثوا أيمانهم الخ - ﴾

ذلك أن رسول الله ﷺ عاهد قريشا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشرينين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم وأعاتتهم قريش بالسلاح فلما نظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي وأخبر رسول الله ﷺ وجعل الخبر في أبيات من الشعر كما يروى فقال رسول الله ﷺ لانصرت ان لم أنصركم وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فهؤلاء هم الذين نكثوا أيمانهم وهما باخراج الرسول وهم البادئون بالأذى وقد حصل جميع ما في الآية وهو معجزة

﴿ اللطيفة الرابعة - أ جعلتم سقاية الحاج الخ - ﴾

في البخارى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فانت رسول الله ﷺ بشرب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها قال اعملوا فانكم على عمل صالح وروى مسلم عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه اعرابي فقال مالي أرى بنى عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ أمن حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل انما قدم النبي ﷺ على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيناه بآناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أ جعلتم كذا فاصنعوا فلا تريد تغيير ما أمر به رسول الله ﷺ اه والنبيذ هو التمر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة لكن ان غلى وحض حرم

﴿ اللطيفة الخامسة - قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم أحل - ﴾

لقد تكرر في القرآن الحصة على الاتحاد فلا أمة تقوم إلا به والاتحاد إنما يكون بالقلوب ومتى تفرقت وجهة النظر تفرقت الأمة وهذا المقام قد شرحناه سرات كثيرة في هذا التفسير والله أعلم اه
ولما كان تفضيل الايمان على حب الثمانية المتقدمة في الآية وهي الآباء والأبناء والاخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن المحبوبة يؤدى الى اتحاد الأمة وضد ذلك يؤدى الى تقاطعها وتدابرها وتمزيقها لعدم الاتحاد والالتئام وكان ذلك قد توافر عند أصحاب النبي ﷺ وجيوشه الكفاة أعقب ماتقدم بقوله (ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة) يعنى مواطن الحرب كوقعة بدر وقرينة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وتبلغ غزوات النبي ﷺ تسع عشرة غزوة وقد قاتل في ثمان منهم . ثم ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه ثمانون وخصه موضعا منها بالذكر وهو يوم حنين فقال (ويوم) أى واذكروا (يوم حنين) واذ بين مكة والطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا * وقال عروة هو الى جنب ذى المجاز . أعلمنا الله بهذا انه هو الذى يتولى نصر المؤمنين فى كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له فلاذكر مختصر الغزوة وما بهم منها ثم نأتى بالآيات بعدها * روى أن الغزاة فى حنين اثنا عشر ألفا منهم عشر حضروا فتح مكة وألفان انضموا اليهم من الطلقاء وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى كنانة ابن عبدالمطلب قلمة التقي الجمعان قال رجل من الأنصار لن نغلب اليوم من قلة فساء رسول الله ﷺ كلامه فلما التقي الجمعان اقتتلا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلصوا عن الذراري ثم نادوا يا حجة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله ﷺ فى مركزه ليس معه إلا عمه العباس رضى الله عنه أخذوا بلجامه وابن عمه أبوسفیان بن الحارث فقال للعباس وكان صبيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزات الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حذى الوطيس أى اشتدت الحرب والوطيس التنوير . ثم أخذ ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار وقال شأهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم وأعطى المؤلفة قلوبهم مالا كثيرا كأبى سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والأقرع بن حابس وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن كل واحد مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس أقل من ذلك فأنشد شعرا فى ذلك فكملة له المائة ولم يعط الأنصار شيئا وأفهمهم أنه يتألف حديثي العهد وأنه هو نفسه معهم فرضوا بذلك . فلنفسر الآيات يقول الله (ويوم حين إذ أعجبكم كثرتم فلم تغن عنكم شيئا) من الاغناء (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) أى مع رحبها وهى فى موضع الحال أى ملتبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب العزة أى ملتبسا بها * والمقصود انهم لم يجدوا موضعا لفرارهم عن الأعداء فكان الأرض ضاقت مع ما هب عليه من السعة (ثم وليتم مدبرين) منهزمين (ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين) الذين انهزموا والسكينة الطمأنينة فان الخائف يرتجف غير مستقر والامن فى سكون فالسكينة كناية عن الامن ﴿ ذلك ﴾ أن جمع هوازن وبني نضر رشقوا الغزاة من المسلمين بالنبال وكانوا لا يخطئون المرمى وكان رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء فنزل ودعا واستنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطاب وذلك حين حمل المسلمون على الغنائم فشغلتهم وكان ما كان (وأُنزل جنودا لم تروها) بأعينكم يعنى الملائكة . وقد اختلفوا فى عددهم . ولقد سبق القول فيهم فى آل عمران والأنفال * وروى أن رجلا من نصريقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم إلا كهية الشامة وما كان قتلنا إلا بأيديهم فأخبر بذلك رسول الله ﷺ

فقال تلك الملائكة * وروى أن رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة أن كشفناهم فبينما نحن نسوقهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء فإذا هو رسول الله ﷺ قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شأهت الوجوه ارجعوا فانهمز منا وركبوا أكتافنا فكانت أياها انتهى . واعلم أن هذه الروايات لم ترد في الصحيح وقد تقدم تحقيق المقام في الأنفال فتفطن (وعذب الدين كفروا) بالقتل والأسر والسبي (وذلك جزاء الكافرين) أي مافعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) وقد تاب على بعض هؤلاء بأن وفقهم للإسلام فإن ناسا منهم جاؤا إلى رسول الله ﷺ وأسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا وكان السبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال ﷺ اختاروا أما سبائكم ولما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله ﷺ وقال إن هؤلاء جاؤا مسلمين وأنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال أنى لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا إلينا فرفعوا أنهم قد رضوا . ثم خاطب الله المؤمنين في شأن المشركين قائلا (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) لما في نفوسهم من الخبث والرجس وما في عقائدهم من الزيغ وما في أبدانهم من القذر فلا يتطهرون وما عشدتهم من الحدث الأصغر والأكبر كالجنابة فلا يغتسلون وما في أعمالهم من الأذى فيجتنبون كما يجتنب كل ذي مرض معد وكل حيوان مفترس . ويقول ابن عباس إن أيدانهم نجسة كالكلاب . ويقول الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ومثله الزيدية (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) فلا يحجون ولا يعتمرون عند أبي حنيفة ويجوز للمعاهد دخول الحرم عنده أولا يدخلون الحرم مطلقا فضلا عن المسجد الحرام عند الشافعي وأحمد ومالك ولا يدخلون غير المسجد الحرام من المساجد قياسا عند مالك . والمراد بهذا العام السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر الصديق بالناس وفيه نادى على براءة وألحج بعد العام مشرك كما تقدم . أما بلاد الحجاز فيجوز للكل كفار دخولها والاقامة فيها ثلاثة أيام . ففي مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها إلا مسلما . وفي رواية لغير مسلم قال ﷺ أخرجوا المشركين من جزيرة العرب . فلم يفرغ لذلك أبو بكر وأجلاهم عمر في خلافته وأجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا * عن ابن شهاب قال قال رسول الله ﷺ لا يجتمع دينان في جزيرة العرب . أخرجه مالك في الموطأ . ولما كان المشركون قد منعوا أن يقربوا المسجد الحرام وذلك يدعو إلى عدم دخول الحرم فدخول الحرم اقتراب من المسجد كان ذلك داعيا أن يبقى أهل مكة جوعا فقراء لمنع التجارات والطعام التي كان يجلبها المشركون إليهم كل عام لذلك أعقبه تعالى بقوله (وان خفتم عيلة) فقرا (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه وقد صدق الله وعده وأرسل السماء عليهم مدرارا وكثر خيرهم وأسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة ومما أعطاهم الله الجزية أيضا وإنما قال (ان شاء) ليوجه الآمال إلى الله وأنه متفضل (إن الله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيما يعطى ويمنع (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق) الثابت الناسخ للأديان كلها (من الذين أتوا الكتاب) وهذا بيان للذين لا يؤمنون (حتى يعطوا الجزية) أي ما تقرّر عليهم . وهذا مشتق من جزى دينه إذا قضاه حال كونها (عن يد) أي نقدا مسلمة عن يد إلى يد أو مواتية غير ممتنعة أي منقادين أو مسلمين بأيديهم فلا يبعثونها بأيدي غيرهم أو عن غنى لأنها لا تؤخذ من الفقراء عند بعضهم أو عن يد قاهرة فوقهم أو عن انعام لأن بقاءهم وأخذ الجزية منهم نعمة عظيمة . فهذه خمسة معان وكلها لاتنافى بينها لأنهم أذلاء

والقاهرون لهم أقوياء ويسلمون الجزية وينعم عليهم وهكذا (وهم صاغرون) أذلاء وإنما كان هؤلاء لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لأنه سيأتي أن اليهود يجعلون عزيزا ابن الله والنصارى يجعلون المسيح ابن الله وهم يتخذون الأقباط والرهبان أربابا من دون الله في التشريع فيحللون ويحرمون كما يشاؤون فهذا قوله - لا يؤمنون بالله الخ - وأما قوله - ولا يحرمون الخ - فانهم لا يحرمون ما حرم الكتاب والسنة فلا يحرمون الحر والخنزير

- (١) ثم إن الجزية تؤخذ من اليهود والنصارى من غير العرب بالاجماع
(٢) وتؤخذ من العربي كقايما كان أو مشركا عند أبي يوسف
(٣) وتؤخذ من أهل الكتاب عربا أو عجميا عند الشافعي
(٤) وتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجميا ومن مشركي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب عند أبي حنيفة

- (٥) وتؤخذ من جميع الكفار إلا المرتد عند مالك والأوزاعي
(٦) وتؤخذ من المجوس باتفاق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين
﴿ مقدار الجزية ﴾

- (١) لاشئ على الفقير الذي ليس كسوبا
(٢) وعلى الفقير الكسوب ١٢ درهما
(٣) وعلى المتوسط ٢٤ درهما
(٤) وعلى الغنى ٤٨ درهما . وهذا مذهب أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه
ولا تؤخذ الجزية من الصبيان ولا النسوة ولا العبيد . وقد قدرت أيضا بدينار ودينارين وأربعة دنانير للفقير والمتوسط والغنى . وقال أصحاب الشافعي لا تجوز الزيادة على دينار إلا بالتراضى فالديناران والأربعة للمتوسط والغنى عند التراضى والافلا

﴿ منأكة المجوس والصابئين وذبأئهم ﴾

اتفقوا على تحريم ذبائح المجوس ومنأكتهم بخلاف أهل الكتاب ومن دخل في دين اليهود والنصارى قبل النسخ فحكمه حكم اليهود والنصارى تحل منأكتهم وذبأئهم . والصابئون والسامرة مثلهم مثل أهل الكتاب فهم كأهل البدع في المسلمين . ثم أخذ الله سبحانه يبين سبب أخذ الجزية منهم مع أن لهم ديناً وكيف يصفهم بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فقال (وقالت اليهود عزيز ابن الله) وذلك لأن يختنصر قتل كل من يحفظ التوراة وكان العزيز قد أماته الله مائة عام فلما أحياه الله قال لقومه أنا أملئ عليكم التوراة حفظاً فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا إلا أنه ابن الله . ألا ترى أن اليهود لما سمعوا هذا القول لم يكذبوه وكانوا مغرمين بالكذب (وقالت النصارى المسيح ابن الله) لأن الولد الذي لأب له مستحيل عادة ولأن إبراهيم الأكمه والأبرص وأحياء الموتى لا يقوم بهم إلا من كان إلهاً . ويقال إن النصارى كانوا على الدين الحق بعد رفع المسيح إحدى وثمانين سنة يصلون ويصومون حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له (بولس) قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولس لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة فإني سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم إنه عمد إلى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم أتى إلى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولس فقد نوديت من السماء أنه ليس لك توبة حتى تنصروا وقد تبت وأتيتكم فأدخلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتاً منها لم يخرج منه سنة

حتى نعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت من السماء أن الله قبل توبتك فصداقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطور أن عيسى ومريم والاله ثلاثة . وعلم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان واسكنه ابن الله . وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال . فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له أنت خالصتي وادع الناس لما علمتك وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم إني رأيت عيسى في المنام وقد رضى عني وقال لكل واحد منهم سأذبح نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه . وتفرق هؤلاء الثلاثة فذهب واحد منهم الى الروم . وواحد الى بيت المقدس . والآخر الى ناحية أخرى فتفرق الناس فرقا بهذه المذاهب واعلم أن هذه الحكاية وإن كان لادليل يقطع بصحتها تقرب الحقيقة لمن يريد أن يعرف اختلاف المسيحيين . ألا ترى أن اختلاف المسيحيين بعد تلك الأيام كان على هذا المنوال تأمل

﴿ حقيقة هذه المسألة في التاريخ ﴾

يقول المحققون من علماء العصر الحاضر ان بولس رجل فريسي ويعرف اللغة العبرية فاحتقر في بادئ الأمر الرسل ولم ير المسيح ولا سمع كلامه ومع ذلك ادعى أنه قد خست به المعرفة وحده وأخذ يخاصم بطرس ويوبخه فتألف إذ ذاك أي بعد موت المسيح بعشر سنين صنفان من النصارى صنف يتبع من بقي من الرسل في اورشليم . والثاني تابع لبشارة بولس الذي ادعى أنه أوحى اليه من المسيح ذاته . وبعد حين تمرد اليهود على نيرون فنشبت الحرب في اليهودية بقيادة فسباسيانوس الروماني ثم ابنه طيطس وانتهت بافتتاح اورشليم عام (٧٠ م) وخرب الهيكل وتفرق اليهود أشتاتا ولم يبق من الرسل إلا يوحنا وفيلبس . ولم يبق إذ ذاك من الدين إلا أحاديث متفرقة على ألسنة الأساقفة واختلطت تعاليم الكنائس بتعاليم الفلسفة اليونانية وما جاء آخر الجيل الأول حتى نشأت عدة قصص وروايات سميت أناجيل وقد أحصى منها في الجيل الأول والثاني (٣٥) انجيلا وصاحب الاحصاء هو فابريسيوس . واختيار الأناجيل الأربعة كان في الجيل الثاني ونسبتها الى متى ومرقس ولوقا ويوحنا من المشاكل التي تعذر على العلماء حلها

﴿ نتائج الخلاف في النصرانية ﴾

في سنة ٣٨٤ م أصدر البابا داماسيوس الى مارايرونيوس أن يحترق ترجمة لاتينية جديدة من العهدين القديم والجديد وكان (تبودوسيوس) الملك في ذلك العهد قد ضجر من الخصامات فأصدر أمرا أن يكون حق التولية لأسقف رومه وحده وعلى النصارى عموما اتباعه

﴿ تنازع النصارى في أمر المسيح ﴾

كانت كنائس النصرانية في أول الجيل الرابع منقسمة الى حزبين الواحد يقر بألوهية المسيح والآخر ينكرها . وفي سنة ٣١٢ ظهر اريوس فجعل أن للآب والابن جوهرين متميزين . والثاني خليفة الأول وإذن فهو ليس باله . وكان اريوس هذا واسع العلم ذا خلق جيد فانبه خلق كثير . ولما رأى اسكندر أسقف الاسكندرية ذلك استدعى بعض الأساقفة وألقوا مجمعا لعنوا فيه اريوس وتعليمه فكثرت النزاع والشقاق على هذه المسألة حتى قلقت النفوس وضجرت الأمة كلها واعتز عرش الملك قسطنطين فأرسل رسالة على يد أوزيوس الى كل من اريوس واسكندر وبخهما فيها على هذا الخلاف التافه الذي لاعلم لأحدهما بحقيقته . ودام الخصام والجدال واشتد ولم تنفع رسالة الملك فأمر الملك بمجمع في نيقية سنة ٣٢٥

ومن عجب تطابق أقوال المؤرخين أن هؤلاء الآباء كانوا يتشائمون ويتقانون ويذم كل منهم الآخر بنضائح لاحد لها . وأمر قسطنطين الملك ألوهية المسيح ونفى الارىوسيين ثم رجعوا من المنفى منتصرين ودخلوا الاسكندرية فاضطر قسطنطين أن يقيم مجمعا في أنطاكية فأبطل مذهب اسكندر المسمى (أورثوذكس)

أى مستقيمي الرأي ومات اريوس فجأة وهو محمول على أعناق أصحابه بالعز والابهة ومات قسطنطين سنة ٣٣٧ بعد أن قسم الملك بين أولاده الثلاثة قسطنطين وقسطنس وقسطنط وتوالت المجامع بعد ذلك على هذا المنوال فلتنظر أيها الذكي كيف كانت الحكاية الأولى المنقولة عن المفسرين (وان كانت مخطئة في التاريخ وفي الرواية) قد أفادت أن هذا الخلاف له حقيقة . وكيف تبين أن بولس الرسول كان له نزعة خاصة . وكيف كانت ألوهية المسيح وعدمها شغلا شاعلا للدولة الرومانية . وكيف أدّى الأمر الى أن الملك تيودسيوس القيصر أمر أن يتبع النصارى كلهم البابا (داماسيوس) ومن يخالفه يعاقب ولكن الأريوسيين كانوا كثيرا جدا فلم يعاقبهم فاحتال القديس (أمفياوك) بحيلة أوجبت أن الملك يعاقب من لا يقول بالوهية المسيح . فانظر كيف اهتزت العروش وغضمت المصائب وتقاتلت الأحزاب . كل ذلك على ألوهية المسيح وعدم ألوهيته ولما كان قول اليهود والنصارى لادليل عليه بل هو مصيبة عمياء كما عرفت من حقائق التاريخ . قال تعالى (ذلك قولهم بأفواههم) مجرد عن البرهان والتحقيق مهمل لاجل له سوى الأفواه كما قال القيصر للاسكندر ولاريوس وقوله تعالى (يضاهون قول الذين كفروا من قبل) أى يضاهى قولهم قول الذين كفروا من قبل . ومعنى هذا أن هناك ديانات في الأمم السالفة قبل التاريخ في مصر والعراق وبلاد المكسيك قبل افتتاح أمريكا كانت فيها هذه الخرافات . أنظر هذا المقام في سورة البقرة في أوائلها فقد تبين هناك أن دين التثليث وكون الله له ابن ملأئ المسكونة ووجدت في الهند فارجع إليها إن شئت تر العجب العجيب وكذلك في آخر سورة المائدة . وهذا أيضا من معجزات القرآن . ولعمري لم يعرف الناس أن هناك ديننا قبل الدين المسيحى يقول بآب الله وبالوهية ذلك الابن إلا في هذا الزمان فتعجب من عجائب القرآن . وهذا واضح كل الايضاح في آخر المائدة فيما تقدم . قال تعالى (قائلهم الله) دعاء عليهم بالهلاك وتعجب من شناعتهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق الى الباطل . ثم أخذ الله سبحانه يبين انهم لم يقتصروا على عبادة المسيح وعزير بل جعلوا الأحرار والرهبان أربابا من دون الله . والأخبار علماء اليهود . والرهبان أصحاب الصوامع في النصارى . ومعنى كونهم أربابا انهم يحرمون لهم ويحللون لهم ولم يقتصدوا * وعن عدى بن حاتم قال أنبت النبي ﷺ وفي عنق صليب من ذهب فقال يا عدى اطرح عنك هذا الوثن وسمعه يقرأ في سورة براءة - اتخذوا أحرارهم ورهبانهم أربابا من دون الله - قال أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه * قال عبد الله بن المبارك

وهل بذل الدين إلا الملوك * وأخبار سوء ورهبانها

لقد وقع القوم في جيفة * يبين لدى العلم انتانها

وهذا هو قوله تعالى (اتخذوا أحرارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم) وهذا الأخير اعتقدوا فيه الألوهية كما تقدم قال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا إلهًا لا اله سواه عما يشركون) أى تعالى الله وتنزهه عن أن يكون له شريك في العبادة (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) أى يريد رؤساء اليهود والنصارى أن يفعلوا في الاسلام فعل من يعمد الى نور عظيم كالشمس ليطفئه بنفخة بفسه وما هو بمستطيع ذلك . فهكذا دين الاسلام ودلائله الباهرة ومعجزاته الظاهرة . وقد تصدى هؤلاء لدحضه وما هم بضاربه شيئا لقوته البرهانية وحجته القوية (ويا بى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) أى ويا بى الله إلا أن يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الذى أرسل به نبينا ﷺ وأن الذى يأتى إلا أن يتم نوره (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) القرآن (ودين الحق) الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على سائر الأديان فيكون متبعوه لهم السلطان الأكبر في الكرة الأرضية ويتفهمون فارس والروم وهذا كله في الزمان الأول أما فيما بعد في مستقبل الزمان فسيظهر في أمة الاسلام أناس يحملون الأمة على نبد الجود والتحلى بحلى العلوم

والعرفان واذ ذاك يرقى المسلمون ويكون بأيديهم مقاليد الرياسة والسياسة والحكمة والعلم . وفي ظني أن زماننا هو مبدأ ارتقاء المسلمين إذ يقومون بمهمتهم في العالم ويحكمون الناس بالحق بعد أن يرتقوا ويتسعوا في المعارف . ويدل على هذا ما روى عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى قال قال النبي ﷺ ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام * عن المقداد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام إما بعز يز أو بذل ذليل أي إما أن يعزهم فيجعلهم من أهله فيعزوا به وإما أن يذلهم فيدينون له . وهذه الجملة كالبيان لقوله - ويأتي الله إلا أن يتم نوره - ولذلك كرر - ولو كره المشركون - غير أن الكفر هناك بدل بالشرك هنا إعلاما بأنهم ضمو الكفر بالرسول إلى الشرك بالله . ولما كانت الآيات المتقدمة قد أبانت أن الأحبار والرهبان في حكم الآلهة عند أهل الكتاب أخذ يبين هنا سبحانه وتعالى أنهم غير مؤتمنين في أحكامهم التي يحكمون بها وأن أهل الكتاب قد استأمنوا من ليسوا بأمناء فقال (يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأثرون) أي ليأخذون لأن الأكل أهم مقاصد الأخذ فعب عنه به (أموال الناس بالباطل) لأنهم يأخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمساخطة في الأحكام ويحرفون صفات النبي ﷺ المذكورة في كتبهم استبقاء للرئاسة وحفظا لما ينالونه من المال ببقاء الرئاسة التي يذهبها اعتناق الإسلام (ويصدون عن سبيل الله) ويمنعون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) سواء كانوا من الأحبار والرهبان أم من المسلمين . والمراد بالمال المكنوز ما لم يؤد زكاته ولولم يكن مكنوزا * قال عليه الصلاة والسلام ﴿ ما أدى زكاته فليس بكنز ﴾ أي ليس بكنز أوعده عليه * وقال بعض أصحاب النبي ﷺ لما علموا بنزول هذه الآية لو علمنا أي المال خير لاتخذناه فقال رسول الله ﷺ أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة سالحة تعين المؤمن على إيمانه * وقد ورد في حديث مسلم الوعيد الشديد على من لم يؤد زكاة الذهب والفضة وانها تصفح له صفائح من نار فيحمر عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره كلما ردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار وهكذا قال في الأبل وجعل من حقها حلبها يوم ورودها وإن لم يؤد حقها فانه يبطح لها بقاع قرقر فهي تطؤه جميعها بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليها أولاها ردة عليه أخرها الخ وهكذا قال في البقر والغنم والقاع الفرقر هو المستوى من الأرض

وهكذا جاء في حديث البخاري ﴿ من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ﴾ (شذقيه) ثم يقول أنا مالك . أنا كنزك ثم تلا - ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم - الآية ﴿ والشجاع الحية والأقرع صفة له بطول العمر فانه إذا طال عمره تمزق شعره وهذه صفة أخبث الحيات والزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين . وهذا كله وعيد لمن لم يؤد الزكاة ولذلك قال تعالى ﴿ فبشرهم بعباب ألیم ﴾ وهو السكى (يوم يحمى عليها) أي يوم توقد النار فلما حذفت النار فلم تكن فاعلا وأسند الفاعل إلى الجار والمجرور وهو عليها * قيل يحمى بالتحية كما تقول رفعت القصة إلى الأمير ومتى حذفت القصة قلت رفع إلى الأمير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) لأنهم إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم مجلس وإياه ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وهذا العذاب يشمل الجهات الأربع المقدم والمؤخر والجنبين * ويقال لهم (هذا ما كنزتم لأنفسكم) لمنفعتها قد صار مضرتها وعذابها (فتدوقوا ما كنتم تكنزون) أي وبال كنزكم . ولما كان المقام في قتال الكفار إذ قال تعالى آنفا - فأتوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الخ - وذكر الجزية واستطرد بذكر ما كفر به اليهود والنصارى وما تبع ذلك من حرص أحبارهم ورهبانهم على المال والرشوة أخذ يتم المقام بذكر مسائل أخرى

من مسائل الحرب وهي الأشهر الحرم التي كان العرب يحرمون فيها القتال اتباعا لدين إبراهيم عليه السلام وأخذ سبحانه يحقق الأمر فيها فأفاد أن الشهور العربية اثنا عشر شهرا • وأما الشهور الشمسية فليس المسلمون مكلفين بحسابها ولا باتباع نظامها فقال (إن عدة الشهور عند الله) أي مبالغ عددها (اثنا عشر شهرا في كتاب الله) وهو ما أثبتته وأوجبته في حكمه أوفى اللوح المحفوظ (يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) والأشهر العربية المذكورة أولها المحرم وآخرها ذو الحجة • والأربعة الحرم هي ذوالقعدة للعود عن القتال فيه • وذو الحجة للحج • والمحرم لتحريم القتال • فهذه ثلاثة سرد وواحد فرد وهو رجب لترجيح العرب إياه وتعظيمهم • فالأشهر العربية مبنية على سير القمر يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم وأعيادهم وأحكامهم • وهذه السنة ٣٥٤ يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة تامة وهي ٣٦٥ يوما وربع يوم فبينهما نحو ١١ يوما • ولما كان هذا المقام علاقته بالحرب عظيمة ناسب أن يذكر من أجل النسيء الذي كانت تفعله العرب في الجاهلية فكان يقع حجهم تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة في غيره من الشهور كما سيأتي وإنما سميت الأربعة حرمًا لأن العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى إن أحدهم لواقى قاتل أبيه وابنه وأخيه في هذه الأربعة الأشهر لم يهرجه ولما جاء الإسلام لم يزلها إلا حرمة وتعظيمًا فالحسنات فيها مضاعفات والسيئات كذلك (ذلك الدين القيم) أي ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوي • فالدين هنا الحساب كما قال ﷺ الكيس من دان نفسه (أي حسب نفسه) وعمل لما بعد الموت (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) أي لا تظلموا أنفسكم في الأشهر الحرم فالعمل الصالح فيها أعظم أجرا والظلم فيهن أكثر إثما أولا تظلموا فيهن أنفسكم باستحلال الحرام والغارة فيهن كما قال ابن عباس من جهة ومن جهة أخرى لا تجعلوا حلالها حراما وحرامها حلالا بالنسيء الآتي ذكره كما قال محمد بن اسحق • وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا • وهذا خلاف ما عليه الأكثر لأن النبي ﷺ غزا هوازن بحنين في شوال وذى القعدة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) أي حال كونهن جميعا (واعلموا أن الله مع المتقين) بشارة وضمان لهم بالنصر بسبب تقواهم • فاذا قاتلوا المشركين مجتمعين لامتفرقين نصرنا على عدوهم فان تحاذلوا فليس الله معهم بالنصر • والتقوى من لوازمها الاتحاد والتعارف فلذلك كان الله مع المتقين (إنما النسيء زيادة في الكفر) النسيء لغة التأخير كالنسيئة في البيع • والنسيء هنا تأخير شهر حرام إلى شهر آخر باهوى والغرض وقد كانت العرب تعظم الأشهر الحرم على دين إبراهيم وعامة قريش كانت تمتنع فيها من الصيد والغارة • وقد تقع الحروب في بعض الأشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخيرها إلى الأشهر الحلال فنسؤا أي أخرها تحريم شهر إلى شهر • وكان يقوم بهذا بنو مالك بن كنانة وكان يقوم الموكل به منهم في الموسم فاذا هم الناس بالانصراف قام خطيبا وقال لامرء لما قضيت أنا الذي لا أعاب ولا أجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه أن ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيفعل • فيقول مثلا صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الأوتار ونزعوا الأسنة والأزجة من الرماح • وإن قال حلال عقدوا القسي وركبوا الأسنة في الرماح وأغاروا وفي أيام النبوة كانوا يحججون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين وفي المحرم كذلك وهكذا فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله ﷺ في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف ﷺ بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمبنى وأعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الأمر إلى ما وضع الله عليه حساب الأشهر يوم خلق السموات والأرض وذلك قوله ﷺ كما في البخاري إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة

وذوالحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جادى وشعبان ثم حرم الدماء والأموال والأعراض وحذر الناس من لقائهم ربهم وهم مذنبون وهو يسألهم وقال ﷺ ليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع وحذرهم من أن يضرب بعضهم رقاب بعض في كل حال فليس التحريم خاصاً بالأشهر الحرم بل عم سائر السنة فالتحريم أصبح في الاسلام تحريماً عاماً لافرق بين الأشهر الحرم وغيرها . ويظهر مما تقدم وهو أنهم كانوا كل سنتين يحجون في شهر من أشهر السنة . انهم ضلوا السبيل لأن الفرق بين السنة الشمسية والقمرية يقتضى أن يكون الحج في كل شهر ثلاثة أشهر اذا كان لغرض أن يبقى الحج في وقت معين من السنة كالشتاء أو كالربيع ولن يستقيم هذا إلا بما ذكرنا وتدور السنة في ٣٥ سنة وأما على ما فعله العرب فانها تدور في ٣٤ سنة وهذا خطأ منهم وضلال فلاحهم أقاموا على الأشهر القمرية ولاهم عرفوا كيف يوفقون الى الأشهر الشمسية التي تهدي الناس الى حقيقة الفصول . ولما كان أمر السنة الشمسية يحتاج الى حساب وكان الاسلام عاماً للأمة الجاهلة والعامة وأن الأمم الجاهلة اذا أرادت التوفيق بين الحساين ضلت سواء السبيل أمر الله جميع المسلمين أن يسيروا على السنن القويم وهي السنة القمرية التي هي أسهل لجميع الناس وان كانت أشق لأن الحج يدور في الفصول الأربعة كل ثلاث وثلاثين سنة مرة ويحج الناس في كل فصل تسع حجات تقريباً ويذوقون الحر والبرد لزيادة الثواب . فاذن محاولة التوفيق بالنسبة من الأمم الجاهلة ضلال في الحساب وخطأ فلذلك قال تعالى (يضلّ به الذين كفروا يخلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطؤوا) أى يوافقوا عدّة الأربعة المحرمة وحدها من غير مراعاة الوقت (زين لهم سوء أعمالهم) حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسناً (والله لا يهدي القوم الكافرين) هداية موصلة الى الحق . ولما انتهى سبحانه من تحقيق زمن التحريم وتبيان الأشهر الحرم وغيرها أخذ يبحث المؤمنين على القتال ﴿وذلك﴾ أنه ﷺ لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الظلال ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفاوز وعدداً كثيراً وجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوّهم فشقّ عليهم الخروج الى الجهاد فتأقلا فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا) اخرجوا (في سبيل الله اناقلتم الى الأرض) تأقلمت ادغمت التاء في التاء فصارت تاء ساكنة فدخلت ألف الوصل . وضمن اناقل معنى مال فعدى بالى أى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعه فلتتم الى الاقامة بأرضكم ودياركم (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) بدل الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة) في جنب الآخرة (إلا قليل) يعنى ان لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينفد عن قليل ونعيم الآخرة باق على الأبد . وهذا يدل على وجوب الجهاد على كل حال وفي كل وقت لافرق بين الأشهر الحرم وغيرها . وهنا لطائف ثلاثة

﴿ اللطيفة الأولى تحقيق الكلام في الأشهر الحرم ﴾

اعلم أن علماءنا وان اختلفوا في الأشهر الحرم وتحريم القتال فيها هل هو منسوخ فانك عند التحقيق تجد الأمر أكبر من أن يختلف فيه فهم متفقون وان كان كثير من الناس لا يعلمون . وبيانه أن دين ابراهيم الذي كانت العرب تزعم أنها متمسكة به جعل القتال في الحرم محرماً وكذلك في الأشهر الحرم المتقدمة . فأما بقية السنة وبقية الأرض فالقتال فيها لحرمة فيه فلما جاء الاسلام حرم الله فيه على الناس دماءهم وأموالهم وأعراضهم كما جاء في خطبة الوداع فصار التحريم راجعاً الى نفس الأعراض والأموال والدماء في كل زمان وكل مكان فلا دخل إذن للزمان ولا دخل للمكان وإنما المدار على نفس الأعراض والأموال والدماء وهذا واضح جلى . هذا من جهة ومن جهة أخرى أن هذه السورة قد استبان فيها أن العرب الذين هم متمسكون بالأشهر الحرم قد ألزموا باتباع الاسلام وأن بلاد العرب لا يجتمع فيه دينان فأصبح هؤلاء محرماً عليهم بطريق

الدين كل حرب وكل غارة في الأشهر الحرم وغيرها . بقى أن نقول ماذا يفعلون مع الأمم الأخرى كفارس والروم فنقول ان هؤلاء لا يعرفون ماعى الأشهر الحرم ولا ما هو دين ابراهيم بل لهم دين آخر لأن الأشهر الحرم عند العرب لدينهم والعرب أسلموا فبعد أن كان التحريم عندهم في أشهر معينة أصبح في جميع الدهر فاذن لأمعنى لتحريم القتال في الأشهر الحرم البتة فان كان في بلاد العرب فهو تحصيل حاصل وان كان في غيرها مع الأمم الأخرى فهو لقيمة له لأن هذه الأمم لا تحترم إلا القوة ولا تنقيد بزمان ولا مكان . اذا فهمت هذا عرفت السر في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا الى الجهاد - ولم يقيد بها بزمان لأن هذه أول غزوة غزاها المسلمون للروم بعد ما فرغوا من قتال العرب فوجب أن يضرب المسلمون الذكر صفحا مع الروم عن الأشهر الحرم ويغزوهم . وهذا هو السر في الاطلاق وقطع النظر عن الأشهر الحرم فتعجب من أسرار القرآن وحكمه الغريبة العجيبة . وبهذا تبين لك من يقول أن تحريم القتال فيها غير منسوخ ومن يقول انه منسوخ فكلاهما حق من وجه فمن قال انه غير منسوخ فهو صادق من وجه لأن الأشهر الحرم وغيرها يحرم فيها قتال المسلمين للمسلمين من العرب وغيرهم ومن قال انه منسوخ فهو حق من وجه . وذلك أن قتال الفرس والروم مباح في الأشهر الحرم وغيرها إذ لأمعنى لتحريم القتال فيها معهم وهم لا يحرمون ذلك وبهذا اتضح المقام وزال الابهام . فالجدة الذي ألهم وعلمنا ما لم نكن نعلم

(اللطيفة الثانية)

(الشهور العربية والأفريقية والقبطية وعلة تسميتها بأسمائها المعروفة الآن)

(الشهور عند العرب)

اختلف المؤرخون في أسماء الأشهر في الجاهلية الأولى فقبل ان الأشهر العربية المستعملة اليوم وضعت في عهد كلاب بن مرة أحد أجداد النبي ﷺ وكان ذلك قبل الاسلام بقرنين وعدتها اثنا عشر شهرا . وقد وضعت أسماءها أصلا لبيان الأحوال وأطلقت على الأزمنة وهي

(محرم) - سمي كذلك لتحريم القتال فيه حتى لمن له ثأر

(صفر) - سمي كذلك لما كان يعتري العرب من مرض في ذلك الشهر تصفر منه ألوانهم * وقيل لاصفار مكة من أهلها اذا سافروا فيه الى الحرب أثر قعودهم عنها في محرم

(ربيع الأول و ربيع الثاني) - سميا بالربيع لأنهما كانا يأتيان في الخريف . وكانت العرب تسمى الخريف ربيعا

(جادى الأول و جادى الثاني) - سميا بذلك لاتيانهما في الشتاء عند جود الماء ووقع الجليد حيث تجف الأرض ويقل الزرع والنبت

(رجب) - سمي بذلك لأنه كان يقال فيه ارجبوا أى كفوا عن القتال فكانت العرب تعظمه وتهابه وسمى بالفرد لأنه منفرد عن باقى الأشهر الحرم المتوالية

(شعبان) - سمي بذلك لان شعاب القبائل فيه الى طلب المياه والغارات

(رمضان) - سمي بذلك لأنه كان يأتي حيث يبدأ الحر وترمض الأرض * وقيل لاشتداد حر جوف الصائم وهو ضعيف

(شوال) - سمي بذلك لقولهم شولوا أى ارتحلوا * وقيل لقلة المياه فيه لأن شول الماء بمعنى قل * وقيل لأن الابل كانت تشول فيه بأذنانها لشهوة الضراب ولذلك لم تكن العرب تجيز فيه الزواج

(ذوالقعدة) - سمي بذلك لقعود العرب فيه عن القتال

(ذوالحجة) - سمي بذلك لاقامتهم الحج فيه

﴿ الشهور عند الافرنج ﴾

وضعت أسماء هذه الشهور في أيام المملكة الرومانية الأولى وهي
(يناير) - مأخوذ من (يانوس) وهو معبود خرافي كانوا يمثلونه بوجهين ينظر بأحدهما السنة المنصرمة
وبالآخر إلى السنة المقبلة

- (فبراير) - مأخوذ من (فبروا) وهي معبودة الطهارة عند الرومان
- (مارس) - مأخوذ من مارس معبود الحرب عندهم
- (ابريل) - مأخوذ من كلمة أبيريرى أى فتح بالرومانية لأن الزهور تفتح فيه
- (مايو) - مأخوذ من ميا وهي إحدى بنات المارد أطلس (خرافة)
- (يونيه) - مأخوذ من يونون زوجة (جوبتر) رئيس المعبودات
- (يوليه) - سمي بذلك تذكرا (ايوليوس قيصر) واضع التقويم اليولياني
- (أغسطس) - سمي به تذكرا لخلقه أغسطس أول أمبراطرة الرومان
- (سبتمبر) - معناها هذا الشهر السابع باعتبار أول السنة (مارس) كما كان قديما
- (اكتوبر) - معناه الشهر الثامن باعتبار أول السنة (مارس) كما كان قديما
- (نوفمبر) - معناه الشهر التاسع باعتبار أول السنة (مارس) كما كان قديما
- (ديسمبر) - معناه الشهر العاشر باعتبار أول السنة (مارس) كما كان قديما

﴿ الشهور القبطية ﴾

انتقلت أسماء تلك الشهور من قدماء المصريين واضعها إلى نسلهم من أمّة القبط . وقد سمي المصريون
الشهور بأسماء آلهتهم التي كانوا يعبدونها في سالف العصور وكانوا يقيمون الاحتفالات كل شهر باسم المعبود
المسمى به الشهر في هيكله المكرس له

(توت) - هو رأس السنة القبطية وأصل اسمه بالهروغليفية (تهوت) أى إله الحكمة وكان يسميه
المصريون المتأخرون إله العدم والقلم ويحتفلون به عن بكرة أبيهم باقامة الاحتفالات الشائقة في أنحاء القطر
تعظيما لعيد هذا الإله الذي كان يقع في أول يوم منه . وتستمر الاحتفالات هذه مدة أسبوع . ولا يزال
الأقباط يحتفلون به إلى الآن ويسمونه باسم (النيروز)

(بابة) - اسمه باللغة الهيرغليفية (بى تب دت) أى إله الزرع حيث ينحضر فيه وجه الأرض
(هاتور) - اسمه باللغة الهيرغليفية (هاتور) أى إله الجبال حيث يزين فيه وجه الأرض بجمال المزروعات
(كهيك) - اسمه باللغة الهيرغليفية (كاها كا) أى إله الخير أو النور المقدس
(طوبه) - اسمه باللغة الهيرغليفية (طوبيا) أى الأعلى أو الأسمى أى إله المطر ومن اسمه مدينة طيبة بالصعيد
(أمشير) - لم يستدل له على أصل
(برمهات) - اسمه باللغة الهيرغليفية (بامونت) أى إله الحرارة حيث تنضج فيه المزروعات لاشتداد الحر
(برموده) - اسمه باللغة الهيرغليفية (بأماوت) أى إله الموت والفناء حيث ينتهى فيه أجل المزروعات
ويقحل وجه الأرض

(بشنس) - اسمه باللغة الهيرغليفية (بخنسو) أى إله الظلام لاعتقادهم أن هذا الإله يساعد الشمس
على إزالة ظلام الليل فلذا يكون النهار في شهره أطول من ليله حتى يبلغ ١٤ ساعة في بدايته
(بؤنه) - اسمه باللغة الهيرغليفية (باونى) أى إله المعادن لأن فيه تستوى المعادن والأحجار . ولذا
يسميه العامة بؤنة الحجر

(أييب) اسمه باللغة الهيروغليفية (هويا) أى فرح السماء لأنه مبدأ أفراح المصريين حيث كانوا يزعمون أن (هوريس) أى الشمس انتقم فيه لابنه (أوزيريس) أى النيل من عدوه (نيفون) أى التحريق (مسرى) اسمه باللغة الهيروغليفية (ميشرا) أى ابن الشمس (أيام النسيء) النسيء لغة المتأخر وكان قدماء المصريين يسمونه (كوجى أتافوت) أى الشهر الصغير انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى - يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم - ﴾ من معجزات القرآن التى تظهر فى هذا الزمان أن أكثر ما جاء فيه من علم اليوم الآخر يظهر فى مناجاة الأرواح . ومن اطلع على كتاب الأرواح الذى ألفته فى هذا المقام أدرك هذا العجب العجيب فان قوله - فتكوى بها جباههم الخ - وقوله فى الحديث مامعناه أن البقر تطوُّ صاحبها بأرجلها وهكذا الغنم وكذلك الابل تطوُّه بأخفافها وتدور على ذلك خمسين ألف سنة حتى يتم حسابه ويدخل إما جنة وإما ناراً فيما تقدم وكذلك حديث البخارى المتقدم وأن أخبث الحيات المعبر عنها بالشجاع الأقرع تطوقه وتقول له أنا كنزك أنا مالك . وتبين الحديث أن ماله سيمثل له . كل ذلك دلالة أن ذلك عالم المثال وأن صور الأشياء تظهر هناك وتعذب صاحبها . فهذا بعينه هو المذكور فى الكتاب المذكور نقلاً عن الجمعيات الأوروبية . ولقد حدثوا الأرواح فى أمريكا وإنكلترا وفرنسا وغيرهما فى سائر الدول فأعربت الأرواح عن ذلك وأفصحت وقالت إن البخيل يعذب بماله . وهناك حكاية اليتيمين اللذين لما مات الحاكم الألمانى أخذوا يعذبانه عذاباً شديداً حتى استغاث بزوجه لما أحضرت روحه وهكذا . وهذا كثير فى كلامهم . فهذا بعينه هو الذى ورد فى ديننا . وتعجب كيف يظهر سر القرآن فى هذا الزمان ويؤيد الكشف ماسمعه الأذنان ولم تره العينان - فبأى آلاء ربكما تكذبان -

فاذن عالم البرزخ وهو ما بعد الموت مملوء من الصور الحسنة والقيحة . وأقرب شئ الى ذلك الصور التى تمثل لنا فى المنام وظهور صور أعمالنا بعد موتنا أظهر وأبهر وأجلى وأوضح - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً - بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون -

فعلى المسلمين أن يقرؤا علم الأرواح أولاً وأن يقوموا بمعرفة هذا العلم فعلاً ثانياً ليبين بمحادثة الأرواح حقائق دين الاسلام فستحدثهم الأرواح أنها تعذب بصور أعمالها ويستبين للناس إذ ذاك حقائق العلوم الاسلامية . وهذا هو اليقين وفرق بين التقليد واليقين ﴿ جوهرة باهرة ﴾

﴿ هذه الآيات من قوله تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناءكم - الى قوله - سبحانه عما يشركون - مظهران ﴾ (المظهر الأول) آثارها فى الأمم الاسلامية فى أول ظهورها وأعمال المتأخرين لشأنها وآثارها فى الانقلاب الأوروبي الحديث (المظهر الثانى) ماجاء عن علماء الأرواح حديثاً ببلاد أوروبا

﴿ المظهر الأول وفيه مقامان (المقام الأول) آثارها فى أمم الاسلام ﴾

ذم الله عز وجل الأحرار والرهبان وخاطب المسلمين بذلك . خاطبهم ليكونوا سبياً فى تمزيق شمل رجال الدين فى الأمم . إن رجال الدين فى كل أمة من الأمم القديمة كانوا يستبدون بالناس كالبراهمة الذين جعلوا الناس أربعة أقسام فهم أنفسهم كالرأس . ومن دونهم من الجند كالقلب . ومن دون هؤلاء كالمعدة والأحشاء . وأدنى منهم كالرجلين وهكذا دين المصريين القدماء كان للكهنة السلطان الأعظم على الشعب فهم والفراعنة لهم السلطان الأعظم فى الدنيا والآخرة وكل مجد وكل شرف فى الدنيا والآخرة راجعان الى الملك

والى رجال الدين

جاء الاسلام بهذه الآية وقال الله فيها للمسلمين أيها المسلمون أنتم خلفائي في أرضي فلا تجعلوا لأحد سلطانا على أحد وأهل الأرض كلهم عيالي وأنا ربهم وأنا كافلهم والأخبار والرهبان استبدوا بعبادي وأوهموهم أنهم يغفرون لهم وسنوا لهم القوانين فاجدوا عبادي وأخرجوهم من هذا الدل ﴿ آثار هذه الآيات في صدر الاسلام ﴾

الآن تعجب معي أيها الذكي • أنظر الى أبي بكر رضى الله عنه انه صاحب رسول الله ﷺ وهو أقرب الناس اليه في الدين قد عرف مقصود القرآن بمعاشرة النبي ﷺ فانظر ما قال لعائشة رضى الله عنها وهوفي سكرات الموت ﴿ أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارا ولا درهما ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم وليس عندنا من فيء المسلمين إلا هذا العير وهذا البعير وهذه القطيفة فإذا مت فابعثي بالجميع الى عمر • فلما مات بعثته الى عمر فلما رآه بكى حتى سالت دموعه الى الأرض وجعل يقول رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده ويكرر ذلك وأمر برفعه ﴾

وأمر أبو بكر أيضا أن يرد جميع ما أخذ من بيت المال لنفقته بعد وفاته * ويروى أن زوجته اشتت حلوا فقال ليس لنا ما نشتري به فقالت أنا أستفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشتري به قال افعل ففعلت ذلك فاجتمع لها في أيام كثيرة شئ يسير فلما عرفت ذلك ليشتري به حلوا أخذه فردّه الى بيت المال وقال هذا يفضل عن قوتنا وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم وغرمه لبيت المال من ملك كان له • قال ابن الأثير بعد ما نقل هذا ﴿ والله هذا هو التقوى التي لا مزيد عليها وبحق قدمه الناس الخ ﴾ زهد سيدنا عمر رضى الله عنه ﴾

قال الحسن خطب عمر الناس وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة منها آدم • وقال أبو عثمان النهدي رأيت عمر يرمى الجرة وعليه ازار مرقع بقطعة جراب • وقال علي رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه ازار فيه احدى وعشرون رقعة فيها آدم • ومن قوله رضى الله عنه ﴿ أيها الناس انى ما أرسل اليكم عمالا ليضربوا أبقاركم ولا ليأخذوا أموالكم وانما أرسلهم اليكم ليعاموكم دينكم وسنتكم فن فعل به شئ سوى ذلك فليرفعه الى فوالذى نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه ﴾ الى أن قال ﴿ وكيف لا أقصه منه وقد رأيت النبي ﷺ يقص من نفسه ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوه ولا تحمدوهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ﴾ اهـ ومثل هذا روى عن سيدنا علي وسيدنا عثمان رضى الله عنهم أجمعين

مضى الصدر الأول وأكثرت القوم على هذا فانظر للأمة الاسلامية بعد ذلك ما كادت القرون الأولى تنتهى حتى أظلمت آفاق الأمم الاسلامية وتبعوا من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع واستبد صغار العلماء بالعقول وأفهموا الناس أن كثيرا من العلوم لا تنفع في الدنيا والآخرة لأجل أن يتولوا هم القضاء والوصايا ويتصدروا في المجالس واستنموا نوما عميقا محزنا وشره الملوك على نظام الدنيا • وأنا أذكرك بما نقلته في المجلد الثالث في سورة المائدة من هذا التفسير فقد ذكرت هناك نص عاجا في الاحياء عند قوله تعالى - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض - وهذا نص بعضه

﴿ واحترز من الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم على الدين أعظم من الشيطان ﴾ وهناك تجد بيان سبب ذلك إذ هم زينوا للناس بأفعالهم وأقوالهم الاقتصار في زمانهم على علم الفقه وذلك ليتصدروا في المجالس ويتولوا القضاء والوصايا فالعلم اذن مصيدة لهم يصيدون به المال فرجع القوم إذ ذاك الى أخلاق الأخبار والرهبان الذين قال الله فيهم - انهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله - فاذن يكون هذا يشبه أكل أموال الناس بالباطل وان لم يكن باطلا من كل وجه • وأيضا اذا صدوا عن العلوم كما

يقول الغزالي فقد أشبهوا من يصدّون عن سبيل الله بعض الشبه فاذن تكون هذه الأمة قد تبعت من قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع وأصبحت كما قال الله تعالى - ولا يذكرونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال علمهم الأمد فقصت قلوبهم وكثير منهم فاسقون - وهكذا صار لبعض علماء الاسلام في كثير من الأزمان من الأعمال ما اتفق للأخبار والرهبان المذكورين في هذه الآية والله هو الولي الحميد ومنه التوفيق والحمد لله رب العالمين . انتهى الكلام على المقام الأول لهذه الآيات في الأمم الاسلامية قديما وحديثا

المقام الثاني آثار هذه الآيات في الانقلاب الأوروبي

اعلم أن أكبر مظهر لهذه الآيات قد ظهر ظهورا واضحا في أوروبا . ألا تعجب معي كيف كان مظهر هذه الآيات واضحا ظاهرا في أوروبا بظهور الشمس . ألا تتأمل في حال المسيحيين كيف كان (الكاثوليكية) الذين هم يسمون (مملكانيه) أيضا لهم رئيس ديني وهو الأسقف العظيم والخبر الكبير والقسيس الأنخم . من هو هذا . هو المسمى (البابا) ومقره وسكنه (روما) بدولة (إيطاليا) فهو رئيس أهل هذا المذهب وهو كالقبط عند المسلمين . ومن جهة أخرى هو ملك سياسي وأهل إيطاليا كلهم على مذهبه وقد جعلوا للبابا السلطان الأعظم عليهم سنة ٧٢٦ م الموافق سنة ١٠٨ هجرية . وصار البابا يترقى حتى صارت له مقاليد الدين والدنيا فكانت للبابوات ممالك واسعة في الأرض . وكان لهم حق كبير في تولية ملوك أوروبا وعزلهم كما يشاؤون . وكان لغيرهم من الملوك تاج واحد وأما هم فكان لهم ثلاثة تيجان واحد فوق الآخر دلالة على كمال السلطة ويدهم الحرب والسلام . وكانوا يحرقون من خالفهم بالنار وهو حي . وقد ألزم البابا مرة أمبراطور ألمانيا أن يقف حافيا ثلاثة أيام في فصل الشتاء أمام باب قصره ليطلب منه الغفران . ورفض البابا مرة برجله تاج ملك (جرمانيا) حيث كان جاثيا أمامه يطلب الغفران . ولما استفحل أمرهم انحطوا شيئا فشيئا إلى سنة ١٨٧١ م الموافقة سنة ١٢٨٨ هجرية إذ ذاك سقط أمرهم بالكلية ودخل الايطاليون إلى عاصمة مملكة البابا وأخذوها منه وأبقوه رئيسا على الكاثوليكية فقط ومقره في الكنيسة الرومانية وليس له من الرئاسة غير ذلك

هذا هو ملك رجال الدين الذين أشار لهم القرآن هنا . يقول الله للمسلمين أيها المسلمون انشروا العلم في الأمم وهدّبوها نفوسكم وكونوا للناس آباء رحاء ولا تكونوا كرجال الدين في الأمم المسيحية واليهودية الذين جعلوا الدين مصيدة لجمع المال . يا أهل الأرض إياكم أن تأكلوا أموال الناس باسمي ولا تجعلوا ديني سبيلا لظلم عبادي فمن كان خليفة في الأرض فليكن نورا مبينا للناس كالشمس لا يريد جزاء ولا شكورا كما اتفق لنحو أبي بكر وعمر وعلي وأمثالهم . أما المتأخرون من علماء الاسلام فأكثرهم يجهلون مقصود القرآن وهكذا أهل أوروبا اتصل ملك البابا فيهم فوق ألف عام وهم خاضعون لسطوة رجال الدين فأخروا تلك الأمم ولم يستيقظوا إلا بعد أن خذلوا رجال الدين . أفظروا أيها المسلمون آثار الأمم وآثار الاسلام فيها

(١) قال المؤرخ (كرنيوس اغريبا) عند وصفه ابتياع حل الخطايا في عصره بالمال مائه (ليس من ذنب فظيع إلا أمكن حله بالدينار حتى القتل وسفك الدماء . كانوا يشترون الحل والغفوة بالأموال الطائلة) انتهى . أليس هذا هو نص الآية إذ يقول هنا - ان كثير من الأخبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل - وأي باطل أشد من هذا ويقول تعالى هنا أيضا - اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله - وأي ربوبية أعظم من غفران الخطايا فهذه ربوبية جشعة بالأموال

(٢) ومن اطلع في مدينة (أنقرس) يجد في قبر (كرنيوس فان لاند شودت) ماتعريبه (تذسكب السماء بالاجتهاد أو تشتري بالمال)

(٣) ليس من شيء مقدس إلا جعله رجال المسيحية متجرا فيتاجرون بالضائر والإيمان وضعف النفوس

وقد جعلوا دفن الموتى بابا للثروة فيقرعون للغنى الأجراس ويشعلون له الشموع ويحملون له البيارق والصلبان ويكسبون الكنيسة برايات الحداد ويسيرون أمام جثته بالترتيب وهكذا . ومن أعمال البابا (أوربانوس) الثاني انه لعن (أنريكس الرابع إمبراطور ألمانيا) مع أعوانه . وهذا بعض هذه اللعنة في انا تفصلهم عن حضن الكنيسة ولنغضبهم أبدا ليكونوا ملمعين في المدن والساكن وفي كل أرزاقهم الخ وهي طويلة جدا ملة كلها لعنات

(٤) ومن أعمال نصارى الاسكندرية سنة ٤١٥ بايعاز أسقفهم وكهنتهم انهم اختطفوا العامة (هيباتيا) ابنة (تيون الاسكندري) الرياضي الشهير في عصره ومزقوا جسدها إربا لأنها كانت تعلم الفلسفة وتحب العلم والفضيلة وتحت عليها

(٥) وفي سنة ٧٨٢ قبض (شرلمان الكبير) بايعاز الخبر الروماني على أربعة آلاف ساكنوني ونيف من مدينة (واردن) وضرب أعناقهم في يوم واحد لأنهم أبوا قبول العماد

(٦) وفي سنة ١٠٠٧ أحرق أقواما في مدينة (أورليان) وهم أحياء . وفي سنة ١١٣٤ أحرق حيا (بطرس برويس) في مدينة (لانجدوك) لأنه انكسر صحة مموذية الأطفال ونحو ذلك

وفي سنة ١١٥٥ قتل خنقا (اربالودي بريشا) لأنه نشر تعليم أرائيكيا ماله وجوب عيشة الاكليروس من عطايا المؤمنين الاختيارية فقط . وفي سنة ١١٦٠ قام الكاثوليك على جماعة من (الفوين) عصوا أمر البابا فأحرقوا منهم عددا كبيرا وقتلوا منهم في فرنسا ثلاثة آلاف من جلتهم كثير من الصبيان . وفي سنة ١٢٠٩ اضطهد الكاثوليك أيضا (الأليجين) في مدينة (بيزيه) فذبحوا منهم ثلاثين ألفا وأحرقوا منهم في مدينة (لافور) أربعمئة انسان دفعة واحدة وخنقوا أمير (أرائيكيا) بعد أن أحرقوا امرأته وبنته وأخته معا ثم شنقوا أميرا آخر مع ثمانين شخصا من آل بيته ثم غزوا مدينة (لانجدوك) ومنح البابا (اينوشنسيوس) الثالث غفرانا كاملا لكل الذين اشتركوا في هذه المذابح والغزوات . وفي سنة ١١٨٤ تأسس ديوان التفتيش في مجمع (فيرونا) وصادق عليه البابا (اينوشنسيوس) الثالث سنة ١٢٠٤ وثبته نهائيا البابا (غريغوريوس) التاسع ببراءة خصوصية . ويقدر المؤرخون بالملايين عدد الذين قتلوا بحكم هذا الديوان . قال المؤرخ (ميشيله) ان عذاب النار كان متنوعا فيضعون تارة المحكوم عليه داخل (آتون مضطرم) فيموت حالا . وأحيانا يلقونه على نار ضعيفة ويقلبونه عليها بكلايب من حديد مرارا عديدة الى أن يحل به الموت ببطء فينقذه من عذابه المهول وتارة ينزلون بالمحكوم عليه في دهليز تحت الأرض ويضعونه في حفرة بقدر قامته ثم يستون ذلك عليه الى عنقه . وهذا هو معنى دفنه حيا ولا يبقى الا متسع صغير أمام رأسه يأتيه منها السجن بالطعام الى أن يوافيه الموت بعد عذاب شديد . وتارة يأتون بالأسياخ الحديدية فيدخلونها تحت أظافر اليدين والرجلين وهكذا السعال من الحديد المنطبقة على باطن القدم المحماة في النار . وهكذا الرصاص الذائب يسكبونه على الجراح الدامية . وهكذا خفاف جهنمية تشد على الأرجل الى أن يقطر منها الدم وتنفض اللحم وتتطاير العظام . وهكذا مسامير مجوفة تصب في الأحشاء زيتا غاليا . وهكذا كلاب حامية بها يقطع الشديان . وهكذا من أنواع العذاب الشديدة الجهنمية . ذبح النصارى كثيرا من اليهود في انكثرا أيام (ريكارديس الأول) ومن بعده وعذبوهم ونهبوا أموالهم الى أن طردوا تماما من البلاد سنة ١٢٩٠ م

وأحرق لويس الحادي عشر ملك فرنسا منهم في مكديس ١٨٣ شخصا مع راعيهم . وفي عام ١٢٤٩ أحرق منهم ثمانون انسانا في بلدة (آجين) . وفي سنة ١٢٦٧ حكموا على الراهب (روجرباكون) بالسجن (١٤) سنة لأنه أبرم عهدا مع الشيطان في أنبجائه العامة . وفي سنة ١٣٩٠ ذبح النصارى في

مدينة (سيفيلا) أربعة آلاف شخص من اليهود بايعاز كاهن اسمه (هرماندومارتش) ولازال باقي اليهود يعانون العذاب حتى طردوا منها بتاتا أيام الملكة (ايزابلا)

وحكم في انكلترا بنش قبر (وويكلف) لأنه ترجم الكتاب المقدس وذلك الحكم بأمر مجمع قد طانس سنة ١٤١٥ وطرحت رفاته في النهر • ويقدر المؤرخون المحكوم عليهم في محكمة التفتيش باسبانيا ٥١٠٠ شخص أيام (توركويمادا) التي دامت ١٨ سنة وعدد الذين أحرقوا مابين ثمانية وعشر آلاف • وقتل في الأندلس في سنة واحدة ألفا يهودي وعذب منهم ١٧ ألفا وأحرق منهم عدد عظيم في مدينة (بامبلونا) في فرصة زواج أميرالبلد • والاحراق غالبا كانوا يتخيرون له فرصة زواج الملوك فيجلس الملك والملكة على دكة عالية ويؤتى بالمحكوم عليهم بين تصفيق الجمهور وعلى رؤسهم أكليل من ورق نقشت عليها رسوم الشياطين وتصدح الموسيقى بالأنغام ورئيس التفتيش حامل في يده كتاب الانجيل • وفي سنة ١٥٦٨ أصدر ديوان التفتيش الروماني حكما باهلاك كل سكان (هولاندا) لاتباءهم الهرطقة وعدد الذين قتلوا في (اسبانيا) أيام (كارلس الخامس) وابنه (فيلبس الثاني) خمسون ألفا • وفي سنة ١٦١١ طرد المسلمون من (اسبانيا) وعددهم ألف ألف • وقتل منهم مائة ألف بايعاز رئيس أساقفة (فالنا) الذي أمر بقتلهم كما قتل داود الفلسطينيين وشاول العمالقة • وفي سنة ١٥٧٢ حدثت مذبحه (سان باتلمي) الشهيرة فذبح تلك الليلة في باريس وحدها عشرة آلاف وثيف من البروتستانت من شبان وشيوخ وأطفال ونساء وحوامل وفي الأقاليم نحو أربعين ألفا • ثم ان (البروتستانت) فعلوا أكثر مما فعل (الكاثوليك) فارتكبوا فظائع مريعة في ألمانيا وهولاندا وانكلترا خصوصا أيام (أنريكس الثامن) والملكة (البصابت)

وقد قتل في انكلترا وايكوسيا لدواع دينية في مدة مئتي سنة مليوني نفس • وفي سنة ١٦٠٠ حكم ديوان التفتيش الروماني على (جورداتورنو) العلامة الشهير بالاحراق حيا لأنه رأى مارآه (كوبرنيك) و (غاليلوس) في دورة الأرض وقوله إن النفوس ترتقي في العوالم التي لا تنهاى منتشرة في الفضاء • وفي سنة ١٦٩٩ حكم على (فانين) بالاحراق حيا في مدينة طولون لأنه ألف كتابا ونشره يسمى (محاورات في مسائل الطبيعة) • وفي سنة ١٦٨٥ نقض لويس الرابع عشر بايعاز (الكايروس) معاهدة (نانت) مع البروتستانت فتسبب عن ذلك مذابح شتى وامتلات سجون فرنسا من أهل الاصلاح • ويقدر عدد القتلى بأكثر من ثمانمائة ألف أي من الذين قتلوا وسجنوا ونفوا • وقتل في مدينة (لاتجدوك) وحدها مائة ألف انسان حرقا وشنقا وتعذبا في القرن الثامن عشر وحكموا بايعاز أسقف (اميانس) سنة ١٧٦٦ على الفتى المسمى (دى لابر) بقطع يده وقلع لسانه واحرقه حيا لكونه لم يؤد الاكرام الواجب (لايقوتة العذراء) وقت طوافها الاحتفالي وله من العمر ١٩ سنة • انتهى

هذه بعض أعمال رجال الدين في أوروبا وأمامي الآن مئات الحوادث في كتب مختلفة ضرب بنا عنها صفحا اكتفاء بالقليل المفيد عن الكثير • وانما الذي يهمنى الآن أن هذا الضلال لم يزل عن أوروبا إلا الاسلام فان القوم نازعوا المسلمين في الحروب الصليبية وعرفوا الحقائق فأذلوا رجال الدين وصاروا أحرارا • ولا كتف لك أيها الذكي بإيراد ما جاء أيام طبع هذا الكتاب من رسالة بقلم سيدة أوروبية أسامت وكتبت مذكرات ونشرتها في بلادنا المصرية فهناك نصها لتعلم كيف كان قوله تعالى - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله الخ - ونداء الله للمسلمين بقوله - يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان الخ - قد ظهرت آثارهما في أوروبا بأجمعها في العصور المتأخرة كما ظهرت آثاره في الاسلام في العصور الأولى فهناك نص ماقالته تلك السيدة الأوروبية بالحرف تحت عنوان (الحضارة الاسلامية والحضارة الأوروبية

- رجال الدين وهماي ذه

﴿ مذكرات سيدة أوروبية أسلمت ﴾

(الحضارة الاسلامية . والحضارة الأوروبية)

﴿ رجال الدين ﴾

لا أستطيع في هذه الأسطر القليلة أن أتعمق في بحث الدور الهائل الذي لعبه رجال الدين في سياسة أوروبا جمعاء فيما بين القرنين السادس والسابع عشر وماجره اسرافهم في الأمر من حروب وتقم فانه يحتاج الى مجلدات . وأن كل من قرأ شيئاً من تاريخ أوروبا يعلم كيف استفحل أمر رجال الكنيسة في ذلك العهد . وكيف سلبوا أموال الأمة واستحوذوا على أملاكها . واستبدوا بالوظائف الحكومية والمكانات العالية . وكيف كانوا يعيشون في مثل بذخ الملوك . لهم ماليس للناس . ولايجرى عليهم مايسرى على باقي أفراد الشعب حتى ضاقت الملوك ذرعاً بما كانوا عليه من اسراف وظلم وتسلط على العقول والقلوب باسم الدين والكنيسة . وظلوا على تلك الحال الى أن أردوا أوروبا بأسرها في هوة الخراب بتلك المجزرة الهائلة التي أطلق عليها التاريخ اسم (حرب الثلاثين) وما أعقبها من مطاردة (لويس الرابع عشر) ملك فرنسا لطائفة (الهجنوت) مطاردة قضت على مائتي ألف منهم بالغربة والتشتيت في أنحاء العالم

والحقيقة أن رجال الدين في ذلك العهد أساءوا استعمال سلطتهم الروحية واتخذوا من الدين ذريعة لنيل مآربهم السافلة من سلب الأموال والعبث بالامتلاكات والوظائف وسائر مرافق الحياة

ولقد عاشت أوروبا تحت تأثير هذه الطائفة وتضليلاتها في ظلم وجهالة الى أن نبت فيها أمثال (فولتير) و (روسو) فحرروا العقول من الأوهام التي كانت لاتزال عالقة بها وحطموا تلك القيود البالية التي غلغل بها رجال الكنيسة رقاب الشعب المسكين . وأخذت أوروبا في دور النهوض والتقدم وكانت كلما أعرضت عن رجال الدين وأهملت تعاليمهم المسممة ازدادت رقياً وتقدماً الى أن بلغت بفضل اهمالها انعام هذه الطائفة مبلغها الحالي من الرقي والعمران

ولقد حدا بي كل ذلك الى الظن في بادئ نشأتي أن كل الأديان في هذا سواء الا أني تحققت بعد أن اعتنقت الدين الاسلامي أنه خير الأديان وأمتها أساساً وبنينا . وانه دين الاجتماع . دين الحكمة والفلسفة دين العلم . دين الحرية والاخاء والمساواة

واني لعلى يقين الآن أن أمثال (فولتير) و (روسو) وغيرهم من قادة الفكر في أوروبا لم ياتوا بنظر ياتهم الفلسفية وآرائهم في الحرية والديموقراطية الا بعد أن تشبعوا بفلسفة الاسلام واستقوا تلك المبادئ من روحه السامية مما عثروا عليه في بطون الكتب المنهوبة من الأندلس ومصر وغيرها . واني لأتنبأ بأنه سيأتي يوم قريب تنبلج فيه أنوار هذا الدين وأسراره العالية فتكون أوروبا وأمريكا أول من يبادر الى اعتناقه هاشين باشين . وهم يزعمون أنه دين الجود . ويساعدتهم على ذلك نفر من بنيهم . ولكن أسألهم . هل دين الجود يأمر بالحرية والمساواة . ويقرر مبدأ المسؤولية الحكومية والمشورة وينشر الديموقراطية . أوليس عمر أول حاكم ديموقراطي أسس ملكه على العدالة ونادى بالحرية والمساواة

أوليس هو القائل ﴿ ان الناس ولدتهم أمهم أحراراً فبم استعبدتموهم ﴾ . أوليس هو أول من قرر مبدأ مسؤولية الحاكم أمام الأمة حين وقف قائلاً ﴿ من رأى في أعوجاجا فليقومه ﴾ (فيجيبه العربي) لورأينا فيك أعوجاجا لقومناه بحد السيوف ﴾

أوليس القرآن أول نظام قرر المشورة قال تعالى (وشاورهم في الأمر) وعدم استئثار الزعيم أو الحاكم بالرأي . أوليس الاسلام أول من قرر حق انتخاب الأمير أو الحاكم للأمة . ذلك بان سيدنا محمداً ﷺ

مات ولم يوص بالخلافة من بعده لأحد من أصحابه

أوليس القانون المدني صورة محورة من نظم الشريعة الإسلامية وفلسفة ابن رشد . والأدلة على ذلك كثيرة ليس هذا الموضوع محلًا لذكرها . والآن وقد أتيت في هذه النبذة التاريخية على ما كان لرجال الدين من أثر في سياسة أوروبا وأخلاقها . فاني أعوذ بالقارئ إلى الشرق في أيام عزه وسلطانه مستعرضة ما كان عليه رجال الدين في عهد شروق أنوار الاسلام وكيف كانت أخلاقهم وصفاتهم وما تركوه من الأثر في نفوس الأمم التي تغذت بلبان تعاليمهم وارتشفت من كنؤس علمهم وحكمتهم

نعم لقد كان للشرق عز وسلطان أيام كان للدين رجال يحمونه ويحافظونه ويحافظون على تعاليمه ويمشون على سننه . ترخص أرواحهم وتغلو في سوق الفضيلة ذمهم وضمايرهم . استلنوا ما استخشن المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون . لم يفتنوا بحب المال والجاه ولم يركنوا لنوى العز والسلطان نعم بمثل هؤلاء عز الاسلام وخفق على العالم لواء العدل وعمت الحرية وتآخى الناس على اختلاف طبقاتهم في ظلال الامن والسلام . من ذلك ترى أن الشرق وان أخذت منه الخلافات المذهبية التي لا تزال حية حتى اليوم كالشيعة والسنية والروافض وغيرهم قد اقترن تاريخ مجده ورقبه بأيام تمسكه بالدين على يد رجاله العاملين . فالشرق والغرب عندي في هذا الموضوع ككفتي الميزان . تركت أوروبا الدين وتخلصت من رجاله الظلمة المستبدين فرقت وعزت وتحررت العقول ونضجت الأفكار وأهمل الشرق أمر دينه واحتقر تعاليمه واستهان بشريعته ورماه خطأ بأنه دين الجود فتقلص ظله وزال سلطانه وانمحت دولته . وهنا أقف وقفة المحزون أناجي الشرق وأسأله . هل أنت حقا ذلك الشرق صاحب المدنية القديمة والتاريخ المجيد مهبط الوحي ومبعث العدالة ومخرج تلك العقول التي حيرت ببديع صنعها ورائع ثمرتها أفكار أهل أوروبا وأمريكا الذين كانوا يرتعون في ذلك العهد في مجاهل الظلم والجهالة

ان كنت أنت ذلك الشرق فلم أظلمت بعد ساطعة الأنوار ولم أكفهرت جؤك وأظلم أفقك وزالت سطوتك وأنصحت مقهورا بعد أن كنت قاهرا ومستعبدا بعد أن كنت سلطانا عادلا . هل تغيرت الأرض والسماء أم جفت الأنهار وتعطل الليل والنهار . لا ان شئيا من كل ذلك لم يكن . انما هو خراب القلوب من الايمان بعد عمارها وبيع الدم والضمائر رخيصة في سوق الدنيا ونبد الدين وتعاليمه واقفار أهل العلم من صفات العلماء واستكانة الملوك والأمراء . وان شر ما أنعميه على الشرق اليوم وأكبر ما آخذه عليه من أسباب التدهور والانحطاط هو تغير أخلاق العلماء ومحل قلوبهم من العلم والعمل

أنظر الى مافعله علماء بني غازي . ألم ينادوا باسم عثمانويل ملك إيطاليا على المنابر بعد خلع الخليفة والله يقول - يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين - الآية

ألم يبايع علماء الحجاز والسودان الحسين بن علي المؤيد من قبل الانجليز بالخلافة . ألم يقيم سعيد الكردي باسم الدين في وجه الكماليين أصحاب السلطة الشرعية على البلاد ارضاء لشهوته من الانجليز ألم تر الى أعمال سادتنا العلماء في مصر . وقد ظنوا أن الدين انما هو ارضاء للحى وتوسيع الأكام ولبس الفرجيات وان أقفرت بيوت الله وأظلمت وعمرت المواخير وبيوت الدعارة ازدهت . وهل تراهم مشتغلين بغير عمارة الجيوب وان خربت الدم والقلوب . وهل تراهم الا صائحين ليل نهار بتضخم المرتبات وزيادة الجرايات وان فتكت بأهل البلاد حى الحر والميسر والمختبرات

أين سطوة العلم وعز الايمان . وقد حفت أقدام هؤلاء السادة من السعى الى القصور والعمارات والجري وراء كل ذى لقب من أصحاب المراتب والمرتبات . أين تأليفهم النافعة . أين دعاياتهم ضد هجمات المبشرين واحتجاجاتهم ضد كيد المستعمرين . أين صيحتهم التي كانت تزلزل العروش وتهز القلوب

أين العلماء الذين كان يقصدهم الملوك والعظماء ولا يقصدون . ويسألهم الكبير والصغير ولا يسألون
أين من قيل فيهم انهم ورثة الأنبياء . وان قطرات أقلامهم ترجح بدم الشهداء . قضت دولة أولئك
العلماء وأصبحت لا ترى الا كل حفيظ لبعض قشور من الشريعة وأصول الفقه يستثمرها ابتغاء قنص الفلوس
لا في سبيل اصلاح النفوس . متهافت على الأمراء والعظماء . لا يرى منفعة دينية . أوحظا عاجلا عند كبير
الاطار اليه كالذباب لا يقوى على رؤية العسل دون أن يهوى عليه

أما الدين . أما الضمائر والدم . وعلو النفس والهضم . فذلك ما ليس بعينهم ما دام لا يصد البلعوم
ولا يهيئ أسباب العيش الرضى الهنيء . وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر يحياها السادة العلماء في دار
المنسوب السامى وتظلم الجوامع ولتقف بعد ذلك بيوت الله

أراح الله الشرق من شر المنافقين . وقبض له علماء عاملين يأخذون بيده وينهضون به فيعود الى
ماضيه القديم ويسترد مجده التليد فاني لأظن الأرض تخلو من هذا المثل الأعلى للعلماء . بل ان هذا الظن
قد تحول منى الى تحقيق بعد أن تبين لى فى نفسى صدق على بن أبى طالب حيث قال ﴿ اللهم لا تخلى الأرض
من قائم لك بحجة اما ظاهرا مشهورا أو خائفا مقهورا لئلا تبطل حجج الله وبيئاته ﴾ وليس بضائر الشمس
أن تحجبها عن الأبصار السحب السوداء أو أن لا ترى نورها أعين الخفاش فانها بالرغم من كل هذا موجودة
وهي تضيء وهي تنفع . أما أنا فأعتبر نفسى سعيدة السعادة كلها حيث قد من الله على باخترق هذه
السحب السوداء بنور البصيرة فعرفت من أنكره الناس وعثرت بمصباح (دياجونيس) على مالم يعثر عليه
(دياجونيس) نفسه ذلك هو الرجل . واني لست بالساذجة ولا بالجاهلة فان قلت انى عثرت وعرفت فعلى
علم ونور وبصيرة . انتهى
مدام رثيفه كامل

وبهذا تم الكلام على المقام الثانى من المظهر الأول لهذه الآيات

﴿ المظهر الثانى ماجاء عن علماء الأرواح حديثا ببلاد أوروبا ﴾

(معجزات القرآن فى هذا الزمان وظهور الكشف الحديث مصداقا لهذه الآيات من قوله تعالى
- الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله - الى قوله تعالى - فذوقوا ما كنتم تكفرون -)
ولفصل الكلام فى هذا على ثلاث جواهر ﴿ الجوهرة الأولى ﴾ ملخص هذه الآيات اجالا نبني عليه
مابعدہ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ فى مبحث عام فى النفس الانسانية وقواها وملسكاتھا وأخلاقھا لأنها هي أس
جميع الأعمال ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ فيما أعلنه بعض الذين خاطبوا الأرواح من علماء المسيحيين الكبار
وحكمائهم وأنهم شاهدوا فى الجنة قصورا وفى النار ظلمات وسعيرا وأن بعض رؤساء الدين المسيحى من آباء
الكنيسة الرومانيين فى أسفل جهنم الخ . وأن الدين الاسلامى قد ظهر له أحسن أثر فى الأموات الذين
اعتنقوه الخ وهذا المقال من أعجب ما فى هذا التفسير

﴿ الجوهرة الأولى مجمل هذه الآيات هو ﴾

- (١) ان من قدم النفس والمال لله فهو فى الجنة
 - (٢) ان الذى يقدم حب المال والأهل وغيرهما على حب الله فهو فى جهنم
 - (٣) ان النصر بيد الله لأن العالم فى قبضته
 - (٤) معاداة الكفار
 - (٥) ذم النصارى واليهود الذين جعلوا لله شريكا واتبعوا الأخبار والرهبان الذين يخللون ويحرمون
 - (٦) الأخبار والرهبان لشركهم على المال وحبهم للرئاسة يعذبون فى جهنم
- هذه الأصناف الستة ترجع لأصل واحد وهو أن الشره على المال أو الرئاسة أوجب أمر من الامور يصد

النفس من حب الله تعالى وهذا يوجب عذاب جهنم . فهذه الآيات جعلت ما بين مؤمن متناقل عن الجهاد لأجل مسكنه أو ماله أو أهله وبين رئيس ديني مغرم بالمل والرياسة الخ وبهذا تمت الجوهرة الأولى ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في تحليل النفس الانسانية ومعرفة قواها وملكاتهما حتى نقف على سرها المكنون المخزون الذي به ندرك بعض سر هذه الآيات . ثم نقف في ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ بمصادقها من العلم الحديث اللهم انك أنت الذي نحي القلوب وتخرج الحي من الميت . أنت الذي شرحت صدرى لهذا التفسير وأنعمت علي بالتوفيق وأريتني بدائع الغرائب ومشاهد الحوادث حتى يظهر سر كتابك في هذا الزمان الذي التبس فيه الحق بالباطل . اللهم انك أنت الذي خلقت نفوسنا وأضأتها بنورك وأودعت فيها جواهر وأبدعت وزوقت وصورت وأحكمت فكانت نفوسنا (١) قابلة لمعرفة جميع الموجودات (٢) مشاركة لكل شيء في صفات عامة فهذا تود لو شملت جميع الأحياء بالرحمة والاحسان (٣) وحياتها متوقفة على العوالم العلوية والسفلية بوجه عمومي (٤) وهي من جهة أخرى تود لو تتلع كل موجود اطاعة لشهوتها أو تهلك كل شيء طاعة لغضبها وسطوتها . وبيان هذه الأربعة أن نقول

هلم أيها الذكي أحدثك دقائق واعتزل عالم الأجساد وادخل معي عالم روحك وتفكر فيها فها أنا ذا أصف نفسي وهذا الوصف ينطبق على نفسك وقد أمرني الله وأمرك أن تنظر في نفوسنا فقال - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وهذا فيه توبيخ لنا وانكار علينا لعدم نظرنا لنفوسنا فامتثالا لأمره تعالى أنظر في نفسي وأنت تنظر في نفسك فأقول

قل لي أأنت تجد انك تحب أن تعرف جسمك ومنزلك وقريتك وأمتك والكرة الأرضية والمجموعة الشمسية وعالم المجرة الذي يحتوي على نحو (٢٤٠) ألف ألف من النجوم التي هي أكبر من شمسنا وأضوأ جدا . فمنها ما هو أضوأ منها (١٠٠) مرة . ومنها ما هو أضوأ ألف مرة . ومنها ما هو أضوأ ثمانية آلاف مرة وأكثر كما تقدم كثيرا في هذا التفسير . ثم وراء هذه المجرة مجرات أخرى قد وصلت إلى ما يزيد على ألف ألف مجرة وكل واحدة من هذه فيها شمس كشمس مجرتنا . اللهم أنت القدوس . أنت العليم . أنت الحكيم . أنت الكريم . فمن كرمك أن أبدعت نفسي وأبدعت نفس قارئ هذا الكتاب وجاعتهما تواقين إلى هذه العجائب التي ذكرتها سابقا في سورة الأنعام وسأذكر بعضها في سورة يونس وغيرها . بل ان هذه النفس نراها ندرك أن هناك مالا نهاية له في الزمان والمكان والعوالم ولكنها حين تريد أن تتصور ذلك تبهر وتنكمش وتتقهقر وتقول لا قدرة لبصيرتي على تصور هذا واذن ترجع القهقري وتقول ان مالا نهاية له يعلمه من وجوده لانهاية له وهو الذي دبر هذا الوجود فمن أنا حتى أقف على سر الوجود فمن هذا يتبين أن نفسي ونفسيك معا عاشقتان مغرمتان بالاطلاع على كل موجود . ومعنى هذا أنهما قابلتان لذلك كما قبلتا الطعام والشراب ويظهر لي أن كل ما تميل اليه النفس هو من جبلتها وطبيعتها والافلاعاذا كان ميلها للطعام سببا لحياتها وميلها لاقتراب الرجل والمرأة سببا لبقاء الولد فهكذا فليكن ميلها لمعرفة العوالم وحبا سببا لسعادة كبرى مناسبة لهذا الميل كما سعدت سعادات صغرى بالميل للطعام وللزواج . هذا هو ما قصدت من شرح ﴿ الأمر الأول ﴾ وهو قبول النفس لمعرفة جميع الموجودات ﴿ الأمر الثاني ﴾ ان الانسان لمشاركته لأبناء نوعه في عواطفه يحب حياة كل انسان متى خلى وطبعه . والبرهان على ذلك أنك ترى الانسان اذا شاهد قطارا دهم رجلا وقتله في مصر أو بغداد أو الاستانة أو كالسكوتا أو باريس أو برلين فانه في الحال يفرغ ويحزع وهذا دليل على أنه يفرق بين حالي هذا المقتول ويفضل حال الحياة على حال الموت ﴿ الأمر الثالث ﴾ ان نفسي التي تحب معرفة كل شيء وحياة كل انسان (اذا وصلت لليقين) تعرف انها متوقفة على جميع العوالم العلوية والسفلية . وهذا واضح في ثنايا هذا التفسير أفلا تعجب من هذا . ألا تعجب من

أن حبها معرفة العوالم وعطفها العام يناسبان احتياجها العام . اللهم ان نفسى لاتعيش فى هذه الدنيا الا بحسب تحفظه قرية تحميها دولة يحيط بها هواء وأضواء مشرقات من العوالم العلوية والأمم جميعها والدول مشتركات فى الامور العامة كالاسلاك البرقية (التلغراف) وكالمسرة (التلفون) وكالقطرات فى البر والبحر وهكذا . فالأمم على هذه الأرض كلها متعاونات وان كُن متعادات وهذا هو العجب . حب عام واحتياج عام واشتراك عام . وان كان هذا الاشتراك سوريا والقلوب مقلقة على الطمع والشره والعداوة والبغضاء لنقص أهل الأرض أجمعين إلا قليلا منهم - وقليل من عبادى الشكور -

(الامر الرابع) انها مع هذا الحب وهذا الغرام بالعلم والاشتراك العام كنت فيها قوتان (احدهما) جاذبة (والأخرى) دافعة . أما القوة الجاذبة فهى الشهوات التى أعدت لبقاء الحياة فى الدنيا . فهذه الشهوات نراها قوية هائلة فكما رأينا عقولنا تود معرفة كل كوكب وكل شمس وكل أرض كما هو معروف من أخبار علماء أهل أوروبا الذين يودون أن يسافروا للقمر أو يخاطبوا أهل المريخ الخ ونحن نتشوق لذلك شوقا كبيرا . هكذا نرانا اذا ملكنا لاتقف عند حد فنحن تكفيينا الأطعمة الحاضرة والملابس الساترة . لكن هذه النفس تندفع فى شهواتها كاندفاعها فى علومها يود الانسان لو يملك قرية أو أمة أو أهل الأرض جميعا . والدليل على ذلك ما نعرفه عن نابوليون وبختنصر وغلجوم امبراطور الألمان وغيرهم . وهكذا كل أحد منا يعرف فى نفسه انها لاتقف عند حد فى أمر الملك وحوز النعم الأرضية . واذا عارض أحد من الناس هذه القوة فىنا غضبنا عليه وكرهنا حياته ونسينا أن كل حى على الأرض رجة لنا فالأمم وأفراد الأمم يساعد بعضهم بعضا . فكل عنده من العلم والسلع ماليس عند الآخر فكل لكل مكمل ومرق ولكن الناس لنقص أكثر نفوس أهل هذه الأرض بعضهم لبعض عدو . وهذه هى القوة الدافعة فنحن أهل الأرض بين قوتين . قوة جالبة لما به الحياة . وقوة دافعة لما يصادها . وهاتان القوتان هما اللتان تظهران فى الجاذبية العامة . فالشمس مثلا تجذب الأرض ولكنها تدفعها عنها الى بعد مخصوص بالقوة الطاردة فالأرض كعاشقة للشمس لأنها مجذوبة اليها ولكنها مطرودة عنها الى بعد مخصوص . هذه هى القوى الأربعة التى فى نفوسنا فهى محبة لكل علم متوقفة على كل العوالم (وهذا لا يعرفه إلا من درس جميع علوم الكائنات أقرأ أكثر هذا التفسير)

تريد أن تعرف كل شئ . وتملك كل شئ . وتحسن لكل حى . ولكن يعارض هذا شهواتها وأضعافها (وان كانت فى حاجة لأبناء نوعها) . إن رغبة العلم العام والمحبة العامة طبيعتان أصليتان فى النفس . أما كونها تود البطش بأبناء نوعها وتود هلاكهم فهذا عارض من حيث حاجتها الى سد شهواتها ونتيجة هذه الجوهرية الثانية أن الانسان لاتصلح حياته إلا على مقتضى أصول فطرته وأصول فطرته أهمها العلم والحب والتعاون . إذن حياة الفرد فى أمة يتوقف كمالها على حياة الأمة وكل ما توقفت عليه حياتنا أحييناه وهكذا فى الأمم على هذه الأرض

اللهم ان كمال الأفراد فى حب بعضهم من أمتهم . وكمال الأمم فى حب بعضهم بعضا . ولقد حصل هذا فعلا فى أرضنا ولكن حصوله ناقص فاننا نرى أهل المنزل يتشاركون وهم كثيرا ما يتعادون . ونرى أهل القرية يتشاركون فى أمورهم العامة وهم يتشاجرون . ونرى الأمم تتعاون فى التجارة والبريد والقطرات وهم جميعا متعادون . الله أكبر ظهر الحق واستبان السبيل وظهر جلالك فى العالم الذى عشنا فيه اللهم انك قد أبدعت هذا الوجود وأرجعته لغيرنا . أنت عشقتنا فى المعرفة وجعلت حياتنا موقوفة على أبناء نوعنا فتشاركوا وتعاونوا ولكن هذا انتشارك وهذه المعاونة ظاهريان لاباطنيان . اللهم ان فطرنا صادقة لصدقها تحزن او تالم فى هذه الحياة وهى لاتدرى ما سبب هذا الألم ولانعلم أن سببه أن هذا العالم

ناقص لا يطابق فطرتها تمام المطابقة بل المطابقة لفطرتها لفظية ظهريّة . ولذلك حكمت بموتنا لدخول في عالم آخر تتوافر فيه معدّات الحياة الحقّة فيكون التعاون بالقلب والقلب وتصيبح النفوس متجاذبة تجاذبا صادقا لا عوج فيه ولا خداع . إن حياة الأرواح في أجسامها يجب أن يكون بالحب العالم الخالص كما أحببت الشمس الأرض والأرض القمر وأفاض الأعلى على الأدنى بلا من ولا أذى كما يفيض الأبوان على الولد . وهذه الصفة مفقودة في أرضنا التي حياة الأم وحياة الأفراد فيها مصحوبة بالخداع . اللهم انك سترت في الدنيا بواطننا راحة منك . أنت أردت أن تكون ظواهرنا متشاكلة متوادة متجاذبة . وقد أقفلت على قلوبنا أقفالك حتى لا تظهر ولو ظهرت لكان التنافر ولم تتم الحياة . وهذا النقص يتبعه عالم أكل من عالمنا هذا تكون البواطن فيه ظاهرة واضحة وهو عالم الأرواح لأن الليل يعقبه النهار فحياتنا ليل مظلم لا تظهر فيه البواطن . أما حياة الأرواح فهي نهار مضيء تظهر فيه الأشكال . وههنا يظهر معنى هذه الآيات التي نحن بصدد الكلام عليها . فإذا رأينا الإنسان يقدّم نفسه وماله في المنفعة العامّة باخلاص فهذا مطابق لفطرتنا الأصليّة . وإذا رأينا الأبحار والرهبان يزجون في جهنم لأنهم يجمعون أموال الناس لأنفسهم . فعنى هذا أنهم سخرُوا المجموع لأنفسهم فحببتهم إذن لأنفسهم لا للمجموع وهذا مناقض لفطرتنا . هذا هو الذي أردت تبينه بطريق عقلي نفسي

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾

(معجزات القرآن التي ظهرت مطابقة لما تقدّم عند بعض علماء النصارى الذين حدّثوا الأرواح)
بين يدي الآن كتاب مؤلفه عالم مسيحي (عمانوئيل سودنبرج) عاش في القرن الثامن عشر وقد ولد في مدينة (ستوكهلم) وأبوه كان (أسقفا) على وستروغوثيا له شهرة طويلة في حياته وكان عضوا في الجمعية الانجليزية لنشر تعاليم الانجيل وأقامه الملك كارلس الثاني عشر أسقفا على الكنائس الاسوجيه في (بذلفانيا ولندن) أما عمانوئيل سودنبرج الذي نحن بصدد الكلام عليه فإنه زار انكلترا سنة ١٧١٠ وهو لنداني وفرنسي وألمانيا وعاد الى وطنه سنة ١٧١٤ وجعله الملك كارلس الثاني عشر في رتبة مقدّر في مدرسة المعادن وبقى في هذه الوظيفة الى سنة ١٧٤٧ وقال انه استقال منها لأنه دعاه داع إلهي لنشر الحقيقة العامية في العالم فعرض عليه الملك رتبة أعلى فرفضها خوفا من أنه يقيه غرورا وتكبيرا وتعاضما . ثم أنعمت الملكة عليه بترقيته الى منزلة الأشراف ولقب بلقب (سودنبرج) جلس في مجلس الأشراف وحضر الجلسات الثلاث التي تعقد كل سنة وصار عضوا في الجمعية العلمية في (أستوكهلم) ولكنه يقول هذه الجمعية مبحثها لا يناسبه لأنها تتعلق بهذا العالم المادّي ولذلك لم يبحث معهم وإن كان عضوا منهم بالاسم . وقد تناول الطعام على سفرة الملك والملكة (وهو شرف لا يناله غير أشراف المملكة) وقد قال ان هذه النعم ليست شيئا مذكورا بالنسبة لما دعاني اليه الله وألهمني أن أحدث الناس بالحقائق التي شاهدتها في عالم الأرواح لأظهر الحق للمسيحيين ليعرفوا الحقيقة . وقال اني تنقلت في البلاد لهذه الغاية وبرز هذا العلم للناس خلاصى وخلاصهم

هذا ملخص ما ذكره المؤلف في خطابه لأحد أصحابه سنة ١٧١٩ وقال ان تشنيع الناس على وتشهيرهم بي واستهزاءهم لا يهمني مادمت قائما بالحق . ولما قال له أحد أصحابه اني أنصحك أن تعتزل تلك الكتابات التي تكتبها عمّا ترى وتسمع في عالم الأرواح فإنها تعريضك لسهام ذوى الجهالة . وقد أصبحت هزوا وسخرية . قال قد بلغت من العمر الى درجة لا يجسر فيها على الهزؤ بالامور الروحية وأن مقتضى جهدي السعي وراء خلاصى غير ملتفت الى ما يرى الناس في . ثم قال أقسم بخلاص نفسي أن ما كتبت لم يكن مصدره التخيل بل حقيقة ما سمعت وما رأيت . وقد مات سنة ١٧٧٢ ودفن في لندن بعد ما أصيب بالفالج وقد قابله قبيل موته كاهن يسمى (أرفيدفرليوس) وقال له لقد نلت مرادك من الشهرة والناس يزعمون

انك بهذه التعاليم أردت الشهرة فإذا كان زعمهم صادقا فمن الواجب عليك في هذه الحال حبا في العدل والصدق أن تكذب كل ما كتبت أو بعضه مادام لم يبق لك مأرب في عالم عما قريب تفارقه فلما سمع ذلك منه انتصب في فراشه جهد طاقته ورفع يده الصحيحة الى صدره وقال بلهفة ﴿ إن صدق ما كتبت حقيقى كحقيقته رؤيتك إياي أمام عينيك ولو سمح لي لكتبت كل ما رأيت وقلت أكثر مما فعلت حتى الآن وسترى كل شئ بعينك يوم تدخل العالم الأبدى حيث أجتمع بك للكلام في أمور كثيرة ﴾ انتهى ملخصا

﴿ ماذا يحدثنا عما نويل الذي ذكرنا ملخص تاريخه . يحدثنا ﴾

(١) يقول في صفحة (١٧٩) مانعه في الترجمة أن الافريقيين من بين جميع الأمم هم المحبوبون أكثر من الجميع في السماء (أى الجنة) لأنهم يقبلون خيرات وحقائق السماء بأوفر سهولة من الآخرين وهم يرغبون خصوصا أن يدعوا مطيعين . ويقول في صفحة (١٨٠) انه رأى عباد الأصنام من الأمم بعد الطوفان وشاهد أرواحهم فرآها في مكان مظلم وفي حال تعسة وقد حرموا من الفكر وقالوا له اهتم أقاموا في ذلك المكان قرونا كثيرة وانهم يخرجون منها بعض الأحيان ليقوموا بحاجات دينية للآخرين . قال فمن هذا جلت على التفكير في كثير من المسيحيين الذين ليسوا في الخارج عبدة أوثان ولكنهم في الداخل كذلك إذ يعبدون ذواتهم والعالم ويرفضون الله . قال وأخذت أتفكر في نوع النصب الذي ينتظرهم في الحياة الأخرى . وقال في موضع آخر ان المسيحيين يعيشون عيشة شريرة ولهم ولوع بالزنا والبغض والخصام والسكر وذنوب متشابهة تأبأها الأمم الوثنية

(٢) وهو يقول أيضا انه حادث الأرواح فقالت له ﴿ اننا في السماء لا نقول ان الله ثلاثة وانما نحن نعلم ونبصر أن الله واحد . ويقول انهم قالوا له إن الذين يعتقدون بآلهة ثلاثة لا يمكن ادخالهم الى الجنة لأن أفكارهم يحصل لها تحير فلا تدرى أين الثانى والثالث . والمدار في عالم الأرواح على الفكر . فالفكر اذا تصور ثلاثة آلهة فقول اللسان انه واحد نفاق لا يفيد بل يظهر الباطن ويكون وبالا على صاحبه وذلك في صفحة (٣) من الكتاب المذكور

(٣) ويقول في صفحة (٨١) يعتقد البعض أن الأطفال الذين ولدوا تبع الكنيسة بسبب انهم متعمدون بماء المعمودية يدخلون في الايمان . وأما الذين ليسوا تبع الكنيسة ولم ينلهم ماء المعمودية لا يدخلون في الايمان . قال وهذا باطل لأن المعمودية تذكّر . ثم قال فليعلموا أن كل طفل في أى مكان ولد من والدين تقيين أو من والدين غير تقيين متى مات يقبله الله ويعلم في السماء (أى الجنة) وهنا أخذ يشرح العناية بالأطفال شرحا مستقيضا على ما يقول انه رأيهم كذلك

(٤) ويقول في صفحة (٩٢) رأيت قصورا سماوية ذات اتقان لا يمكن وصفه أشرفت من فوق كالذهب النقي ومن تحت كالخجارة الكريمة يزيد بعضها عن البعض رونقا والغرف مزدانة بزينة يستحيل أن يصفها الكلام وفي بعض الأماكن ترى الأوراق كالفضة والثمار كالذهب والأزهار في ألوانها أظهرت قوس قزح . ويقول ان الأرواح قالت له ان هناك أشياء كهذه لا تحصى وهى أعظم كما لا يعرضها الله أمامهم ومع ذلك هم يبهجون عقولهم أكثر مما يبهجون أعينهم وذلك لانهم يرون مطابقة في كل شئ إلهى . ويقول ان هذه المظاهر تطابق بواطنهم فانها لطهارتها ظهرت لهم المحسوسات وتنعموا بها كما تنعم بواطنهم بالكمال

(٥) ويقول في صفحة (٦٦) إن داخلات الانسان تعرف بالنظر لوجهه بحيث لا يخفى منها شئ فأهل الجنة يحبون أن يظهروا لأن بواطنهم جميلة . أما العجّار من أهل النار فان أحدهم يظهر للآخر كما يرى الناس بعضهم بعضا . أما أهل الجنة والملائكة فانهم يرونهم كالوحوش في وجوه وأشكال مخيفة في نفس شكل شرهم الذاتى فكل انسان يظهر شكله على هيئة باطنه فأما جيل على قدر خيره وأما قبيح على قدر

قدر شره . ويصف في صفحة ٣٧٥ و ٣٧٦ جهنم يقول

إن مداخل جهنم تكون تحت الجبال والتلال والصخور وجميعها تظهر مظلمة ومغبرة . وله نوع من النور كالفحم المشتعل . وأن الذين عاشوا في الدنيا في البغض والانتقام من الذين لم يعتبروهم ولم يقدسوهم ولم يعبدوهم فهؤلاء يوضعون في أقصى جهنم ومن هؤلاء طائفة (الكاثوليكية الرومانية) وكذلك الذين جعلوا أنفسهم آلهة تعبد فهؤلاء اضطرموا بنار البغض والحقد ضد كل من لم يعترف بقدرتهم على نفوس العالم ولا يزالون في جهنم يعللون الأمانى التي عاشوا بها على الأرض فقلوبهم مملأى غمضا وحقدا وضغنا على من لا يوافقونهم في زعمهم فأصبحوا في جهنم وقلوب كل منهم متجهة نحو ذوى صيته

وقال في صفحة (٣٧٧) في بعض جهات جهنم ترى خرابات ومنازل ومدن بعد شبوب نيران وفيها تسكن الأرواح الجهنمية في خفية وفي النواحي المعتدلة من جهنم ترى أكواخ سيئة البناء بهيئة مدينة بالأزقة والشوارع وفي داخل هذه البيوت الأرواح الجهنمية دائما في مشاجرة وعداوة ومضاربة وقتال . وفي الشوارع والأزقة لا ترى إلا النهب والسلب . وقال إن أبواب جهنم حين تفتح لدخول أرواح شريرة جديدة يخرج منها بخار يكون إما مثل بخار النار مع الدخان كما يظهر في الهواء من أبنية محترقة أو مثل لهيب بدون دخان أو نظير سخام كالذى يخرج من المداخل المشتعلة أو نظير ضباب أو سحب كثيف . قال وهذه الأشياء مناسبة لأخلاقهم ولكنها تظهر بهذا الشكل لغيرهم أماهم فلا يمكنهم أن تعيشوا خارجها

وصرح في صفحة (٣٥٩) أن بعض الناس إذا سمع في جهنم ذكر الله ازداد غمظه جدا حتى التهب راجبا قتله وهولو أطلق العنان لنفسه لأحب أن يكون ابليس حتى يزعم أنه يلحق الأذى بالله تعالى كما يتمناه بعض أصحاب الديانة البابوية عند ما يدركون في الحياة الأخرى أن الرب كل القوة وليس لهم شئ منها على الإطلاق

(٥) ويقول في صفحة (٥٨) إن الله يرى في السماء (الجنة) كالشمس ويرى لكل أحد بمقدار ما يقبله تعالى ومن رآه لافاضتهم الخير على الناس ظهر لهم كالشمس لما عندهم من المحبة والخير للناس . أما الذين يرونه لأجل الإيمان فانهم يرونه كالقمر

(٦) ويقول أيضا إن نصيب الأغنياء والفقراء في الآخرة تابع لسرائرهم . فكم من غنى كان محسنا طاهر القلب فرأته سكن القصور الجميلة . وكم من فقير كان ساخطا على الزمان غير راض بالقدر فهذا يعذب عذابا شديدا انتهى فاعجب من معجزات القرآن . أليست هذه المسائل التي لخصتها لك من كتابه هي عين تفسير هذه الآيات بل هي من آيات الله وهي بعض آيات ربك التي أظهرها للناس . فيا ليت شعري . أليست الجنة والنار اللتين ذكرهما المذكورتان في القرآن بالنص . أفليس الرجل أنكر التثليث . أوليس كلامه في أهل إفريقيا وانهم يسبقون الناس إلى الجنة وأن الأمم الوثنية من نفس تلك البلاد قديما معذبون في جهنم . أقول أليس هذا معجزة للقرآن في هذا العصر لأن أهل إفريقيا مسلمون وأسلافهم عباد أصنام . وانظر كيف صرح بما نصت عليه الآية وهو أن رؤساء دينهم لحبهم لاجلال الناس إياهم في أسفل جهنم كنص هذه الآية . أوليس قوله إن أطفال جميع الأمم يدخلون الجنة موافقا للأحاديث والآراء أجل علماء الاسلام . أوليس تفضيله للفقير الشاكر هو عين ما أوضحه الامام الغزالي في الاحياء (أن الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر)

(نتيجة هذا المقام)

أست ترى بعد هذا أن ما نقلناه من هذا الكتاب إنما هو بيان لسر هذه الآيات إذ ذكر أن التثليث يعذب عليه المسيحيون وأن عظمة رجال الكنيسة تطرحهم في أسفل سافلين الخ

هذا هو سر هذه الآيات ولا سيما قوله تعالى - ليظهره على الدين كله - انتهى ليلة الاثنين ١٦ مايو سنة ١٩٢٧ . هذا ومن أعجب العجب أن يقع هذا الكتاب في يدي وهذه السورة مقدمة للطبعة وآخر طبعها لأسباب عارضة حتى تمكنت من تلخيص ماتقدم والحمد لله الذي بنعمته تمّ الصالحات اهـ

﴿ ايضاح ﴾

بعد أن كتبت ماتقدم بأسبوع اطلع عليه أحد أهل الفضل من الاخوان فقال . أ بهذا القول تثق وهل مثل هذه الأقوال التي لاحظها من التحقيق يفسر القرآن . القرآن وحى وهذا الرجل يدعى أنه خاطب الأرواح

فهل النائحة كالشكلي * فإين الثريا وأين الثرى * وأين معاوية من على

أوكلما نلقى ناعق أثبت قوله في تفسير كلام الله . فقلت أنا لم أقل اننى موقن أنه حادث الأرواح . كلا . قال ولم إذن نقلت كلامه . فقلت نقلته لثلاثة أمور ﴿ الأمر الأول ﴾ اننى وجدت هذه الآراء في خواها وفي مقصودها تشبه كلام الأرواح كما في كتابي المسمى ﴿ كتاب الأرواح ﴾ فان تلك العوالم لما خاطبها القوم في أوروبا كان ذلك أشبه بما جاء في هذا الكتاب . فاذا كان هذا العالم من رجال القرن الثامن عشر موافق لمن جاؤا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين فهو جدير بالبحث والتحري ﴿ الأمر الثاني ﴾ أن هذه الآراء كما تقدم أيضا قد ذكرها خواص علماء الاسلام في أسرار الدين الاسلامي وينحون نحوها الامام الغزالي ومحيي الدين بن عربي وكتاب (اخوان الصفاء) ونحوهم ﴿ الأمر الثالث ﴾ اننى أما نظرت في هذه الدنيا بعقلي فوجدتها كما تقدم قد لازمتها الوحدة جملة وتفصيلا ولازمها الاتحاد . فالشمس والسيارات والتوابع كالارض والقمر وهكذا بقية الشموس كلهن متمجذبات متعاونات . وكل هذه ومما معها في المجرة وهكذا المجرات الأخرى . هذه نراها في نفوسنا علما واحدا فهي في نفوسنا واحدة والأعلى منها يمد الأسفل . فالشمس تمتد الأرض وباقي السيارات بالاضواء وهن مجذوبات لها كما تقدم

ثم إنى وجدت هذا النوع الانساني جعلت هيئته كهيئة هذه العوالم أى ان وضعه في الوجود هو والحيوانات كلها كوضع اشتقاق هذه العوالم . فاذا رأينا الأرض (كما هو الرأى العام في العالم الآن) مشتقة من الشمس دائرة حولها ملازمة لها والقمر مشتق من الأرض ملازم لها دائر حولها . هكذا نرى الناس جميعا قسمين أبوين وابنا وبناتا والأولان يعطفان على الآخرين والأخيران مشتقان من الأولين تابعان لهما ثم نراهم من جهة أخرى ﴿ قسمين ﴾ قسم هم ذكور وقسم هم أناث وهما متعاشقان متحابان . ونرى عالما وحكما ونبيا يعامون تلاميذ وأتباعا . وهذه أيضا ولادة أخرى معنوية . يعجبني هذا النظام . نظام يراد به التعارف والمحبة بحسب أصله وهو قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - وهذا هو الأصل الذي بنيت عليه كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ الذي سأذكر ملخصه الذي استخلصه منه الاستاذ (سنبلانه) التلياني في (مجلة العلوم الشرقية) في سورة الحجرات عند تفسير الآية المقدمة فيها هناك . فاذن العالم الانساني خلق أولا وبالذات للتعارف والمحبة كما خلقت هذه العوالم للتجاذب والاتحاد فاذا لم يوفق الانسان لذلك في هذه الحياة فما أحرأه أن يتلصقا في سيره ويوضع (الذين لم يصلوا الى هذه النتيجة) في عوالم منمطة ليدركوا بعد حين أنهم في ضلال مبين ويعلموا أنهم في السجن الجهنمي بغياوتهم كما قال تعالى - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير - وهذا الأصل هو الذي يبني عليه جميع هذه الآيات فمن فضل ماله أو أهله على المجموع ومن أخذ المال وكان رئيسا دينيا وهو عليه حريص فقد أخطأ المرمى وغش المجموع فصار نجسا يحبس في مكان محزن هوجهم . فهذا هو رأيي في هذه الدنيا فلذلك نقلت كلام الرجل لملاءمته لذلك أشد الملاءمة . فاذا لم يكن

ما فهمته حقا فلماذا لم يخلق الانسان بصفة أخرى • ولماذا لم يخلق كالنبات يعيش ويموت ولا نصب ولا تعب ولا ألم وكان في الامكان أن يخلق الناس كما يخلق الشجر الى حين ثم يموتون • الشجر لا يحتاج بعضه الى بعض كثيرا ولكن هم في أشد الحاجة بعضهم لبعضهم • لعمر الله لم يكن ذلك إلا لأجل ما ذكرناه وبيناه وفتح الله به • اللهم إن الناس يعيشون ويموتون وأكثرهم لا يعقلون ولا يدرسون هذا الوجود • لذلك أنزلت عليهم الديانات و خلقت الحكومات ليتفطنوا • هذا هو سرّ ذمّ الله للأخبار والرهبان الذين يحرسون على المال ويستعبدون الناس مع أن هؤلاء العلماء انما نصبوا لخدمة المجموع • هكذا علماء الاسلام ان لم يكونوا رجة للمسلمين فهم ملحقون بالأخبار والرهبان لحرسهم على الدرهم والدينار • هذا هو الذي أفهمه في هذه الدنيا التي هي أكبر مدرسة لنا معاشر بني آدم • فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا بيان يصلح أن يكون أسا تبني عليه الحكمة والفلسفة والحياة • فقلت ونحن اذا فسرنا كتاب الله فهو أولى بالاصول الثابتة والعلوم الحقة وأن لهذه الآراء شأنا في الأمم بعد مغادرتنا هذه الدنيا • ويشير لما قلته الآن قوله تعالى - ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين - وقوله - والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدق والآصال - استوى الله الى السماء ودعا السموات والأرض فأتتا طائعتين • ولما سجد له من في السموات والأرض انقسموا فريقين • فريق سجد طائعا وآخر مكرها وهذا يشهد لما ذكرته لك الآن • تجاذبت العوالم كلها نظمت بحساب جرت الشمس حول كوكب مجهول لنا وجرت الأرض حول الشمس وجرى القمر حول الأرض وجرت السيارات كذلك • وهكذا توابعها وجيع الكواكب كلها جرت جريا منظما لم يجدفه العلماء خطأ وهذا فيه معنى الحب ويسمى الجاذبية * إن الحب لمن يحب مطيع * اما بنو آدم فليسوا جميعا راضين محبين بل سيأتون الى ربهم قوم طائعون محبون • وقوم عاصون مجرمون • والطاعة هنا ترجع الى الحب والشوق والغرام فن أدرك جلال هذا العالم أحبّ صانعه فرضى بما يجريه عليه لعلمه أنه لحكمة • ومن عاش غافلا ساهيا لاهيا لا يحب الله ولا يرضى عن فعله ويعترض في قلبه عليه ويأتيه كارها لا محبا • ولن يكمل هذا النوع الانساني إلا اذا كانت الأرواح متجاذبة متحاببة كتجاذب وتحاب الكواكب والشموس والأقمار • فاذا ذمّ الله الأخبار والرهبان لأنهم أموال الناس بالباطل فذلك لأنهم لم يوفقوا للنظام الأتم • نظام الجلال والكمال بأن يكونوا للناس آباء لا أن يكونوا غافلين يجعلون الدين وسيلة للخبز والملبس فعكسوا الآية وطمسوا الحقيقة فرجعت محبتهم لانفسهم لا للناس وطاش سهمهم فلم ينظروا الى الشمس والقمر والكواكب إذ يفيض النور بلا أجر ولا الى الآباء والامهات إذ يفيضون النعم وأنواع البر على الابناء بلا أجر • هكذا الله يفيض الخير على الناس بلا أجر • ضرب الله الامثال للناس بالكواكب والآباء والانبيا فضلّ الناس تأهين غافلين حيارى سكارى في شهواتهم وزهد الأخبار والرهبان في الجلال العام وعكفوا على الشهوات البهيمية وتبعهم في ذلك بعض رجال الصوفية في الأتم الاسلامية فلقد رأيتهم يجوبون بلادنا المصرية ويطوفون على القرى والكفور ويتظاهرون بالصلاح والتقوى يأخذون أموال الناس بالباطل وما هم بعلماء ولا بوعاظ ولكن ساروا شوطا وراء الدرهم والدينار كما سار الذين من قبلهم من الأخبار والرهبان الذين أطلق الله أروبا من قبضتهم بسبب اطلاع القوم على دين الاسلام كما قدّمناه عن السيدة الاوروية التي أسلمت فهم أظلموا من وثاق رجال الدين بسبب ديننا والمسلمون في بلاد الغرب من طراباس وتونس والجزائر ومراكش وفي مصر والشام والعراق وبلاد الهند وجاوه قد وقعوا في شبكة هؤلاء الصيادين ممن اتسموا بسمات الصوفية ظاهرا وهم عنها غافلون • لا لا يا معاشر المسلمين • كلا • كلا والله انما رجال الدين هم الذين يسرون على سنن أبي بكر وخلفائه من بعده هم الذين يقتفون آثار الانبياء ويكون مقصدهم المثل الاعلى كما أوضحه أفلاطون في

جمهوريته إذ تقل عن أستاذة سقراط أن الذين يقومون بحكم الجمهور يجب أن يكونوا أعلم الناس وأذكاهم وأتقاهم وأزهدهم في حطام هذه الدنيا وأقربهم من الله زلفى وقال إن علمهم هو الذى يجعلهم أعفاء عما فى أيدي النساء فهم وإن كان لهم السلطان على الناس ممنوعون بورعهم وأدبهم عن مجاوزة الكفاف من المأكل واللباس . وهذه بعينها سيرة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى . إن الناس بعد الموت تجتمع أرواح الأخيار منهم فى عالم واحد وأرواح الأشرار فى عالم آخر . وكما أن الشمس تزداد اشراقا بازدياد حجمها هكذا الأرواح الفاضلة تلتئم القشام ذرات الشمس وتتحد وتزداد سعادة بازدياد الواصلين إليها من عالمنا . وهكذا يزداد المجرمون عذابا بوصول الفجار إليهم إذ يشعرون بالآلام تزداد بازدياد من يصلون إليهم من الأشرار كما يزداد الفجار عذابا فى الدنيا بتكاثرهم وازدياد فتنهم وشروعهم . لاسعادة لهذا الإنسان ولاراحة إلا بالعطف العام فلامدنية براقية مادام أهل الأرض لا يتحدون على منافعها العامة كما أوضحناه فى كتاب (أين الإنسان) وللاسعادة فى الآخرة إلا لنفوس صار باطنها جلالا وكمالا وحبا للعلم وللإنسانية وخيرها والله هو الولي الحيد

فلما سمع ذلك صاحى قال لى يتبين من كل ماذكرته هنا أن أهل كل دين فى الأرض طغوا وبغوا . فهذه أمم النصرانية قد طغت فى المال وقد قال لها المسيح مانصه (لا تكتنزوا لكم كنوزا على الأرض) وذلك فى الانجيل متى (٦) ولما أرسل رسله أمرهم ألا يحملوا عصا ولا خذاء ولا يأخذوا مالا لأنهم مجاننا أخذوا فليعطوا مجاننا . وهكذا جاء فى القرآن - قل ما أسألكم عليه من أجر - ومع ذلك نرى الأمم الإسلامية تسارع فى خطاها الى اقتفاء آثار المسيحيين لاسيما بعض الشيوخ من رجال الصوفية الذين أشبهوا القسيسين فى أخذ أموال الناس بالباطل . فأجبتة قائلا . نعم لقد صدقت أن أهل كل دين فى الأرض طغوا وبغوا وسأحدثك عن سبب ذلك . اعلم أن كل دين فى الأرض ينزل على أهله صافيا نقيا لا تشوبه شائبة . الله أكبر الله أكبر ظهر السر واستنارت السبل فى هذا التفسير وسيكون فى الشرق رجال يمتازون بعقولهم وبحكمهم وبتعاليمهم . أنظر أنظر . تجد أن كل دين ينزل الى الأرض يضيء كما تضيء الشمس والكواكب ويحيى كما يحيى الماء . أنظر فى دين الصينيين القدماء تجده فى صدقه وحسنه وجماله وجلاله يشبه الانجيل ويشبه القرآن فى حسن جماله وصدقه . لقد كان أقدم نبي عند الصينيين يسمى (يو الكبير) ظهر قبل المسيح بألفى سنة ثم جاء بعده بقرون الفيلسوف (ليوتسو) وهذا قبل الميلاد بمدة ٥٩٠ سنة وهو القائل (أسعف الناس فى حاجاتهم أنقذ من كان موجودا فى خطر) هذا الفيلسوف عدوه إلهام متجسدا كما اعتقد النصارى فى المسيح . وكان (ليوتسو) معاصرا (لفيثاغورس) وسنة ٥٥٠ قبل التاريخ المسيحى ظهر (كونفيسوس) وهم أعظم فلاسفة الصين وعاش (٧٣) سنة وتخلى من الرذيلة وتحنى بالفضيلة مثل (بودا) وكان يقول لتلاميذه (إن المحبة النقية التى أوصيكم بها هى انعطاف ثابت فى النفس وميل يوافق عليه الصواب يجرّدنا من الأغراض الذاتية ويضمننا الى الناس بأسرهم فندخلهم جسما واحدا معنا فنفرح لفرحهم ونحزن لحزنهم ولا مانع يمنع من ملكته هذه المحبة أن يسعى فى ترقية الذاتى وطالب المعالى إنما تكون غايته فى ذلك بذل النصيح والمساعدة لانهاض من دارت عليه رضى الزمان وكان ضاعفه وخوله حائلا دون نهضته وإن من اطلع على حقائق الأشياء لا يتحمل أن يبقى غيره متسكعين فى ظلام الجهل والحيرة منكسرين لمصاعب الحياة وهمومها بل ينجدهم ويعضدهم ويمهد لهم سبيل الخروج من ظلمات الجهل ويدخلهم مقدس العلوم ومتى ملكت هذه المحبة القلوب جميعا يصبح العالم بأسره أسرة واحدة والناس أجمعون كأنسان واحد وبهذا الرابط العظيم السائد بين العظم والضعفاء تصبح الإنسانية كلها جسما واحدا) هذا هو كلام نبي الصينيين قبل المسيح وقبل سيدنا محمد ﷺ ولذلك تجد الأمة الصينية لها جماعات من كل طبقة وبينهم جميعا تلك الروابط التى أشار لها دينهم . فهذا القول وما يشابهه من الانجيل والقرآن يدلنا أن الديانات تنزل من السماء متشابهة

ولكن هناك سرا مخبوا يراه لناس بعيونهم ولكنهم لا يفهمونه . ذلك السر هو السبب في طغيان النصارى وجهل المسلمين . وبيانه أن الله أنزل النور وأنزل الماء في الأرض قبل الأنبياء وقبل خلق الانسان فهذا النور يختلط بالنبات فيكون مساعدا للتفاح وللتمر وللعنب على حلاوتها ويكون مساعدا للحفظ على مرارته . ومساعدا للسنا السكى على شفائه لبعض الأمراض . ومساعدا للمواد السامة النابتة في الأرض على حصد الأرواح . الضوء ينزل من السماء بهجة وجلالا ولكن المخلوقات الأرضية حينما تلتقطه وتشتمل عليه وتضمه لأنفسها تحوله الى طباعها وأحوالها . هكذا الماء ينزل من السماء . فماذا يكون . نراه يسلك ينابيع في الأرض فيكون على حسب الأصقاع التي يمر بها هناك فيكون ماء كبريتيا وماء جيريا وماء ملحيا . وهكذا من أنواع المياه التي لا تصلح للشرب وإنما تصلح للأدوية ونحوها (بناء عليه) نقول ان الامور اللطيفة اذا اجتمعت بالكثيفة حوت الى طباعها . هكذا الديانات لما نزلت من السماء نزلت صافية ولكن عقول أهل الأرض حوت تلك الديانات الى طبائعها وقلبتهم الى أهوائها فهناك الديانة المسيحية التي أخص خواصها المحبة العامة كيف صار رجال دينها كما تقدم هم أسرع الناس الى قتل آلاف الآلاف لأى ذنب صغير أو كبير . وهذا دين الاسلام . أنظر كيف نبغ أواثر رجاله في الزهد والورع كما قرأته ههنا قريبا عن أبى بكر وعمر . ثم جاء بعد الصدر الأول قوم لا يريدون إلا الدرهم والدينار والفخر والرئاسة وأخذ أموال الناس بالباطل . اللهم ان أكثر أهل الأرض يتبعون أهواءهم كما قال تعالى - وإن قطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله -

اللهم انك أنزلت آية الأحبار والرهبان وأكلهم أموال الناس بالباطل فى سورة التوبة النازلة أيام ظهور الاسلام وغلبته وارتقائه لتمهد السبيل للقائمين بالأمر ألا يجعلوا الرئاسة سبيلا للمال بل يكونون للأمر آباء ولكن أم الاسلام المتأخرة نامت نوما عميقا . اللهم انى ألفت هذا التفسير وانى أمل أن يكون سببا فى ظهور جيل جديد يصلح لتلقى تعاليم القرآن التي قام بها أقطاب الصدر الأول من الصحابة رضوان الله عليهم ولا يكونوا كرجال النصارى المذكورين فى هذا المقام وأن يقطعوا دابر الرجال الذين يأخذون المال من المسلمين مثل ما يأخذه رجال الدين المسيحي . وانى أمل أن يكون هذا التفسير ممهدا لمزرعة اسلامية صالحة تصلح لتعاليم هذا الدين والله هو الولي الحميد . انتهى يوم الجمعة فحى ٢٧ مايو سنة ١٩٢٧ والى هنا انتهى القسم الأول من سورة التوبة

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *

(التفسير اللفظي)

(الانفروا) أى الى الحرب (يعذبكم عذابا أليما) وجيعا (ويستبدل قوما غيركم) خيرا منكم وأطوع (ولا تضروه شيئا) ولا يضر الله جالوسكم (الانصره) أى ان لم تنصروا محمدا ﷺ بالخروج معه الى غزوة

تبوك (فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا) كفار مكة (ثاني اثنين) يعني رسول الله وأبا بكر (إذ هما في الغار) ثقب عظيم يكون في الجبل * هذا الغار في جبل ثور يقرب من مكة مسير ساعة (إذ يقول) رسول الله ﷺ (لساحبه) أي بكر (لا تحزن) يا أبا بكر (إن الله معنا) معيننا (فأنزل الله سكينته) طمأنينته (عليه) على النبي ﷺ (وأيده بجنود لم تروها) هم الملائكة صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه * وهكذا يوم بدر والأحزاب وحنين أيده بالملائكة (وجعل كلمة الذين كفروا) أي دعوتهم إلى الكفر (السفلى وكلمة الله) دعوته إلى الإسلام (هي العليا والله عزيز) يعز بنصره أهل كلمته (حكيم) يذل أهل الشرك بحكمته (انفروا) اخرجوا مع نبيكم إلى غزوة تبوك (خفافا وثقالا) ركباناً ومشاة صحاحاً ومراضاً شباناً وشيوخاً لاسلاح معكم أو معكم سلاح قلت عيالكم أو معكم عيال مهازيل وسبانا (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) معاً إن أمكن أو بأحدهما على مقتضى الامكان (في سبيل الله ذلكم) الجهاد (خير لكم) من تركه (إن كنتم تعلمون) كون ذلك خيراً فبادروا إليه * انتهى التفسير اللفظي للقسم الثاني من سورة التوبة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّكَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا خُرْجَنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ * لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا تَقِنِّي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ * قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِنَا فِتْرَبُّوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ * قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا

وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ * فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ
اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ * وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ
لِنَفْسِكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا
لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْمُرُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ
يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ
سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ * إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً
مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا
مُؤْمِنِينَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ
الْعَظِيمُ * يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُوا إِنَّ اللَّهَ
مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ * وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ
وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ
مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْسُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ * الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ
وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
بِمَخْلَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ * أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ
مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ

يَظَاهِمُونَ * وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ
 اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *
 يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا لَمْ يَنَالُوا وَمَا
 نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَمُذِّبُهُمُ
 اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ
 اللَّهَ لَنْ آتَاكَ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ
 وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ
 وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * الَّذِينَ
 يَأْمُرُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ
 سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ
 مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * فَرِحَ
 الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا
 كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ
 فَقُلْ لَنْ يَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا
 مَعَ الْخَالِفِينَ * وَلَا تُوَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ * وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ
 بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ * وَإِذَا أُثْرِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ
 رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا

مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا
 بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
 لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *
 لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ
 وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ
 قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعِينُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ
 * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ اللَّهُ
 عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ
 لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ
 وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِشُعْرَضُوا
 عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَخْلِفُونَ
 لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * الْأَعْرَابُ
 أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *
 وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَارَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ
 اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *
 وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *
 وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ
 نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ * وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ
 خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * خُذْ مِنْ

أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * وَقُلِ اتَّعَمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْزِلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لَإِنَّ اللَّهَ إِذَا يُعَذِّبُهُمْ وَإِذَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُمْ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ * أَفَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *

(التفسير اللفظي)

نزل في المتخلفين عن غزوة تبوك (لو كان عرض لك من منافع الدنيا أى لو كان ما دعوا إليه مغنا (قريباً) سهل المأخذ (وسفراً قاصداً) وسطاً مقارباً والقاصد والقصد المعتدل (لاتبعوك) لوافقوك في الخروج (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة الشاقة الشاقة (وسيجلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) وهذا من دلائل النبوة لأنه أخبر بما سيكون بعد القبول فقالوا كما أخبر أى سيجلف المتخلفون بالله عند رجوعك معتذرين يقولون - لو استطعنا لخرجنا معكم - (يهلكون أنفسهم) أى حال كونهم مهلكين أنفسهم (والله يعلم أنهم لكاذبون) فيما يقولون . واعلم أن هؤلاء المتخلفين قد استأذنوا رسول الله ﷺ في التخلف فعاتبه الله وقال (عفا الله عنك) كناية عن الرلة فإن العفو من توابها . يقول عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في أذنك هؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك إلى تبوك . فهذا أحد الأمرين اللذين عوتب عليهما . والثاني أخذه الفدية من الأسارى وهو مجتهد في ذلك وهذا العتاب لانه ترك الأفضل والاتباء يعاتبون على ترك الأفضل (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا (بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) وعدهم بجزيل الثواب (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى المنافقين وهم تسعة وثلاثون رجلاً (وارتابت قلوبهم) واضطربوا في عقيدتهم (فهم في ريبهم يترددون) يتحيرون فالتحير من شأنه أن يتردد والمستبصر ديدنه الثبات (ولو أرادوا الخروج) معك إلى غزوة تبوك (لأعدوا له عدة) أهبة لأنهم كانوا أغنياء (ولكن كره الله انبعاثهم) نهوضهم للخروج فاذنهم ما خرجوا (فنبطهم) فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث * ويقال نبط وقف عن الأمر بالترهيد فيه (وقيل اقعوا) أى قال بعضهم لبعض . أوقال الرسول ﷺ غضبا عليهم أى تخلفوا (مع القاعدين) مع المتخلفين بغير عذر . ثم بين حكمة عدم خروجهم فقال

(لوخرجوا فيكم مازادوكم إلا حبالا) إلا فسادا وشرا أى مازادوكم شيأ إلا خبلا (ولأوضعوا خلاكم) أى
ولأسرعوا فيكم وساروا بينكم بلقاء الغنيمة والاحاديث الكاذبة فيكم (يبغونكم الفتنة) يطلبون لكم ما تفتنون
به كأن يقولوا للمؤمنين لا طاقة لكم بعدوكم وستهزمون منهم وسيظهرون عليكم (وفيكم سماعون لهم) أى
مطيعون لهم قابلون لكلامهم (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم وزجر (لقد ابتغوا الفتنة) نشيت أمرك
وتفريق أصحابك (من قبل) يوم أحد فان ابن أبي وأصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول
ﷺ بالقرب من ثنية الوداع انصرفوا يوم أحد (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك المكائد والحيل ودوروا
الآراء في ابطال أمرك (حتى جاء الحق) النصر والتأييد (وظهر أمر الله) وعلا دينه (وهم كارهون) على
رغم منهم . وهذا القول تسلية لرسول الله ﷺ والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما نبطهم الله لاجله وكره
انبعاثهم له (ومنهم) ومن المنافقين (من يقول إنذن لى ولا تفتنى) كالجد بن قيس المنافق قال له رسول الله
ﷺ لما تجهز الى غزوة تبوك يا أبا وهب هل لك في جلاد بنى الأصفر يعنى الروم تتخذ منهم سرارى ووصفاء
فقال الجد يا رسول الله لقد عرف قومي انى رجل مغرم بحب النساء وانى أخشى ان رأيت بنات الاصفر ألا
أصبر عنهم إنذن لى فى القعود ولا تفتنى بهن وأعينك بمالى فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال قد أذنت
لك (ألا فى الفتنة سقطوا) يعنى وقعوا فى الفتنة العظيمة وهى النفاق (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) يوم
القيامة تحيط بهم وتجمعهم (إن تصبك حسنة تسوءهم) من نصر وغنيمة تحزن المنافقين (وان تصبك مصيبة)
القتل والهزيمة مثل يوم أحد (يقولوا) أى المنافقون (قد أخذنا أمرنا من قبل) تبجحوا بانصرافهم عنك
واستحمدوا آراءهم فى التخلف عنك (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهلهم (وهم فرحون)
مسرورون (قل ان يصيبنا) من خير أو شر (إلا ما كتب الله لنا) قضى الله لنا (هو مولانا) الذى يتولانا
ونتولاه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق على المؤمنين ألا يتوكلوا على غير الله (قل هل تر بصون)
تنتظرون بنا (إلا احدى الحسينين) وهما الفتح والغنيمة أو القتل والشهادة (ونحن نتر بص بكم) احدى
السوءيين اما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) هلاككم (أو بأيدينا) بسيوفنا لقتلكم (فتر بصوا) بنا
ما ذكرنا (إنا معكم متر بصون) ما هو عافيتكم (قل أنفقوا) فى وجوه البر (طوعا أو كرها) طائعين أو
مكرهين أى غير ملزمين وملزمين (لن يتقبل منكم) ما أنفقتم طوعا أو كرها ونحو هذا قوله تعالى - استغفر
لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم - . وقول الشاعر
أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة * لدينا ولا مقلوة ان تقات

ثم علله فقال (انكم كنتم قوما فاسقين) متمردين عافين (ومامنهم أن تقبل منهم نفقاتهم) إلا أنهم
كفروا) أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه أى ومامنهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم (بالله ورسوله ولا
يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) جمع كسلان (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لأنهم اعتقدوا أن الانفاق فى سبيل
الله مغرم (فلانعجبك أموالهم ولا أولادهم) انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) الاعجاب بالشئ
أن تسر به سرور راض به متعجب من حسنه أى لانتعجب من حسن ما أولوا من زينة الدنيا فانما أعطاهم ذلك
ليعذبهم بالمصائب فيها (وتزهق أنفسهم) والزهوق الخروج بصعوبة أى وتخرج أرواحهم (وهم كافرون *
ويخلفون بالله انهم لمنكم) لمن جلة المسامين (وما هم منكم) ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل وما يفعل
بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية (لويجدون ملجأ) مكانا يلجئون اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة
أو جزيرة (أو مغارات) أى غيرانا فى الجبال جمع معارة وهو الموضع الذى يعور فيه الانسان أى يستتر (أو
مدخلا) أو نفقا يندسون فيه وهو مفتعل من الدخول (لولوا اليه) لأقبلوا نحوه (وهم يمححون) أى
يسرعون الى ذلك المكان . يقول ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا

منكم الى أحد هذه الأمكنة لصاروا اليه أشد بغضهم اياكم (ومنهم) من المنافقين (من يمزك في الصدقات) يعيبك في قسمها ويطعن عليك (فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) اذا للمفاجأة أى وان لم يعطوا منها فاجؤا السخط مثل ذى الخويصرة التميمي المسمى حرقوص بن زهير أصل الخوارج اذ قال يارسول الله اعدل فقال ﷺ ويليك من يعدل اذا لم أعدل فقال عمر ائذن لي فأضرب عنقه فقال ﷺ دعه . الحديث في البخارى (ولوأنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) ما أعطاهم من الغنيمة وذكر للدلالة على أن فعل النبي ﷺ كان بأمره (وقالوا حسبنا الله) كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) صدقة أو غنيمة أخرى فنال أكثر ما نلنا (انا الى الله راغبون) أن يغنيننا من فضله . وهذه الآية كلها شرط لو والجواب محذوف أى لكان خيرا لهم * ثم أخذ سبحانه يبين مصارف الصدقات فقال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) الفقير هو من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره . والمساكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز أسكنه . وكان ﷺ يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر والسفينة كانت لمساكين (والعاملين عليها) هم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من أهلها ووضعها في جهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم (والمؤلفة قلوبهم) قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فقتألف قلوبهم وأشرف يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم وأشرف يستألفون على أن يسلموا كعبيته بن حصن وعدى بن حاتم وصفوان بن أمية . فالأول لتقوية ايمانه . والثاني نيته قوية في الاسلام ولكن يرجى أن يرغب في الاسلام نظراؤه . والثالث كان يعيل للاسلام فأعطى ليسلم . وهناك قسم رابع وهو أن أن يكون قوم من المسلمين بازاء قوم من الكفار لا يبلغهم جيش الاسلام لبعدهم فيعطون من سهم المؤلفة قلوبهم أى يعطى المسلمون ذلك اذا ضعفت نيته في القتال أضعفت حالهم (وفى الرقاب) المكاتبين (والغارمين) الذين ركبهم الدين بأن استدأنوا لأنفسهم في غير معصية ولا اسراف وليس لديهم وفاء أو لاصلاح ذات البين وان كانوا أغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ لا تحل الصدقة لغنى إلا الخمسة لغاز في سبيل الله أولغارم الخ ﴾ وذكر من هؤلاء الخمسة العامل عليها (وفى سبيل الله) وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة أو ابتياع الكراع والسلاح وبناء القناطير والمصانع وجميع وجوه البر كعمارة المساجد (وابن السبيل) يعنى المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق * سعى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق فرض (فريضة من الله) أى قسمة من الله لهؤلاء (والله عليم) بالمصلحة (حكيم) فيما حكم لهؤلاء * ولما فرغ من الكلام على من يلزمون في الصدقات شرع يتكلم على فريق آخر من المنافقين فقال (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) يسمع كل ما يقال ويصدق * جعل هو نفس الأذن كما يقال للجاسوس هو عين * روى انهم كانوا يقولون محمد أذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأثيه فيصدقنا بما نقول (قل هو أذن خير لكم) لأنه يسمع الخير ويقبله وفسر ذلك فقال (يؤمن بالله) يصدق به لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) ويصدقهم لما علم من خلوصهم (ورحمة للذين آمنوا منكم) أى وهو رحمة لمن أظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره فاذن ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترجا عليكم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) بايذائه * وجاء رهط من المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك بعد أن رجع النبي ﷺ يعتذرون الى المؤمنين ويحلفون فقل (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه) أى يرضوه أى الله وكذلك رسوله وذلك بالتوبة والاخلاص (ان كانوا مؤمنين) أى ان كان هؤلاء المنافقون مصدقين بوعد الله ووعيده في الآخرة (ألم يعلموا أنه) أى ان الأمر والشأن (من يحادد الله ورسوله) يجاوز الحد بالخلاف . وهى مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (ف) حق (أن له نارجهن خالدا فيها ذلك الخزي العظيم) الهلاك الدائم (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم) على المؤمنين (سورة تنبههم بما في قلوبهم) أى بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة

للمؤمنين ولقد سميت السورة الفاحشة والمبعثرة يقول ابن عباس أنزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة منه على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لأن أولادهم كانوا مؤمنين (قل استهزؤا) أمر تهديد (إن الله مخرج ما تحذرون) مظهر ما كنتم تحذرون اظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم وفي استهزائهم بالاسلام وأهله حتى قال بعضهم (وددت أنى تقدمت فجلدت مائة وانه لا ينزل شئ فينا يفضحنا) ثم انه بينا رسول الله ﷺ يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال لهم قلم كذا وكذا فقالوا يابى الله والله ما كنا فى شئ من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقتصر بعضنا على بعض السفر فنزل (وإن سألتم ليقولوا إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبا باعتذارهم لكذبهم واعتبروا أنهم معترفون بالاستهزاء فوبخوا بسبب انهم أخطؤا مواضع الاستهزاء (لا تعتذروا) أى لا تشتغلوا باعتذاركم وكيف تنفعكم بعد أن افترض سرهم (قد كفرتم) قد أظهرتم كفركم باستهزائكم (بعد إيمانكم) بعد اظهركم الايمان (ان نغف عن طائفة منكم) جهين بن حبير لأنه لم يستهزئ معهم ولكن فحك معهم أوكل من يتوب ويخلص الايمان بعد النفاق (نغذب طائفة) ودیعة بن جذام وجد بن قيس أوكل من يصرون على النفاق غير تائبين منه (بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق أو مقدمين على الايذاء والاستهزاء الرجال (المنافقون و) النساء (المنافقات بعضهم من بعض) أى كأنهم نفس واحدة فهم متشابهون فى النفاق والبعد عن الايمان . وكان عدد الرجال منهم ثمانمائة والنساء مائة وسبعين (يأمرون بالمنكر) بالكفر والعصيان (وينهون عن المعروف) عن الطاعة والايمان (ويقبضون أيديهم) شحا بالمال أن ينفق فى البر وأنواع الخير (نسوا الله) تركوا أمره أو أغفلوا ذكره (فنسيتهم) فتركهم من رحته وفضله (إن المنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون فى الفسق وهو هنا التمرد فى الكفر والانسلاخ عن كل خير (وعند الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها (هى) أى النار (حسبهم) كافيتهم فى التعذيب فلا حاجة لغيرها فى تعذيبهم (ولعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين يلعنون كما تنعن الشياطين (ولهم عذاب مقيم) دائم بخوف الفضيحة بكشف سرهم اذا نزل الوحى به وما يقاسونه من تعب النفاق . ثم خاطبهم الله بعد الغيبة فقال فعلمتم (ك) أفعال (الذين من قبلكم) من الكفار فى الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف الخ ثم وصف هؤلاء الكفار بأنهم كانوا أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر مالا وولدا فقال تعالى (كانوا أشد منكم قوة) بطشا ومنعة (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم) أى تمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضا عن الآخرة فالخلاق التعذيب وهو ما خلقه الله للإنسان وقدر له من خير (فاستمتعتم بخلاقكم) أيها المنافقون (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) وهذا كما تقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فأنت تفعل مثل ما كان يفعل . فالتكرير هنا للتأكيد وتقبيح فعلهم (وخضتم كالذى خاضوا) أى وخضتم خوضا كالخوض الذى خاضوا * والخوض الدخول فى الباطل واللهو (أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) أى بطلت فى الدارين (وأولئك هم الخاسرون) (١) أى كما بطلت أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم أيها المنافقون وتخسرون . ثم رجع الى الغيبة بعد الخطاب لينشط السامع وينوع الأسلوب فقال (ألم يأتهم) أى ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير أى قد أناهم (نبا) خبر (الذين من قبلهم) يعنى الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلنا (قوم نوح) بدل من الذين قد أهلكناهم بالطوفان (وعاد) أهلكوا بالريح العقيم (وثمود) أهلكوا بالرجفة (وقوم ابراهيم) أهلكوا بالهدم . وكان هلاك غرود

ببعوضة (وأصحاب مدين) أى وأهل مدين وهم قوم شيب هلكوا بعذاب يوم الظلة أى بنار كانت فيها (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط انتفكت بهم أى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل أوقريات المكذبين واتفقوا من انقلاب أحوالهم من الخير إلى الشر وإنما ذكر الله هذه الأمم لأن آثارهم ظاهرة بالشام والعراق واليمن . وكل ذلك قريب من أرض العرب (أنتم رسالهم بالبينات) بالأمر والنهي والعلامات فلم يؤمنوا فأهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الأنبياء وذلك لاستعدادهم النفسى الذى سبق به القضاء على مقتضى الفطر (والمؤمنون) المصدقون من الرجال (والمؤمنات) المصدقات من المؤمنات (بعضهم أولياء بعض) على دين بعض فى السر والعلانية يوالى بعضهم بعضا فى الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة (يأمرسون بالمعروف) بالإيمان بالله ورسوله واتباع أمره واجتناب نهيه (وينهون عن المنكر) يعنى عن الشرك والمعاصى . والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا فى مقابلة وصف المنافقين (ويقيمون الصلاة) المفروضة ويتمون أركانها وحدودها وخشوعها (ويؤتون الزكاة) الواجبة عليهم وهو فى مقابلة - ويقبضون أيديهم - (ويطيعون الله ورسوله) فى السر والعلانية (أولئك سيرجهم الله) لاحالة لأن السين مؤكدة للوقوع (إن الله عزيز) غالب على كل شئ (حكيم) واضع كلا فى موضعه (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة) يطيب فيها العيش * وعن الحسن رحمه الله هى قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد (فى جنات (١) عدن) أى فى بساتين خلد وإقامة * يقال عدن بالمكان أقام به (ورضوان من الله) أى وشئ من رضوان الله (أكبر) من ذلك كله لأن الجنة وهى النعيم المقيم تصغر فى جانب خالقها كما يصغر قصر الملك وهداياه وتحفه فى جانب تقريبه لزياره وإقباله عليه وتلففه معه وإكرامه له وهذا أمر يعرفه العقلاء فى الدنيا مع المخلوق فكيف ذلك مع الخالق (ذلك) الرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما عداه . ولذلك جاء فى آية أخرى - رضى الله عنهم ورضوا عنه - وفى آية أخرى أيضا - يا أيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى - (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) باللسان (واغلاظ عليهم) فى الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد فى العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم ولقد أقام رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس ابن سو بد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لآخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا فنحن شر من الخير . فقال عامر بن قيس الأنصارى للجلاس أجل والله إن محمدا صادق وأنت شر من الخير . وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستحضر خائف بالله ما قال فرفع عامر يده وقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل (يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) وهى إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الخير فقال الجلاس يا رسول الله والله لقد قتلته وصدق عامر وقاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد إسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإيمان (وهووا بما لم ينالوا) وذلك أن الجلاس هم بقتل الذى سمع مقالته خشية أن يفشيها عليه (وما أنقموا) وما أسكروا وما عابوا (إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) وذلك أنهم كانوا حين قدم النبي ﷺ المدينة فى ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنائم وأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله ﷺ بديته اثني عشر ألفا فاستغنى (فان يتوبوا) عن النفاق (يك) التوب (خيرا لهم) وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (وما لهم فى الأرض من ولي ولا نصير) ينجيهم من العذاب . وقد تقدم أن الجلاس تاب (ومنها) أى ومن المنافقين (من عاهد الله) حلف بالله كشعبة بن حاطب بن أبى بلتعة (أئن آتانا) أى أعطانا (من فضله)

المال الذي له بالشام (لنصدقن) في سبيل الله ولنؤدين منه حق الله ولنصالح به الرحم (ولنكونن من الصالحين) باخراج الصدقة (فما آتاهم من فضله) أعطاهم الله المال ونالوا منهاهم (بجوابه) منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) مصرون على الاعراض (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) فأورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لأنه كان سبيبا فيه (الى يوم يلقونه) أى الله سبحانه وتعالى وهو يوم القيامة (بما أخافوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) أى بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من الصدقة والانفاق في سبيله وبسبب كذبهم في قولهم - لنصدقن ولنكونن من الصالحين - * وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ﴿ آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ﴾ وقال أيضا ﷺ ﴿ أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها إذا حدث كذب . وإذا عاهد غدر . وإذا وعد أخلف . وإذا خاصم فجر ﴾ ولا جرم أن هذه الحصال ما عمت في أمة إلا حل بها البوار . وأصبح رجالها غير مصدقين فلانكون لهم شركات ولا تجارات وابتحة ولا مودة صادقة . وهذا هو الخراب العاجل للأمة . فأين الدين إذن . فليجتهد المسلم ألا يخلف الوعد وألا يكذب وألا يفجر في خصامه وألا يخلف العهد (ألم يعلموا) أى المنافقون (أن الله يعلم سرهم) أى ما أسروا من النفاق بالعزم على اخلاف ما وعدوه (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين (وأن الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شئ (الذين) محبة النصب أو الرفع على الذم (يلمزون المطوعين) يعيبون المطوعين المتبرعين (من المؤمنين في الصدقات) متعلق بيلمزون * روى أن رسول الله ﷺ حدث على الصدقة فجاءه عبدالرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت ربى أربعة وأمسكت أربعة لعلالى فقال عليه الصلاة والسلام بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا . وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق * وجاء أبو عقيل الأنصارى بصاع تمر فقال بت ليلتى أجر بالجرير (الحبل) على صاعين فتركت صاعا لعلالى وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء . وأما صاع أبى عقيل فأنه غنى عنه فنزلت (والذين لا يجدون إلا جهدهم) إلا طاقتهم على الضم وهو على الفتح مصدر جهد فى الأمر بالغ فيه (فيسخرون منهم) فيهزون (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى - الله يستهزئ بهم - (ولهم عذاب أليم) مؤلم * روى أن عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول وكان من الخلفين سأل رسول الله ﷺ فى مرض أبيه أن يستغفر له ففعل ﷺ فنزل قوله تعالى (استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) فقال ﷺ لأزيدن على السبعين فنزل - سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم - فكأنه ﷺ فهم أولا أن المراد بالسبعين العدد المخصوص فجاء البيان أن المراد التكثير والعرب تستعمل السبعة والسبعين والسبعائة في التكثير . ذلك لأن السبعة فيها ثلاثة أوتار وثلاثة أشعاع . ومعلوم أن الواحد ليس من العدد لأنه أصله فالسبعة أول الكثرة من الشفع والوتر . والسبعون أبلغ من السبعة فقد ضربت في العشرة (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) الثمردين في كفرهم كعبد الله المذكور لأنه يخفى الكفر ويظهر الايمان . وبهذا تبين أنه ممن لا يرجى ايمانهم والاستغفار انما يكون لمن يرجى ايمانهم فهو كالتمنيبه على عذر النبي ﷺ في الاستغفار والممنوع الاستغفار بعد العلم أنهم مطبوعون على الضلالة كما تعالى - ما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرنى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم - (فرح المخلفون) المنافقون الذين استأذوا النبي ﷺ وأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك كما تقدم في آيات كثيرة (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) فلم يفعوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم (وقاوا لانهروا في الحرب) أى قال

بعضهم لبعض ذلك (بل نارجهنم أشد حرا لو كانوا ينفقون) فكيف اختاروها بإيثار الكسل والترف والتنعم (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) من النفاق وهذا كناية عن السرور والغم وبرد بالقلة العدم (فإن رجعت الله إلى طائفة منهم) أي ردك الله إلى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني مناقبيهم (فاستأذنوك للخروج) إلى غزوة أخرى بعد تبوك (فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا) خبر معناه الهى (إنكم رضيتم بالعود أول مرة) فصار إسقاطهم من ديوان الغزاة عقوبة لهم (فاقعدوا مع الخائفين) أي المتخلفين الذين لا يلبقون للحرب كالنساء والصبيان (ولا تصل على أحد منهم) أي من المناققين صلاة الجنازة (مات) صفة لأحد (أبدا) ظرف (ولا تقم على قبره) إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (تعليل للنهي أي أنهم ليسوا بأهل للصلاة عليهم) وسببها أن عبدالله بن عبدالله بن أبي المتقدم ذكره طلب أن يكفن النبي ﷺ أبدا في قميصه ويصلى عليه قبل فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك فقال ﷺ ذلك لا ينفعه وكنت أرجو أن يؤمن به ألف من قومه * وروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرك بثوب النبي ﷺ وقوله - ولا تقم على قبره - أي ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة (ولا تنجبك أموالهم ولا أولادهم) إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كفرون) هذه الآية كررت للبالغة ولتذكير الناس بأن ما على الأرض زينة الدنيا لا غير وبه العذاب فيها . وأيضا الآيتان نزلتا في فرقتين (واذا أنزلت سورة) بتامها أو بعضها (أن آمنوا) أي بأن آمنوا ويصح أن تكون أن مفسرة (بالله) متعلق بآمنوا (وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم) ذوو الفضل والسعة (وقالوا ذرنا نحن مع القاعدين) الذين قعدوا لعذر (رضوا بأن يكونوا مع الخوارج) مع النساء جمع خالصة والخالفة أيضا الذي لا خير فيه (وطبع على قلوبهم فهم لا ينفقون) مافى الجهاد وامتنال أمر الرسول ﷺ من السعادة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) كأنه يقول ان تخلف هؤلاء فقد جاهد من هو خير منهم (وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون) الفائزون بالمطالب (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) وهذا بيان لما لهم من الخيرات في الآخرة . واستأذن رهط عامر بن الطفيل وأسد وغطفان في التخلف عن الجهاد بغزوة تبوك التي نحن بصدد الكلام عليها وقالوا إن لنا عيالا وأن بنا جهدا فأذن لنا في التخلف فقال لهم ﷺ - قد نبأنا الله من أخباركم - وسيغنى الله عنكم وهناك قوم آخرون قعدوا ولم يستأذنوا فهذا قوله تعالى (وجاء المعذرون) من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتواني فهو يوههم أن له عذرا ولا عذر له (من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) وهم مناققوا الأعراب الذين لم يجيؤا ولم يعتذروا فهم بذلك كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) وإنما لم يقل سيصيبهم لأن منهم من سيخلص في إيمانه في علم الله وهؤلاء جميعا لا يقبل اعتذارهم * ثم أخذ يبين الذين أعذارهم صادقة فقال (ليس على الضعفاء) أي الأصحاء في أبدانهم العاجزين عن الغزو مثل الشيوخ والصبيان والنساء (ولا على المرضى) ويدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة . وبالجملة كل من كان موصوفا بمرض يمنع من الجهاد (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) إثم وضيق في التخلف فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لأن العاجزين عن نفقة الغزو معذرون كفقراء من مزية وجهينة وبنى عذرة (إذا نسحوا لله ورسوله) بأن آمنوا في السر والعلن وأطاعوا ولم ينشوا الأراجيف ولم يشيروا الفتن وقاموا بمصالح المجاهدين في غيبتهم لأهلهم في بيوتهم (مألى المحسنين) المعذورين الناصحين القائمين بشؤون المجاهدين في بيوتهم (من سبيل) لاجتراح عليهم ولا طريق لعتابهم (والله غفور) يغفر لهم تخلفهم (رحيم) بهم (ولا على الذين) يعني ولا حرج ولا إثم في التخلف عندك على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) لتعطيتهم الحولة ليبلغوا إلى غزو العدو وهم سبعة نفر من بنى عمرو بن عوف (قلت لا أجد ما أجلكم عليه) أضمرت قد قبله

أى قد قلت أى اذا ما أتوك حال كونك قئلا - لا أجد ما أحلكم عليه - (تولوا) وهذا جواب الشرط (وأعينهم تفيض من الدمع) تسيل كقولك تفيض دمعاً وهو أبلغ من يفيض دمعها . فالعين هنا جعلت كأنها كلها دمع فائض (حزن) مضعول لأجله (ألا يجدوا) أى بأن لا يجدوا (ما ينفقون) فى الجهاد (إنما السبيل) الحرج والاثم (على الذين يستأذنونك) فى التخلف (وهم أغنياء) ثم استأنف لبيان حالهم فقال (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) أى بالانتظام فى جملة الخوالف وذلك إشارة للدعة والترف والتنعيم (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) أمر الله ولا يصدقون (يعتذرون اليكم) يقيمون لأنفسهم عذراً باطلا (اذا رجعت اليه) من هذه الغزوة (قل لا تعتذروا) بالباطل (إن يؤمن لكم) لن نصدقكم وهو علة للنهي عن الاعتذار (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لانتفاء تصديقهم (وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه (ثم ردون الى عالم الغيب) ما غاب عن العباد (والشهادة) ما عامه العباد (فينبشكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير (ومن حولكم من الأعراب) وهم أعراب مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم كانت منازلهم حول المدينة أى ومن هؤلاء الأعراب منافقون (ومن أهل المدينة) وهم جماعة من الأوس والخزرج عطف على خبر المبتدأ الذى هو - ممن حولكم - والمبتدأ (منافقون) وقوله (مردوا على النفاق) تمهروا فيه . فيه تقديم وتأخير وتقديره - ومن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق - (لا تعلمهم) فانهم بالغوا فى النفاق بحيث انك لا تعلمهم (نحن نعلمهم) يعنى لكن نحن نعلمهم إذ لا تخفى علينا خافية (سنعذبهم مرتين) مرة فى الدنيا بأن يعذبوا بأموالهم وأولادهم وتحيط بهم المصائب ويخرج لبعضهم مرض الدبيلة وهى جروح نارية تظهر فى أكتافهم حتى تخرج من صدورهم بأن يغاطوا بدخولهم الاسلام كرها للغلبة والقوة وبأن يهانوا بالفضيحة فان النبى ﷺ قام خطيباً فى يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان . اخرج يا فلان فانك منافق فأخرج من المسجد أناساً وفضحهم . فهذا هو العذاب الأول . وهذه الفضيحة لهم بعد أن أعزه الله بهم وسماهم له . وأما العذاب الثانى فهو عذاب القبر . وأما الثالث فهو عذاب النار وهو قوله (ثم ردون الى عذاب عظيم * و) قوم (آخرون) سوى المذكورين (اعترفوا بذنوبهم) لم يعتذروا من تخلفهم بالأعذار الكاذبة كغيرهم وكانوا عشرة فسبعة أو ثقلوا أنفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد فصلى ركعتين فراءهم موثقين فسأل عنهم فقيل له انهم أقسموا ألا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله هو الذى يحلهم فقال وأنا أقسم ألا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فاطلقهم فسألوه ﷺ أن يتصدق بأموالهم فيطهرهم فقال ما أمرت فنزل - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الخ - (خلطوا عملاً صالحاً) وهو اظهار الندم (وآخر سيئاً) وهو التخلف وموافقة أهل النفاق والوارى معنى الباء (عسى الله أن يتوب عليهم) يقول المفسرون عسى من الله واجب ويتوب عليهم أى يقبل توبتهم وقوله (إن الله غفور رحيم) أى يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه وقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) من الذنوب أوجب المال المؤدى بهم الى المعاصى كالتخلف المتقدم (وترزقهم بها) وتتمى حسناتهم وترفعهم الى منازل المخاضين (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم (إن صلاتك سكن لهم) تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم (والله سميع) باعترافهم (عليم) بندايتهم (ألم يعلموا) أى المتوب عليهم وغيرهم ليتمكن فى قلوب الأولين قبول توبتهم ولا يحرص الآخرون عليها (أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت والقبول هنا مضمن معنى التجاوز (ويأخذ الصدقات) يقبلها قبول من يثب عليها ويخلف بدوها (وأن الله هو التواب الرحيم) كثير قبول التوبة والتفضل عليهم (دقل اعملوا) ماشئتم (فسيرى الله عملكم) فانه لا يخفى عليه خيراً كان أو شراً (ورسوله والمؤمنون) لأنهم يطلعهم الله على أعمالكم إما بالوحى فى زمن النبوة كما رأيتم . واما بالهام الناس ما خفى فى نفوسكم كما قيل

﴿السنة الخلق أقلام الحق﴾ ثم قال ﴿وستردون الى عالم الغيب والشهادة﴾ يوم القيامة ﴿فينبئكم﴾ أي فيخبركم ﴿بما كنتم تعملون﴾ يعني في الدنيا . واعلم أن المتخلفين في هذه الآيات على ثلاثة أقسام ﴿أولهم﴾ المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق ﴿وثانيهم﴾ التائبون المسارعون الى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم وهم أبوالبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعه بن حزام وغيرهم وهم مختلفون في عددهم من ٣ الى ٧ الى ٨ الى ١٠ ولايهم معرفة ذلك ﴿والقسم الثالث﴾ موقوفون ومؤخرون الى أن يحكم الله فيهم وهم المراد بقوله ﴿وآخرون مرجئون﴾ مؤخرون من أرجائه أي موقوفون وقرىء - مرجون - بفتح الجيم وسكون الواو وهما لغتان (لأمر الله) في شأنهم (إما يعذبهم) ان أصروا على النفاق (وإما يتوب عليهم) ان تابوا (والله عليم) بأحوالهم (حكيم) فيما يفعل بهم وإما للشك وهو راجع الى العباد . وهؤلاء ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وقصتهم ستأتى في قوله تعالى - وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت - فهؤلاء تخلفوا عن غزوة تبوك الخ ماسيأتى * وروى أن بنى عمرو ابن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله ﷺ أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحدثهم اخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله ﷺ يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب الذي ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر . فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فأجابه ﷺ جئت بالحنيفية دين ابراهيم . فقال أبو عامر فأنا عليها فكذبني النبي ﷺ وبعد جدال قال أبو عامر أمت الله الكاذب منا طريدا وحيدا فقال ﷺ آمين . وسمى أبا عامر الفاسق فقال أبو عامر الفاسق لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك حتى كان يوم حنين فلما انهزمت هوازن فرّ هو الى الشام وأرسل الى المنافقين أن استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا الى مسجدافاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فأتى بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله تعالى (و) فيمن وصفنا (الذين اتخذوا مسجدا ضرارا) مضارة للمؤمنين (وكفرا) وتقوية للكفر الذي يضمرونه (وتفريقا بين المؤمنين) أي الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وإرصادا) ترقبا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) وهو أبو عامر الفاسق وقد قالوا للنبي ﷺ بنينا مسجدا لدى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشامية ونحن نحب أن تصلى لنا فيه وتدعوا بالبركة فقال انى على جناح سفر واذا قدما من تبوك ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سأله انيان المسجد فنزلت عليه فقال لوحشى قاتل حجرة ومعن بن عدى وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه فانطلقوا ففعلوا وأمروا أن يتخذوا مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام غريبا وحيدا وقوله - من قبل - أي من قبل بناء هذا المسجد . ألا ترى أنه آتى على نفسه أن يحارب النبي ﷺ حتى كان يوم هوازن (وليحلفن) يعني الذين بنوا المسجد (ان أردنا) يعني ما أردنا بينائه (إلا الحسنى) أي إلا الفعلة الحسنى وهى الفرق بالمسلمين الخ ما تقدم (والله يشهد انهم لكاذبون) يعني في قولهم (لا تقم فيه أبدا) أى لاتصل فيه أبدا (لمسجد أسس على التقوى) وهو مسجد قباء وقد أسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بقاء من يوم الاثنين الى يوم الخميس وخرج يوم الجمعة أو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة (أحق أن تقوم فيه) مصليا (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) من المعاصي والكفر والنفاق واضرار المسلمين والتفريق بينهم ومن الحدث والخبث والنجاسة والطهارات الباطنة وما يتقدمها من الظاهرة هى التى تقرب العبد من الله وتحببه فى الناس . ولا يقترب العبد من الله إلا بصفاء الباطن وكما صفا قرب وبقدر القرب يكون حب الله (والله يحب المطهرين * أفمن أسس بنيانه) بنيان دينه (على تقوى من الله ورضوان خير) على قاعدة محكمة هى التقوى من الله (أم من أسس بنيانه على شفا جرف

هار) أى أم من أسسه على قاعدة ضعيفة وهو الباطل والنفاق الذى يشبه - شفا جرف هار - أى حرف مكان أكل الماء ماتحته فهو الى السقوط أقرب • فالشفا الحرف والشفير • وقوله - هار - من هار يهور اذا تداعى بعضه فى أثر بعض كما يهور الرمل (فانهار به فى نار جهنم) فطاح به الباطل فى نار جهنم (والله لا يهدى القوم الظالمين) لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم) أى لا يزال هدم بنيانهم الذى بنوا حرارة وغيظا فى قلوبهم والحرارة والغيظ من رسول الله ﷺ يورثهم ريبة فى قلوبهم وهذه الريبة باقية فى قلوبهم (إلا أن تقطع قلوبهم) أى تجعل قلوبهم قطعا وتفرق أجزاءها إما بالسيف وأما بالموت أى فهى باقية الى أن يموتوا (والله عليم) بنيانهم (حكيم) فيما حكم به عليهم • انتهى التفسير اللفظى • وفى هذا المقام لطائف

(اللطيفة الأولى) فى قوله تعالى - الاتنفروا يعذبكم الله عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم -

(اللطيفة الثانية) فى قوله تعالى - الاتنصروه فقد نصره الله - الآية

(اللطيفة الثالثة) فى قوله تعالى - انفروا خفافا وثقالا -

(اللطيفة الرابعة) فى قوله تعالى - فلاتعجبك أموالهم ولا أولادهم - الآية

(اللطيفة الخامسة) فى قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين -

(اللطيفة السادسة) فى قوله تعالى - ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب الخ -

(اللطيفة السابعة) فى قوله تعالى - ألم يأتهم نبال الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم - الى

قوله - ولكن كانوا أنفسهم يظلمون -

(اللطيفة الثامنة) فى قوله تعالى - ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم -

(اللطيفة التاسعة) فى قوله تعالى - وهموا بما لم ينالوا الخ -

(اللطيفة العاشرة) فى قوله تعالى - قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون -

(اللطيفة الحادية عشر) فى قوله تعالى - وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون -

(اللطيفة الثانية عشر) فى قوله تعالى - وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون -

(اللطيفة الثالثة عشر) فى قوله تعالى - سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم -

(اللطيفة الرابعة عشر) فى قوله تعالى - ومنهم من عاهد الله -

(اللطيفة الأولى - الاتنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم -)

حكم الله فى هذه الآية على الأمم الاسلامية أن تصبح فى عداد الأموات اذا هى نامت وادعة ساكنة ولم تسع سعى الأحياء • وأن تكون فى خبر كان • وأن يستبدل بها أمما أخرى تحل فى أماكنها • تهديد شديد ووعد عظيم أنزله الله بمن يتركون الجهاد فى خفض من العيش ودعة • ولقد أطل فى ذلك أرسطاطاليس فيما كتبه الى اسكندر يحذره من ترك الممالك الفارسية وادعة وعمل ذلك بزوال الدولة وحلول الأزمة وأن الناس يتحملون النقم والشدائد ولا يصبرون على النعم والدعة فان الناس أيام الحروب يكون عندهم من النشاط والحركة وظهور الغرائز والقوى الكامنة ما يحرمون منه أيام سلامهم وفى وقت أمنهم ودعتهم وضرب الأمثال على ذلك بأهم خلت ودول مضت وأنهم بدعتهم وسكونهم وخفض عيشهم ذهبت ريحهم • ولقد تبين ذلك فى كل الأمم جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن • هكذا هنا يقول الله - وان تتولوا يستبدل قوما غيركم - لأن الوجود فى ارتقاء وتنازع • وكل أمة أحاطت بها السامة وحلت بها صفات الامن والدعة والكسل والبطر سالت القياد لغيرها ممن هم أقدر على الحياة وأصبر على الجهاد وأولى بالقياد ووكلا اليهم أمرهم لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والعالم فى صعود فن وقف وأرجع اتقهقرى حل محله من هو أحق منه بالحياة

ذلك هو النظام المستقيم والصراط السوى كما غلبت أمة الترك والفرس الأمم العربية في القرون الأولى من الاسلام ثم غلب التتر عليهم أجمعين . ثم جاء الفرنجة فخلوا في ساحة الاسلام . ثم جاء دور الأمم الشرقية وهما هي تريد أن تلعب دورها وتأخذ من الحياة حظها - ذلك تقدير العزيز العليم - وهذه هي الرحمة الالهية والنعمة الربانية أن يكون العالم في ارتقاء وأن يولى زمامه الأكفاء وأن يغلب بخيلهم ورجلهم الأشداء ليقوموا بأمر ربهم ويحفظوا نظام ملكهم فليس لله في الأرض من ولد ولا والد ولا صاحبة ولا صاحب وإنما هو عدل في أحكامه لا يبالى بأهل دين أولفة أو جنس بل حكمه قاهر على الجميع . خنس اليهود فأجلاهم وكسأت طوائف من المسلمين فأصماهم . وخنعت أم ضالة غيرهما وأرداهم . ذلك تقدير العزيز العليم - وهذه هي الرحمة في الوجود . يميت من لا تنفع له في حياته . ويحيي من يسهى في الوجود لدرس آياته . - إن ربك عزيز حكيم -

﴿ اللطيفة الثانية - الاتنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار الآيات - ﴾
 روى أن رسول الله ﷺ قال للمسلمين يوما لما اشتد بهم الكرب من ظلم المشركين بمكة ﴿ إني أريت دار هجرتكم سبعة ذات نخل بين لابتين (وهما الحرتان) فهاجر من هاجر الى المدينة ورجع من كان بالحبشة الى أرض المدينة ﴾ ولقد حبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده من ورق السمرار بعة أشهر ثم جاء الأمر بالهجرة فأخبر أبا بكر فأخذ رسول الله ﷺ إحدى الراحلتين باليمن وقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين ثم توجه ﷺ هو وصاحبه الى جبل ثور فكنا فيه ثلاث ايام وكان يأتيهما بخبر القوم عبد الله بن أبي بكر * واستأجرا رجلا من بني الديل هاديا خريتا . والخريت الماهر بالهداية وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال * وروى أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله * وقيل لما دخل الغار بعث الله حامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت نسجت عليه ثم ان الدليل الديلى عاد اليهما بعد ثلاث فارتحلا ومعهما عامر بن فهيرة والدليل المذكور فأخذ بهم طريق الساحل ثم ان سراقه بن مالك بن جشم طمع فيما أعلنه كفار مكة من الجعل العظيم لمن قتل النبي ﷺ وأبا بكر وهو ديتهما فتبعهما يركض فرسه حتى سمع قراءة رسول الله ﷺ غير ملتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغتا الركبتين وارتفع من ذلك الأثر دخان ساطع في السماء فنادى الأمان وأخبرهما بما يريد قومهما من قتلهما وعرض الزاد والمتاع عليهما فلم يقبلا وسأل النبي ﷺ أن يكتب له كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتبه في رقعة وكان أهل المدينة ينتظرونه حتى نزل يوم الاثنين من شهر ربيع الأول في بنى عمرو بن عوف وبقى عندهم بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه ثم ركب راحلته حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم ابتاع المكان من صاحبيه الغلامين وبناه مسجدا اه

﴿ اللطيفة الثالثة قوله تعالى - انفروا خفافا وثقالا - ﴾

قد تقدم معنى الخفاف والثقال ﴿ ومخلص المعاني التعميم ﴾ . فعلى هذا يجب الجهاد على كل امرئ وهذا الأمر منسوخ بقوله - ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآيات - كما سيأتى وبقوله - وما كان المؤمنون لينفروا كافة - ومن العلماء من حل الآية على أن الأمر للنذب * وروى أن أبا أيوب الأنصاري لم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون مع أنه شهد بدرا ف قيل له في ذلك فقال يقول الله تعالى - انفروا خفافا وثقالا - ولا أجدنى إلا خفيفا أو ثقيلا وكذلك سعيد بن المسيب ذهب إحدى عينيه ولم يترك الجهاد وقال ان لم يمكنى

الحرب كثرت السواد . وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حصن فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم أنت معذور عند الله فرفع حاجبه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا إلا أنه من يحبه يتلبه . وهذا ملخص ما يقوله العلماء . واعلم أن التحقيق في هذا المقام أن الأمم كلها يجب عليها العمل العام . فأصحاب القوة للدفاع . وأصحاب الصناعات لإحضار العدة وكل امرئ في الآية مكلف بعمل لأنه لا دفاع بالرجال أفويا، ولا دفاع للأقوياء بلا سلاح ولا وقوف لهم في وجه العدو إلا بالغذاء والملبس والطرق المنتظمة . ولا طرق ولا غذاء ولا لباس إلا بأعمال هامة ومدارس منتظمة وحكومة فادرة وأمة مستيقظة وإدارة تامة . وهذا ملخص دين الاسلام إذ يقول علماءنا ان الصناعات كلها فرض كفاية . فنقول الآن أيها المسلمون أين الكفاية ولا كفاية لديكم ولا صناعة ولا علم ولا حكمة فالجهاد واجب على الأمة كلها . وعلى قادة الأمة أن يجعلوا كل امرئ فيما استعد له من عمل نافع لافرق بين كنس الشوارع وتنظيف المساكن وتسميد الأرض وبين صنع المدافع والطائرات والكهرباء وما أشبه ذلك . كل هذا واجب على الأمة كلها يجب أن تكون عاملة فان لم يفعلوا ذلك أثموا أجمعين وعذبوا في الدارين وذاقوا العذاب الهون اه

﴿ اللطيفة الرابعة - فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم - ﴾

اعلم أن هذه الآية ذكرت في هذه السورة مرتين فيقول هنا - فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم - ويقول بعد آيات ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم الخ وقد جاء في أوائل هذه السورة - قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم الخ - فذكر هناك ثمانية أشياء الآباء والأبناء والاخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن وحكم على من يقدم حب هذه على الجهاد بالهلاك والدمار والعذاب . ويقول أيضا في هذه السورة - قل هل تر بصون بنا إلا احدى الحسينين - فجعل القتل حسنى معادلا للنصر وجعل هلاك الأعداء بالقتل ثم موتهم وهلاكهم الأخرى عذابا . فملخص ما ترمى اليه هذه السورة بل كل دين صادق . بل كل حكمة وفلسفة احتقار اللذات والحياة وجعل ذلك كله مقدمة لولوج باب الكمال والسعادة . وعلى ذلك انقلب الأمر فأصبح ما يفرح به الناس في هذه الدنيا عذابا

﴿ ايضاح هذا المقام ﴾

اعلم أن الانسان في الدنيا يظن أن سعادته فيها بما يناله من لذاته الحسية كالطعم والملبس والمسكن والأبناء والآباء والأزواج والعشيرة . وبما ينفي عنه من الآلام والمصائب فيبقى حيا سليما مدى الحياة طويلا العمر . ثم هو أبدا معذب بهذه الأثقال والأحمال فهو أبدا في نصب بما يصيب الأهل والمال والولد وجميع ما حوله وبما يصيبه في جسمه وهذا عذاب دائم . فبينما يظن نفسه في سعادة إذ هو أبدا في شقاء بما ظن أنه سعادة ولقد تعذب عنه هذه الأثقال والأوصاب ساعة النوم والانعشاء والسكر القوى والتنويم المغناطيسى فالنائم لا يحس بما يناله من النعم بارتكاب الديون . وكذا المغمى عليه والسكران وهكذا المنوم تنويم مغناطيسيا ينخل إليه وقت النوم ما يريد منه المنوم فيقال له أنت ملك كريم أو ملك عظيم أو بهيمة أو غنى أو فقير فيتشكل كما يوحى اليه المنوم بالكسر . ولقد شاهدت ذلك بنفسى في مصر على مرأى ومسمع من العلماء والأطباء الذين شهدوا هذه الحقائق وأقرّوها . فها أنت ذا ترى أن ما نحمله من الأثقال قد زال عنا في بعض الأوقات لعارض كما يزول عنا الألم اذا شاهدنا رجلا يقتل قصاصا أو مريضا يشرب شرابا مرافانا لا تتألم لعمادنا باستحقاق الأول ومنفعة الثاني . ونرى الطبيب يقطع عضو المريض لغرض الشفاء فنساعده ونشكره . ونحارب أمة سطت علينا ونقتل رجالها ونخن فرحون . فهذه أحوال عرضت لنا غيرت أفكارنا فجعلت المكروه محبوبا وصيرت المؤلم لذيذا . ولطالما غيرت البيئات أحكامنا فجعلنا الضعة شرقا والشرق ضعة فيقول الفرنسي

لابد من أن يرقص رجل مع امرأتي والا كان ذلك عارا على . ويقول الشرقي ان حصل ذلك فهو عار على كل ذلك فعل البيثة . فتعجب كيف انقلبت اللذات آلاما والآلام لذات بأحوال عارضة . فانظر كيف جاء القرآن بما هو أهم وأعم . وجعل كل ما نملكه وما يلدنا نعمة علينا ان أمسكناه لذاته ونعمة اذا جعلناه للنفعة العامة وأفادنا أن ذلك في كتاب - وأن ذلك على الله يسير - وقال - لا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - أنا وقت النوم أرحتكم من تبعه المصائب ووقت الاغماء والضعف العظيم المغير للقوى العقلية كحالة الهرم التام . وهكذا أجعل العاشق لا يبالي إلا بأن يصل الى ما تمنى من محبوبه ولا يبالي بغيره في الدنيا . وربما عشق الانسان وطنه أو علما من العلوم فذهل عما سواه . فبالنوم أرحتكم وبالاغماء وبالعشق العادي والوطني والعلمي غيرت أحوالكم الفلبية

فها أنا ذا أوجهكم بالدين الى الاجتهاد . واذا كان بعض عبادي يعشقون انسانا عشقا مفرطا فيغيبون عن كل ما سواه سواء أكان المحبوب ذاتا أو وطنًا أو علما . فها أنا ذا فتحت لكم باب العشق العام فليجوه وطريق الحب الحقيقي فاقصدوه فلتكونوا آباء كراما لأئمتكم ولتكن أموالكم وأبنائكم وخواصكم وعشيرتكم وهكذا علومكم وقوتكم وجبلتكم وقفوا على الجهاد في سبيلي فاذا نصرتم فالنصر مني واذا قتلتهم فاليّ ترجعون ﴿ ظاهر هذه السورة العذاب وباطنها الرحمة ﴾

إن هذه السورة نزلت للسيف وقد تركت البسملة في أولها لأن التسمية للرحمة ولالرحمة هنا . هذا ما قاله العلماء كما تقدم . ولكنك اذا تأملت سورة الفاتحة وأن الانسان يقرأ صباحا ومساء - الرحمن الرحيم - ويحمد الله رب العالمين . اذا تأملت ذلك أيقنت أن الرحمة غالبية . وها أنت ذا تراها ظاهرة في هذه السورة فانه وان طاب ضرب السيف فقد أزال أغلال الحياة عن الأعناق ووجه القلوب الى وجهة واحدة . ويقول علماء هذا العصر ان الأمة وقت الحرب تحسّ بنشاط وفرح لا تحلم بهما وقت السلم فانظر كيف انقلب الأمر وأصبح الحرب الذي يكرهه الناس نعمة والسلم والدعة والنعمة التي لا حركة فيها نعمة . وهذا هو سرّ هذه السورة . فالمساكن والملابس والأولاد والمال كل ذلك مصائب عاجلة بالتواني والكسل والنوم وهي نعمة باستعمالها فيما خلقت له . وان أردت تحقيق المقام فاقرأه في سورة البقرة في النصف الأول منها فافهم

﴿ السعادة لا تشرى بمال ﴾

﴿ رجل ينتحرو في جيوبة ٦٠٠٠ جنيه ﴾

جاء في بعض مجلاتنا المصرية في ١٠ ابريل سنة ١٩٢٦ ما يأتي
يرى زائر شواطئ بحيرة كومو الجيلة في ايطاليا قصرا أنيقا يقع وسط حديقة زاهية مترامية الأطراف وانه ليمر البصر فيه طويلا ثم يتساءل لمن هذا القصر الباذخ والروض الناضر في هذا الجوار الخلدی والبقعة المسروقة من الجنان ويتمنى لو قدر له أن يمضي بقية حياته في ذلك النعيم الشامل . ثم يسأل أحد المارة من الوطنيين عن اسم صاحبه السعيد ولكن ما أعظم دهشته عند ما يرفع هذا أكتافه ويحجبه بأن صاحبه كان (جوزب بوجيني) الذي كان يعيش فيه وحده مع خدمه العبيدين وكلابه التي كان يحبها . وكان أهل البقعة لا يعلمون من أمره كثيرا ولكن كانت تسرى الاشاعة بأنه كان شيخا نعسا لا يعرف السعادة رغم ثروته الطائلة

كان (بوجيني) وخيدا وحده قاسية . وكان يمكنه أن يشتري الأصحاب بماله الكثير وبذخه الوافر . ولكنه ما كان يأبه لذلك فلم يكن له أصحاب حقيقيون وكان يندر أن يزوره زائر ولم يكن له أقارب ولم يتزوج وكانت حياته حياة عزلة ونسك . كان (بوجيني) في وقت من الأوقات عاملا بسيطا في نيويورك

حيث تجنس بالجنسية الأمريكية . وبمرور الزمن جمع ثروة تقدر بالملايين ثم رجع الى موطنه الأصلي ليتمتع بثمره ماجعته حياة السكد والاجتهاد . وظهرت له بحيرة كومو بعد غيبته الطويلة جنة خالدة لا ينقص كمالها أى ترف أو رغد يشتره المال فأمن بالسعادة هناك . ولكن جاءت بعد حين ساعة الخيبة التى تنهار فيها صروح الآمال والأحلام فقد اشترى بماله القصر والروض وكل أسباب الراحة والكمال ولكنها لم تشتله راحة الفكر والرضا بكل ذلك فلـ كل ذلك وسئمه وحنّت نفسه الى تلك الأيام التى كان يكبد فيها ويكدح طول نهاره من أجل بضعة الدراهم القليلة التى كان يكسبها فى يومه . والآن قد أنهى (بوجينى) حياته القلقة الشائرة حيث وجدته خدومه فى صبيحة يوم مشنوقا فى شجرة من أشجار روضه الزاهر . وبجانبه هذه الرسالة الوجيزة لقد كشفت أثناء حياتى الطويلة أن أكوام المال لا تشتري السعادة الحقيقية وانى أذهب من هذه الحياة لأنى لا أقوى على احتمال وحدتها وما أشعر فيها من سأم عندما كنت عاملا بسيطا فى نيويورك كنت سعيدا جدلا . ولكن الآن مع هذه الملايين أشعر بحزن دائم وأفضل الموت

ووجد فى جيوبه ستة آلاف جنيه كتب عليها (الى الجحيم) ثم أخذ البوليس يبحث عن ورثته اه

(جمال هذه الآيات)

كثرت ذرية أدنى الحيوان وأغذيته ولم يجشم نصبا ولا ألما . والانسان ناله الألم بذريته مع قلتها وبما ملك من الأموال ليعلم أنه فى دار ليست بدار قرار . وانه سائر الى ربه يعيش بجواره كما قال تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففروا الى الله انى لكم نذير مبين - لجمال هذه الآية - فلانجبك أموالهم ولا أولادهم الخ - هو الظاهر فى هذا الوجود المنجوء عن القلوب لأن أكثر الناس لا يعلمون اللهم انك أنت الظاهر بجمالك . العظيم بحكمتك . الجميل العجيب الصنع البديع الاتقان . اللهم انك أنت الذى ملأت السهل والجبل والنهر والحقل بذرية الذبابة والجرادة وحشرة أبى دقيق ولم تجشمها نصبا ولا ألما فى تلك الذرية وملكت بعض تلك الحشرات عيوننا وأجسامنا وأمتعتنا واللذيق من أغذيتنا وسلطتها علينا بالعذاب فتلقى فى أغذيتنا وفى أجسامنا بذور الأمراض والحيات والمهلكات - إن ربى لطيف لما يشاء - أنت الذى جعلت الحيوان على ثلاثة أقسام . قسم يترك بيضه فى العراء كالجراد والذباب الخ ولكن هذا القسم أنت أعطيته إلهاما عجيبا ليضع بيضه فى أما كن تناسبه كأغذية الانسان وروثه وعيون صغاره والقاذورات وذلك فى الذباب وفى حقول مناسبة على بعد مخصوص فى الأرض وذلك فى الجراد وهكذا . ثم ان الذبابة والجرادة ونحوهما تموت . وأنت الذى تتولى شؤون ذريتها فتملأ السهل والجبل والناس بحاربونها ولكن تلك الحشرات وأمثالها غالبات قاهرات على طول الزمان . وقسم أمرته بأن يحضن بيضه الى أمد معلوم وذلك لأنه أرقى فألهمت الدجاجة والحمامة والاناث من أنواع الدراج والبط أن تحضن بيضها فاذا فقس أمرتها أن تلاحظها الى أمد قليل ثم تستقل الذرية وتفعل ما فعل الآباء . ومع هذه العناية كانت الذرية أقل من ذرية تلك الحشرات كحشرة القز وحشرة أبى دقيق والذباب الخ . والقسم الثالث ما حكمت عليه بالحل والارضاع وهى ذوات الأربع . وكلما ازداد هذا القسم كمالا زدت عذابا فى ذريته كالخيل والبقرة والانسان وهو أكثر تلك الحيوانات عذابا بذريته وماله . وكلما ارتقى فى سلم المدنية ازداد عذابا بالذرية فيعيش الانسان مجدا كادحا لترية بنيه وبناته الذين قل عددهم ولا يقتصر على الارضاع والكسوة والتغذية بل يدخلهم المدارس ويضيع حياته فيهم . وهو كلما كثرت آماله وأمواله وذريته ازدادت همومه . فاعجب لهذا الوجود . ذبابة تكون الأجيال الناشئة من ذريتها فى السنة تزيد عن مليون ذبابة وهى كلها تملك أجسامنا وأغذيتنا ولا نصب يغشاها ولا تعب . وانسان يلد عند أصابع اليد الواحدة أو أقل فيعيش فى نصب وتعب وهو مكدود وهو قليل المال كثير النصب والتعب لا يتسنى له أن يدخل منزل جاره إلا باذن ولا

يأكل الإنسان وتعب . وهذه أبيض لها الدنيا وغلبتنا وقتلتنا وأكلت زرعنا . هذه صورة الحيوان
والإنسان . فاجب أيها الدكي . وتأمل كيف تلد الذبابة مئات الآلاف بالتناسل في الأجيال كل سنة ويولد
الإنسان قليلا وهي لا تعذب وهو في العذاب مغمور . وكيف يشاهد الناس ذلك صباحا ومساء وهم لا يعقلون
اللهم ان العلم مشاهد محسوس وأكثر الناس لا يعقلون . أنت يا الله بسطت العلم أمام أعيننا وأمرت
الذبابة فباض في أفنيتنا وأمرت أن يلقي علينا دروسا من الأمراض في أغذيتنا وقتلت له نبيه هذا الإنسان
يا ذباب وقل له ها أنا ذا منعم بمالك كثير الذرية وأنت تشقى بمالك وولدك قليل الذرية . سلطني الله عليك
لتبغض عالم المادة وتحق إلى عالم الأرواح وتبحث بعقلك عن حياة أسعد وهي التي بعد موتك بقاء ربك
والعالم الروحي . فها أنا ذا أريك أيها الإنسان أنني أسعد منك حالا ومالا وذرية لأوقظك للخروج من حياة
المادة . ولما جهل الناس منطق الطير ولم يعقلوا ما حولهم من الضر والشر ألقاه على ألسنتهم في محافلهم
ومحاوراتهم بطريق الإلهام

﴿ السنة الخلق أقلام الحق ﴾

لما حكم الله على الناس بعذابهم في أموالهم وأولادهم ولم يفهموا منطق الطير كما قدمنا ولم يدركوا سر
هذا الوجود ولم يفقهوا أنه بذلك يريد إخراجهم حتى يحنوا إلى عالم أرقى خاطبهم بما يلقيه على ألسنة الرجال
والنساء في كل زمان ومكان فتراهم يتبرمون ويتأففون من هموم المال وهموم الذرية . وتقول المرأة ماذا
أصنع يا بني وقد قلّ لبنى وقلّ مالي . ويقول الرجل ماذا أصنع أني لا أجد مالا لتعليم ابني . وإذا أصابه ألم
ونصب بكى وبكت امرأته . وهكذا تراهم مغتمين إذا اجتاحت المال جائحة أو أصابته ملة . كل هذا وهم
يشاهدون الحشرات طائفات فرحات سعيدات كثيرة الذرية فكل ما تسمعه من تألم الرجال والنساء لأموالهم
وأولادهم هو نفسه ما يشاهدونه في الطبيعة فالسنة الخلق في ذلك ناطقات بما خطه الله في هذا الوجود وكتبه
بحروف كبيرة مجسمة منظورة يشاهدونها واكتنهم لا يعقلون وقرّبها إليهم بالألسنة صباحا ومساء . فإذا قال
الرجال والنساء ما أتعب هذه الحياة الخ فهو نفسه الذي ألقته الذبابة والحشرة عليهم وهم لا يعقلون
﴿ ظهور هذا السر على ألسنة الشعراء ﴾ ولما كان الشعراء هم أفصح هذا النوع الإنساني وهم الناطقون بماله
من وجدان . أبرز الله هذا السر على ألسنتهم وتراه كثيرا في الشعر العربي فترى المتنبي يقول
كل من في الكون يشكو دهره * ليت شعري هذه الدنيا لمن

وترى الشاعر الإنجليزي (ترنش) يقول مملخصه ﴿ ان الناس قسمان ﴾ قسم صفت الدنيا لهم فأقل ألم
يزعجهم فهم دائما في نصب وألم . وقوم عاشوا في شظف العيش فأحسوا بأقل نعيم وانشرحوا صدورا .
وهذا نص ما ترجمته من شعره إلى لغتنا العربية اجابة لطلب التلاميذ بالمدارس الثانوية في كتابي المسمى
﴿ جوهرة الشعر والتعريب ﴾

﴿ أيدوق الفقراء السعادة أكثر من الأغنياء ﴾

(من شعر ترنش الشاعر الإنجليزي)

قوم صفت الدنيا لهم * وسأؤهم صحو عجب
فيها شمس وبها قر * لم تحجبهم عنها حجب
فإذا ما اغبر بأفقهم * مقدار الظفر له غضبوا
وفريق عاش ودهرهم * ليل فيه السود النوب
فإذا لمحوا من بارقة * فرحوا جذلا وبهم طرب

هذا مثل فيه عظة * لذوى التوفيق اذا ضربوا
فانظر زمر اسكنوا مصرا * وبنوا قصرا ولهم ذهب
ولهم نعم فيها نعم * فاذا راحت فلها لجب
يشكون الدهر وما نصبوا * ان شاكم وبرصخبوا
فكان الفضل بما طلبوا * مما من عليهم حرب (١)
وكان المال جهنمهم * وثرأ المال لهم عطب
وترى رهط اسكنوا الاكوا * خ فذا شعر هذا قصب
وحياتهم فى محصنة * ومعيشتهم أبدا وصب
جدوا الرحمن على نعم * وبه فرحوا وله انتسبوا
فكانهم لما سلبوا * ما أعطاهم منه كسبوا
فالحب كساهم من حلل * وبكأس سعادته شربوا

وهالك موازنة بين أبى العلاء . وبين شارل وكذا شكسبير منقولا مما نظمته ترجمة فى ذلك الكتاب
* قال أبو العلاء

للحال بالقدر اللطيف تغير * فليناً عنك تفاؤل وتطير
من أحسن الاحداث وصفك غابرا * فى الترب يا كله تراب أغبر
ما قيل فى عظم الملوك وعزهم * فالله أعظم فى القياس وأكبر
وكأنما دنياك رؤيا نائم * بالعكس فى عقبى الزمان تفسر
فاذا بكيت بها فتلك مسرة * واذا فحكمت فذاك عين تعبر
فالعين تبكى فى المنام وتجتلى * فرحا وتضحك فى الرقاد وتعبر
والنفس ليس لها على مانها * صبر ولكن بالكرهه تصبر
يغدو المدجج بازيا أو أجدا * فيروح محتكما عليه القبر

وقال أيضا

آليت لا ينفك جسمى فى أذى * حتى يعود الى قديم العنصر
واذا رجعت اليه صارت أعظمى * ترابا تهافت فى طوال الأعصر
هون عليك أنلت نصرا فى الوغى * أم طال جدك صادقا لم تنصر
كسرى أصاب الكسر جابر ملكه * والقصر كرت على تطول قيصر

وقال شارل

لاتفخرن بما أوتيت من نعم * ماذا التكاثر بالأوهام والعدم
لا يدفع القدر المقدور سابعة (٢) * من الدروع ولا حصن على علم (٣)
بل ينتضى الموت أسياف الفناء على * هام الملوك ذوى التيجان والأمم
والفأس والمنجل المعوج صفحته * كالصولجان وتاج الملك فى الرغم (٤)
كم فارس بطل بالسيف مشتمل * يسطو على أجل فى الحل والحرم
وحاصد هام قوم من منابتها * فأنبت أرضها زهرا بسفح دم
فصار اكيله فى يوم زينته * قد أبلوا للنايا فاقدى الشمم

(١) سلب المال (٢) الدرع السابعة الضافية (٣) العلم الجبل (٤) جمع رغام التراب

إما على عجل للموت أو مهمل * خروا جثيا (١) ونال الرغم كل فم
حتى قضوا نجهم صفرا وجوههم * عبدان ذل فما يشكون من ألم
وزهر اكليهم ذار ومنتثر * ولم يكن قبل إلا عقد منتظم
لا يعجبك ما أوتيت من شرف * أولت من ذهب أو بطش منتقم
وانظر إلى القاهر المقهور كيف قضى * وهاطل الدم في الأنصاب كالديم
وأودعوا حفرا يا بئسما نزلوا * عليهم سجع من دجينة الظلم
لكن على جدث الصديق قد عبقوا * ريحان والندم من عدل ومن كرم

وقال شكسبير - كل من عليها فان -

إن الحياة وإن غرّت مظاهرها * فانما هي وهم ذائب الصور
قد مثلت في خيال الوهم بارزة * في ساحة العدم الممتد في الفكر
كما ترى في خيال الظل من صور * حتى اذا كملت بادت على الأثر
وكل قصر رفيع شاده ملك * فيه التماثيل تخشاها قوى العصر
كذا البروج مشيدات على صعود (٢) * مكملات بما في السحب من أطر (٣)
وكل ما أورثته الأرض من عرض * تبيدها عدما يوما يد القدر
وانما عنصر الأجسام من سدم * مكونات من الأحلام والدعر (٤)

ضاع من المؤلف كتابه فيه تعليق فقال قبل أن يعثر عليه

يقولون إن العلم للهيم دافع * فكيف رأيت العلم يدني من الهيم
ألم تراني ضاع مني مؤلف * نفيس فلم أصبر على ذلك الغرم
لأنى قد نظمت بين عقوده * فرائد حتى لا يشذ عن الفهم
قضاء قضاء الله في عالم الدنا * فرارا من الآساد نغرق في اليم

هذه أقوال المشهورين من شعراء الغرب والشرق • اتحد المتنبي وأبو العلاء من الشرق مع (ترنس
وشكسبير وشارل من الغرب • بماذا نطقوا • نطقوا بما نطقت به هذه المخلوقات حولنا • نطقوا بما
نطقت به الطير والحشرات القائنات بلسان حالها أتم أيها الناس مسجونون في أموالكم وأولادكم أما نحن
فأنا في محبوبة النعيم • نلد الالوف ولا نحزن ولا نجزع ولا نصب في التربية والله تولاها عنا • هذا كلام
حشرة أبي دقيق والجراد والذباب وحشرة دود القطن • إن العالم الذي حولنا كله ناطق ونطقه أفصح من
نطق اللسان • إن العوالم التي خلقنا فيها جميلة وناطقة ولكن أكثر الناس لا يعقلون ولا يفهمون • وبهذا
نفهم قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - فنحن خلقنا العوالم حولكم أزواجا
فتوالت وكثرت ولم تعان ما تعانون مع قلتكم • نريد بذلك أن تذكروا وتعقلوا وتفهموا أن حياتكم
الحقة لا تكون هنا على الأرض ولا في عالم المادة التي ترونها بل في عالم أجل • ولذلك رتب عليه قوله تعالى
- ففروا إلى الله - والآية هنا موضحة لذلك الفرار إذ أبانت أن الناس في عذاب بأموالهم وأولادهم • فهذا
هو سبب الفرار وطلبه • ويقول الله في آية أخرى - وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا
من آمن وعمل صالحا - فالمال والولد يعذبان وهما لا يقربان إلى الله لأنهما وسيلة والوسيلة لا تكون مقصدا
فاذا جعلت مقصدا ساءت الحال وكانت سجننا وكفرا كما قال تعالى هنا - وتزهق أنفسهم وهم كفرون -

(١) جلوسا على الركب (٢) الصعد جمع صعود ضد هبوط (٣) أطر جمع اطار ما أحاط بالشيء (٤) الدعر الفساد

﴿ ايضاح ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر أحد الفضلاء من أهل العلم . ولما اطلع عليه سأني قائلاً . أين النطق الذي في المخلوقات حولنا والناس لا يفهمونه كما تقول . فقلت نطق الطير ونطق المخلوقات كلها . فقال ما معنى هذا القول الذي يشبه قول الصوفية والرموز التي لا تفيد . فقلت نحن الآن في مقام الحكمة والعلم والبرهان . ان الطير ناطقات بما ذكرناه الآن . ولكن العامة والجهلاء يظنون أن النطق هو ما تغني به أو تغني به أمثالها . كلا بل نفس الطير والحشرات وجميع الدواب عبارة عن كتاب كتبه الله بيده . كتبه لنا وأكثرت الناس لا يعلمون . ألم ترى ما ذكرته من حكم الحشرات وتبيان حياتها وموازتها بحياة الانسان . ألم يكن هذا أفصح من نطق اللسان . أليس نظام ذريتها وتدير الله في حفظها وحبسه لنا في أموالنا وأبنائنا كافيات في فهمنا أن حياتنا عذاب فلما أن جهل الناس هذا الكتاب الذي كتبه بيده أنطق الله بهذا المعنى الرجال والنساء وختم بالشعراء من العرب والعجم كما تقدم وأنزل في القرآن ما تقدم من الآيات يقول - وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو - ويقول - ومن كل شيء خلقنا زوجين الخ - كما تقدم ويقول هنا - ولا تعجبك أموالهم وأولادهم - . أليس هذا هو الذي يقوله الطير في جو السماء . فقال ما معنى هذا . فقلت الطير مخلوق ترفع في الهواء وتعالى عن الهوام في التراب والسماك في البحر والبهائم في الأرض . نظر الطير اليها نظر احتقار وفارقها وساح في الهواء والحرية . الناس يرون هذا وكأن الطير يقول أيها الناس اعبروا البحر وسيروا في الأرض وطيروا في الجو . فهذا كله لا يغنيكم شيئاً فأنتم محبوسون في الكرة الأرضية وفطرتم تحن إلى عالم أرقى فأخرجوا إلى عالم أعلى بالعمل كما خرجت أنا من عالم الماء والتراب وظاهر الأرض إلى الهواء . هذا هو بعض النطق الذي نطقه الطير لسليمان عليه السلام في قوله تعالى على لسانه - يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين - فهل ترى أن إيتاء كل شيء وإيتاء الفضل المبين لمعان ضئيلات تخطر بغرائز الطيور في جو السماء . أم هي هذه المعاني وأمثالها التي نطق بها كل شيء قبل نزول القرآن كما قال تعالى - قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء - فنطق الناس بالتبرم من الحياة . ونطق الشعراء كذلك . ونطق الطير في الهواء . ونطق كل شيء هو الذي نزل به القرآن فقال لنا ما قالته الطيور والحشرات والهوام والشعراء . وذم لنا المال والولد اللذين هما وسيلتان لاقصدان . لماذا . لأن الاسلام دين الفطرة . فها أنت ذا رأيت الفطرة في هذا المقال واطلعت عليها . وهذه الفطرة التي أبرزها الله بتنويعه خلقة في طير وحشرات وغيرها وفي كلام الناس والشعراء أبرزها في القرآن . هذا معنى كون القرآن - ذكرى للعالمين - أي يذكرهم بما حولهم وما تحس به نفوسهم وهم عنه غافلون

﴿ غفلة الناس عن الجمال وعن الفهم وعن النعم عامة ﴾

قاعدة . قد يكون الناس أشد غفلة عن أعظم النعم وأوضح النطق وأبهر الجمال . ألا ترى أنهم لا يعتبرون الهواء نعمة مع أنه أهم من الخبز والماء ذلك لأنه مبذول لهم وهم لا يقدرّون النعمة حق قدرها إلا إذا منعت وعلى قدر المنع يكون حفظ الجليل ولذلك يفرحون بالخلي من الذهب والفضة أكثر من الخبز والخبز أكثر من الماء . فأما الهواء فلا يذكرونه . إذن معرفة النعمة معكوسة مقلوقة . ثم انهم يخاطبون بلسان أفصح من المقال في أنفسهم وفيما يتعلق بهم واللسان الذي يخاطبون به أفصح من اللسان المعتاد جداً فالجوع والبرد والمرض والعطش وآلام الأم لبكاء الرضيع . كل هذه أسنة ناطقة تحثهم على الأكل والشرب واللبس والتداوي وارضاع الولد فقد يمثلون ولسكنهم لا يعقلون أن هذا افهام وتفهم بل يساقون لها كما تساق الأنعام . وإذا ساقتهم تلك الآلام التي جعلناها أفصح من الألسنة فانهم كثيراً ما يألمون ولا يعقلون مثل ما يألمون من عموم الحياة فلا يعقلون ما المخرج . ومثل ما يحصل للمسلمين الآن من الذلة بسبب جهلهم وقلة اتحادهم

وتخاذلهم فأذلتهم الأمم . كل ذلك حاصل وهم لا يعلمون أن ذلك كله أفصح من اللسان وأوضح بل هو أفصح من منطق الجوع والمرض . لذلك أنزل الله في كتابه - ففرتوا إلى الله - وأنزل - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو - وأنزل ما هنا وهو أن الأموال والأولاد عذاب . وكما غفلوا عما ينزل بهم من العذاب غفلوا عما حولهم من الجبال الذي يطالبهم بارتقاء نفوسهم . فبينما أموالهم وأولادهم تعذبهم يرون النجوم الجيلة الرائعة تنظر إليهم باسمه وتشرق حولهم ضاحكة وتشير إليهم مسلحة وهي باهرة الجلال حسنة الأشكال تناديهم أن انتهزوا الفرصة اليوم واجعلوا أموالكم وأولادكم معينين على إسعاد المجموع الانساني حتى لا تسجنوا فيهما فجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل المنافع العامة حتى تحظوا بالجمال الذي تجهلونه اليوم . إن من الناس من يدرك جلال النجوم وهو في الدنيا فيعشق العلوم عشقا فيكون عنده المال والولد ولكنه مغرم القلب بالعلوم فلا يصده مال ولا ولد عن ذلك الجلال ويجاهد بنفسه وبماله في سبيل المصالح العامة التي سيق لها هذه الآية حثا لأصحاب النبي ﷺ على الجهاد والخروج من سجن المال والولد إلى إسعاد المجموع

(ظهور بعض سر هذه الآية في هذا الزمان)

لاتظن أن النوع الانساني غافل عما ذكرناه . فاعلم أن الحرب الكبرى انما جاءت من أجل المال والاستعمار والاستئثار بالسلطان . ظهرت الاشتراكية فانظر الكلام عليها في سورة البقرة عند آية الربا . هناك تعلم أن القوم يريدون أن يكون كل امرئ مساعدا للمجموع أي أن يكون الناس كأعضاء جسد واحد وتكون المنافع أكمل . وهناك ذكرت لك أن الاسلام لم يقتصر على الزكاة بل جعل مال المسلم للمجموع طوعا لا كرها . ومن عجب أن هذه الفكرة منتشرة بين مئات آلاف الآلاف من الناس . فقد جاء في الأخبار أيام كتابة هذا الموضوع في أواخر شهر ابريل سنة ١٩٢٧ أن شابا فقيرا اشترا كيا لا يجد قوت يومه قد وفقه الله إلى كشف حديث في التصوير الشمسي أكثر اسرعا في إبراز الصور بأعمال قليلة فباعه بنحو مائتي ألف جنيه فنزل عنه جميعه فبعضه إلى المعوزين من المصورين وبعضه من غيرهم . إذن هذه التعاليم في أصلها موافقة للفطرة لأنها تجعل الناس ينفع بعضهم بعضا ويخرجون من ذل المال بالمساعدة العامة . إذن القرآن نطق بما في الفطرة . والفطرة أبرزت هذا المذهب . وإياك أن تظن أنني أيسح الاشتراكية كلا وإنما أقول معنى هذا أن الناس لما رأوا الشح المطاع والهوى المتبع خرجوا بعقولهم من ذلك بما يقولون ولسنا ندري ماذا يصنعون . وإنما المهم أن القرآن طلب أن يكون الانسان مساعدا للجميع فعرفناه . فإذا كان عملهم موافقا له كل الموافقة أقررناه وإن انحرف عنه نبذناه أو هذبناه فليس المقام في الاتباع وإنما المقام في الحكمة والعلم وموافقة القرآن لفطرة الانسان وهذا هو معنى كونه دين الفطرة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل اهـ

(اللطيفة الخامسة - انما الصدقات للفقراء الآيات -)

- (١) لا يجوز صرفها إلى بعض الأصناف مع وجود الباقي وهو قول عكرمة والشافعي . وقد سقط سهم العامل وسهم المؤلفه قلوبهم إذا قسم المرء زكاته بنفسه ويعطى ثلاثة من كل صنف
- (٢) لو صرف الكل إلى صنف واحد أو إلى شخص واحد جاز من هذه الأصناف كلها وهو قول عمر وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وسفيان الثوري وأصحاب الرأي وأحمد بن حنبل
- (٣) إن كان المال كثيرا يحتمل الأجزاء فرقه على الأصناف كلها وإن كان قليلا وضعه في صنف واحد
- (٤) يقدم الأولى فالأولى من أهل الحاجة . فإذا رأى الفقراء حاجتهم أولى قدمهم وهكذا وهو قول مالك ومتى أعطى أحدا صدقة وجب أن لا يزيد المعطى عن أقل مقدار يسمى به غنيا فأقل الغنى لا تجوز الزيادة عليه . وللأئمة هنا مجال في المقدار الذي يعطى وكل يرى بحسب اجتهاده . فالشافعي يقول بوجوب دفع

الحاجة من غير حد . وأبو حنيفة يكره أن يعطى رجل واحد مائتي درهم . وأجد بن حنبل كره أن يعطى أكثر من خمسين درهما اهـ

واعلم أن الحق يؤخذ من مجموع هذه الأقوال . فعلى رجال الخلل والعقد في الأمم الإسلامية أن يؤلفوا لجنا تنظر في أحوال الأمة . وهناك توزع الصدقات توزيعاً شريفاً . وأهمها أن تصرف لأرباب الحرف الشريفة النافعة للأمة فيكسبون من كد أيديهم . ويجب أن يمنعوها عن الكسالى ويأصروهم بالشغل ويعطوهم من الزكاة على مقدار ما يساعدهم في اجتهداهم ولا يعطوهم جزافاً . فالحق في هذه المسألة قد تضمنه أقوال الأئمة رضوان الله عليهم وعلى الأمة الإسلامية الجد والاجتهاد . وهاهم أولاء قد رأوا بأعينهم كيف أدت الغفلة إلى ضياع بلادهم وجهالتها العمياء وإلى الله عاقبة الأمور

﴿ اللطيفة السادسة قوله تعالى - وأئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب الخ - ﴾

اعلم أن هذه السورة قد خالفت أكثر القرآن . ألا ترى أن الله مترك صغيرة ولا كبيرة في غزوة تبوك إلا أحصاها . فيعجبا ضحكة يضحكها الأصداق فينزل الوحي بالمؤاخذة عليها . ان هذا الأمر عظيم وقد عهدنا النبوة لاتبالي بمثل هذه والنبي ﷺ عفو فكيف رأينا الله في هذه السورة يحصى على الناس ضحكهم في أوقات خلواتهم فاذا سئلوا قالوا - إنما كنا نخوض ونلعب - ثم انهم يهتدون بالهلاك العاجل والعقوبات العظيمة وانظر كيف يقال لهم - كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة - وذكر قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات . كل ذلك تهديد للمنافقين الذين يعدّ عليهم تلك الهزات والضحكات فياليت شعري كيف انقلب الأمر في هذه السورة حتى أصبح المسلم يؤاخذ على ضحكة يضحكها ويهتد بانه أصبح كالأمم السابقة

﴿ الجواب ﴾

اعلم أهلك الله الرشد أن هذا هو النظام الذي يجب اتباعه فان الأمة اذا تركت بعض أفراد منها خارجين عن نظامها يحقرون دينها وعقائدها ويخرجون عليها كان هؤلاء جرثومة فساد يسرى في غيرهم ومثل هذا الداء اذا انتشر في الأمة ضاعت قوتها وذهبت ريحها . فالاتحاد لا يكون إلا بفكرة جامعة . ولا جامعة في هذا المقام إلا الاسلام . فاذا سخرها منه فلا دولة ولا نظام ولا حرب . انما يحاربون باسم الدين . فاذا سخرها منه فقد دلّ على كرههم له فاذا لاحرب ولا نظام ولا غلبة على الأعداء . واعلم أن الأمة الإسلامية اليوم لم يضعها إلا جهلها . فلاهي بالدين اتحدت ولا بغيره اتفقت . وسيكون لها بعد اليوم شأن ورفعة ومجد - والله هو الوليّ الحميد -

﴿ جوهرة في الكلام على قوله تعالى - قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن - ﴾

الكلام عليها ينحصر (١) في الاستهزاء بالنبي ﷺ (٢) وفي الاستهزاء ببعض المذسوين للدين (٣) وسبب ذلك الاستهزاء (٤) ونتيجته من ازدياد الجهل في المستهزئ وازدياد العلم والسعادة في الدنيا والدين للمستهزأ به

(١) أما الاستهزاء بالنبي ﷺ فقد علمته . وذلك أن بعض المنافقين أخذوا يخوضون في الحديث في غزوة تبوك . ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام الخ ما تقدم . ولا جرم أن ذلك الاستهزاء راجع لقصر النظر وضعف البصيرة

(٢) أما الاستهزاء بالمتدينين فذلك مستفيض في الأمم الإسلامية المتأخرة . وبيانه أن المسلمين بعد العصور الأولى خارت عزائمهم وضلّ كثير منهم طريق التعليم بسبب الأحاديث التي وضعها الواضعون كما في كتاب ﴿ الاتقان في علوم القرآن ﴾ للسيوطي وغيره رحمهم الله تعالى فقد تطوع قوم ووضعوا أحاديث في

فضائل السور وقراءتها ترغيباً في القرآن وتحبيباً في تلاوته لزعمهم أن الأئمة رضوان الله عليهم مثل أبي حنيفة والشافعي قد صرفوا الناس عن القرآن الى مذاهبهم وقد أقرأوا بذلك وانهم يرغبون الثواب من الله بهذه الأحاديث فانقسمت الأمة الى طائفتين طائفة تحفظ القرآن عن ظهر غيب تعبداً أو طلباً للكسب أو للهروب من الجندية . وطائفة تحفظ كالأولين ولكنها تعرف العلوم العربية والفقه وأصوله وفق التوحيد والمنطق وما أشبه ذلك . وهذه الطائفة بقسميها ينظر لها بعض الأمة نظرة الاستهزاء . يقولون ان حفاظ القرآن ليسوا بمتعلمين فيعتدونهم في مصاف الجهلاء . وعلماء الدين غالباً يجهلون نظام هذه الدنيا ويظنون الفقه والاصول والنوحيد هي كل ما يطلبه الدين . فهنا يكون استهزاء من هؤلاء العلماء بجميع العلوم وتكبر عليها غالباً . واستهزاء من بعض الناس بهم لما يرون فيهم من قصور الباع في نظام هذه الدنيا وعلوم الفلك والطبيعة وما أشبه ذلك . ومن أسباب الاستهزاء بحفاظ القرآن وبعض علماء الدين كما قرره ابن خلدون أن المتعلم على الطريقة القديمة كان يلقي اليه العلم ويضرب ويهان فيمرن من صغره على الذلة والاستكانة والضعف فتموت فيه غريزة الشرف والنخوة والشمم والعزيمة وتحور قواه فلا يصلح للدفاع عن البلاد . ولذلك ينظر له الناس نظرة المستضعف المستكين الجبان . ذلك لما اعتاد من صغره على الذلة وانكسار القلب والضرب والخضوع الأعمى . هذا ملخص ما يقوله العلامة ابن خلدون في المقدمة . أما سبب استهزاء العالم الديني نفسه بالعلوم الأخرى فذلك لنقص التعليم فيشرب ويشيب معتقداً أن ماعدا فقه الشافعي والحنفي مثلاً وما وراء الكتب الموضوعة في التوحيد والاصول إنما هو هراء لا يحصل له

وأضرب لذلك ثلاثة أمثال (المثل الأول) أنه جاء الى مصر منذ نحو ٢٠ سنة أمير هندي يسمى جمال الدين وهو من مدراس بالهند ومعه مترجوه وقد مرّ على الاستانة وأخذ فتوى من شيخ الاسلام هناك ولما جاء الى مصر أخذ فتوى من شيخ الاسلام . ثم جاء الى ليأخذ مني كتابة عمياً يأتي . قال قد فتحت مدرسة في مدراس على نفقتي الخاصة فخرّم علماء الدين التاريخ والجغرافيا . فكتبت أقول (إن جميع العلوم والصناعات فرض كفاية والمسلمون جميعاً آمنون بتركها)

(المثل الثاني) جاء الى مصر سرى من سرّة الهند . وقد أدخل ابنا له في المدرسة التحضيرية بدرب الجاميز واتفق أني كنت هناك فعرفوه بي . فقال لي ما يأتي . ان أسرتنا كبيرة جداً فنحن في كل مدينة طائفة وهم جميعاً يرون أن ادخال أبنائهم في المدارس عار وعيب ومغايير للشرف فأنا لم أقدر أن أدخل ابني في مدارس الهند فأثبت به الى هنا بعيداً عنهم حتى لا يسلقوني بالسنة حداد

(المثل الثالث) جاء الى بلادنا منذ ثلاث سنين عالم صيني يسمى (وان وين كين) وقد قال لي ما يأتي اني أرسلت من قبل أربعة قواد من قواد المسلمين في الصين لهم أمر مطاع . ولما فتحو أعينهم الى بلادهم وجدوا أن المسلمين أجهل الخلق في الصين على الاطلاق وكل علمهم راجع الى الطلاق والبيع والحيز والنفاس وما أشبه ذلك . أما الوثنيون فقد ضربوا في كل علم بسهم . قال فيها أنا ذا مررت على بلاد جالوه والهند لأعرف كما طلبوا مني هل ديننا مجرد من العاوم وقاصر على الفقه والعلم محرم على المسلم ولا ينعم به إلا كل كافر بديننا . قال ولما مررت في تلك البلاد لم أجد أثر العلم فوق ما هو معلوم بديارنا ولكن في مصر وجدت حركة أخرى . وها أنا ذا ترجمت كتابك (القرآن والعلوم العصرية) وترجمت أيضاً تفسير الفاتحة وسأرجع الى بلادى بذلك وبغيره من كتب العلماء بمصر . هذه أمثال ثلاثة تعرف بها كيف كان استهزاء علماء الدين في أمة الاسلام بالعلوم في زماننا وذلك بالمران والغفلة والسماع من الشيوخ الجاهلين والجاهل يكون تلميذه مثله

﴿ نتيجة الاستهزاء في زمن النبي ﷺ وفي زماننا ﴾

أما نتيجة الاستهزاء في زمن النبي ﷺ فهي واضحة فقد ساء لهم الله منافقين . ومعلوم أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار . أما عواقب الاستهزاء في زماننا الحاضر . فاعلم أن عاقبة الاستهزاء بالشئ الانصراف عنه احتقارا واستكبارا . وإذا كان الله يقول في الكفار - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل النقي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين -

وإذا كان سبحانه يقول - وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم - فهذا وإن كان في الكفار فليس معناه أن يكون المسلم المنصرف عن العلم تكبرا واستهزاء واحتقارا قد انصرف عنه الذم والتقريع بل هو مالم مدموم داخل في العذاب الهون الذي ليس بمخلد ويلحقه شؤم عمله وذلك بطريق الاعتبار . وإذا كان الله يقول في الكافر - إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء الخ - فهكذا المسلم القادر على العلم المحقر له يلحقه الذم والتقريع بطريق الاعتبار وإن كان موقنا مسلما . ولكن هذا رجل ناقص أو فاسق لأنه ترك فرض الكفاية أو فرض العين . فهو لاء من أي دين ومن أي نخلة لا تفتح له طرق العلم التي لا تفتح أبواب السماء لهم إلا بمفاتيحه

﴿ قاعدة ﴾

كلما زاد المستهزأ به كمالا يزيد المستهزئ وبالا . فإذا استهزأ عالم الدين الذي جهل علم الفلك وعلم النبات وغيرهما بمن يتعلم ذلك فإنه لا محالة يقف في موقفه ولا يتخطاه فيرى غيره سبقه إلى تلك العلوم وأدركها فكلما زاد غيره علما من العلوم زاد هو له احتقارا فيكون هو أكثر جهلا والذي كان موضع احتقاره أكثر علما . ولهذا الإشارة بقوله تعالى - الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون - فكما كان الصحابة يزدادون هدى بالآيات القرآنية كان الكفار يزدادون طغيانا بالكفر بها وبحجودا . هكذا هؤلاء الناقصون في العلم في الإسلام كلما زاد غيرهم علما بجمال الله وآياته وعجائب سمواته وأرضه ازدادوا هم إثمها وجهلا . ويرى بعض المسلمين بل السواد الأعظم منهم أن أهل أمريكا والصين واليابان وأوروبا والأمم الوثنية قد اغترفت من موارد رحمة ربهم وإن كانوا منحرفين عن التعاليم الإسلامية وهم لا يزالون مستهزئين بتلك العلوم محقرين لها ظنا منهم أن الإيمان يكنيهم والنسبة إلى الرسول ﷺ وجدها تشفيهم بلا علم وفاتهم أن يقرؤا قوله تعالى - قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا الخ - فالكفار ظنوا أنهم يحسنون صنعا فهم أخسرون أعمالا بكفرهم . هكذا المسلم إذا ترك أكثر الدين وظن أنه كامل فهو من الأخسرين أعمالا وإن كان لا يخلد في النار لأنه يحسب أنه يحسن صنعا وهو غافل عن آيات ربه

الاستهزاء بالآيات المذكورة في هذه السورة ونسخت في سورة - يس - والقرآن يفسر بعضه بعضا وغير هناك بما هو أشد للاستهزاء وهو الحسرة إذ قال تعالى - يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون - ثم عندما يعتبرون به فذكر هلاك القرون الماضية . وذكر أن الأرض من آيات الله . وهكذا الحب والجنات من النخيل والأعاب والليل والنهار والشمس والقمر . وكذلك الجبل في بطون الأممات أوجلهم في سفن البحار وهكذا * فهذه مجامع الآيات المستهزأ بها وهي تشمل أكثر العلوم فهي عبارة عن العلوم الأرضية والعلوم السماوية . هذا هو الذي أخرج الله في معرض التحسر على عباده وهو آيات الله المذكورة هنا . فالمسلم وإن كان لم يستهزئ بالرسول فقد أتى بأهمه وهو الجهل بهذه العلوم فالحسرة عليه كالحسرة على الكافر . وإن كانت الحسرة على المؤمن لفسقه بالجهل إذا كان قادرا على العلم بجمال الله

وآياته وترك ذلك احتقارا له والحسرة على الكافر لأنه ترك الايمان والايمان رأس العلوم كلها

﴿ قاعدة ﴾

أكثر الناس تعرضا للاستهزاء أكابرهم . فما من رسول ولا نبي ولا عالم نافع إلا كان في أول أمره موضع السخرية من عارفيه احتقارا لعلمه واستصغارا لشأنه ثم يظهر أمره ويعلو شأنه والمستهزئون في غمرة ساهون ثم يموتون فلا تسمع لهم ركرا . وأكثر الناس استهزاء أقلهم علما وأحطهم شأنا . ولعل لذلك الإشارة بقوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن - وبقوله تعالى في نوح - ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون * فسوف تعلمون الخ -

ومن أكبر العار والشنار على الأمم الإسلامية أنها تركت الصناعات التي ملأت الشرق والغرب استهزاء واحتقارا لشأنها . فأصحاب هذه الصناعات قد أحاطوا بنا من كل جانب . ولقد نشأت بلاد الشرقية في بلاد زراعية فلم أجد لأحد شرفا في نظرهم في قرينتنا إلا أصحاب المزارع الواسعة . أما النجار والحداد وغيرهما فليس لهم احترام . مع أن أمر بكاء بلغ عدد الصناعات فيها (٧٠٠٠) صنعة

كل ذلك للعادة والالف والجهل والاستهزاء - بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه - . وملخص ما تقدم أن الاستهزاء لا يصدر إلا من نفوس ناقصة . وأن كثيرا من المسلمين يستهزئون بالعلم والصناعات وذلك كان من أهم أسباب الضعف والانحلال الذي عم الأمة . وليس يخرجها من مأزقها إلا تعميم التعليم وجعل التعليم الديني بهيئة مشوقة فيها جمال العالم كله بحيث يحبها الأطفال فيرغبوا في العلم شوقا ولا يرهبون ويضربون وليأخذ المتعلم من كل فن طرفا وتوزع العلوم على مجموع الأمة وليكن رجال الدين جميعهم قادرين على حل السلاح ليكون عندهم الشمم والاباء ويتعلموا علم الجندية . بل ليكن المسلمون جميعهم شجعانا مدربين وهم في قراهم على الكفاح والجلاد . فهذا مجامع ما يمنع الاستهزاء ويصرف الحسرة عليهم الى اغدق النعم لهم والجد لله رب العالمين

﴿ آثار الاستهزاء في بلاد الاسلام ﴾

مر في بلاد الاسلام وسل عن الصناعات وقل لهم ان العالم قد ارتقى بالصناعات فلا تسمع إلا احتقارا

﴿ ايضاح آثم للاستهزاء بآيات الله ﴾

(ضرب مثل للاستهزاء بآيات الله . مواكب الله ومواكب الملوك والدول في عصرنا)

(١) مواكب الملوك والدول هي الجيوش والسلاح تعرض على الجمهور

(٢) مواكب الله ﴿ ثلاثة صفوف ﴾

(١) الشمس والقمر والنجوم (ب) الجبال والشجر والدواب (ج) المنطاد والطيارة والبريد البرق (التلغراف الذي له سلك والذي لا سلك له)

﴿ شرح هذه المواكب وكيف يكون الاستهزاء بها والاعراض عنها وما نتيجة ذلك ﴾

(الكلام على مواكب الملوك والدول والاستهزاء بها وكيف يكون ذلك)

إن الله عز وجل أنزل انقرآن وضرب الأمثال على أننا في الأرض لانعقل المعاني الإلهية لا بضرب الأمثال من أنفسنا كما قال تعالى - ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيما نكم من شركاء الخ - أي إن الإنسان إذا كان له عبيد فإنه يأبى أن يشاركوه في ملكه . هكذا ضرب مثلا لنوره بالمشكاة التي فيها المصباح الذي في زجاجة الخ فهنا نحن أولاء نريد أن نعرف معنى الاستهزاء بضرب مثل مما نشاهد في الدول الحاضرة لنعقل معنى الاستهزاء ونعمل بما نفهمه كما ضرب هو الأمثال فنشرح أولا كيف يكون الاستهزاء بالمواكب الدولية

لتقيس عليه الاستهزاء بالمواكب الالهية ليظهر لاعلماء الاسلام في الأرض أننا وقعنا في هذا الاستهزاء وأن كنا به غير عالمين . لقد جرت عادة الأمم الحاضرة أن تظهر عظميتها أمام الأمم المحكومة فتبعث الجيوش مدججة بالأسلحة وتأمّر بمرورها في الشوارع وفي الميادين العامة في عواصم البلاد التي حكمتها أو احتلتها أو ملكتها فتوقع الرعب والهيبة والاحلال والاعظام في قلوب الرعايا فتحصل النتيجة وهي الخضوع للأمة الحاكمة . ولكن في عصرنا الحاضر لما تنورت العقول وأضاءت البصائر فكرت بعض الأمم في ذلك فقابلت تلك المواكب بالاعراض والاستهزاء . فانظر لما حصل في الهند في عصرنا الحاضر إذ أرسل الانجليز ولي العهد الى بلادهم فأعرضوا في بعض العواصم وتولوا مدبرين وأقفلوا الحوانيت والبيوت كأنهم يقولون نحن لانأبه بولي عهدكم ولا بجيوشكم . وهكذا في ايرلانده كانوا إذا أرسلوا فرقة وعرضوها بسلاحها أقفل القوم منازلهم وحوانيتهم وتركوا المرور في ذلك الشارع الذي تمر فيه الجيوش . هكذا أمتنا المصرية سنة ١٩١٩ م لما ثارت ثأرتها على الأمة الانجليزية فانهم أرسلوا لجنة يرأسها عظيم منهم يسمى (مانر) وهو من لورداتهم الفخام فقاطعه جميع أهل البلاد . وإنما فعل ذلك أبناء بلادى ذلك اتباعا لما يسمعون عن الأمم الأخرى العاقلة إذ يفعلون ذلك وهذه الأفعال تنتج نتائج . أما تخفيف العبء عن المحكومين . وأما ارسال المدافع لهم وإذلالهم . وإذا عرفنا المثل الأول الذي يختص بأهل الأرض فلتشرع فيما هو المقصود وهو الموكب الالهى والاعراض عنه فنقول

عرفت في المثل الأول الذي ضربناه مثلا للاعراض عن مواكب الله تعالى وأن الاعراض والاستهزاء ليسا باللفظ وإنما هو بالعمل . هذا هو الاستهزاء العملى وهو أقوى وأشد وأسرع وأمضى من الاستهزاء اللفظى . فانظر ما يقول الله في الاستهزاء بمواكبه . يقول الله في سورة الجاثية - أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم - الى أن قال - وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا - الى قوله - ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرّتمكم الحياة الدنيا - الى قوله - فقل للهدى رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم - وقال في سورة أخرى - وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره - وقال في آية أخرى - وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون -

علم الله أن المسلمين سيفعلون عن آياته و يظنون أن النطق بالشهادتين والاعتقاد بالله وأنبيائه كافيان لحفظ أمة الاسلام في الدنيا والدين . فإذا فعل الله . فها هو ذا أبرز لنا الصفتين المذكورين في مواكبه . صف الشمس والقمر والنجوم . وصف الجبال والشجر والدواب . هذان الصفتان معروضان لأنظار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . عرضها الله علينا جميعا وخلق لنا الأسماع والأبصار ورأيناها بأعيننا ففعلنا مع هذه المواكب ما فعله أهل ايرلانده مع الجيوش الانجليزية وما فعله المصريون أهل بلادى معهم . وهكذا بعض أهل الهند . أرانا الله هذه المواكب وهي (ستة أنواع) أربعة منها نهارا وهي الشمس والجبال والشجر والدواب . واثنان منها ليلا وهي القمر والنجوم وقال لنا - ومن آياته الشمس والقمر - وقال - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم - وهكذا فأفادنا أن هذه آياته كلها فالشمس آية والقمر آية والنجوم آية وهكذا . فها هو ذا عرضها علينا فرأيناها بأبصارنا وأسمعنا بالآيات القرآنية أن هذه آياته . لماذا قال ذلك . ليسجل علينا أن الاستهزاء بها والاعراض عنها استهزاء بآياته فانطبق على أكثرنا قوله تعالى - وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها الخ - وقوله - ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا الخ - فهذه آيات الله بنص القرآن وهي مواكبه التي عرضها علينا . علم الله أن بعض الأمم ستقابل حكامها بالاعراض فيكون ذلك علامة على العصيان فأنزل

قوله تعالى - وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون - فجعلنا مجرد الاعراض كافيا لعقاب الكفار . وهاهوذا الاعراض عرقناه بأنفسنا في الأرض من الأمم المحكومة وترتب عليه ما عرفه الناس أعرض المحكوم عن الحاكم وموكبه فأوجب الاعراض أثره . هكذا أعرض المسلم عن مواكب ربه فحصل أثره اعراضه في أحوال الحياة . قد عرفت آية الجائفة إذ يقول - ذاكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا - ثم أتبعها بذكر أنه له الحمد وأنه رب العالمين وأن كبرياءه في السموات والأرض . فإذا استهزأ الناس بآياته فهو متصف بوصفين . وصف الكبرياء والتعالى . ووصف التريية . هو المربي وهو المتكبر . فإذا يفعل المربي المتكبر المتعالى بمن يستهزئ به ممن رباهم على موائد كرمه واحسانه وعرفت أنه حفظ السماء التي أعرضنا عنها وإنما حفظها من ﴿ أمرين ﴾ ادراك أسرارها والعروج من أهل الأرض اليها . فأما ادراك أسرارها فلم يعرف الناس منه الا النزر اليسير وأما العروج اليها فان الطيارات في وقتنا الحاضر ترتفع الى حد معين وأعظمها وأقواها لاتتجاوز حداً محدودا ثم لاتقدر أن تتجاوزه . اذن السماء حفظت من صعودنا اليها ومن ادراكنا لأسرارها ولم يكن لنا منها الا أنها مواكب قد عرضت علينا فكنا عنها معرضين

حفظت السماء وحرس بالشهب وحرم على الناس أن يعرفوا الا ما وصل اليهم . تكبر الله وتعالى وتعظم وعلم أننا أعرضنا عن آياته فأرسل لنا الصف الثالث من مواكبه وهو الطيارة والمنطاد والتلغراف . هذه مواكب غير طبيعية بل هي صناعية ألقاها الى العقل الانساني من وراء الحجب والأستار التي أسد لها على علوم السموات والأرض وأنزلها اليها مع كبريائه . فالكبرياء هي الصفة التي اقتضت حجب العلوم عنا ولا ينزل علمنا منها الا بالجد والتعب والتشمير إذ لم يعلم الناس الطيارة والمنطاد والبرق بغيره الا بعد الجهد والنصب والتعب . انه متكبر وانه مرب . فلكبريائه حرس السموات وعلومها فنعها . ولتريته أعطانا منها ما اجتهدنا في البحث عنه . وسترى الكلام على الطيارة والمنطاد الخ في سورة النحل عند قوله - ويخلق ما لاتعلمون - والكلام على الشمس والنجوم والشجر قد مر في سورة الأنعام وغيرها . وسياتي الكلام على الجبال في سور كثيرة كسورة الغاشية وكسورة الرعد وغيرها

ها أنا ذا قد أوفحت لك بفضل الله كبرياء الله بأن حرس السماء وجعلها سقفا محفوظا وتريته فانه يعطينا بعد التعب وكيفية الاستهزاء الفعلي الذي ظهر نظيره في الأرض . اذا علمت هذا فاعلم أن الله لما عرض الصفين الأولين من المواكب وهي الشمس وما بعدها والجبال وما بعدها ونحن لانستيقظ بهما أردفهما بصف ثالث وهو الطيارة والمنطاد والبرق فأصبحنا نرى ثلاثة صفوف لا صفين . فالتة عامل المسلم الآن معاملة الدولة القوية المتكبرة القاهرة إذ ترسل المدافع للمعرضين عن مواكبها . اننا بجهلنا بما في السموات والأرض من شمس وقر ونجوم وجبال وشجر ودواب قد عصينا ربنا بالاعراض عن معرفة كماله وجماله وحكمه . وهذا نوع من الاستهزاء العملي بالاعراض وكفى به ذنبا ولا ينفع المسلم ما يتعلل به من أن الايمان كاف فان هذه حيلة العاجزين . ألم تسمع قول الله تعالى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون - فالايمان وحده ليس يكفي الأمة الاسلامية ان الله فتننا وامتحاننا بعرض السموات والأرض والجبال فأعرضنا فعرض علينا الطيارات فقربت منا بخلاف النجوم والشمس والقمر التي هي بعيدة عنا . يقول الله لنا أيها المسلمون ان آياتي العظيمة الكونية أعرضتم عنها فهلا تفهمون آياتي الصناعية التي قربت منكم تتلقون رصاصها وقنابل مدافعها وآثار ضربها . وأنا أقول . أيها المسلمون كفى استهزاء بآيات الله . يقرأ المسلم القرآن وهو عن العلم معرض . وينظر في مواكب الله وهو لا يعقل . ويرى أم الأرض اغترفت من أنهار أنعمه فلا يبالي كأننا لم نخلق في هذه الأرض أو كأننا ميتون . ها أنا ذا أقول لكم (أخاطب قراء هذا التفسير لأنهم هم أصحابي الذين عليهم أعول في ايقاظ المسلمين . بهم تشرق شمسها ويضيء نهارها ويفلح جهورها)

إن الفقيه والأديب والعالم المسلم الذي يعيش ويموت وهو لا يفرح ولا يعقل ولا يتفكر فيما ذكرناه كالمستهزئ وهو معرض عن آيات ربه بل هو ليس بعالم البتة هو جاهل وإنما هو صاحب صناعة يعيش منها كالقضاء والتدريس • هل يرضى المؤمن أو العالم أن يتصف بأنه مستهزئ بآيات ربه • أيها المسلمون اقرأوا هذه العلوم ولتكن عامة في الأمة كل بقدره ولا فقد صدق علينا قوله تعالى - ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون - وصدق علينا قوله تعالى - فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم - ولا معنى للاعراض من أهل سبأ إلا أنهم تركوا سد العرم ولم يصلحوه ولم يحافظوا على نظام البلاد وقوله - فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون - هذا هو الذي فهمته في معنى قوله تعالى هنا فيما نحن بصدده من هذه السورة - قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون - اهـ

﴿ اللطيفة السابعة - كالدين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة - الى قوله - ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - ﴾ تقدم الكلام عليها في اللطيفة قبلها • وأزيد عليه • ان الله في هذه السورة يقول للمسلمين مامدخصه أنى أهلك الأمم السابقة بظلمها وأنزلت عليها المصائب والخزي ببغيها فلا تظنوا أنكم باسم الاسلام ناجون ولا اتباع نبي بحسب الظاهر من العذاب خارجون • وكيف ينفعكم اسم الاسلام اذا غاب مسماه • ألم أقل لكم في أول سورة الأعراف - كتاب أنزل اليك لتنذره وذكرى للمؤمنين - فذكرت في السورة هناك هلاك الأمم وخراب الدول من قوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقوم لوط وقوم شعيب • فكما ذكرت تلك الأمم هناك مخاطبا الكفار ذكرتها هنا مع زيادة وتقص فليكن الخطاب مع المسلمين الذين نافقوا ايذانا بأن اسم الاسلام لا يمنع العذاب • وهاهنا قد حقت كلمة العذاب اليوم على كثير من المسلمين لاعراضهم عن فضائل دينهم وهم نائمون فحقت عليهم كلمة العذاب

فتعجب كيف قدم في سورة الأعراف أنه أنذر الكفار بعذاب كعذاب هذه الأمم ثم جاء في سورة التوبة وأوعد المسلمين أنفسهم أى المنافقين منهم بنفس ما أوعده به الكفار وقال هناك - وذكرى للمؤمنين - ولم يقل للمسلمين • إن المسلمين ﴿ قسمان ﴾ منافقون أنذروا في سورة التوبة • ومؤمنون ذكروا في سورة الأعراف بما أصاب الكفار قبلهم • فالكفار منذرون • والمنافقون منذرون • والمؤمنون يذكرون • وكل بنى آدم في الدنيا لحوادث الأيام متعرضون

﴿ اللطيفة الثامنة - ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم - ﴾

قوله - ذلك - راجع لرضوان من الله • اعلم أن أحوال الانسان كلها ترجع الى مافى نفسه فلاجنة ولا نار ولا لذات ولا نعيم ولا حور ولا ولدان ولا غيرها في الدنيا ولا فى الآخرة لا ألم لها ولا لذة إلا اذا استعدت نفسه لقبول ذلك فالنفس مركز الآلام ومهبط اللذات ومنبع النعيم ومقام الجحيم فمن وضع فى الجحيم أو الجنة وفقد الاحساس بما حوله بل هو فى غفلة عنه فلا نعيم له ولا جحيم وكل نعيم وكل جحيم وكل ألم صادرة بارادة خالق العالم • فاذا أيقنت النفس أن لها بربها صلة وأنه راض عنها كان ذلك غاية الأمانى ونهاية السعادة لأن القلب محل السعادة والشقاوة • وهاهنا قد أيقن بالرضا وأنه مقبول وأن العناية الالهية رفته فهو ذو صلة قلبية • وهناك يحسن بلذة لا تتصورها نحن فى الدنيا الا بضرب مثل كأن ننظر الى من يتقربون من المنوك ويرضون عنهم كيف يحسون بسعادة • وكأن ننظر الى العاشق اذا علم أن معشوقه راض عنه لاصدود ولا هجر كيف يحسن بلذة وسعادة لا يشعر بها بقية الناس • فأما مقام الرضا من الله فهذه درجة يعرفها من صرفوا أعمارهم فى الاخلاص والذكر والفكر والعبادة مع الفضائل النفسية - ولكل درجات مما عملوا - وهؤلاء لا يبالون بجنة ولا نفاقون من نار لأن رب البيت أشرف من البيت والنظر الى خالق الجنة أشرف وألد من النظر الى الجنة • كما أن محادثة الملوك ومجالستهم ألد وأشرف من التمتع بطعامهم وشرابهم عند ذوى النفوس

الشريفة والعقول المنيفة . هذا ما يشير اليه قوله تعالى - ذلك هو الفوز العظيم -

﴿ اللطيفة التاسعة قوله تعالى - وهموا بما لم ينالوا - ﴾

قد تقدم تفسيره * ويقال أيضا ان اثني عشر رجلا من المنافقين هموا بقتل رسول الله ﷺ فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فأخبره وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحهم فارسل حذيفة لذلك * ويقال ان حذيفة لما سمع وقع أخفاف الابل وقعقة السلاح قال اليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا * ويقال أيضا ان المنافقين قالوا اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على رأس عبدالله ابن أبي بن سلول تاجا فلم ينالوا . أقول وكل ذلك محتمل والآية لا تمنع

﴿ اللطيفة العاشرة - قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون - ﴾

يأيت شعري أين الفقه وأين كون نار جهنم أشد حرا من حر الشمس على المسافر الى تبوك . فما للفقه ومال ذلك . الانسان يتأذى من حر الشمس وهو مسافر ولا سيما اذا كانت الشقة بعيدة . فأين نار جهنم حتى ننظرها ونقول انها أشد حرا من هذه الحرارة الشمسية . هذا هو السؤال الذي يختلج في العقول وان لم تنطق به الألسن

﴿ الجواب ﴾

اعلم أن الفقه لا يذكر الا في الامور الدقيقة وهذا المقام دقيق لا يعتله الا المفكرون فان التواني والتكاسل والتباطؤ عن الحرب داع الى اجتماع الأمم التي حول الكسالى عليها فيطؤون أرضها ويذيقونها العذاب الهون وأيضا قدّمنا في هذا التفسير في مواضع كثيرة أن الأمم التي لم تحركها عواصف الدهر ولم تهجها مصائب الزمان ولم تهذبها الحروب يحيق بها الهلاك . فاذا شئت أن توقظ أمة فحرك فيها حركة الحرب والجهاد فانها تنشط من عقابها وتقوم من سباتها وتستيقظ من غفلتها . واذا رأيت أمة هادئة ساكنة عاكفة على تقاليد عتيقة نائمة فاعلم أنها صائرة الى الزوال ولا تغرنك ظواهر الأحوال . وقد قدّمنا خلاصة رسالة أرسطاطاليس الى الاسكندر في هذا المعنى فلانعيدها . فاذا كان ترك الحرب في الدنيا هكذا شأنه فما بالك بالآخرة وقد قال تعالى - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - ومن أصابهم الجهل والكسل في الدنيا فانه يكون طبعهم الملازم في الآخرة فيرسلون الى دار تليق بهم . وهذا هو عذاب النار . فهل هذه المعاني التي لا تعرف إلا بمزاولة العلوم يعرفها إلا كل فطن لبق فهم . هذا هو المراد بقوله - لو كانوا يفقهون -

﴿ اللطيفة الحادية عشر . والثانية عشر . والثالثة عشر ﴾

(في قوله - وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون - وفي قوله - وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون -)
(وفي قوله - سنعذبهم مرتين ثم يردّون الى عذاب عظيم)

يقول في المخلفين تارة - وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون - وتارة - وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون - نفى عنهم الفقه مرة والعلم أخرى وحكم عليهم بأن قلوبهم منعت الحكمة بما طبع عليها فهي لا تفي ما يرد لها من معقول ولا منقول . وهذا يكون الكلام فيه كالكلام في الذي قبله سواء بسواء فان الكسالى عن الحرب تأخذهم صاعقة العذاب الهون والعذاب الآخرة أشد (راجع اللطيفة المتقدمة) وأما قوله تعالى - سنعذبهم مرتين ثم يردّون الى عذاب عظيم - ولقد قدّم أن العذاب ﴿ عذابان ﴾ عذاب الدنيا بالمصائب الكثيرة وعذاب القبر . والعذاب العظيم عذاب جهنم . واعلم أن الظمة والقتلة والفتاك وجميع أرباب النفوس الشريرة لهم أنفس تطالبهم بالسكّال وتهتددهم وتذيقهم ألوان العذاب كما نص عليه سقراط في جمهوريته إذ قال ﴿ ان أولئك الملوك الظالمين والناس من حورهم يئنون يحسون بألم في نفوسهم على مقدار ما أجزموا جزاء وفاقا وحياتهم شقاء وويل ﴾ هذا معنى ما قاله سقراط . وأقول زد على ذلك في هذا المقام

أن هؤلاء ظلموا بترك الجهاد فيحسبون بخس في ضمايرهم وانهم عالة على غيرهم ولا أحد في الدنيا إلا وهو معذب بما فيها من المصائب في الأموار والأولاد والصالحون والطالحون سواء . ولكن إذا كان لنفس مشرب ديني ومنهج أخلاق احتسبت ثواب مافاتهما من أهل أومال عند ربها وانقلب الحزن بالرضوان سعادة وأصبحت هموم الدنيا لأقيمة لها ويصبح الإنسان كأنه ملك عند ربه وكأنه رضى عنه . فانه إذا رأى المال والولد والرزق والذكر الحسن والصيت وكل ما يناله من خير وكل ما يصيبه من شر من عند ربه ومافات من الخير يعتقد أن له عوضا في الآخرة وما أصابه من الشر يعتقد أنه تكميل لنفسه في الدنيا وثواب له في الآخرة . فهذه الاعتقادات هي سبيل للرضا . وقد تقدم أن الرضوان هو التور العظيم . وهذه الدرجة قد حرم منها المنافق فهو أبدا مضطرب لفقد مال أو ولد أو صديق ولا يؤمن بالآخرة . فانظر كيف كان الفرق بين النعيم والعذاب فكرة المكربين . فالجحش معذب بالنعيم والعلم الحكيم سعيد على كل حال

اللطيفة الرابعة عشرة

وقد أخرجنا لطول الكلام عليها . اعلم أن الله ذكر أصنافا من المنافقين ففهم (١) المستأذنون في التخلف ليكونوا مع القواعد وهم أغنياء (٢) ومنهم من يقول أذن لي (٣) ومنهم من يلمزك في الصدقات (٤) ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن (٥) ومنهم من عاهد الله الخ (٦) ومنهم الذين يامزون المطّوعين من المؤمنين الخ (٧) ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما (٨) والذين اتخذوا مسجدا ضرارا (٩) ومن حولكم من الأعراب منافقون (١٠) ومن أهل المدينة الخ

فهذه عشرة أصناف أهم من ذكر من أهل النفاق في هذه السورة والمهم في هذا المقام قوله تعالى - ومنهم من عاهد الله - * روى أكثر المفسرين قصة ثعلبة بن حاطب الأنصاري على غير الوجه الذي ذكرناه أنه سأل رسول الله ﷺ أن يدعو الله أن يرزقه مالا فقال له رسول الله ﷺ يا ثعلبة قليل تؤذى شكره خير من كثير لا تطيقه ولما كرر ذلك قال له أمالك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت فلم ينثن عن الطلب وعاهد الله أن يعطي كل ذي حق حقه فدعا الله رسوله فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فبعد أن كان يسلي الظهر والعصر مع النبي ﷺ تباعد عن المدينة لكثرة غنمه حتى صار لا يصلي إلا الجمعة ثم صار لا يشهد الجمعة ولا الجمعة ثم سأل عنه فأخبروه فقال يا ويح ثعلبة . ولما نزلت آية الصدقة أرسل له النبي ﷺ عامين للصدقة فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية ثم قال اذهبا حتى أرى رأيي فلما رأهما رسول الله ﷺ أخبرهما بالذي صنع ثعلبة بطريق الوحي فنزلت الآية - ومنهم من عاهد الله - إلى قوله - بما كانوا يكذبون - فأخبر ثعلبة بذلك فجاء ومعه صدقته فلم يقبلها النبي ﷺ فجعل يحشو التراب على رأسه . ولما تولى أبو بكر لم يقبلها كذلك وكذلك عمر

ثم اعلم أن المقصود من هذه الآية أن نقض العهد ونحوه من خلاف الوعود أثم عند الله عظيم جدا حتى أنه ورد في الحديث في آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب . وإذا وعد أخلف . وإذا ائتمن خان وعدها في حديث آخر أربعة إذا حدث كذب . وإذا عاهد غدر . وإذا وعد أخلف . وإذا خاسم خفر واعلم أن علماء المسلمين لم يذهبوا الأمة لمثل هذه الأمور وتركوا الأمة تكذب وتخون وتخلف العهد ولم يشيعوا بينها هذه الانذارات والعظات كما أشاعوا نواقض الوضوء وشروط البيع وعدد الطلاق مع أن هذه المسائل أهم وأولى وأقرب إلى أصول الدين من غيرها ويجب على العلماء أولا أن يتخلقوا بها ثم ليشيعوها بين الشعب ومن كان في شك مما قلت فليتاقل حال الأمة الإسلامية اليوم أولا يرى أن تجارتهم بأثرة وجماعاتهم متنافرة وأموالهم خاسرة . أليس اخلاف الوعد وكذب القول والغش في البيع كل ذلك تفر بعضهم من بعض فضاعت الأمانة وصدق الفرنجة فصاروا هم القائمين بالأعمال ولم يزلوا هكذا حالا بعد حال حتى احتلوا البلاد

واستولوا على العباد واستعبدوا الناس في عقر دورهم • ما هكذا يكون المؤمنون
إن خلاف الوعد والكذب والحيانة جعلت الناس أشبهه بالمنافقين حتى أصبحنا في مصر نرى أن العامة
لا يعتبرون الصادق ذكيا بل يقولون انه غبي جهول • اللهم اصلح أحوال العلماء والأمة الاسلامية بالصدق
والأمانة .. إنك أنت السميع العليم -

ولتعلم أرشدك الله أن هذه الأخلاق التي فشت في المسلمين اليوم وأوقعتهم في براثن الفرجة جاءت مصداقا
لهذه السورة • ألا نرى أنه تعالى قد أوعد المنافقين بتدكيرهم بقوم نوح وعاد وثمود الخ وهذه الأمم عذبت
بألوان من العذاب وما ذلك الوعيد للمسلمين إلا على النفاق كما أوعد الكفار في السور الأخرى • وما هوذا
يقول في الحديث ان الكذب والحيانة ونقض العهد وما أشبه ذلك نفاق وأنت تعلم من الآية أن النفاق
يضيع سلطان الأمم فيجعلها في قبضة أخرى ويهلكها • وهذا هو عذاب المؤتفكات أي المتقلبات وهذا
انقلاب للأمم من حال الى حال فتصبح في ملك أعدائها وتستخدم كالذواب فبعد أن كانوا سادة أصبحوا
عبدا • فانظر كيف نص الحديث على أن الكاذبين الخائنين الغادرين منافقون • وانظر كيف أوعد الله
المنافقين في الآية بعذابهم وضياع دولهم وتمزيق شملهم ولم يعين نوع العذاب • وانظر كيف حصل الأمران
في أمة الاسلام نفاق كما في الحديث وتمزيق الشمل كما في الآية • وهذا هو القول الحق • ولهذا جاء القرآن
وبهذا وأمثاله فليفهم المسلمون الذين فلتروا الفرائض ولتتمزق الأفئدة وليتعظ العامة وليصدقوا هم أولاد في
كلامهم ولا يخلفوا وعدهم ولا يخونوا أحدا ولا يفجروا في الخاصة ثم ليحملوا الأمة على ذلك وليبلغوها أمثال هذه
المعاني التي هي حقائق ثابتة ومعجزات للقرآن واضحة حتى تلم الأمة شعنها وترجع مجدها وتزوج تجارتها ويكون
تجارها من الصادقين كما قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين - ولما ترك بعض
المسلمين الصدق بارت تجارتهم وذهب تريخهم وقد أذن الله اليوم باسترداد مجدهم وتمكين أمرهم وصدقهم
وسيكون في هذه الأمة عاجلا من يرشدونها والله هو الولي الحميد • انتهى الكلام على القسم الثالث

(الْقِسْمُ الرَّابِعُ)

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ
فَأَسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ
السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الَّذِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِيْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ
اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ
مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ * وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *
إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ * لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ * مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُنْ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْسُوكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ * أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنََّّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ * وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاهُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) تمثيل لانابة الله لهم الجنة على بذل نفوسهم وأموالهم * ومرة اشتراني برسول الله ﷺ وهو يقرؤها فقال بيع والله مريح لانه يله ولا نستطيعه نخرج الى الغزو واستشهد ثم استأنف لبيان ما لأجله الشراء فقال (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ثم أكده فقال (وعدا عليه) فهو مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء (حقا) واجبا (في التوراة والانجيل والقرآن) أي ان وعد الله للمجاهدين بالجنة مذكور في الكتب السابقة من التوراة والانجيل كما هو مذكور في القرآن

وقد علمت فيما تقدم أن الجهاد هو المرقى للإنسانية كلها فهو معها يوم أن وجدت على الأرض (ومن أوفى
 بعهده من الله) تقرير لكونه حقاً (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) أي افرحوا به غاية الفرح فإنه أوجب
 لكم النعيم المقيم (وذلك هو الفوز العظيم) من أهل الجنة (التائبون) عن الكفر وعن المعصية فتحزن
 قلوبهم على المعصية ويندمون ويعزمون على الترك ويكون لهم على ذلك رضوان الله لامدح الناس وذمهم
 فهذه شروط أربعة لتوبة العاصي (العابدون) الذين عبدوا مخلصين (الحامدون) لنعائهم ولما نالهم من
 السراء والضراء (السائحون) (١) الصائمون لأن الصيام عائق عن الشهوات وأيضاً من الصائمين من وصلوا
 في رياضتهم إلى الاطلاع على خفايا الحقائق (٢) والسائحون للجهاد (٣) والسائحون لطلب العلم . وأعلامهم
 الثالث وأوسطهم الثاني وأقلهم الأول فهو هؤلاء كلهم سائحون (الراكون الساجدون) في الصلاة (الأمرون
 بالمعروف) بالآيمان والطاعة وحفظ الأمة ونشر العلم (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصي (والحافظون
 لحدود الله) أوامره ونواهيه وهذا مجمل الفضائل والسبعة قبله مفصل . ثم إن عادة العرب أنهم بعد السبعة
 يأتون بواو ويقولون إنها واو الثمانية ولذلك قال - والحافظون - ولم يقل الحافظون (وبشر المؤمنين)
 المتصفين بهذه الصفات * يروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة أحاج لك
 بها عند الله فأبى فقال عليه الصلاة والسلام لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزل - إنك لا تهدي من أحببت
 ولكن الله يهدي من يشاء - وكان ذلك في مكة ولازال يستغفر لأبي طالب حتى نزلت هذه الآية في المدينة
 مع السورة وهي (ما كان للنبي والذين آمنوا) معه (أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين
 لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي ماجاز لمحمد والذين آمنوا به أن يدعوا للمشركين ولو كانوا ذوي رحمة من بعد ما
 ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك . أما الأحياء فالاستغفار لهم جائز لطلب به توفيقهم للإيمان * وروى أن
 رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال له ﷺ إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام ويفك
 العاني ويوفى بالدم أفلا نستغفر لهم فقال النبي ﷺ بلى والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه فأنزل
 الله هذه الآية - ما كان للنبي والذين آمنوا - ثم عذر الله إبراهيم فقال تعالى (وما كان استغفار إبراهيم
 لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) وعدّها إبراهيم أباه بقوله - لأستغفرن لك - أي لأطلبن مغفرتك بالتوفيق
 للإيمان (فلما تبين له أنه عدو لله) بأن مات على الكفر وأوحى إليه بأنه لا يؤمن (تبرأ منه) قطع استغفاره
 (إن إبراهيم لأواه) لكثير التأوه وهذا كناية عن كثرة ترجمه ورقة قلبه (حليم) صبور على الأذى وهذه
 الجملة لبيان ما حمله على الاستغفار . وقد خاف جماعة من المؤمنين أن يكون استغفارهم قبل المنع معصية
 فأنزل الله (وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم) للإسلام يسميهم ضلالاً ويؤاخذهم مؤاخذه الضالين
 (حتى يبين لهم ما يتقون) أي حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه سواء كان ذلك في الاستغفار للمشركين قبل
 المنع أم في شرب الخمر قبل العلم بتحريمها من قوم بعدت ديارهم عن النبي ﷺ أم في التوجه لبيت المقدس
 وقد حوّل إلى الكعبة والقوم لا يعلمون لبعد الديار فكل ذلك قد ذكر في سبب هذه الآية . فالمراد كما قال
 الضحاك وما كان الله ليعذب قوماً حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون (إن الله بكل شيء عليم) من المنسوخ
 والناسخ وما خالط نفوسكم من الخوف عند ما نهاكم عن الاستغفار للمشركين وما يبين لكم من الأوامر والنواهي
 (إن الله له ملك السموات والأرض) ملك السموات كالشمس والقمر والنجوم . وملك الأرض كالشجر
 والدواب والجبال والبحار (يحيي) للبعث (ويميت) في الدنيا (وما لكم من دون الله) من دون عذاب الله
 (من ولي) قريب ينفعكم (ولانصير) مانع . ولما كان ما تقدم يقتضي البراءة من ذوي القرابي إذا كانوا
 مشركين بين الله بهذه الآية أن الله هو مالك الخزائن كلها فامتوجهوا إليه وهو الناصر وحده (لقد تاب الله
 على النبي والمهاجرين والأنصار) وهذا كقوله - وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون - يأمر الله جميع الناس

أن يسعوا للارتقاء في الدرجات فكما ينظم حالهم من صبا إلى شباب إلى كهولة إلى هرم إلى موت هكذا يجب أن يترقوا في أحوالهم المعنوية من كمال إلى أكمل منه • وكل من كان في درجة من درجات الكمال يشرب إلى ما هو أعلى منها • وما دام في الدرجة الدنيا فإياه مطالب بالرقى إلى ما هو أعلى فيكون الارتقاء عن المرتبة الدنيا إلى العليا توبة من النقيصة واعتناق للكمال • وهذه هي التوبة المذكورة في هذه الآية وهي المرادة بقوله - ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - وهذا معنى توبة الله على النبي والمهاجرين والأنصار (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) أي في وقت الشدة فهم جميعا ينتقلون من حال إلى حال أكمل وهذه الشدة والعسرة كانت من الزاد ومن الحر ومن العدو ومن بعد الطريق فكان ذلك كله ضيقا وشدة وغزوة تبوك كانت تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار فيها كان يسمى جيش العسرة فكان منهم عشرة يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وماعهم إلا التمرات اليسيرة بينهم فإذا بلغ الجوع من أحدهم لآك التمرة حتى يجد طعامها ثم يشرب عليها جرعة ماء وهكذا صاحبه حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة إلا النواة (من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي - كاد - ضمير الشأن والجملة بعده في موضع النصب • وقرأ حذرة وحفص - يزيغ - (ثم تاب عليهم) كرهه للتأكيد (إنه بهم رؤوف رحيم) وعلى الثلاثة أي وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرة بن الربيع وأوائل أسمائهم مضبوطة بلفظ (مكة) وآخرها بلفظ (عكة) ثم قال (الذين خلفوا) تخلفوا عن غزوة تبوك وهم المذكورون في قوله تعالى - وآخرون مرجون لأمر الله - فيما تقدم (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) أي برحبها أي مع سعتها كأنهم لشدة حيرتهم وفرط قلقهم لا يجدون ملجأ يلجئون إليه فقل ذلك بأن الأرض الواسعة الأرجاء البعيدة الأطراف لا تسعهم • وللناطقة فيما يقرب من هذا

فانك كالليل الذي هو مدركي • وان خلت أن المنتأى عنك واسع

(وضاقت عليهم أنفسهم) أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور من فرط الوحشة والغم (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) وعاموا أن لا ملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره • وقد كان النبي ﷺ منع أصحابه أن يكلموا هؤلاء الثلاثة ولبثوا على ذلك خمسين ليلة • ولقد زادت الشدة عليهم أن أمروا أن يعتزلوا نساءهم بعد أن مضى أربعون يوما من الحسين • وكان أحدهم يطوف السوق والمساجد فلا يكلمه أحد • قال كعب بن مالك آذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا • ومن حديث كعب بن مالك أيضا أنه قال جاء المخالفون فطفقوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ ويخلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم على نيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى حتى جئت فسلمت فتبسم تبسم الغضب وصدقت رسول الله ﷺ وقلت والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله ﷺ أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقامت • وفي الحديث طول قد ذكرت ما بهم منه وقوله تعالى (ثم تاب عليهم) بالتوفيق للتوبة (ليتوبوا) ليكونوا من جملة التوابين (إن الله هو التواب) لمن تاب وان عاد في اليوم مائة مرة (الرحيم) المتفضل عليه بالنعيم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فيما لا يرضاه (وكونوا مع الصادقين) في إيمانهم وعهودهم وفي دين الله نية وقولا وعملا والمراد بالصادقين هؤلاء الثلاثة وأمثالهم ممن صدقوا في نياتهم واستقامت قلوبهم ولم يعتذروا بالأعذار الباطلة الكاذبة • ومن اللفظ ما يكون أن أبا بكر يوم السقيفة إذ قال الأنصار منا أمير ومنكم أمير قال يامعشر الأنصار يقول الله - للفقراء المهاجرين - إلى قوله - أولئك هم الصادقون - من هم قالت الأنصار أقم فقال أبو بكر إن الله تعالى يقول - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين - فأمركم أن تكونوا

معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الأمراء وأنتم الوزراء (ما كان لأهل المدينة) أى لساكنى المدينة من المهاجرين والأنصار (ومن حولهم من الأعراب) أى سكان البوادي من مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار وغيرهم (أن يتخلفوا عن رسول الله) يعنى اذا غزا أى ليس لهم ذلك (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أى ولا يرغبوا بأنفسهم أن تصيبهم الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله فى مشقة السفر ومقاساة التعب * وبعبارة أخصر ولا يكونوا على أنفسهم أشفق من نفس النبي ﷺ * ويقال ولا يرغبوا بصحبة أنفسهم عن محبة النبي ﷺ فى الجهاد * روى أن أبا خيثمة باغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظلّ ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله ﷺ فى الضحى والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومرت كالجريح فأتى رسول الله ﷺ طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكان هو ففرح به رسول الله ﷺ واستغفر له (ذلك) الخروج ووجوب المتابعة (بأنهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) شئ من العطش (ولا نصب) تعب (ولا محصنة) جماعة (فى سبيل الله ولا يطؤون موطئا) ولا يدوسون مكانا (يغيظ الكفار) يغضبهم وطؤه (ولا ينالون من عدو نيلا) كالقتل والأسر والنهب (إلا كتب لهم به عمل صالح) إلا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المتابعة (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) على احسانهم تنبيه على أن الجهاد احسان لأنه تكميل للكفار وصيانة للمسلمين عن استيلاء الكفار وهذه الجملة تعليل لقوله - كتب - (ولا ينفقون) فى سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) أى تمرة فما دونها أو أكثر منها (ولا يقطعون واديا) أى ولا يجاوزون فى سيرهم واديا (إلا كتب لهم به) إلا أثبت لهم ذلك (ليجزئهم الله) بذلك (أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزيهم على كل واحد جزء أحسن عمل كان لهم فيلحق مادونه به اكثارا لأجرهم وتوفيرا لثوابهم واسعادا لهم . واعلم أن هذه الآية قد حتمت على جميع الناس أن ينفروا للقتال ويتركوا الأعمال الأخرى فاذا جعت الجوع ورفعت البنود واصطف العسكر للجهاد وجب على جميع المسلمين السفر معهم وهذا أمر يوجب ضياع المدن لأن الناس اذا غزوا جميعا فن مدارسهم وطرقهم وزرعهم وتجاراتهم لذلك أعقبه بما يفيد أن أعمال الأمة يجب أن توزع على الأمة وعلى كل ما يناسبه . فالعلماء يعلمون . والخطباء يعظون والحكام يؤلفون . والزراع يزرعون . والسواك يفسكون . وهكذا كما قدمناه مرارا فى التفسير وكما أوضحته فى أواخر سورة البقرة . وقد قلنا مرارا ان الجهاد أمر دائم فالناس اذا رجعوا من الغزو فالحياة كلها جهاد . بل ان الجهاد بالحجة أبلغ من الجهاد بالسيف . والتفقه فى الدين هو الجهاد الأكبر فاذا سمعت الله فى هذه الآيات يقول ولا يفعلون كذا وكذا إلا كتب لهم كذا وكذا فاعلم أنك الآن وأنت تقرأ هذا التفسير وفى غد وأنت تنظر فى أمر الأمة وتنظم شؤونها وتربى أبناءها وتنصح جماعاتها . فى عمل من هذه الأعمال بل هو الجهاد الأكبر . وكيف لا يكون أكبر وهو اللب . ومن عجب أن الجمعيات المسيحية تعتمد فى نشر دينها على التعليم وفتح المدارس فكأنهم عمالوا بما قاله علماءنا من أن تعليم العلم هو الجهاد الأكبر وهو المقصود الأعظم . أنظر كيف يقول الله تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) أى وما استقام لهم أن ينفروا جميعا انحوا غزو أو طلب علم كما لا يستقيم لهم أن يقعدوا جميعا فان ذلك يخل بأمر المعاش ولتوزع الأعمال عليهم كما أوضحناه فى قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل مصر أو قرية جماعة قليلة (ليتفقهوا فى الدين) ليتكفوا ويتجشموا مشاق تحصيل الفقه (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) أى وليجعلوا غاية سبيلهم ومعظم قصدهم من تحصيل الفقه أن يرشدوا قومهم ينذروهم لا انهم يترفعون على الناس ويتبسطون فى البلاد (لعلهم يحذرون) ارادة أن يحذروا عما ينذرون . وانما خص الفقه بالذكر لأنه أهم . وهناك

وجه آخر وهو أن الآبة من بقية أحكام الجهاد . وذلك أن هذه الآيات لما فصح المناقون فيها وبعث رسول الله ﷺ السرايا نفر الناس كلهم للغزو ولم يتخلف أحد فنزلت هذه الآية وهي تقتضي أن ينقسم المسلمون (قسمين) قسم يكون مع النبي ﷺ يسمع ما يتجدد من الوحي . وقسم يسافر للجهاد فإذا رجع الغزاة أخبرت الطائفة القاعدة من رجعوا بما سمعوا من الحديث والقرآن والأحكام الشرعية ويصير معنى الآية فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد أي وقعدت طائفة ليتفقهوا أي القاعدون في الدين ولينذروا قومهم المجاهدين إذا رجعوا اليهم أي إلى القاعدین لعلمهم أي لعل أولئك الراجعين يحذرون مخالفة أمر الله . وهذا واضح وليس في مرجع هذه الضمائر منافاة للفصاحة لأن المقام يفهم المقصود منها . واعلم أن التفسيرين يرجعان لغرض واحد فالمقصود توزيع الأعمال بين الناس . وقد كان أهم عمل بعد الغزو تلقى العلم عن النبي ﷺ فأما اليوم فالأمر جدير بالعناية بجميع العلوم واجبة وقراءتها وفهمها من فروض الكفايات سواء أكان ذلك العلم فقها أم حديثا أم تفسيراً أم هندسة أم طباً أم علم المعادن أم الطبيعة أم الفلك أم صناعة الحرب أم بناء السفن أم الكهرباء أم علم المرائي . كل ذلك لابد منه لقيام أمر الأمة . وهذه الآية واضحة ذكرت بعد الجهاد ليعرف المسلمون أمر دينهم . فكل المسلمين يجب أن يكونوا في جهاد ليلاً ونهاراً بل النوم نفسه جهاد لأننا به تقوى أجسامنا على العمل والطعام والشراب والرياضة البدنية . كل ذلك متى قصدنا أنه مقوم لصحتنا نافع في قيامنا بأعمالنا كان جهاداً . فعلى المسلمين جميعاً أن تكون أوقاتهم كلها عملاً وعلماً وحرام عليهم أن يتركوا فناً أو علماً أو صناعة وكل ذلك جهاد فقد اتضح أن توجيه المدفع والبندقية والديناميت لصفوف العدو ليس هو كالجهاد بل أفضل من هذا إقامة الحجج وإبانة السبل وإيضاح الحقائق ولقد سمى ذلك علماً أو جهاداً الأكبر كما قال رسول الله ﷺ (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس) فتأمل وتجب كيف نام العلماء في سائر الأقطار عن مثل هذه الآيات ولم يوجهوها للعامة والخاصة ولم يفهموا الأمة أن الأعمال العلمية والعملية جهاد . وإذا كان المسلمون في القرون الأخيرة لا يصدقون إلا بكلام العلماء السابقين فأنا أقول لقد أقاموا الحجة وبينوا في كتبهم ذلك فليس للتأخير عذر . ولقد قال القدامى بفصيح العبارة إن تعلم العلم والتفقه في الدين هو الجهاد الأكبر . وقالوا أيضاً إنه فرض كفاية وهكذا بقية العلوم والصناعات . فكيف نام الوعاظ والعلماء عن إيقاظ الأمة وإشاعة هذه الأقوال وتنبيه النفوس وإثارة الحمية في القلوب وإبلاغ الناس وعد الله وثوابه وتفهمهم أن الحياة كلها جهاد حتى إذا مات الإنسان أحس براحة ونعمة بعد ما قاسى من المشاق . وإنى أطلب منك أيها الذكي القارىء لهذا الكتاب أن تدل الأمة على هذه المقاصد وتوصي الناس بها وأقسم لك بالفجر والشمس والضحى - والعصر - إن الإنسان لن يضر - لأنه يظن أنه يعيش كالحيوان يطلب أئناؤه ويولد ثم يموت - إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - فارتقوا عن تلك الطبقات وعرفوا أن الإنسانية لها مطالب سامية وسعوا في الأعمال النظامية العامة - وتواصوا بالحق - ولم يبالوا بما يصيبهم في سبيله - وتواصوا بالصبر - على الأذى . فكن أنت من هؤلاء فالأمر عظيم ثم قال (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) اعلم أنه كما أمر رسول الله ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين أمر أن يغزو الأقرب فالأقرب من الأمم فقاتل ﷺ أولاً قومه فسأثر العرب فأهل الكتاب من بني قريظة والنضير وخيبر وفدك . وغزا الروم في الشام ثم فتح الصحابة الشام والعراق ثم سائر الأمصار (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وقوة وشجاعة وصبرا على الجهاد (واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصر ثم ذكر المنافقين فقال (وإذا أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) أي تصديقاً وبقينا وقربة من الله أي إذا أنزلت سورة من سور القرآن يقول بعض المنافقين لبعض ذلك القول استهزاء فأجابهم الله بأن الذين آمنوا تزيدهم هذه السورة المنزلة إيماناً لأن الآيات المتجددة تريد المؤمنين إيماناً . وأما الكافر

فانه بها يزيد كفرا لأن عدد ما كفر به قد زاد كما زاد عدد ما آمن به المؤمن وهذا قوله تعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) تصديقا (وهم يستبشرون) يفرحون بنزول القرآن شيئا فشيئا (وأما الذين في قلوبهم مرض) أى شك ونفاق (فزادتهم) سورة من القرآن (رجسا إلى رجسهم) شكا وكفرا إلى شكهم وكفرهم لأن الحباث يتبع بعضها بعضا والشك يستتبع الشك . والقلوب اذا خلت من الحكمة وابتليت بالجهالة وأحاط بها سوء الفلق وأقلق مضاجعها جهل الحقائق والوساوس فأصبحت في شك من الليل مظلم زادها ما يرد عليها من المسائل جهالة وظلمة خللك ليلا وأظلمت سبلها . وما مثل الشك والحيرة والاضطراب إلا كمثل المرض يزداد سوا ابتطاول الزمن ويتشعب ويقوى وينمو كما ينمو النبات والحيوان . فهذا تفسير قوله تعالى - فزادتهم رجسا إلى رجسهم - كما في قوله في سورة البقرة - في قلوبهم مرض - أى شك ونفاق - فزادهم الله مرضا - على قاعدة النمو والتشعب واستفحال الداء وتفاقم الأمر . فالشك والحيرة يكونان في أول الأمر بذرا ثم ينبت في القلب ثم يثمر كفرا عظيما فاستحكم (وماتوا وهم كافرون) ثم أبان ذلك وأوضحه بأنهم في كل عام يفزون مع النبي ﷺ ويعاينون ما يظهر عليه من الآيات ومع ذلك لا يتوبون لأن النفاق استحكم في قلوبهم - والمرض غشى على أفئدتهم فلا تصلح قلوبهم للإيمان وهذا كالدليل على ما قبله وهذا قوله تعالى (أولايرون أنهم) أى المنافقين (يفتنون) يبتلون ويختبرون بالجهاد مع رسول الله ﷺ فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات (في كل عام مرة أو مرتين) ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) لا يتوبون من نفاقهم ولا يعتبرون (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض) تغامزا بالعيون انكارا لها وسخرية (هل يراكم من أحد) ان قتم من حضرة الرسول فان لم يرههم أحد قاموا وان رآهم أحد أقاموا (ثم انصرفوا) عن الإيمان بتلك السورة لما تقدم من المرض الذي نما فأثمر هذا الانكار فزادهم الانزال كفرا وهذا كله ايضاح وتفصيل لزيادة المرض في قلوبهم ثم دعا عليهم فقال (صرف الله قلوبهم) أى أضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم (بأنهم) أى بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) أى لسوء فهمهم وعدم تدبرهم . ثم أخذ يبين عدم تفقههم وبلادتهم فقال كيف تعرضون عن رسول منكم أيها العرب جاء لهدايتكم وسعادتكم وسمى لجمع كلمتكم وهو رحيم بالمؤمنين . وان من أعرض عن هديه فقد أعرض عن سعادة نفسه . ومن أعرض عن سعادة نفسه فقد كره نفسه وجمع في نفسه (خصلتين) يحب نفسه طبعاً وهو قد كرهها بالبرهان فهو كاره محب في آن واحد وهذا أعظم البلادة فأين الفقه فهذا هو تقرير - انهم قوم لا يفقهون - ولو فقهوا لأدركوا أن اجتماع كلمة العرب تخيف الأمم حولهم فيحصل لهم عز الدنيا الذي هم به مغرمون وهو كظل لعز الإيمان والدين فهو وان جاء للإيمان بالله والتقوى أصالة فقد جاء بعز الدنيا تبعاً كما ظهر حالا في تلك الأيام وهذا قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) من جنسكم عربى مثلكم (عزيز عليه ما عنتم) أى شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه وذلك المكروه انما يكون بترك الجهاد والأعمال النافعة والعلوم والفقه فاذلك طلب منكم الجهاد (حريص عليكم) على إيمانكم وإيصال الخير لكم وهدايتكم وصالح شأنكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) والرأفة وان كانت أشد من الرحمة قدّمت محافظة على الفاسدة (فان تولوا) عن الإيمان بك (فقل حسبي الله) فانه يكفيك شرهم ويعينك عليهم ثم استدل عليه بقوله (لا إله إلا هو عليه توكلت) فلا أرجوا الا هو ولا أخاف إلا منه (وهو رب العرش العظيم) الملك العظيم * وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن آخر ما نزل هاتان الآيتان

(لطيفة)

قد كنت كتبت عدّة مقالات خطاباً للمسلمين في الجرائد وفيها ما يناسب قوله تعالى - فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة - فهذه المقالة السابعة

قد ثبت في المقالة السابقة أن فرض الكفاية ظاهر واضح من قوله تعالى - فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الخ - ونحن بحمد الله ذاكرون في هذا انقام كيف كانت درجات العلماء السابقين في البحث والنحط العلماء المتأخرين في ديار الاسلام . وكيف قصرت عقول كثير منهم فهم لا يعلمون . أقول لما وصلت الى هذا المقام . قال لي ذلك العالم صديقي . ان علماء الاسلام لم ينكروا فرض الكفاية وعمومه في كل شيء . قلت لم ينكروه علما اجماليا ولكن عند العمل يسكتون عنه وقد كان المتقدمون مدققين باحثين مفكرين فأما الآخرون فانهم ناموا وعكفوا على القليل من العلوم كأنهم لا يعلمون . قال فاذا ذكر مسألة واحدة لتبين بها تقصير المتأخرين . قلت ألم تقرأ مذهب الامام الشافعي . قال بلى . قلت ألم تقرأ في كلام الأئمة السابقين منهم وتبعهم اللاحقون فقد قالوا ان الانسان يجب عليه أن يغسل جزءا من العضد اذا غسل الذراع مع المرفق وعملوا ذلك بقولهم ملائم الواجب إلا به فهو واجب فاذا كان المتقدمون عنوا أشد العناية بالدين . ولما سمعوا قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين - أقول لما سمعوا ذلك قالوا علينا أن نحتاط ونغسل جزءا من الساق وراء الكعبين وجزءا من العضد وراء المرفقين فانه لا يتحقق تمام غسل المرفقين وغسل الكعبين إلا بغسل جزء مما فوقهما لأن ملائم الواجب إلا به فهو واجب هذه مسألة يعرفها صغار الطلبة في الأزهر والمعاهد الدينية . فبالت شعري كيف يعرفون هذا ولا يفكرون في أمر الجهاد . يا سبحان الله . أفليس الجهاد واجبا كما وجب الوضوء . فلماذا لم يتابع المتأخرون هذه المباحث بعناية أشد ويقولوا ان الجهاد لا يتم إلا بالطرق الحديدية والزراعة الثمينة والصناعات والأمانات والأخلاق وبنظام البلاد حتى تضارع وتفوق أهل أوروبا . فقال العالم الديني صديقي . ان هذه الآراء مذكورة في ثنايا الكتب . فقلت وهل هي أقل وجوبا من وجوب الوضوء . ان الوضوء فرض عين ووجوب هذه العلوم كلها فرض كفاية وفرض الكفاية اذا لم تقم به جماعة عذبت الأمة كلها في الدنيا والآخرة وفرض العين يعذب عليه تاركه وحده . ان فرض الكفاية هو القلعة والسياح الذي لا يكون فرض العين إلا بعد وجوده والافكيف يصل الناس أو يتوضئون أو يحجون أو يزكون أو يصومون وبلادهم محتلة محتملة وحكوماتهم معتلة . ففروض الكفايات بتركها تخرب الأمم وتذل لغيرها ولا تستطيع القيام بالفرض العيني فاذا عرف كل طالب في بلاد الاسلام أن غسل جزء من العضد وجزء من الساق وراء المرفقين ووراء الكعبين واجب . فلماذا لا يعرف كل طالب أن العلوم التي في أوروبا وفي أمريكا وفي اليابان وفي الصين يجب على المسلمين جميعا أن يعرف كل طائفة منهم قسما منها حتى يكون المسلمون كأهل أوروبا في علومهم ومعارفهم ونظمهم . ولعمري اذا عرف كل طالب وجوب غسل جزء من العضد وجزء من الساق احتياطا لدينه فبالأولى يجب عليه قبل كل شيء أن يعرف أن البلاد لأحياة لها والدين لابقاء له إلا بدراسة جميع العلوم وتعميم القراءة والكتابة في بلاد الاسلام . أقول ولقد أُنذرت أمة الاسلام بالقرآن وحذرتها وأُوضحت لها طرق الواجبات . واني أطالب كل مطلع على قولي هذا أن يفكر فيه وأن يقوم بنشره عند من يفقهون ان الأمة الاسلامية لما تركت هذه العلوم لم تبشر بالنصر ولم تكن مهتدية الى أقوم طريق ولم يكن كثير من هدايتها رجالا من أولى الألباب . يقول الله تعالى - فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب - فاستماع القول واتباع أحسنه عام شامل لجميع العلوم والصناعات والأحوال . فقال انك اذا عممت هذه الآية هدمت الدين وخالفت المتقدمين والمتأخرين وكأنك بهذا تقول للمسلمين اذا استحسنتم أمرا فاتبعوه واتركوا دين الاسلام من الكتاب والسنة فأنت بفهمك هذا هدمت جميع الدين ولا يرضى بهذا المسلمون . قلت ان أحسن القول المذكور لا يصادم الدين ولا يخالفه

بل هو ما يجب فيه لأن أحسن الأحوال هي التي يطلبها الدين . فقال لو استحسن رجل أن لا يصلى اذن يكون من أولى الألباب . فقلت له ليس هذا قولاً حسناً وإنما هو هوى وشهوة وغرض فكل صناعة أو زراعة أو علم وجدنا فيه خيراً في حياتنا فلنأخذ أسهل الطرق لحوزه لنستخلص أجله ونقرأه ولنعمل به . فقال وكيف السبيل الى معرفة هذا القول الأحسن . فقلت لتشكّل لجنة في مكة وليرأسها عظيم من عظماء الاسلام فكأن لدول أوروبا جمعية أم فليكن للأمم الاسلام جمعية علم . وليكن في هذه الجماعة من كل طائفة من المسلمين من الترك والهند والأفغان ومصر وسوريا الخ . وليكن في هؤلاء متضلعون في علوم فهذا في الطب . وهذا في العلوم الرياضية . وهذا في العلوم الطبيعية . وهذا في التاريخ الخ . وليكن فيهم عارفون بأهم اللغات . ثم ليدرسوا نظم الأمم الأوروبية والأمريكية ثم ليجتهدوا عما عندهم من العلوم وليأخذوا منها أجل ما فيها ومن الصناعات ثم لتشر في بلاد الاسلام . فهؤلاء هم الذين قال الله فيهم - فبشر عبادي الذين يستمعون القول - فانهم استمعوا القول بلغات مختلفة - فيتبعون أحسنه - فلذلك وصفهم بأنه هداهم ووصفهم بأنهم أولو الألباب وإنما كانوا أولى ألباب لأنهم استخلصوا لب الأشياء . ولا جرم أن اللب أحسن من القشر فانه هو المقصود . فاللب اذن أحسن من غيره فلذلك وصفهم بأنهم أولو الألباب فهؤلاء بشرهم الله بالنصر وبالجنة وبالنعمة في الدنيا والآخرة . فقال ذلك العالم صديقي لم يبق الا شئ واحد وهو هل عندك من دليل يؤيد أن المسلم يستخلص من كلام الكافرين ويتبع أحسن ما يقولون . ان المفسرين لم يقولوا ذلك فان أوسع قول عندهم يرجع الى أقوال علماء الاسلام . فأما أخذ الأحسن من قول الفرنجة وعلماء اليابان فهذا لا يقبله المسلمون . قلت له قال الله تعالى - فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون - . فقال فهل أهل الذكر هم أهل أوروبا . فقلت له الذكر في كل شئ بحسبه . فعلم الفقه عن الفقهاء . وعلم الحساب عن العلماء به ولو كانوا كافرين . وعلم الزراعة عن العلماء بها وهكذا . فقال لا يزال المقال يحتاج الى دليل . قلت أفيكفيك عمل رسول الله ﷺ قال وماذا يكفيني اذن . قلت ألم تعلم أنه ﷺ والمدينة قد حاصرها الأحزاب من كفار مكة وغيرهم جاء له سلمان الفارسي وأخبره بأن الفرس كانوا يحفرون الخنادق حول مدنها اذا هاجمهم العدو فلما سمع النبي ﷺ ذلك أمر بحفر الخندق ولم تكن العرب يوماً ما تعرف الخندق ولا حفره . فهذا القول قاله سلمان الفارسي وهو مسلم ولكنه نقله عن أمم مجوسية يعبدون النار فلو كان الأخذ عن أوروبا وأمريكا غير حسن ولو كان اتباع الأحسن مما يوافق ديننا غير مرغوب فيه لكان ﷺ نهى سلمان الفارسي عن هذا وقال له ان هؤلاء كفرون فلانسمع قولهم ولا نتبع طريقهم . ان رسول الله ﷺ استمع القول عن عباد النار وعن غيرهم فاتبع أحسنه فهناك طريقتان (الأولى) أن يقف الرجال حول المدينة ويدافعون عنها وهي طريقة العرب الجاهلة (الثانية) أن يحفروا خنادق وهي طريقة عباد النار فاتبع الأخيرة وهي أحسن القول فبشره الله وبشر أصحابه ونصرهم وأعزهم وهداهم وهؤلاء هم أولو الألباب . أفلا يسمع المسلمين ما وسع رسول الله ﷺ . أفما آن الأوان أن يتذكروا ويعتبروا . لقد شددت أيها الاستاذ في قولك وسرني منك ذلك التشديد تريد بذلك أن لا يبقى لأحد من المسلمين مطعن في القول ولا شبهة وانى أجد الله عز وجل أن وفق لهذه الرسالة وأرشد الى ما يجب على المسلمين في مستقبل الأيام لحفظ كيانهم إذ لم يبق غدر لمعتذر . وحرام واثم عظيم على من قرأ هذه الآراء وأمثالها فلم يتناقش فيها ولم يفكر ولم ينشر ما يمثّلها ان كان قادراً بين جماعة المسلمين في الأمم الاسلامية لاسيما الأمم العربية والله هو الوليّ الحيد

فهذه هي المقالة التي اخترتها من تلك المقالات في هذا المقام . وهناك مقالات نشرتها في الجرائد أيضاً بمناسبة مجاء في الأخبار أن دولة (هولانده) قد حثمت على المسلمين من رعاياها أن لا يصلوا إلا برخصة في

بعض الأوقات • وأيضا راقبت التعليم مراقبة شديدة فكتبت هذه المقالات الستة الآتية في جرائدنا المصرية قبل أن يلغوا هذا الأمر • وبعد كتابتها جاءت الأخبار أنهم قد أرادوا محاسنة المسلمين • وهذه المقالات توبيخ للمسلمين على ترك العلوم الذي أوثر النذل المذكور • وهذا المقام هو المناسب لهذه الآية التي أوجبت فروض الكفايات

﴿ الاسلام والاستعمار وسبب تأخر المسلمين ﴾

(المقالة الأولى)

في شهر يونيو سنة ١٩٢٥ أصدرت الحكومة الهولندية قانونا فيه اثنا عشر فصلا تتضمن الشروط التي بمقتضاها يجوز مباشرة التعليم الاسلامي أهمها ما يأتي

(١) من أراد أن يباشر التعليم في العلوم الاسلامية فعليه أن يرفع ذلك الى أمير البلد أو الوزير ويشرح له مقاصد التعليم

(٢) وأن يتخذ دفترا مخصوصا للتلاميذ وشرح أحوالهم ولا يلقى عليهم شيئا إلا بعد مصادقة الحكومة عليه
(٣) ورجال الحكومة لهم أن يتفقدوا ذلك في كل وقت لينظروا هل قال لهم شيئا غير مصادقت عليه الحكومة المذكورة

(٤) ولرجال الحكومة أن يحضروا مجلس التعليم ويسألوا عما يشاؤون من الامور المتعلقة بمهمة التعليم ولهم أن يدخلوا متى شاؤا المدارس أو الأقسام الداخلية • وإذا رأت الحكومة أن التعليم مخالف لما تقدم فلها أن توقف التعليم الى مدة سنتين

(٥) تسجن الحكومة ثمانية أيام على الأكثر أو تغرم ٢٥ روبية على الأكثر كل من ارتكب الأعمال الآتية (أ) من يعلم العلوم الاسلامية بغير اذن من الحكومة (ب) من يقدم للحكومة تعريفات كاذبة بشأن تعليمه (ج) من يتهاون في املاء الدفتر المذكور

(٦) تسجن الحكومة شهرا على الأكثر أو تغرم ١٠٠ روبية كل من ارتكب الأعمال الآتية (أ) من يلقي التعاليم في مدة ايقاف الحكومة اياها (ب) من يرتكب الأعمال المتقدمة أعلاه هذا هو أهم ما في هذا القانون لخصته

هذه هي أحكام (هولانده) التي لا تبلغ عد الأصابع من الملايين في أربعين مليوننا من المسلمين • بماذا تعاملهم • لا يصلون في الصحراء الا برخصة • لا يعلمون فروض الوضوء الا اذا سمعها الحاكم العام وأقرها لا ينطقون في منازلهم وفي مزارعهم الا بما يقر عليه الحاكم العام لأنه اذا حرم عليهم نفس الدين الا باذن فبالأحرى لا يتمتعون بعلم البتة مادام فيه حياة للمجموع

ألا قاتل الله الجهالة العمياء • جهالة المسلمين • أيها المسلمون • اسمعوا • أتدرون لماذا حل بنا ما ذكرناه • ذلك لغرور الأمراء والعلماء في الأعصر الغابرة ورؤساء الدين جميعا • ان رؤساء الدين سواء أكانوا صوفية أم علماء فقه أم أمراء في الأعصر الغابرة • كانوا يفهمون المسلمين أن ليس عليهم سوى ما يقرؤنه لهم من العلوم وما يدرسون لهم من مقدماتها خوفا من أن ينبغ الشبان ويظهر العلم فيمقتوا الجاهلين من رؤسائهم • وظلت الحال على هذا المنوال آمادا وآمادا حتى أصبح ذلك خلقا راسخا وسجية ثابتة وعادة متبعة • ومن خالف تلك العادة عد فاسقا أو مبتدعا الخ

ولكم قام في المسلمين قبلنا من دعاة الإصلاح أي تعميم العلوم كالسلامة ابن رشد بالغرب فحكموا عليه بالاحاد فمات شريدا وحيدا ونقل تلاميذه من اليهود علمه الى أوروبا فأيقظها من رقدتها فارتقت وأخرجت

من الأندلس المسلمين الذين كانوا لهم معامير . ولقد فعل قبل ذلك أهل الشرق بتعاليم الغزالي فأصبحوا بها جاهلين . لم يكن هذان العالمان وأمثالهما مارقين من الدين . كلا بل كانا يأمران بتعليم جميع العلوم الطبيعية والفلكية فأبى الرؤساء خيفة على رئاستهم فظلوا جاهلين

ذلك تاريخ اسلافنا في العصور المتأخرة . جهل عميم . وغرور كبير . وذل مهين . أيها المسلمون . لم يكن الله ليعطيكم أرضه وأتم بها جاهلون . ولا ليهبكم الأعضاء والحواس وأتم عنها غافلون . إن الله لا يعطي إلا لمن يشكر النعمة ولا شكر لمن غفل عن استعمالها . أيها المسلمون . اتظنون أن الله يلهيهم الأمم التعليم العام في (هوالاته وسويسرا وأمريكا واليابان) ثم يبقى المسلمون جامدين عاكفين على الغرور . أيها المسلمون ليعم التعليم أبناءكم في الحجاز . في العراق . في الشام . في مصر . في بلاد شمال إفريقيا . في بلاد جاوه

ليعم التعليم . أقول هذا واجب شرعا وجوبا كوجوب أركان الصلاة . وأقول فوق ذلك يجب تعليم الصناعات والعلوم التي أبرزها الله في الأرض وألهمها للأمم . أقول يجب ذلك وجوبا شرعيا سيقول قائل إن هذا الوجوب لم يرد في كتاب ولا سنة . فأقول . كلا لقد أجمع علماء المذاهب أن الصناعات واجبة وجوبا كفايا . ومعنى هذا أن كل صناعة يجب على المسلمين أن يقوم بها جماعة دون الباقيين وتكون أعمالهم كافية للمسلمين فهذه الكتابة والقراءة إحدى الصناعات . ولقد ظهر في عصرنا الحاضر أن الأمم التي عمّ التعليم بها جميع الأفراد أرقى من غيرها . وأما الأمم الجاهلة فهي ذليلة حقيرة غبية جامدة . فاذن إن لم تعم القراءة والكتابة في أمم الاسلام فهي في خطر . فاذن لا كفاية للأمم الاسلام إلا بتعميم القراءة والكتابة . وهكذا يجب أن تخصص جماعة في كل أمة كمصر لكل علم ولكل صناعة بحيث يكون أطباء الأسنان يكفون البلاد وأطباء العيون وأطباء الأجسام وهكذا الزراعة والتجارة والحداثة والكهرباء وما أشبه ذلك (وبعبارة أخرى) يجب أن يجد المسلمون في جميع الصناعات والعلوم والافلاكم عام على كل فرد . واني أرفع صوتي لأمة الاسلام مينا لهم الحقيقة فلا فرق بين التبخر في علم الفقه وعلم الطب وعلم الهندسة وجميع العلوم وجميع الصناعات فان لم يقم في الأمة من يغنيها عن الأجانب فيها فالأمة كلها مذنبه . ففي ترك أي صناعة يكون العقاب على المجموع . أما من ترك الصلاة فالعقاب عليه وحده أو على من رضى بتركه . هذا وسأوضح هذا المقام في المقال التالي

﴿ المقالة الثانية ﴾

(خطاب الى أمراء الاسلام المستقلين . ومن هم تحت سيادة الأجانب . والى جميع زعماء الاسلام وعظماؤه)
إن الله أوجب علينا النصيحة لله ولرسوله ولكافة المسلمين . اننا معاشر المسلمين مقصرون جدا في أمور ديننا . ان العاكف على علم واحد أو عبادة واحدة أو ورد واحد أو ما أشبه ذلك وظن أن هذا وحده فيه رضا الله فهو مغرور جهول

إن الله أنعم عليكم بأممكم وبأرضكم . وخلفكم وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات . فهل أعطاكم هذه المواهب لتنميوها . أو منحكم هذه الأرض لتعطلوها . كلا . ألم يقل الله - هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعا - ألم يقل - وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين * وسخر لكم الليل والنهار - فهل خص الله هذه المنح بأمم غيرنا . أم نحن داخلون في الخطاب . فوالله عار على أمة الاسلام أن تكون أول الجاهلين بهذا الدين

ربما كان يغتفر بعض الجهل اذا كان المتقدمون ساكتين عن هذا الموضوع مغفلين له ولكنهم أوجبوا جميع الصناعات . وأقل التفاته تعرفنا قيمة الصناعات والعلوم اليوم . فياليت شعري من هذا الذي أفهم المسلمين

أن علوم الدين خاصة بالفقه ومقدماته . من ذا الذي قال به . ان من يقول ان الفقه وحده هو الواجب وبقية العلوم غير واجبة غير موجود في أمة الاسلام إلا اذا كان لقيمة لقوله . أيحتمل في دين الاسلام أن يكون المسامون وحدهم هم المتقاعدون عن العلم . أيحوز هذا . أين دعاة الإصلاح . فوالله ليسألن الله كل عالم بقولي هذا ولا يرفع صوته . وليسألن الله كل من عرفه . نعم ان كثيرا من الناس عن هذا غافلون وغفلتهم ناشئة من العادة والتقليد والا فالعلوم كلها والصناعات واجبة وجوبا كفايا . اللهم لا كفاية إلا بتعميم القراءة والكتابة جميع أفراد الأمة بقدر الامكان . اللهم لا كفاية الا بنشر جميع العلوم من رياضية وطبيعية وفلكية وسياسية وصناعية . اللهم ان هذا صار معروفا عند الخاص والعام

فيا عجباً لأمة الاسلام . تلك الأمة التي تخطت البحر الأبيض الى عدوة الأندلس وعامت أوروبا ورجعت بخفي حنين خائبة اذ قدر لها قادة جهلاء في تلك القرون وعلماء غافلون فأقعدوهم وأناموهم حتى ذهبوا طحين الرحي ممزق الاشلاء وهم خامدون . أيحتمل هذا أيها المسامون

أيها العلماء . أيها القادة لا عطر بعد عروس . ولا مخبأ بعد بوس . قد حتم الأمر واقترب الوعد الحق والأبصار شاخصة . وهل يحتمل ذلكم بكم أيها المتعلمون . اني أذكر علماء الاسلام بقول الله تعالى - ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون - فهل لكم أن تبينوا للناس أن العلوم كلها واجبة وأن أرض الله يجب أن يعمرها عباده ويستخرجوا منافعها والاسلبها منهم وهم صاغرون . أيها الأمراء . أيها العلماء . أما آن لكم أن تذكروا . أو ما رأيتم كيف أذل الله الأمم الجاهلة وحفظ العالمة

يا أمراء العرب . يا أبناء الأبطال . ألا أذكركم بمجدكم القديم . أنظروا في التاريخ تجدوه ناطقا بأن آباءكم هم الذين قلبوا الكرة الأرضية فامتلات علما بعد أن كانوا بالجهل قانعين وقد خلعنا عليهم ملابسنا العالمية وأصبحنا منها مجردين . لعمري أني اختلف الشيعي والسني والوهابي في أمور فرعية فهل يختلفون في التوحيد . وهل يختلفون في العلوم . وهل يختلفون في وجوب ما يلزم الأمة من العلوم والصناعات لحى الله الجاهلة الخرقاء . لحى الله الجاهلة التي أسدلت الحجاب على وجوه العلم ومعاهده الباسمات وحجبت ذلك الشعاع الباهر والحسن الناضر والجمال الساحر عن عيون العاقلين . لحى الله أياما قضت على بناء المجد أن يرزحوا تحت أثقال الرؤساء الجاهلين . أما والله لئن لم ينته الأمراء عن التقاعد وأهل الفطنة عن التغافل لتزلن الصواعق على الغافلين ولتقطعن رؤس أينعت اذ حان قطوفها وليحقق الله وعيده في المسامين اذ قال - وان تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم -

من الآن فصاعدا يجب أن يكون قواد هذه الأمة وأفرادها من المطلعين على سائر العلوم ومن المفكرين فالرئيس الصوفي أو الديني أو الأمير اذا لم يكن ماما بالعلوم فان أتباعه غالبا على شاكاته - وينصرون الله من ينصره ان الله لقوى عزيز - اه

﴿ المصلحون في الاسلام اليوم ﴾

(المقالة الثالثة)

أكثر المصلحين من الأمم الاسلامية اليوم انما يوجهون وجوههم الى مقصد واحد وهو خلوص العقائد من الزيغ وطهارتها من الضلال . وتراهم يقصرون على ذلك همهم ويصرفون اليه وكدهم قرونا وقرونا وما مثلهم في ذلك إلا كمثل من أخذ يقول لابنه ﴿ اياك والسرقة والكذب والفسوق ثم عطله من جميع المكاسب ﴾ واعلم أن أحوال العقول الانسانية ﴿ ثلاث ﴾ اما أن تكون ملوثة بالعقائد الزائفة كأرض الزراعة السبخة لاتنبت إلا ما لانفع فيه من النبات . واما أن تكون طاهرة خالصة من الزيغ والكنها معطلة كأرض

صالحة للزراعة وأهلها لا يزرعون . وأما أن تكون غنية بالعلوم مزدانة بالحكمة كأرض تنبت كل نبات وفاكهة ونخل ورمان

فاذا دأب المصلحون في الاسلام على قولهم دعوا الزينغ والاحاد وطهروا العقائد ثم تركوا العقول خالية من العلم . بعيدة عن الحكمة . غافلة عما أبدعه الله في الأرض والسموات . غير عالة بما أحاط بها في الشرق والغرب من الأحوال ضرب بينها وبين العلم بسور عظيم فانما مثلهم كمثل الفلاح الذي نقي أرضه وأصلحها وجعلها أهلاً للزراعة ثم أخذ يفتخر بما صنع فهو لا محالة حاصد بعد ذلك زرع الندامة والخزي والتقهقر المبين هكذا دعاة الاسلام المصلحون اذا كان هذا دأبهم فليعلموا أن الأمر يخرج من أيديهم . وليعلموا أن وقت حساب الأمم قد آن وأن الله سبحانه قد أنزل القصاص في الأرض ليظهرها من المقصرين

أيها الرؤساء والعلماء ورجال الصوفية اتقوا ربكم وحرصوا الأمة على التعليم واعلموا أن عز الانسان بعز أئمة وذلّه بذلها . فكم من عقول دفنت . وكم من مواهب ذهبت فحسبة الجهالة . وكم من قوى قيمة عظيمة أبدعها الله في أبناء الفلاحين في القرى والكفور ثم طاحت وضاعت وسال دمها على مذبح الجهالة والغفلة والتقصير . الله قسم القوى والقدر على عدد الناس ولم يذرقوة صناعية أوقوة علمية الا خلق لها في كل أمة من هم أهل للبراعة فيها . وهل يستخرج تلك الكنوز الا التعليم

أيها المسلمون . أيها الأمراء في الاسلام . أيها القادة أقول لكم قولاً حقاً مادام المسلمون يحتاجون الى ابرة أو مفتاح أو مدفع أو محراث أو أى شئ من الخارج وهم مقصرون في صنعه فهم معذبون يوم القيامة جميعاً . والعذاب اليوم ظاهر في الدنيا فان اذلال الأمم اذا نزل بها عم سائر أفرادها - وللعذاب الآخرة أشد وأبقى -

أيها المصلحون في الاسلام بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطيبين ولم يبق في القوس منزع وحم الأمر فماذا أتم فاعلون . أيسركم أن يكون فريق من المسلمين كالأمة العربية متجاوزة البلاد متحدة اللغة والدين لا فاصل بينها الا الحدود الطبيعية تسرى متنافرة جاهلة لا يعرف المراكشي منها السوري ولا العراقي منها المصري بل هم مشتتو المشارب . مقطعو الأوصال . فلماذا هذا . أقول انهم لم يتعلموا والمتعلمون منهم تعليمهم غالباً أبتروا ناقص . والا فبالله خبروني كيف يكون ممالك تعد بالعشرات تدخل في مملكة واحدة وهي الممالك المتحدة بأمريكا وبينهم من سائر الأجناس والأمم والأديان فيهم اليهودى والمسيحى والمسلم فيهم الألمانى والسورى والهندي واليابانى . فيهم من كل أمة وهم متحدون . أما أبناء الاسلام المتجاورون فلجهلهم ولقلة علمهم لم يعرف بعضهم بعضاً . ألساء ما يفعل الشرقيون . اجتمعت الممالك المتحدة بالعالم وافترق المسلمون بالجهل سواً كانوا عرباً أم غير عرب

أيها المسلمون . عجموا التعليم واجعلوه على أساس متين . فليكن التعليم الأولى عاماً . ولتكن جاعات تختص بكل علم أو صناعة وبغير ذلك لاهياة ولا شرف ولا حرية ولا سعادة . ألم تقرأ قول الله تعالى - إقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم - فانظروا كيف قرن الله العلم والقلم بخلق الانسان في أول سورة نزلت . أنظروا كيف يقول - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - فقد ذكر العلم ولم يذكر المعلوم ليكون التعليم على حسب ما يقتضيه الزمان ان الله يسال العلماء والرؤساء والأغنياء في مصر وفى سوريا وفى العراق وفى أفغانستان والترك عن مجموع الأمة والله المستعان

(الاسلام والاستعمار . المقالة الرابعة)

(تهافت الآراء في بلاد الشرق ولا سيما في بعض البلاد الاسلامية)

ان العلم الناقص يؤدى الى الاختلال والخيال ويضيع الأمم ويؤديها الى دار البوار . ان المتعلم الناقص

أضرّ على الأمة من الجهلاء الأغبياء . فالتعلم الديني والمتعلم المدرسي كلاهما اذا كانا ناقصي العلم ألد أعدائها وأقوى مخربيهما فان أعينهم في غطاء فهم - الأخسرون أعمالا * الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - يسيئون حيث يحسنون . ويهدمون حيث يبنون . ويحرقون حيث يرقعون . ويقطعون حيث يصلون . ألا أهدئك (حديثين) حديثا اتفق لي مع قاض عظيم ومؤلف كبير قد مضى الى ربه وذكره مشهور في أقطارنا المصرية وغيرها وهو المتعلم المدرسي بالعلم العصري . ثم أتبعه بحديث الامام الغزالي عن علماء الدين في زمانه أيام عصر الدولة العباسية في الأيام الخالية والقرون الماضية لتعلم الى أي حد يصل الجهل والضلال . والى أي مدى يصل الغرور بالجهل

(حديثي مع ذلك القاضي الشهير)

منذ بضع عشرة سنة عهد الى من قبيل وزير المعارف أن أطالع كتاب (الرسالة القشيرية) في علم التصوّف مع عظيم من عظماء الفرنجة ليترجمه الى اللغة الفرنسية . والذي أمره بترجمة ذلك الكتاب أستاذه الألماني المسمى (ماركس) فلما أخذنا في فهم تلك الرسالة التي ألفها الاستاذ القشيري الصوفي سنة ٣٥٠ هـ تقريبا وجعلها رسالة منه الى الصوفية في بلاد الاسلام . قال لي ذلك الا فرنجي يوما . اني أودّ أن أرى فلانا القاضي لشهرة اسمه في بلادنا فأرسلت اليه فخر له وكلمة بالفرنسية . ثم ان ذلك الا فرنجي أخذ في بعض أعماله فسألني ذلك القاضي قائلا . أنت من دار العلوم . فقلت نعم . فقال هي مدرسة حسنة وقد خرج منها عظماء . فقلت نعم واقد أفادت البلاد بالمدرسين والمفتشين ولكن بقي شيء . قال وما هو قلت ان أستاذنا المرحوم علي مبارك باشا قال لنا انكم انتخبتم من الأزهر والأزهريون اذا قرؤا علوم أوروبا وطبقوها على الدين أزهرت بلاد الاسلام وأينعت وأخذت زخرفها وازينت . ومادام المعلم في ناحية والدين في ناحية فان بلاد الاسلام تبقى وحوشا يبابا وقاعا صفصفا وصعيدا جزرا تذروه الرياح . ذلك لأن هذه الأمة تعتقد بدينها وتمسك به وهذا التمسك يوجب الضدين ويحدث التقيضين فان عالم الدين ان كان جاهلا فهم له تابعون وان ارتقى في العلم كانوا عالمين . فالأمة الاسلامية اليوم لقلة العلم بهذه الدنيا ونظامها وجهل القائمين بارشادها واقعة في براثن الاستعمار والاذلال . فاذا قام فريق من أهل العلم الديني وكانوا على نور من ربهم في العلوم العصرية اتبعتهم الأمة وأسرعوا الى الرقي أكثر من جميع الأمم لأن العقيدة الدينية يكون لها أثر في العلوم وتحصيلها عظيم . فقال القاضي وماذا تقصد بذلك . قلت أقصد اننا معاشر المتخرجين من مدرسة دار العلوم قد وضعت في أعناقنا هذه الأمانة وهي تطبيق العلم على الدين كما قاله أستاذنا المرحوم علي مبارك باشا وهذا فرض كفاية علينا لأننا قرأنا الدين وقرأنا قسطا من العلوم المعروفة اليوم . فقال (وكنت أنا أعلم أنه ينكر جميع الديانات) أما أنا فاني أقول العلم شيء والدين شيء آخر . فقلت له ليكن ذلك فسرأنت بعلمك وعقلك ولأسرأنا بديني فعلم أنت الناس الامور المعقولة وأنا لقلة علمي أعلمهم أشياء ليست من الدين وأدخلها عليهم وأنا الغالب لأن الناس يتبعوني وأقلهم هم الذين يعقلون . فأنا يتبعني ٩ وأنت يتبعك واحد . ولا تزال الأمة في ارتباك الى ماشاء الله . فقال ان الخرافات الملصقة بالعقول تزيلها العلوم الرياضية والطبيعية . فقلت نعم ولكني أقول اني لا أمكنهم من قراءتها وأقول لهم هذا كفر فيتبعني الناس ويتركونك فسر بعقلك ولأسر بما عندي وأنا الغالب . فقال وما الذي في القرآن . أليس الذي فيه (الجو جيل) يريد بذلك أن الذي في القرآن انما هو التشويق للعلوم . فقلت نعم واذا ظهرت أمة وأريد رقيها وقيل لها أيتها الأمة ان ربك يقول لك (الجو جيل) فهذه الجلة يكفي أن تقود الأمة متى كان هناك قواد . قال وكيف ذلك . قلت هذه الجلة تجعل كأنها عصا يساق بها الناس الى العلم ويجب أن تصقل وتوضع بين السماء والأرض ويقال انظروا جمال الجو بجمال النجوم وجمال الزهر ومن هنا يدور البحث

وتقرأ كل العلوم لأن العلوم كلها ترجع الى ما فوق الجوّ وما تحت الجوّ . ثم قلت من العجب العجيب أن
أرباب الفكر في الاسلام غاب عنهم أن أوروبا لما أرادت الارتقاء لم تقل نترك ديننا فأما نحن فأننا نريد
تركه . قام لوثر المصلح العظيم فأنعش العقول والاسلام لا يحتاج إلا الى نظرة بسيطة وقراءة العلوم لاغير
يا عجبا . لقد قال علماء الاجتماع ان الإصلاح الديني أسرع لرقى الأمة من الإصلاح السياسي . فكيف
غابت هذه عن عقول الشرقيين . قام المصلحون في أوروبا منذ ثلاثة قرون وهم مصلحون دينيون ولم
يقولوا نترك الدين فيجئ الشرقي ويقول . كلا أنا لا أنظر في الدين بل أتركه . فنقول له هلا فكرت فيما
يطلب من العلوم . وهل أوروبا تركت دينها الى الآن

فلما سمع مني ذلك . قال - الحق أحق أن يتبع - أنا جادلت الشيخ فلان وأشار الى عظيم ديني
متوفى يحترمه أكثر المسلمين فما أقنعني ولكني الآن مقتنع . كل ذلك وذلك العالم الافرنجى مشغول بعمله
فلما رجع ودّعه القاضي المصري وانصرف . فقال العالم الافرنجى ان هذا مغرور . فقلت له لماذا .
قال ألم ترنا رفعنا أصواتنا ونحن نتكلم . قلت بلى . قال لقد سألتني ما الذي تدرس لي أنت . قلت
(الرسالة القشيرية) فاستهزأ بعلوم الاسلام فخرته وقلت له قد أخطأت وعرفت أن الغرور في بلادكم عظيم
ويظهر أن العلم عند هؤلاء قليل ولقلة العلم يدعون أنهم تركوا الديانات احتقارا لها ولكنهم هم أنفسهم
لاهم فلاسفة ولاهم مفكرون . انتهى حديث القاضي والافرنجى
والآن أذكر آراء الامام الغزالي منذ نحو ٩٠٠ سنة

(الاسلام والاستعمار . المقالة الخامسة)

ذكرت في المقالة السالفة حديثي مع قاض عظيم مصري مضى الى ربه لتعرف مقدار آراء بعض من هم
الزعامة في بلادنا المصرية آنفا . والآن أنقل لك رأي الامام الغزالي في القرون الأولى والدولة الاسلامية لم
يكن لها نظير في الشرق والغرب . ولم تخلق إذ ذاك انكلترا ولا فرنسا ولا ألمانيا ولا غيرها أي لم تظهر تلك
الدول العظيمة بل كانوا في غيابات الجهالة يرتعون . وفي حنود الظلام يهيمون . وفي فيافي الهمجية
يرتعون . ولم يكن للأمم الاسلامية إذ ذاك من يعاوها في العلم والحكمة . فانظر الى ما يقوله الامام الغزالي
عن أهل زمانه من رجال الدين الذين انكبوا على علم الفقه جهالة وغباء وتركوا بقية العلوم التي لاتأني بالمال
ووبخهم وذمهم وحقر شأنهم وجعلهم طلاب مال لاطلاب دين . فاذا كان ذلك في زمان عز الاسلام فما بالك
بهذا الزمان الذي أصبحت أقل دولة في أوروبا أقوى من كثير من الأمم الاسلامية . فلا أنقل لك ما قاله
ذلك الامام مما كتبه في سورة البقرة وأتبعته بما يناسبه فأقول

قال الامام الغزالي في الاحياء . ولوسألت الفقيه عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات
من التعريفات الدقيقة التي تنقضى الدهور ولا يحتاج الى شيء منها . وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها
ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم في الدين . واذا
روجع فيه قال أشغلت به لأنه علم الدين وفرض كفاية . ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعامه . والفطن
يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من
فروض الكفايات . فكم من بلدة ليس فيها إلا طبيب واحد من أهل الذمة . ثم لا يرى أحدا يشتغل به
من علماء الدين ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافات والجذليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل
بالفتوى والجواب عن الوقائع . فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قام به
جاعة وإهمال مالا قائم به . هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به الى الأوقاف والوصايا وحيازة
مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء . هيئات هيئات

• قد اندرس علم الدين بتليس العلماء السوء • فالله المستعان • واليه الملاذ في أن يعيدنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان • انتهى المقصود منه

وأنا أقول • أيها الامام • قد مضى نحو ٩٠٠ سنة بعد تأليفك هذا الكتاب والمسلمون نائمون جاهلون • ومصر التي ظهرت في طليعة البلاد الاسلامية لاتزال كالعهد الذي تركت الاسلام عليه

فيها معاهد دينية ولا تزال تلك المعاهد في القليس وتبعهم رجال المدارس الذين لا يحلو لهم إلا مدارس الحقوق ومدرسة القضاء الشرعي • كل هذا للظهور وتولى الحكم والمحاماة • أما الصناعات والعلوم الأخرى فهي منبوذة إلا قليلا • فليس عندنا مبرزون فيها الا قليلا • أما أوروبا فقد قهرتنا بالآلات القاتلة والحارثة والطاحنة وسبقونا في الاقتصاد والسياسة • ثم ان المدارس عندنا تعليمها لفظي ظاهري لا يعشق الشبان في العلوم والبحث فهو تعليم خال من الروح • ولذلك سقطت الأمة في هاوية الاحتلال الأجنبي

﴿ الواجب على المجالس الشورية أو النائية عن الأمة ﴾

الواجب عليها أن تقلب التعليم قلبا تاما في المعاهد الدينية والمعاهد الدنيوية وتدخل فيها التهذيب وكل ما يرغب في حب الأمة ومعرفة أحوال الأمم الاقتصادية وعلم الأخلاق وعلم الحيوان والنبات والمعدن • وليس يجوز أن يكون التعليم بلاضابط وإنما يكون على مقتضى الاستعداد المذكور في قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا الا وسعها - • ولعلك تقول كيف تدم التعليم في مصر وفيها نبوغ ظاهر لدى عيين • فأجيبك بمقال سيأتي فيما يلي تحت هذا العنوان

﴿ هل في الاسلام نابغون ﴾

(المقالة السادسة)

لقد سألتني قائلا في المقال السابق • كيف تدم التعليم في مصر وفي بلاد الاسلام وعندنا نابغون أقول • ان هؤلاء النابغين في الأزهر والمدارس (ولعل الاصلاح الحديث في المعارف وفي الأزهر يعمو) انما جاء نبوغهم من استعدادهم ومن دراساتهم الخاصة وبيئاتهم • أما مستوى التعليم فانه ناقص جدا وأهم من هذا أنه غير منظم لم ينظر فيه الى ما تحتاج اليه الأمة • الامام الغزالي يقول لنا في المقال السابق ان البلاد مشحونة بأهل الفقه وهي خالية من الأطباء وينتد على علماء الدين ويقول قد ذهب الدين وضاع لماذا ضاع • لأن البلاد ليس فيها من يقومون بجميع المطالب للأمة • وأنا أقول يا ضياع المسلمين اليوم • يا ضيعة الاسلام • أيها الامام • المسلمون لا يزالون كما تركتهم • فأهل الفقه وحفاظ القرآن يملثون بلاد الاسلام وكذلك المحامون والقضاة في مصر • أما علماء الكيمياء والطبيعة والضوء والكهرباء والسكك الحديدية والبرق وعلماء طبقات الأرض وعلماء الأجنة وعلماء الميكروب وعلماء الحشرات وعلماء السياسات وهكذا فأوروبا هي التي أنجبتهم في بلادها وليسوا عندنا الا قليلا • وأنت أيها الامام تقول ان الدين ضاع وأنا أقول ان كثيرا من أهل بلادى يجهلون أن هذا من الدين ولا يعترفون بأن ديننا يحرم علينا ترك الصناعات الحربية الحديثة وصناعة الطرق الحديدية وصناعات المعادن ولا يتصور أن كثرتهم أن ذلك فرض كفرض علم الفقه الذي به يكون القضاء • وأقول فوق ذلك أنه قد أخبرني عالم صيني أن علماء الاسلام هناك ظنوا أن العلوم العصرية مخالفة للقرآن فتأخروا عن أهل الصين المتبعين للدين الوثني فأصبح الاسلام في زماننا مانعا من العلم في نظرهم • والمسلمون هناك يبلغون سبعين مليوناً • ولقد جاء من الهند أمير يقال له جمال الدين من مدينة مدراس من الهند ومعه فتوى يسأل فيها عن علم الجغرافيا والتاريخ وقد أفنى عليها شيخ الاسلام في بلاد الترك قائلا ان هذه العلوم لا بأس بها • فقلت له هذا تساهل من شيخ الاسلام بل العلوم كلها فروض كفايات والمسلمون جميعا مطالبون بتلك الواجبات • فكل صنعة وكل علم تلزم المسلمين

جميعا فعليهم أن يكلفوا طوائف منهم باتقان تلك العلوم والصناعات المختلفة . ثم قال لي ان جميع علماء بلدي حرموا هذه العلوم . أقول وقد أخبرني صديق لي من علماء تونس قائلا ان بعض العلماء في بلادهم يقولون انه لا يجب شئ غير علم الفقه . أما النظر للعالم العلوي والسفلي فيكفي أن ينظر الانسان بعينه . فالاسلام اليوم أضعف منه في كل زمان

وقد جاء في الجرائد منذ أيام (يولييه سنة ١٩٢٧) أن ملك الأفغان أقفل مدارس البنات لأن علماء الدين حرموا تعليمهن حتى استفتى علماء الأزهر وعلماء الهند فأفتوه بتعليمهن ففتح المدارس مرة أخرى كل ذلك لقصور التعليم الديني في بلاد الاسلام وعكوفهم على علم خاص ومقدماته

واني أطالب كل من وقع هذا في يديه (هذا في كتاب التفسير للمؤلف نداء للعقلاء في الاسلام) أن يبحث في هذا الموضوع ويفكر بعقله ويستخرج العلوم الواجبة على المسلمين ويرفعها لولاية الامور فانه ظهر بهذا القول أن علم الدين ليس خاصا بالفقه بل العلوم كلها والصناعات أصبحت فروعاً لشجرة واحدة هي الحياة الانسانية . وكل ما عندنا الآن خطأ نشأ من عادات قديمة راسخة . فليقلب التعليم في المعاهد الدينية على حسب ما قلناه وكذلك في المدارس العصرية . ولتكن للأمة حال جديدة فهذه الحال لا يجوز ابقاؤها وليدرس هذا الموضوع دراسة تامة . فالاسلام وأمة الاسلام اليوم في خطر ولا نجاة منه إلا بما ذكرنا واتباع قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها -

(الأوقاف الاسلامية والمعاهد الدينية في البلاد الاسلامية) اذا قرر أن فروض الكفايات تشمل العلوم والصناعات وأن المعاهد الدينية يدرس فيها علم النحو والصرف والمعاني وأمثالها وعلوم أخرى من أصول الدين والفقه . وكذا الحساب والهندسة والنظر في الكون . أفلا ينبغي أن ينظر في أمر الشهادة النهائية ويقال ان هذه العلوم كلها فروض كفايات لافرق بين ما يسمى علوم الدين وما نسميه علوم الدنيا إذ ظهر أن هذه التسمية غلط وخطأ من المسلمين

فاذا نظر رجال الحل والعقد في المجالس النيابية والوزراء والأمراء في أمر ما تحتاج اليه الأمة من العلوم والصناعات ثم قرروا أن يكون في تلك المعاهد شهادات عالية أيضا للهندسة وأخرى للطب وللصناعات الشريفة باعتبار أنها فروض كفايات وأن كثرة المتعلمين في البلاد من نوع واحد غير مفيدة كما قاله أسلافنا اذا حصل ذلك فانتى أراه موافقا للدين بل أقول فوق ذلك ان مخالفة هذا تنافي الدين كما قرر الامام الغزالي من النداء بالويل والثبور ومخالفة الدين بسبب كثرة الفقهاء وقلة الأطباء في زمانه

الله الله عباد الله اتقوا الله في دينكم وأمتكم وليكن لطلاب المعاهد الدينية حياة أسعد من هذه وأرقى منها بتنوع شهاداتهم مع انهم منسوبون للدين فمن أخذ الشهادة بالطب لا يكون أقل ممن أخذها بالفقه لأنهما درسا معا هذا الفن ولكن أحدهما اختص بالطب والآخر استمر بحسب استعداده في الفقه وكذا الهندسة وأمثالها ويكون تخصيصهم بحسب استعدادهم في الامتحان التحريري بالأكثر

ثم ينظر أهل الحل والعقد والأمراء في مختلف البلدان في الأوقاف الاسلامية وتنظم نظاما تاما فلا تبقى مبعثرة كما هي الآن . ويحرم الانفاق على العاطلين القادرين على العمل بل توجه لما هو أصلح لرفق الأمة واستخراج ما كمن من القوى والقدر في نفوس الناشئين

﴿ تبيان معنى التفقه في الدين ﴾

ولما أتممت هنا كتابة هذه المقالات في جريدة (كوكب الشرق) على الملاء من علماء الاسلام واطلع عليها الأخ المتقدم ذكره قال حسن ما كتبت ولكن هل هذه الآية تحتاج الى هذه المقالات كلها . يقول الله تعالى - وما كان المؤمنون لينفروا كافة - ثم أمرهم أن يكونوا ﴿فريقين﴾ فريق للجهاد . وفريق

للتفقه في الدين . فهل التفقه في الدين هو هذا الذي ذكرته كله . فقلت اعلم أن تقسيم الأعمال على الناس مأخوذ من هذه الآية بطريق الاستنتاج والقياس وإن أبيت إلا أن يكون بطريق النص ففكر في معنى التفقه في الدين . فقال علم الفقه معروف . فقلت إن القرآن نزل على نبينا العربي ﷺ بلسان عربي مبين فأما هذا المعنى الذي ذكرته أنت فهو اصطلاحى والاصطلاحى غير اللغوى فالقرآن لم ينزل على قلوب علماء الفقه الاصطلاحى بل أنزل قبل وجودهم فستحيل أن يكون الفقه المعروف هو المقصود . فقال ما معنى الفقه في اللغة بالتحديد . فقلت قال في القاموس المحيط الفقه بالكسر العلم بالشئ والفهم له والفطنة . ثم قال وفقهه كعلمه كتفقته وفقهه تفقيها علمه كأفقهه وفاقه باحثه في العلم اه

فاذن الفقه هو نفس العلم وقد يلاحظ فيه الفطنة فيكون من فقه الشئ أدق واوفى علما من غيره فقوله تعالى - ليتفقها في الدين - اما المراد العلم به واما المراد العلم الأتم مع الفطنة وهذا المعنى ليس خاصا بالأحكام الشرعية . فالعلم الذي يورث خشية الله والخوف منه فقه . والذي به الوعظ فقه . وتدبر القرآن فقه . وعدنم الله فقه . والعلم الذي به الورع والعفة فقه والعلم بالله وآياته وأفعاله في عبادته فقه لأن العلم والفقه بمعنى واحد كما عرفت . قال إذن كل ماعليه المسلمون خطأ وأنت بهذا تخطى أمة بتامها وهذا لا يترك عليه أحده فقلت لم أقل هذا بل لا يخطر لجاهل . قال ألم تعلم أن علم الفقه خاص بهذا الذي دونوه ولم يقل منهم أحد بما ذكرته أنت . فقلت هذا كما قلته لك اصطلاح والاصطلاح غير اللغة ولا مشاحة في الاصطلاح والا فالآية تعطى هذه المعاني التي ذكرتها لك . فقال لأن تخلص بهذا القول فلن نفر مما بعده . قلت وما هو . قال وهل جميع العلماء السابقين كانوا في غفلة فلم يقولوا ما قلته أنت . إن هذا لعجب عجاب . فقلت أنا لست مخترعا لهذه المعاني بل هي نفس ما قاله الامام الغزالي في الاحياء . فقال اذكر ما قاله بالنص . فقلت قال في الربع الأول مانصه

﴿ بيان ما بدل من ألفاظ العلوم ﴾

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسماء المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة الى معان غير ما أراده السلف وهي خمسة ألفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة . فهذه أسماء محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الأسماء عليهم

﴿ اللفظ الأول . الفقه ﴾

فقد تصرّفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه . ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل - ليتفقها في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون - وهي الآية التي نحن بصدد الكلام عليها . ثم قال وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تعريفات الطلاق والعنق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له وقال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها وأراد به معاني الايمان دون الفتاوى . ولعمري إن الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد وانما نتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى - لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله - الآية فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه . فانظر أكان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتعريفات

الفتاوى أو هو نتيجة عدم ماذكرناه من العلوم * وقال عليه السلام (علماء حكما فقهاء) للذين وفدوا عليه * وسئل سعد بن إبراهيم الزهرى رحمه الله أى أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله تعالى . فكأنه أشار إلى ثمرة العلم الباطنى دون الفتاوى والأقضية * وقال عليه السلام (ألا أنبشكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله . ولم يؤمنهم من مكر الله . ولم يؤيسهم من روح الله . ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ماسواه)

ولما روى أنس بن مالك قوله عليه السلام (لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب . قال فالتفت إلى زيد الرقاش وزيد النمرى وقال لم تكن مجالس الذكركم مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا وإنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه فى الدين ونعد نعم الله علينا تفقها) فسمى تدبر القرآن وعدد النعم تفقها * قال عليه السلام (لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة) وروى أيضا موقوفا على أبى الدرداء رضى الله عنه مع قوله (ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا) وقد سأل فرقد السبخى الحسن عن شئ فأجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رحمه الله ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا . الراغب فى الآخرة . البصير بدينه . المداوم على عبادة ربه . الورع . الكافى فقه عن أعراض المسلمين . العفيف عن أموالهم . الناصح لجماعتهم ولم يقبل فى جميع ذلك . الحافظ لفروع الفتاوى) ولست أقول أن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى فى الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستنباع فكان اطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تليس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع . انتهى ما قاله الامام الغزالى

فأفهم هذا المعنى أن الفقه يشمل (أمرين) أحدهما تعداد نعم الله وهى العلوم كلها التى تدرس فى مدارس أهل الأرض اليوم وعلوم تهذيب النفس الذى سماه علم الباطن (وبعبارة أخرى) علم النفس وعلم الآفاق . هذا هو ما يطلق عليه الفقه . وفى هذا التفسير الاهتمام أكثر بعلم الآفاق الذى هو تعداد النعم وبه خشية الله تعالى كما قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - بعد ذكر ألوان الجبال والثمار والناس والدواب والأنعام . فقال صاحبى قد ذكرت كلام الامام الغزالى فى الفقه . فماذا قال فى العلم . قلت قال انه يطلق على العلم بالله وبآياته وبأفعاله فى عباده وخلقه . وذكر أن هذا تسعة أعشار العلم التى كان يحملها عمر رضى الله عنه قال ثم خصصوه بالفقه ونحوه كسابقه وقال ان ذلك صار سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم . وجعل التوحيد أن يرى الانسان الامور كلها من الله تعالى فيترك الانسان شكاية الخلق ويرضى ويترك الغضب ولا يتبع الهوى لئلا يكون تاركا للتوحيد . ويرجع التوحيد لظواهر القرآن التى تتسابق للأذهان فكان العلم بالقرآن هو العلم كله * وقال فى الذكر والتذكير انهما يرجعان لمعرفة عيوب النفس وحقارة الدنيا والتذكير بنعم الله تعالى وتقصير العبد فى الشكر . وقال فى الحكمة نحو ذلك . ثم قلت له فهل أدلك على ملخص ذلك كله . قال نعم . قلت هو مجمل فى سورة الفاتحة مفصلا فى القرآن ان العلم والفقه والتذكير والتوحيد والحكمة يرجع أغلبها إلى (أمرين) كما قدمناه وأولها علم نعم الله وهى العلوم كلها من الطبيعيات والرياضيات وهى التى يعرف بها جلال الله تعالى (ثانيهما) معرفة جلال الباطن وسلوك النفس . فهما اختلفت العبارات فالمرجع لجمال أنفسنا بالصفاء وتهذيبها حتى تقبل معرفة العلوم التى ملأت

الكرة الأرضية اليوم وهذان الأمران مذكوران في الفاتحة ﴿ الأمر الأول ﴾ أن الفاتحة فيها ذكر الحمد على نعمة تربية هذا العالم كله والعلوم كلها هي معرفة هذه الدنيا ولا يتم الحمد إلا بمعرفة النعمة ولذلك صرح بها فقال - صراط الدين أنعمت عليهم - والانعام هنا يرجع الى نعمة العلم والعمل لأن المنعم عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون . وهؤلاء نعمهم علمية عملية والا فالبهائم والجهال والمعصاة منهم عليهم بلا علم ولا عمل . فأنه لما ذكر الحمد أتبعه بذكر النعمة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن يدرك المرء هذه النعم ويعرفها وذلك بالعلوم كلها ﴿ الأمر الثاني ﴾ لتهديب الباطن وتطهير النفس وهو المقصود من هداية الصراط المستقيم . هذا هو إجمال معنى التفقه في الدين في آيتنا التي نحن بصدد الكلام عليها

﴿ تفصيل هذين الأمرين في سور القرآن ﴾

ثم قلت اعلم أن هذا المجمل في سورة الفاتحة فصله الله في القرآن فأنزل نحو ٧٥٠ آية في معرفة العوالم المحيطة بنا في السموات والأرض . وذكر بنحو عددها أيضا آيات لأجل تهذيب النفس وعلم السلوك والتطهير وآيات القسمين المذكورتين بنصها في كتاب ﴿ جواهر القرآن ﴾ للإمام الغزالي . ثم اعلم أن هذا التفسير قد قام ببيان أهم ما ذكرناه الآن بفضل الله تعالى . ولقد ظهر فيه أن بقية آي القرآن تنحو هذا المنحى فانك اذا نظرت الى القصص التي لم تدخل في تهذيب نفس ولا ترغيب في علم قد رجعت الى هذين الأمرين كما تطلع عليه في هذا التفسير بإيضاح فآيات القرآن كلها ترجع لتهديب النفس وتعليم العلوم الكونية وهما الأمران المذكوران في الفاتحة وهذا كله يسمى تفقه في الدين ويسمى علما ويسمى بعضه توحيدا ووعظا وتذكيرا وحكمة . ثم قلت له فتبين لك أيها الفاضل أن لفظ التفقه في الدين تشمل العلوم التي بها نعرف الله والعلوم التي تهذب بها نفوسنا . فأما ما عدا ذلك من الصناعات المنتشرة في الأرض فانها تسمى فروع كفايات وهي تعين على الأمرين المذكورين . فلما سمع ذلك قال لقد استوفيت المعاني استيفاء ولكن نقلك كلام الامام الغزالي فيه اعتراض . فقلت قل ما بدا لك . فقال أكثر أحاديثه ضعيفة . فقلت انما طلبت مني ما يأتي . هل قال هذه المعاني أحد . فقلت لك نعم وذكرت ذلك . أما ضعف الأحاديث فليس يضرني لأنه يقول المعاني الشائعة عند الصدر الأول فضعف الحديث ليس ينقض موضوعنا . قال حسن . ثم قال لماذا لم تنشر هذا بين الأناس وتبين كيف يعلم المسلمون هذا في مدارسهم حتى يتفقهوا في الدين . فقلت أما النشر فان هذا التفسير قد قام به على مقدار طاقتي وهذا هو الممكن لي . فقال فلتكتب في الجرائد . قلت قد كتبت بضع عشرة مقالة في جريدة ﴿ كوكب الشرق ﴾ في نحو هذا المعنى بعنوان ﴿ خطاب الى الأم الإسلامية ﴾ وقد أدرجت منها فيما تقدم المقالة السابعة . وسأذكر هنا المقالة الرابعة المنشورة يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٧ م الموافق ٢٩ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤ هجرية وهذا نصها

﴿ من هم الأولى أن يسموا علماء الاسلام ﴾

قال الله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور -

يخاطب الله كل عاقل مقرر له أنه أنزل من السماء ماء ومن هذا الماء خلق الله الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح . وذكر أن الجبال بها طرائق مختلفة الألوان كالخلاف ألوان الأثمار . من طرائق بيض وأخرى حر وثلاثة سود شديدة السواد . وهكذا الدواب من الخيل والبغال والخيول والأنعام من الابل والبقر والغنم . كل هذه مختلفات الألوان كالثمار والجبال . ثم قال بعدها - انما يخشى الله من

عبادة العلماء - فباليت شعري أى علماء يخشون الله • أعلماء الطهارة والنجاسة والبيوع والميراث • أم العلماء الناظرون فى ملكوت السموات والأرض الذين آتاهم الله الحكمة • وتفكروا فى خلق السموات والأرض تفكيراً مبنيّاً على براهين ثابتة فى علم الحكمة

ألا قبح الله الجهل والغرور • ألا قاتل الله الكبرياء • لقد صرف الله المتكبرين عن آياته فقال - سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق • وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الحق يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا غافلين - يقول الله فى القرآن - إنما يخشى الله من عباده العلماء - بعد ذكره عجائب الأرض والسموات فيقول بعض الزعماء فى الاسلام العلماء أى بالفقهاء ويكتفون من التوحيد بتلك الكتب التى وضعت للرد على قوم كانوا ضالين

أيها المسلمون انى أنصحكم أن علم التوحيد هو جميع العلوم من الفلك وعلم النبات والحيوان والانسان وطبقات الأرض وجميع ما خلق الله • يقول الله - أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ - يوجه الناس على تقاعسهم ووقوفهم عن النظر فيما خلق الله فى السموات والأرض • يسمى الله هذه الطائفة المفكرة فى بديع صنعه علماء وانهم يخشون الله

ولعمري لا يخشى هؤلاء الناظرون الله إلا اذا كانوا ينظرون من طريق الدين • فالدين الاسلامى يحترس على النظر • ومن فكر فى هذه العجائب التى خلقها الله فانه يحس فى نفسه لله بالعظمة التامة والحب العظيم وهناك ينبغ فى الاسلام - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة - هؤلاء هم العلماء الذين اذا كثروا فى أمة الاسلام أضأت بهم الأرض وازينت وأشرق بنور ربها

أيها المسلمون • أليس هذا كلام ربنا • أفليس هذا قول الله تعالى • يقول الله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين - (بكسر اللام) جعل فى خلق السموات والأرض واختلاف اللغات والألوان دلالات للعلماء لا للجهلاء وأى علماء هؤلاء • أهـ علماء الفقه أم علماء الجدل المسمى بالتوحيد • لا • لا هو العلم بالفلك وعلم الموالبد الثلاثة من معدن ونبات وحيوان وعلم طبقات الأرض وفروعها

إن علم الفلك ليس يكون إلا بعد علم الحساب والهندسة والجبر فهذه العلوم لا يتم علم الفلك إلا بها وهكذا علوم عجائب الخلق فى الحيوان والنبات والانسان لا تتم إلا بالعلوم الرياضية أيضاً والعلوم كلها شجرة واحدة أصلها ثابت فى القرآن وفروعها فى جميع أعمال الحياة وعنان السماء وأطراف هذه الدنيا

العلوم كلها متصلة متحدة متألقة فمن عطل بعضها حرم الجميع ولم ينل إلا ظواهرها • فباليت شعري ألم يقرأ علماء الاسلام قوله تعالى - وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - ابتداء الآية بجملة اسمية تفيد التأكيد وجعل تسخير البحر لنا وجعل فوائده ﴿أربعا﴾ أكل لحم السمك منه • واستخراج الدر والمرجان ليكونا حلية منه • وأن الفلك تجرى فيه بين أوروبا وأفريقيا وآسيا وأمريكا وأستراليا • يقول العلماء اننا نستفيد بذلك التجارة وتبادل المنافع فى الأقطار المختلفة • هذه عناية الله بخلقهم ورجته بهم وتكريمه لبنى آدم • كرم الله بنى آدم فخلعهم فى البر بالسواب والقطر • وفى البحر بالسفن ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من خلقه • فالله جعل من تكريم بنى آدم فخلعهم فى البر والبحر المذكور فى هذه الآية آية تسخير البحر فقد سخر لتجري السفن فيه بأمره وهى تحملنا وتحمل بضائعنا • هذه بعض عناية الله بالأمر ولكن المسلم لما كرمه الله بهذه وأباح له استخراج الدر والمرجان من البحر ولى بجانبه

وأعرض عن نعمة ربه وقال مالى وللدر والمرجان ومالى وللسفن فى البحار فلتصنع السفن ألمانيا وأمريكا وفرنسا ولتحميلنا عليها اذا سافرنا . أما الدر والمرجان فهما لافائدة فيهما فنقول أيها المسلم . أيها العاقل . أيها الفقيه . أنظر بعقلك أولا وانظر فى الآية ألم يفتح الله لك خزائنه البحرية . ألم يقل لك هاهو مرجاني فى البحر فلك أن تستخرجه . فيقول فقيهم وهو متكبر محتقر أى فائدة من هذه . أليس المرجان خزات تنظمها النساء يجعلن زينة وأى فائدة فى هذه . تقول له اقرأ علوم الأمم الحاضرة . اطلع على كتب الأمم العظيمة وانها دخلت فى قوله تعالى - فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن - فاذا استهزأت بهذا وأمثاله اتبعك الشبان وهم الذين يصيرون قادة فتكون عقولهم كعقلك فيموت العرب وبقية أمة الاسلام وذلك من كبرك وعظمتك والله يقول - فبئس مثوى المتكبرين - ويقول - بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه - ويقول - كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا - فالاستهزاء والتكبر سبب خراب بلاد الاسلام الآن

فر بما يجيبك بعد هذه الكبرياء ويقول لك حدثني عن منافع هذا المرجان . اذا قال لك ذلك فقل له ان المرجان عبارة عن هياكل حيوية ترسب فى أبدان حيوانات دنيئة جدا شكلها كشكل الأزهار ذات ألوان مختلفة كاختلاف أزهار الأرض نظاما وبهجة وهي أجمل منها بما لا يقاس وهو يوجد حول جزائر بحر الروم فى قاع البحر من ٣٠ قامة الى ١٣٠ قامة وهو أشبه بشجر قائم فى البحر لا يزيد ارتفاعه عن قدم وأمه يكون أمام تونس والجزائر ومراكش وبقر نابولي وجنوى وسردينيا وكورسكا

أندرى من يغوص على هذا المرجان . يغوص عليه الفرنجة وهو ينفو فى عشرين وكل سنة يغوصون على قسم منها فى بعض السنين كانت الزوارق الايطالية ١٥٠٠ زورقا وفيها ٤٢٠٠ نوتى وكسبوا فى تلك السنة أربعة ملايين ومائتى ألف فرنك والفرنسيون والاسبانيون فى تلك السنة كسبوا مليوناً وخمسة وخمسين ألف فرنك . أليست تونس والجزائر ومراكش بلادا اسلامية . يأخذ الاوروبيون المرجان من بحرهم وهم لا يعلمون شيئا . وياليت شعري أليس الله يقول فى آخر الآية - ولعلكم تشكرون - وكيف يشكر المسلم على نعمة لم يعرفها . نعمة فتحت لأهل أوروبا بسبب علمائهم وأقفلت على المسلمين بسبب جهل بعض رجال دينهم ألساء مثلا القوم المتكبرون الغافلون

إن الله سيسأل كل من يقرأ هذا المقال من العقلاء فى الاسلام ولا يفكر فيه ولا يجتدى فى البحث والتنقيب لأن هذا فتح لباب الفكر فى آيات القرآن كلها - والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - فلما سمع ذلك صاحى قال عرفت نوع الكتابة للعموم فى هذا المعنى فأرجو أن تنى بما وعدت به من كيفية التعليم فى مدارس الاسلام لبلوغ السعادة حتى يتفقه الناس فى الدين . فقلت قد علمت فيما سبق أن النظر فى عجائب السموات والأرض هو العلم الواجب شرعا فأرى أن يبتدأ فى القسم الابتدائى فى المعاهد الدينية فى بلاد الاسلام بمجموعة من المعادن والنبات والحيوان ويذكر فيها نبذ من تلك العجائب والحكم الغالية بحيث تكون سهلة التناول كأن يذكر الدر والمرجان ويبين مثلا أن أنفس الزينة وهو الجوهر من حيوان بحرى وهو المحار . وأن ألد الأطعمة من حشرة فى البر وهي النحلة الطائرة فى الهواء . وأن أجمل ما يلبسه الناس من صنع دودة فى الأرض وهو الحرير فيقول المعلم مثلا . أنظر كيف جعل الله عز وجل أجمل ريتنا وألد مطعومنا وأبهج ملبوسنا مصنوعات بدواب البحر والأرض والهواء . وهذه الصناعات من أضعف الحيوانات فى الممالك الثلاثة الماء والتراب والهواء ويكثر من أمثال هذا وتكون جميع الدروس على هذا النمط ويسير على هذا المنوال ويذكر آية من القرآن ويترك الطالب يستنتج ويؤمن بالله ويفرح به بهذا وحده يتربى الشعب الاسلامى وبهذا وأمثاله يخرج نابغون وهذا هو الذى جاء له القرآن ثم يسير مع

الطالب في كل المعادن من الحديد والنحاس والقصدير والذهب وغيرها مبينا فوائدها معظما خانقها مظهرها حكمته وبدائع صنعه فيذكر قوله تعالى مثلاً في الحديد - وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس - ولا يكثر من الأعراب ولا صنعة الكلام بل يقول انظر الى هذه القطعة من الحديد وهو المسمى بالزهر وهذه تسمى بالحديد المطاوع وهذه تسمى بالحديد الصلب وانظر الفرق بين الحديد الزهر والحديد الصلب الأتري أن الصلب يقبل الطرق والسحب والزهر ليس كذلك . وترى الصلب يقبل القوة المغناطيسية أما الزهر فليس كذلك لأن الصلب نقي مما يداخله والأول مخلوط بأشياء غريبة عنه ثم يقول وهذا التنوع في الحديد لفوائده ويشرحها ويذكر أنه من الجبال وكيف خزن فيها وكيف كان بمقدار الحاجة وكيف هدى الله الناس لاستخراجها وكيف كانوا قبل ذلك لا يعمل لهم إلا بالحجر أو نحوه . ثم ينتقل الى مجموعة من علم النبات ويشرح الزهر وجماله وكيف يكون الالتحاق في زهر الحقائق والمزارع . ويبين كيف كان الريح والحشرات مسخرات لذلك الالتحاق وأن ذلك من عجائب القرآن إذ قال تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح الخ - وهكذا يريه عجائب الحيوان البري والبحري كالحوت المسمى (بالقيطس) الذي يكون طوله عظيماً ورأسه فيه الزيت المسمى (بزيت الحوت) وهو عشرات من البراميل فيتعجب الطالب من حكمة ربه وغير ذلك من العجائب . وهذا العلم هو المسمى علم الأشياء كان يدرس في مدارس مصر قبل الاحتلال وفي أوائله ثم رفع بعد ذلك ورجع اليها الآن

هذا في القسم الأول في المعاهد الدينية . أما في الثانوي فيقرؤون نفس علم النبات وعلم المعدن وعلم الحيوان والنظام العام في علم الفلك حتى يشهد الطالب عجائب الابداع والتكوين ويتأمل كيف تطلع الشمس وتغرب بمواعيد محددة لا تخس ثانية واحدة ليفهم قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - ويفهم أيضاً قوله تعالى - الشمس والقمر بحسبان - ولا يعرف الطالب ذلك إلا اذا أخذ نموذجاً سهلاً جداً من الحساب وقرأ نظام الكواكب السيارة والثوابت وعددها وانها مئات الملايين وفهم أقدارها وأبعادها الذي يعد بمئات الآلاف من السنين يسير الضوء . هنالك يظهر في الاسلام - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - وكيف تلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر الله وهم يشهدون صنعه وآثار جماله وحكمته وبدائع صنعه في النجوم والقمر والشمس والزهر والبر والبحر . فاذا انتقل الطالب للقسم العالي في المعاهد الدينية فليخصص بعلم من العلوم العالية التي هي فرض كفاية كالعلوم العربية أو الفقه وأصوله أو التفسير والحديث مثلاً كالهندسة أو علم النبات والحيوان أو علم الكيمياء والطبيعة أو علم الطب أو البيطرة . كل هذه يطلبها الدين بصفة انها فرض كفاية وعلى أولياء الامور أن يجعلوا القسم العالي للاختصاص ويجعلوا العلوم موزعة على قدر الحاجة فلا يظفي الفقه على الهندسة ولا علم الطب على العلوم الرياضية . وكما يجب أن يعتمد المرء في أحواله فيربي القوى التي في نفسه تربية متساوية فلا الذاكرة تظفي على المفكرة ولا المفكرة على الخيلة . هكذا يجب أن يكون أفراد الأمة متعلمين بقدر الحاجة اليهم

هذا هو الصراط المستقيم - والله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب - اهـ

ولما أتممت هذا المقال قال صاحبي المتقدم من أهل العلم والصلاح لما اطلع عليه . لقد أجدت كل الاجادة وفتحت باباً واسعاً لرقى الأمم الاسلامية في المستقبل . ولكنني أريد أن أسألك . هل كانت الأمم المحمدية نائمة عما تذكره أنت الآن . فقلت كيف تقول عما أذكره أنا الآن . ألم تقرأ ما تقدم في سورة المائدة عند قوله تعالى - فبعث الله غراباً يبحث في الأرض - واني ذكرت هناك كلام الامام الغزالي في أن فروض الكفايات تشمل أعلى الامور الدنيوية كالسياسة وأوسطها كالحياكة وأدناها كالزبالة والكناسة

فالحرف كلها والعلوم كلها فروض كفايات . إذن ليس هذا الرأي حديثا . وأذكر لك أيضا الآن ما جاء في كتاب **(جمع الجوامع)** للإمام ابن السبكي وشرحه للجلال المحلى فقد قال ان فرض الكفاية مهم يقصد حصوله من غير نظر بالذات الى فاعله وزعمه الاستاذ أبو اسحق الأسفراينى وإمام الحرمين والشيخ أبو محمد الجوينى أفضل من فرض العين لأنه يسان بقيام البعض به الكافى فى الخروج عن عهده جميع المكلفين عن الأثم المرتب على تركهم له وفرض العين إنما يسان بالقيام به عن الأثم القائم به فقط

هذا نص كلام المتن والشارح . فاذن فرض الكفاية عند هؤلاء الأعلام وان خالفوا غيرهم أفضل من فرض العين . فاذن يكون الملوك المنظمون للأثم أفضل من العلماء الذين قاموا بأمور العبادات . وعلى ذلك جاء فى بعض كلام علمائنا **(أيهما أفضل العالم أم الملك)** فكان الجواب هكذا **(من كان أثره للناس أكثر انتشارا فإنه أفضل)** فلما سمع ذلك قال هذا كلام العلماء ولكنى أريد العمل فهل قام المسلمون قديما بفرض الكفايات . فقلت إن المسلمين هم الذين بعثهم الله نورا للناس كما بعث نبينا **(ﷺ)** نورا لنا فقال هذه عبارات شائعة على الألسنة وقد عودتنا أن يكون كلامك مبرهنا عليه . ومن ذا الذى يوافقك على أننا بعثنا لرقى الناس مع أننا اليوم أقل الأمم علما وعملا . فقلت نحن اليوم كما تقول ولكن أسلافنا كانوا كذلك . فقال هذه دعوى لا دليل عليها . فقلت قال الله تعالى لرسوله **(ﷺ)** - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - فلم يجعله رحمة للمسلمين وحدهم بل جعله - رحمة للعالمين - . وليس يمكن أن يرحم **(ﷺ)** الفرنجة مثلا وأهل أمريكا واليابان والصين إلا بواسطة أمته . قال هذا اغراق منك فى القول ورجوع عن طريق التحقيق الى الخيال فاما أن تقول هذا كلام سماعى فحسب واما أن تأتى بقول يقنع الناس قاطبة . فقلت له سأسمعك الساعة ما يقنع الناس قاطبة وأقدم قبله مقدمة فأقول

إن الله عز وجل يقول فى آخر هذه السورة - لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الخ - فله حرصه **(ﷺ)** أنذرهم بالقرآن وخوفهم العاقبة فقرأوا علوم الأمم وأفادوا أهل أوروبا وأهل أوروبا أفادوا العالم بعد ذلك . ثم قلت وهل يقنعك فى ذلك شهادة علماء أوروبا . قال نعم . قلت هاك ماقاله العلامة (سيدىو) أحد مشاهير علماء فرنسا المولود بباريس فى ٢٣ يونيو سنة ١٨٠٨ م الموافقة ١٢٢٣ هجرية فقد جمع فى عشرين سنة تاريخا فى سفر من مؤلفات من يوثق بهم من العرب والفرنج ونشره فى أوروبا فتحول الناس هناك عما رسخ فى أذهانهم وأخذوا يقتدون العربية وعلماء العرب حق قدرهم وظهر فضل العرب لدى الفرنج وأنشأوا فى ممالكهم مدارس لتعلم اللغة العربية وأخذوا يسارعون الى حيازة الكتب العربية ويبدلون فيها النفيس . ولم يقتصروا على ذلك بل رغبوا فى حوز صور مبانهم وجميع ما كان لهم من الزينة ونحوها وآلات الملاهى وغير ذلك . ولذا أخذ السياحون يجوبون البلاد الدانية والقاصية ليعثروا على ذلك غير مباليين بما يلقون من المشاق الهائلة فحصلوا على ما فى بيوت التحف والآثار من الأمثلة المتنوعة بقدر تنوع الحرف والبضائع وعلى ما فى خزائهم من الكتب التى هى فى جميع ما كتبه الانسان من هزل وجد . هذا هو نص ما قاله أستاذنا منشئ مدرسة دار العلوم قبل اليوم بخمسين سنة المرحوم على مبارك باشا فى مقدمة ترجمته لهذا الكتاب من الفرنسية الى العربية . وهاك مقدمة الكتاب للمؤلف المذكور الذى هو المقصود الذى به تعرف أيها الفاضل بأن العلوم والصناعات التى هى فروض كفايات لولا آباؤنا من الأمة المحمدية لكان العالم كله اليوم فى ظلام

قال العلامة سيدىو المذكور **(ﷺ)** ما زلت منذ نيف وعشرين سنة أبين ما للعرب من توسيع نطاق العلوم والتقدم فى القرون التى بين عصر يونان اسكندرية مصر وأعصر الدول الحديثة الافرنجية ورأيت أن أذكر بمجل أخبار هذه الأمة المحترمة لدى الفرنج من أمد بعيد وأن أضاهى ما جمعت به بما أذاعه غيرى لا كون أول

من دؤن تاريخنا عاما في أخبار العرب وهو ميدان عام واسع المجال ربما كان فوق طاقة الواحد من الرجال ثم أخذ يمدح الأمة العربية بجميل أخلاقها واستقلالها الى أن قال . ثم أتى النبي ﷺ فربط علائق الموادة بين قبائل بحيث جزيرة العرب ووجه أفكارها الى مقصد واحد فعلا شأنها حتى امتدت سلطنتها من نهر التاج المارّ بإسبانيا وبرتغال الى نهر (الكنج) أعظم أنهار الهندستان . وانتشر نور العلوم والتمدن بالشرق والمغرب وأهل أوروبا إذ ذاك في ظلمة جهل القرون المتوسطة وكأنهم نسوا نسيانا كلياً ما وصل اليهم من أحاديث اليونان والرومان . واجتهد العباسية ببغداد والأموية بقرطبة والفاطمية بالقاهرة في تقديم الفنون ثم تمزقت ممالكهم وفقدوا شوكتهم السياسية فاقترضوا على السلطة الدينية التي استمرت لهم في سائر أرجاء ممالكهم . وكان لديهم من المعلومات والصنائع والاستكشافات ما استفادوا منها نصارى إسبانيا حين طردوهم منها كما أن الأتراك والمغول بعد تغلبهم على ممالك آسيا استفادوا معارف من تغلبوا عليهم وأدوا اليهم مراتب ولما انحصر العرب في (بحيث) جزيرتهم وصحارى أفريقيا عادوا الى عيشتهم البدوية مستقلين عمن عداهم حتى ألزمتهم الدولة العثمانية الانقياد وأججفت بهم فانقادوا منتظرين فرصة أراد الوهاية انتهازها في غرة هذا القرن التاسع عشر من الميلاد لعق رقاب الأمة العربية من تسلط الأجانب عليهم فلم ينجحوا ولبشوا مستعدين للعصيان بإشارة من كبارهم ولا مانع من حصول ذلك في ممالك تونس ومراكش وكذا الجزائر التي حكمتها فرنسا فان جيعهم على غاية من الاستعداد لاجابة رؤسائهم . وهنا ذكر المؤرخين من الفرنجة قبله مثل (بوكوك) و (شولتنس) وغيرهما الى أن قال . والمستمدات الأصلية المشتملة على سير العرب لم تزل الى الآن كنوزا مغلقة فانا معشر الفرنج وان وقفنا على حقيقة تواريخ أبي الفداء وأبي الفرج والمسيكين النصراني المعروف بين أهل المشرق بابن العميد . لكن ليس عندنا الآن إلا تراجم قطع من تواريخ ابن خلدون والمقرئى وابن الأثير وتواريخ كثير من المؤرخين من العرب والفرس . ولعلنا نحوز جيعها مترجما باللغة الفرنسية ومع ذلك يكفينا ما لدينا من تواريخ السلف في ضبط الحكايات الكاذبة وتحقيق الحق فيها بل نقدر بها على فهم ما كان عليه النبي ﷺ غير مغترين بما اعتاده المؤلفون من ستر خلقه الباطني كالقائل إنه كان رجلا مجذوبا محتالا طماعا يتعذر حصره هوائه . والقائل انه كان ذا قريحة لانظير لها وانه من نوادر الوجود التي يحدثها الله لاصلاح الدنيا فان هذين القولين لا يلتفت اليهما بل يجب رفضهما . والمعول عليه في وصفه ﷺ ما قاله العلامة (أولسنير) فانه فهم حقيقة الرسول وحكم دين الاسلام على جميع الممالك التي انتشر فيها على ما قاله في تذكرته التي وقعت موقع القبول سنة ١٨٠٩ ميلادية لاشتمالها على المأمول لدى أرباب مدرسة العلماء المستقلين بالعناوين والكتابات على الآثار القديمة ثم بالعلوم الأدبية

وأما تواريخ الخلفاء الراشدين وكذا الأموية في دمشق وقرطبة والعباسية ببغداد والفاطمية بمصر ووصف تمزيق الممالك الاسلامية الشرقية التي أغار عليها الأتراك ثم المغول فدونها الفرنج تدوينا حسنا وأضفنا اليها ما تركوه من أصولها وهو وصف التمدن العربي الذي تمكنت أصوله في آفاق الدنيا القديمة أقوى تمكن . ولا نزال الى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مستمد مبادئ ما نحن عليه من المعلومات الاوروبوية فان العرب في غاية القرن الثامن بعد الميلاد فقدوا الحية الحربية وشغفوا بحوز المعارف حتى أخذت عما قليل مدائن قرطبة وطليطلة والقاهرة وفاس ومراكش والرقه وأصفهان وسمرقند تفاخر ببغداد في حيازة العلوم والمعارف وقرى ما ترجم الى العربية من كتب اليونان في المدارس الاسلامية وبذل العرب همهم في الاشتغال بجميع ما ابتكرته الأفهام البشرية من المعلومات والفنون وشهروا في غالب البلاد خصوصا البلاد النصرانية من أوروبا ابتكارات تدل على أنهم أئمتنا في المعارف . ولنا شاهدا صدق على دلو شأنهم الذي تجهله الفرنج من أزمان مديدة (الأول) ما أئرعنهم من تواريخ القرون المتوسطة وأخبار الرحل والأسفار وقواميس ما اشتهر

من الأمكنة والرجال والمجاميع الشاملة لكثير من الفنون الفاخرة (والثاني) ما كان لديهم من الصناعات الفاتحة والمباني الفاخرة والاستكشافات المهمة في الفنون وما أوسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبيعي والكيمياء الصحيحة والفلاحة والعلوم الصحيحة التي مارسوها بغاية النشاط من القرن التاسع الى القرن الخامس عشر من الميلاد (من سنة ٢٨٨ الى سنة ٩٠٧ هجرية) وزعم المؤلف (سليجل) سنة ١٨٣٢ ميلادية الموافقة سنة ١٢٤٨ هجرية أن الهنود والصينيين أعلم من العرب وأخبرائه سيقف على كنوز معارف هاتين الأمتين مع انه لم يحصل بعد دعواه بعشرين سنة أجل الفوائد الفلكية والرياضية والجغرافية إلا من الكتب العربية القديمة . نعم ألف الفرنج الباحثون عن الامور الهندية كتباً كثيرة لكن لم يحصل منها أدنى تقدم فيما هي بصدده كما أن الفرنج المستخرجين فوائد من تواريخ المملكة الصينية التي هي أقدم الدول لم ينجحوا إلا في اشهارهم الصينيين بأنهم أجهل أهل الأرض كالترك كما قاله المؤرخ أبو الفرج وأما المدرسة البغدادية المدونة للمعلومات التمدينية في الفترة التي بين عصر يونان الاسكندرانية والأعصر الأخيرة فكانت مساعدة على استيقاظ أهل أوروبا من رقدة الجهالة ونشر أنوار المعارف في جميع ممالك آسيا فقد انتشر علم العرب (الفلك) في الهندستان بواسطة العلامة البيروني المغمور بمكارم السلطان محمود الغزنوي حين انتقل اليها سنة ١٠١٦ ميلادية الموافقة لسنة ٤٠٧ هجرية كما نشره بين السلجوقيين العلامة عمر خيام سنة ١٠٧٦ ميلادية الموافقة لسنة ٤٦٩ هجرية وبين المغول العلامة نصير الدين الطوسي مؤسس الرصدخانه بمدينة المراغة سنة ١٢٦٠ ميلادية الموافقة لسنة ٦٥٩ هجرية وانتشر بين العثمانيين سنة ١٣٣٧ ميلادية الموافقة لسنة ٧٣٨ هجرية ونشره بين الصينيين العلامة (كوشيوكنغ) تلميذ الاستاذ جمال الدين سنة ١٢٨٠ ميلادية الموافقة سنة ٦٧٩ هجرية في عهد السلطان كوبلاي خان كبير عائلة الملوك اليوانية وشيد (أولوغ بغي) لعلم الفلك رصدخانه بسمرقند سنة ١٤٣٧ ميلادية الموافقة سنة ٨٤١ هجرية وانتهى اشتغال المشرقين بالعلوم والفنون عقب زمان (أولوغ بغي) ثم اطلع أهل الغرب من أوروبا على أسرار تلك العلوم فأخذوا يشتغلون بها حتى جددوا في البلاد الافرنجية التمدين واللغة العربية وفنونها الأدبية التي أخذت كل يوم في زيادة الانتشار بين الفرنج ومازلنا الى الآن نستكشف أموراً مهمة من الكتب العربية القديمة وان عزى ابتكارها زورا الى بعض المتأخرين من الفرنج . ولاشك أن فتح أمتنا الفرنسية ايلة الجزائر المغربية وكثرة علاقتها بمسلمي افريقية (ممالك المغرب) يزيد فيما اهتم به الفرنج المولعون باللغات والآثار المشرقية من البحث عن كتب المعلومات العربية التي لم يحسن سلف الفرنج ما فيها من جواهر المعارف الثمينة . وما أعظم اشتغالنا بتلخيص جميع تاريخ الأمة العربية التي ظهرت أخبارها أعجب مظهر وبهرت أنباؤها دون غيرها من التواريخ كل من قرأ وتبصر . ولذلك نلفت أبناء أوروبا على عمر الزمان الى تلك الآثار الجليلة التي خلفتها هذه الأمة هذا ما قاله المؤلف في المقدمة . ثم قال في صفحة ٢٣٥ عند الكلام على العلوم الطبيعية ما يأتي

باب في العلوم الطبيعية التي كانت عند العرب وفيه مقدمة وأربعة مباحث

(المقدمة)

قد اتسعت العلوم الطبيعية زمن اتساع العلوم الرياضية ولكن لانعرف عصر نشأتها لتسلسل التصورات في جميع الأشياء التي يحول العقل فيها . نعم الاشتغال بمعرفة حقائق الكائنات العالوية والسفلية وتفصيل ما يتعلق بها وضبط قياس الحركة والفضاء الذي تتم فيه بواسطة التأمل في الطبيعة حدث زمن أرسطاطاليس على أن ذلك البحث كان في الغالب متعلقاً بالأجسام العضوية وهي الحيوان والنبات ثم ارتقى ذلك زمن العرب الى درجة البحث عن القوى الطبيعية والجواهر الأولية التي تحلل لادخالها في مركبات أخرى لأنهم كانوا يسكنون بجزيرة العرب ما بين مدينة مسكات ومكة الذي به كثير من البهارات والصموغ البلسمية والجواهر

النافعة والضارة بالإنسان فالتفتوا الى مزايا ما بارضهم من النباتات النافعة في الطب والصنائع وزينة المعابد والقصور ومثلهم من في سواحل مالابار وسرنديب (سيلان) والسواحل الشرقية من قسم أفريقية فتحصل كل على مزية لم يعلمها الآخر إلا بواسطة تجارات أتت من مخزن (جرها) الذي بين الخليج الفارسي واليمن وجابت بحيث جزيرة العرب حتى بلغت كنعان والشام . وأما البحث عن الجواهر الطبية الذي مدحه ديوسقوريدس لأهل مدرسة الاسكندرية . فمن مخترعات العرب أنهم المنشئون للأجزاخانات الكيماوية والموروث عنهم ما يسمى الآن بقواعد تحضير الأدوية الذي انتشر بعد من مدرسة (سالرنه) في الممالك التي في جنوب أوروبا

﴿ البحث الأول في علم الكيمياء ﴾

قد أدّى انشاء الأجزاخانات والمادة الطبية اللتين هما أول ما يلزم لفن الطب الى الاشتغال بعلم الكيمياء الذي كان ابتداء العرب في التمدن مبدأ للاشتغال به وهو عبارة عن مجرد التحليل والتركيب لا تركيب الذهب والفضة المسمى بالكيمياء السرية والاكسير والحجر المكرم وقد أوصلت العمليات الهرمسية وهي تركيب اللاغم والمخلوطات المعدنية التي عملت في المعادن المطروقة الى أبدع الاستكشافات المعدنية وعرف تركيب الكبريتيك والماء العشر والماء الملكي وتحضير الزئبق وتخمين الجواهر الكؤلية وغير ذلك من مؤلفات أبي موسى جعفر الكوفي المشتهر في القرن الثامن من الميلاد والفخر الرازي المتوفى سنة ٩٢٣ من الميلاد

﴿ البحث الثاني في علم النباتات والمادة الطبية والاقتصاد الزراعي ﴾

لسعة اطلاع العرب على مزايا النباتات أدخلوا في الأدوية نباتات جهل اليونانيون خواصها كالراوند وشحم التمر الهندي وخيار شنبه وورق السنا الملكي والاهليلجيات والكافور وعرفوا أنواع الطيب الزكية بكوز الطيب والقرنفل وغرسوا عدة أشجار من ذوات الزهور المذكورة والمؤنثة وعرفوا ما يتعلق بخصب آلات الذكورة والانوثة ورأوا استعمالهم السكر في الطب أفضل من استعمال القدماء العسل فأدخلوه في مركبات كثيرة كشراب الورد وأشربة جلالية (بضم فشد) ومعاجين كثيرة واشتغلوا بعلم الجيولوجية وهو معرفة تركيب طبقات الأرض . وتسكلم ابن سينا في المادة الطبية على شجرة الارز المسماة (ديودفارة) النابتة في جبال (هيماليه) وجعلها نوعاً من الشجر المسمى (جونيبيريس) الداخل في تركيب زيت الترمينيا . وقد أنشأ عبد الرحمن الأول خليفة قرطبة بستان نباتات بقر بها وبعث الى الشام وغيره من الممالك الشرقية سياحين لجمع البذور النادرة وكان قد غرس بقرب قصره في الرصافة أول نخلة في قرطبة . وبالجلة بذل العرب صادق الهمة والعزيمة في تعلم وتعليم جميع فروع العلوم المتعلقة بالمولدات الطبيعية . ولذا أنصفهم المؤلف (ليل) في كتابه الجديد بما حكاه من اشتغالهم بعلم الجيولوجيا . ونقل (دساي) عدة فصول من كتاب القزويني المشهور باسم (يلين المشاركة) واشتهر حياة الحيوان للدميري الذي هو عند العرب بمنزلة (بوفون) عند الفرنج وبلغت العرب في علم الزراعة أقصى درج الكمال . وأحدثوا في اسبانيا السواقي ذات القواديس المعتادة الآن . وكان عندهم في الاقتصاد الزراعي معلومات شيت بأوهام فاسدة إلا أنهم كانوا يعرفون طرقاً عملية تستحق التفات الفلاحين اليها

﴿ البحث الثالث في علم الطب والمدرسة اليونانية العربية والفخر الرازي وابن سينا ﴾

أحضر ملوك الفرس الأكاسرة من ابتداء القرن الثالث بعد الميلاد العيسوي أطباء اليونان فنشروا في البلاد الشرقية آراء أبيقراط الطبية حتى سابت المدرسة التي بجنديسابور مدينة الاسكندرية أيام البطالسة ثم فتحت العرب البلاد فكان مركز التعليم (أنطاكية وحران) وظهر منهما أطباء جامعون في الغالب بين العلوم الرياضية والفلسفية عارفون باللغة اليونانية كالعربية التي ترجموا اليها كتب أرسطو واقليدس وبطليموس

منهم يحيى بن ماسويه طبيب هارون الرشيد ألف في الطب كثيرا من المؤلفات المعتبرة عند المشرقيين • منها شرحه المشتمل على ثلاثين كتابا • وكتاب في تحضير الأدوية • ورسائل في أسناف الحى والأغذية والزلات والحامات وأنواع الصداع والشقيقة وغير ذلك ترجم كثير من مؤلفاته الى العبرانية ويوجد بكتبخانات أوروبا كثير منها بالعبرانية والعربية • مات سنة ٨٥٥ ميلادية وله ثمانون سنة خلفه تلميذه حسين • وأخذ من المأمون على كل كتاب ترجمه من اليونانية الى العربية زنته ذهبا ترجم كتابي جالينوس وأبيقراط وغيرهما • وألف كتبا كثيرة في الطب والمنطق الفلسفي • واختبره المتوكل حيث سأله عن سم قاتل بمجرد تناوله فقال لا أعرف إلا الأدوية الحافظة للصحة فآخذها طبيبا وأغدق عليه • توفى سنة ٨٧٤ ميلادية • ومنهم جبرائيل المشتهر في علاج كثير من الأدواء • والفخر الرازي محمد بن زكريا قام بإدارة المستشفيات في بغداد والري وجنديسابور وهو أول من أحدث المسهلات اللطيفة في الأبخاخانات والتراكيب الكيماوية الطبية واستعمال الخزام وأول من ميز القصب الحنجري عن القصب الراجع الذي يكون أحيانا مضاعفا من جهة اليمين • وكان يرى أهمية التشريح في الطب الذي ألف فيه أكثر من مائة مؤلف منها كتاب ضخيم سماه (الحاوي في علم التداوي) ورسالة في الجدري والحصبة استمد منها سائر الأطباء وأهدى الى الأمير المنصور حاكم خراسان في القرن العاشر من الميلاد أحد أبناء العائلة السمانية عشرة كتب حسنة الترتيب والاسلوب طبعت في مدينة (ونديق البنادقة) سنة ١٥١٠ ميلادية وهي أول ما بحث فيه عن الخيرة عمى كبيرا فنع أن يعالجه من الأطباء إلا من عرف عدد أغشية العين وساح في الشام ومصر واسبانيا • توفى سنة ٩٣٢ ميلادية واشتهر بعده بنحو مئتين سنة على بن عباس الفارسي المجوسي ألف في الطب كتابا عشرين مجلدا • عشرة في قواعد الطب • وعشرة في عملياته سماه (الملكي) وأهداه الى السلطان عضد الدولة البويهى ترجمه الى اللاتينية اصطفان الانطاكي سنة ١١٢٧ ميلادية وطبعه ميخائيل كابلا سنة ١٥٢٣ في مدينة ليون بفرنسا ولم يكن في حكماء العرب مثل الفخر الرازي وأبي علي الحسين بن سينا المولود في (افشانه) من ضواحي شيراز سنة ٩٨٠ ميلادية كان والده حاكما على شيراز وتعلم هو الطب في بخارى وعالج وهو ابن ١٨ سنة الأمير نوح السمانى وشفى من مرض عظيم فتقدم عند الملوك السمانية ووعدده محمود الغزنوى الاغداق عليه ان أقام عنده فأبى ودام على التغرب في البلاد وأقام عند قابوس حاكم اقليم جرجان وجدد في ديوانه أعمال الطبيب اليونانى (ايراز ستراطس) وجدد له موطئا في مدينة الري حين كان ساطانها مجد الدولة ثم في مدينة همدان حين اختاره ملكها شمس الدولة أن يكون وزيرا وطيبا له ثم دعاه علاء الدولة للقيام بوظيفة الوزارة والطب بأصفهان ألف كتبا من أجل المؤلفات منها (القوانين) وهي خمسة كتب ترجمت وطبعت مرارا وكانت مؤلفاته ومؤلفات الرازي تدرس بمدارس أوروبا بنحو ستة قرون تقريبا • مات سنة ١٠٣٧ ميلادية

(المبحث الرابع في مدرسة اسبانيا وابن القاسم وابن زهر وابن رشد وغيرهم)

ظهر أيضا في مدرسة اسبانيا من الأطباء جمع منهم أبو القاسم خلف بن عباس المعروف عند الفرنج بالبوقاريس وضع علم الجراحة ووصف آلاتها وكيفية استعمالها وما يحصل في بعض الكيفيات من الأخطار وعين لاجراج الحصوة موضع البضع الذي عينه متأخرو الجراحين من الفرنج ولم تعرف مؤلفاته بين الفرنج إلا في القرن الخامس عشر من الميلاد • مات سنة ١١٠٧ ميلادية • وأبومروان بن عبد الملك بن زهر ولد في بلدة (بنافلور) أدخل في المادة الطبية عدة أدوية وأحدث في علم الجراحة فتح شعبي التنفس ووصف أمراضا لم تكن موصوفة قبل مثل المرض المعروف بالتهاب الحجاب المنصف للتامور المحيط بالقاب وتعين لردّ العظام المنقلة الى مواضعها وجبر المنكسر منها ترجمت كتبه الكبيرة الى اللاتينية غير مستوفاة الترجمة استخدم عند الأمير يوسف بن تشفين صاحب مراکش فأغدق عليه • ومن تلامذة ابن زهر أبو الوليد محمد بن

رشد اتبع أصول الفلسفة الأرسطاليسية . وألف رسالة في الترياق وكتابا في السموم وأنواع الحى وشرحا على كتاب أرسطاطاليس . وشرحا على قوانين ابن سينا . وكتابا ضخما مشهورا (بالكليات) طبع في مدينتي ونديق وليون وغيرها . وكان عبد الله بن أحمد بن علي البيطار أعلم الأطباء بعلم النباتات ساح في البلاد الشرقية زمنا طويلا وأكرمه السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبي والكامل صاحب دمشق اشتمل مجموعه المسمى (بالأدوية المفردة) المقسم أربعة أقسام على وصف جميع النباتات والأشجار والمعادن والحيوانات ذات الخواص الطبية . أصلح فيه غلطات ديوسقوريدس وجالينوس وأوريان . وبالجملة كان ملوك الشرق يدعون العلماء الى دواوينهم ويستقبلونهم بأنواع التشريف والأموال الجزيلة فكان منهم عدد لا يحصى حفظت أسماؤهم في التواريخ اشتهر منهم في الطب ثابت بن قرّة الطبيب الفلكي سنة ٨٥٠ ميلادية وأبو جعفر أحمد بن محمد الطالب الذي ألف سنة ٩٧٠ ميلادية في داء البرسام والسرسام وغيرها وعلى بن رضوان سنة ١٠٦٠ ميلادية وجزلة بن جزلة سنة ١١٠٠ وعبد الرزاق سنة ١١٥٠ وهبة الله سنة ١١٥٥ والجلدي الذي ألف سنة ١٢٥٢ كتابا في الحجر المكرم المسمى أيضا (بالكيمياء السرية والصنعة الالهية) وأبو الفرج سنة ١٢٨٦ واسحق بن ابراهيم سنة ١٣٠٠

(باب فيما كان عند العرب من الفلسفة والالهيّات والفقه والمعارف الأدبية ومخترعاتهم وفيه مباحث)
(المبحث الأوّل في عدم اقتصار العرب على شرحهم فلسفة أرسطاطاليس)

زعم الفرنج أنه لم يكن فلسفة عربية وما ذاك إلا لجهلهم بأشغال العرب فان جميع الدروس بمدارس أوروبا في القرون المتوسطة مستمدة من تأليف العرب الفلسفية وكانت ترجمة حسين الطيب ويحيى النحوى كتب أرسطاطاليس مبدأ لاشتغال العرب بالمعلومات الفلسفية التي كان من رجالها الكندي ومحمد بن مسعود وأبو تمام النيسابوري وأبو سهل البلخي والأسفرايني والعميري ثم ظهر الفارابي وابن سينا فكانا أشهر رجال الفلسفة لتدوينهما لها على الصورة المذهبية التي نقلها عنهما ابن باجه واثير الدين الأبهري وعلى الخونجى وابن رشد وأبو الصلت ونصير الدين الطوسي ثم جالوا في مدارس المغرب . ولا تظن أن العرب اقتصروا على تفسير كتب أرسطو بل كانوا يعرفون تأليف أفلاطون لاسيما كتابه الأكبر المؤلف في الشرائع وعدة كتب منسوبة الى (فيثاغورس) وكانوا يذكرون من قدماء اليونان كثيرين أورفيه وأوميروس المحتوية أشعاره على الفلسفة الدينية والفلاسفة السبعة وانكزاغورس وايرا قليط وديمقراط والالباطيه وسقراط وتلامذته واقليدس والفلاسفة الاسطوانية وكان عندهم في الجزء الثاني من تاريخ علم الفلسفة مسائل فيمن كمل فلسفة أرسطو ومن شرحها وفيما يخص مدرسة الاسكندرية . وكانوا يعتمدون أقوال (بلوتين) و (برقلوس) ويلهجون كثيرا بالقضايا العلمية . وكانوا واسطة بين زمن الفلسفة القديمة والفلسفة المدروسة في أوروبا وكانت المجادلة بين أهل الظاهر منهم والباطن عدة قرون فضل فيها بعض أهل المدارس الشرقية على بعض وكان منهم معتزلة بصرية ومعتزلة بغدادية وحكاؤهم الفلاسفة الذين ظهرت فلسفتهم على علماء الفرنج في القرون المتوسطة بل وعلى أرباب الأسرار الروحانية ومثل ماري بونا فنطور . انتهى

فلما سمع صاحبي ذلك قال يا عجبا كل العجب هذا القول لم أسمعه إلا الآن وكيف يكون أسلافنا من الأمة المحمدية هم آباء العالم كله . وكيف يكون ذلك شأنهم ونحن اليوم على ما نحن عليه جهال غاؤون . فقلت . ذلك لثلاثة أسباب (السبب الأوّل) أن ملوك الاسلام ان كانوا صالحين صلحت الأمة وان كانوا طالحين ضلت الأمة لافرق بين الأمويين والعباسيين في الشرق والأمويين ومن بعدهم في بلاد الأندلس فهؤلاء الملوك جميعا ان استقاموا استقامت الأمة واذا فسدوا فسدت لجهلهم وظلمهم فتضيع العلوم والصناعات الى هي فروض كفايات (مثال ذلك) من كلام المؤرخ المذكور أن محمدا الحارثي الأندلسي بعد ما ظن

المسيحيون أنهم كادوا يطردون العرب من الأندلس أخذ يثير الهمة والتنافس بين أهل الصنائع ويشوقهم إلى الاختراع ويعطى مكافآت لمن أتى بشئ من ذلك فنجحوا وبرعوا في نسج أقمشة الحرير وغيره . وكذا في النبات براعة أهل قرطبة وكفى بقصر السباع المعروف بالجرأ شاهدا على ما كان لأهل غرناطة من الغنى والمهارة في فن البناء مع ما لهم من الاجتهاد التام بعلم الفلك والطب والكيمياء والرياضة والنحو والمنطق وأخذ هذا الملك يعمل بغرناطة أعيادا لتمثيل الوقائع الحربية وأعيادا لمناضلة الفرسان ومواسم لمقاتلة الأتوار وأخرى للتسابق ولعب أخذ الخاتم ويدعو أعيان الرعية إلى الأعياد والولائم العظيمة ولم يكن ذلك نتيجة جوره بل رفاهية المعيشة في سائر الرعية . ولذا كانت مدينة غرناطة كرسى مملكته مأوى المسلمين المتشككين لكثرة خيراتها الجاذبة جميع من لم يرد الإقامة تحت حكم نصارى اسبانيا وكثرت المهاجرة إليها حين أخذ الملك (جاك) يطرد المسلمين من مدينة (والنسة) سنة ١٢٤٩

ولم يزل ملوك غرناطة متولين الحكم بها من سنة ١٢٣٨ إلى سنة ١٤٥٢ ميلادية محسنين ترتيبهم السياسى فقد رتبوا في كل بلدة خفراء منها وأعطوا جميع سكانها سلاحا يستعملونه حالة هجوم العدو فرفعوه مرات على ملوكهم الممتنعين من أداء واجباتهم الملوكية أو الذين لا يعبأون بمشاورة الأمة وجعلوا للعساكر المحافظين بالغور اقطاعات من الأرض تكفيهم وعائلاتهم لتبعثهم على الوقاية من الأعداء وألزموا أنفسهم مثل ملوك الأقاليم المغربية بالقيام بما يلزم طوائف الفقراء من نحو المأكل والمشرب وأكثروا في الأسواق المبيع الضرورى ورتبوا في غرناطة التي دائرها أكثر من ثلاثة فراسخ ضابطية وفي كل ثمن منها ضابطا ورتبوا عساكر تدور ليلا في الأماكن التي لم يكثر طروقها وعملوا قوانين لزم إغلاق المحال العامة كالأسواق وخصصوا كل حرفة بطائفة وعاقب كثير منهم من أفرط في شرب الخمر وأمروا اليهود أن يتميزوا بعسامة من غير إساءة معاملتهم ومنعوا الربا في النقود وابتسكروا في كتابة الحجج والصكوك طرائق واضحة تمنع المنازعة وشغلوا العلماء بتأليف رسائل في الصنائع العملية واتقاد الأمة والفقهاء لقوانينهم النظامية بعد أن كانوا إلى زمن هذه السلطنة مطلقي التصرف يفعلون ما شاؤوا . وأحدثوا لتأدية العبادة قوانين تنبئ عن كمال إيمانهم وعلو أفكارهم وشرف التأديب والتهذيب الدينى منها انعزال النساء عن الرجال في المساجد وخروجهن قبل الرجال واكثار الطاعة في رمضان وتوزيع الزكاة والصدقات على الفقراء وأهلها أو إبقاؤها لتنفق في عمارات عامة النفع . ومنع اجتماع الناس ليلا وابطال النذب على الأموات عند دفنهم بقراءة أدعية على قبورهم ودفن الموتى عارين عن التمام وباقات الأزهار المعتادة قبل هؤلاء الملوك . وكان المستعمل في قوانين العقوبات على الجنح والجنابات الضرب بالسوط والنفي عن الأوطان واشهار المذنب بوضعه على خشبة فاستبدل هؤلاء الملوك ذلك بحبس المذنبين في مكان يشتغلون فيه . وأبطلوا رجم المذنبين . وأمروا بدفن من يقتص منه بالقتل مثل دفن سائر المسلمين وبما سلف يعلم أن مملكة (غرناطة) نظرا لما كانت عليه من الامور الجليلة تستحق أن تعتبر في التاريخ من الممالك الشريفة لكن ساء حظها حيث لم يكن توارث سلاطنتها مقررا على قواعد متينة فتولاها بعد الملوك الجديرين بتعجب الأجيال المستقبلية من عدلهم وحسن سياستهم ملوك جبابرة ليسوا بكفاء للسلطنة التي عجلوا زوالها من بحيث جزيرة اسبانيا

فلما سمع ذلك صاحبي قال قد عرفت السبب الأول وهو أن المسلمين لما جعلوا الملك ميراثا تولاه ملوك جهلاء وأصاعوا ما أسسه الفضلاء . فاب (السبب الثاني) أن هذه العلوم التي بها حياة الاسلام حقيفة ما كان الناس يدرسونها باعتبار أنها دين بل كانوا يدرسونها بأمر الملوك وتقربا اليهم كما تقدم آنفا إذ كان المأمون يعطى زنة الكتاب ذهبيا لمن يترجمه ولذلك كنت تجد أكثر المترجمين من المسيحيين كأن المسلمين ظنوا أن هذا مخالف للدين مع أنه هو قوام الدين (السبب الثالث) أن علماء الدين كانوا لا يتكلمون على فرض

الكفاية بتوسع بل ترى ذلك في كتاب (جمع الجوامع) المنتشر في بلاد الاسلام في علم الاصول لم يذكره إلا في الكلمات اليسيرة التي رأيتها حتى نسي المسلمون عماد ديننا ففقدوا عنه وذلك للجهل التام في العصر المتأخرة . فقال صاحب زدني من هذا . فقلت أما الآن فلا وان أردت المزيد فسترى هذا المقام جيل المحيا باهر الطلعة باسم الثغر شريف المنقبة في سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بمناسبة قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - فهناك ترى أن موسى عليه الصلاة والسلام أرسل ليخرج قومه من الظلمات الى النور ونبينا ﷺ أرسل ليخرج قومه من الظلمات الى النور في نفس الآيات وأن موسى ذكر قومه بأيام الله كما أمره الله فذكرهم بخروجهم من ذلك فرعون والمصريين وما بعد ذلك وأن نبينا ﷺ ذكر قومه كما تقدم في سورة الأنفال وفي كثير من الغزوات مثل قوله - إذ يغشاكم الناس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء - الى آخر ما ذكرناه من النعم التي هي (١٤) نعمة وانه يجب علينا في هذا الزمان أن نذكر أمة الاسلام بالحوادث السابقة من عصر النبوة الى الآن وستراه هناك مفصلاً مع الإيجاز وترى عصر النبوة وما بعده من العباسيين والأمويين وخراب بغداد والأندلس وانتشار العلوم وتقصاها واذلال العلماء كابن رشد وانتقال العلم الى أوروبا وضياع بلاد الاسلام بعد عزها ثم ذكر علماء أوروبا في القرن السادس عشر وما بعده الى نهاية التاسع عشر وانهم حلوا العلم الذي أعطاه آباؤنا لهم واننا يجب علينا أن نسترجع المجد ونخدم الانسانية لأننا لهذا خلقنا فلنرجع الى سيرتنا الأولى . فلما سمع ذلك صاحب قال سأنتظر حتى أقرأ تفسير سورة ابراهيم ولكن بقي عندي سؤال وهو . لماذا نرى بعض المتعلمين من أبناء مصر وغيرها من المسلمين يعتقدون أن المسلمين الأولين ما عملوا شيئاً . ما السبب في ذلك . فقلت السبب فيه أمران (الأول) أن بعضهم بذلك يظهر تفوقه وعظمته على أبناء بلاده . وهذه العظمة لا تظهر إلا بطمس معالم الأجداد ووجدانيات ليقول الناس انه فيلسوف عظيم (الثاني) أنهم لم يطلعوا على مثل ما نقلناه لك عن الفرنجة حتى يعرفوا ما عرفته الآن من هذا المقام بل ان أكثر هؤلاء يجهلون تلك العلوم فلا يعرفون إلا لغة من لغات الفرنجة ويأخذون شهادات في تاريخ أو أدب أو نحو ذلك فيفرحون بما نالوا ويموتون شهداء الجهالة والغرور اه

(حديث جيل)

(في عجائب القرآن ومدعشاته إذ يشبه فيه الدين بشجرة ذات فروع)

قال صاحب قد فهمت ذلك ولكن أرجو أن تحدثني حديثاً جيلاً يكون فيه سمر للبدي والحاضر أعرف به أن جميع العلوم يطلبها القرآن غير ما ذكرته سابقاً حتى أزيد اطمئناناً وعلماً ويثبت في قلبي أن ما فعله آباؤنا من التقاعس عن العلوم العصرية خطأ وأن ديننا يطلبها جميعها لا فرق بين دنيوى وأخروى . فقلت اعلم أن جميع العلوم كشجرة أصلها ثابت في العقول وتستمد من النور الإلهي وفرعها يسمو الى العلا ويمتد على طول الزمان . واذا نمت الشجرة الى أعلى فان فروعها تكون (قسمين) قسم منها في القلب . وقسم منها في الأطراف . والقسم الذي في القلب عليه مدار الشجرة . والقسم الذي في الأطراف يحيط بالقلب وأنت اذا بحثت الشجر كله وجدته على هذا النمط . ولا جرم أن القلب في فروع الشجرة أهم من الأطراف أفتوافق على ذلك . قال نعم . قلت انظر . أليست العلوم في الدنيا كلها على (قسمين) قسم به حياة الأمم وسعادتها وهي العلوم الطبيعية والفلسفية والرياضية . وقسم به حفظ البلاد والعباد كالقوانين وكالطب وما أشبه ذلك . قال نعم . قلت فدين الاسلام له قلب كقلب الشجرة وأطراف كأطراف الشجرة . قال نعم . قلت والقلب هي علوم الفلك والطبيعة من معدن ونبات وحيوان وإنسان وعلم النفس . وهكذا علم طبقات الأرض . وكذلك علوم الحساب والهندسة والجبر التي لا تتم حياة إلا بها ولا يعرف الفلك إلا بدرسها وعلم الفلك لا بد منه لأمور كثيرة منها سیر السفن في البحار وهكذا . قال نعم وهذه العلوم بها شكر الله

وبها التوحيد . وبها معرفة جمال الله . فيها حب الله . وبها عبادة الله . وبها شكر الله . وبها
توحيد الله . والزيادة في التوحيد والزيادة في الشكر واجبان عينيان على كل قادر . وقد أجمع العلماء
على أن شكر المنعم واجب . ولا معنى للشكر إلا على نعمة . ولا شكر على نعمة لانعرفها . ولا معرفة
لنعم الله حقا إلا بدراسة ما حولنا من السماء والأرض . وعلى مقدار دراسة ذلك يكون الشكر إذ لا شكر
على مجهول ولا حب لله بغير سبب وأهم الأسباب الوقوف على دقة صنعه وجمال وضعه وبديع حكمته .
قال صاحب . إذن هذه العلوم واجبة على كل مكلف وهذا محال . قلت نعم محال . بل أنا أقول كل من
قدر على المزيد منها بحيث لا يخل ذلك بأحواله وجب عليه لقول الله تعالى - وقل رب زدني علما - وقوله
- واشكروا لي - ولا شكر إلا بما علمت . فهذا هو قلب دين الاسلام . وهو نفس علم التوحيد .
وهو الذي به تحفظ الأمة نفسها وتنفع الأمم وتعالو . وهذا سرّ قوله تعالى - ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين - . فمن عكف على علم الفقه وهو قادر أن ينظر في جمال النجوم وبهجة
القمر والشمس وجمال الزرع والزهر وبهجة الأنهار والبحار فهو غير شاكر لله بل هو غافل نائم ساه .
وهذه حال أغلب المسلمين اليوم فلا علم بالله ولا سعادة في الحياة ولا ثروة ولا استقلال لأنهم أعرضوا عن هذه
العلوم . وهذا نفسه هو معنى قوله تعالى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا * ونحشره يوم
القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى * وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى - فقال صاحب
واها لك واها لك واها أتتوا آيات سيق في الكفر فتجعلها في المسلمين . فقلت له يا عجبا لك . أليس
يقول الله - ومن أعرض عن ذكرى - هو لم يقل كفر بي بل قال تعالى - ومن أعرض عن ذكرى -
والمسلم بجهله هذه العلوم أعرض عن ذكر الله الحقيقي . ألم تسمع قوله تعالى - الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه الخ -
فقال . إذن أغلب المسلمين يحشرون عميا . قلت لست أقول هذا بل أقول الإيمان بالله يورث دخول
الجنة ولكن عمى البصيرة يؤخر الدخول فيها . فاذا كان شكر الله واجبا وزيادة التوحيد واجبة فإن
تركها حرام . وهذه معصية من الكبائر والسيئات القلبية أعظم جرما من الكبائر الجسمية . وعليه
يكون الضنك الذي حل بالمسلمين اليوم هو الذي جاء في قوله تعالى - فإن له معيشة ضنكا * ونحشره يوم
القيامة أعمى -

إن الله عز وجل سيعذب المسلمين حقا بعد الموت ويوم القيامة كما عذبهم في الدنيا على ترك علوم تعدّ
بالعشرات . وعلى ترك صناعات تعدّ بالآلاف . أمرهم الله بها فناموا عنها وبعضها واجب عينا وأكثرها
واجب وجوبا كفايا وأعظم المصائب على المسلمين ترك الواجب الكفائي . فالمسلم الواحد منا يعذب الله يوم
القيامة وفي الدنيا بترك أمته صناعة واحدة أو علما واحدا . هذا هو ما قاله علماؤنا رحمهم الله تعالى . فاذا
مات أحدها وهو يحمل من الأوزار بعدد العلوم والصناعات . أفليس يكون أعمى يوم القيامة . وكيف
يكون بصيرا والله يقول له - أتتكم آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - فالمسلمون الذين يسمعون هذا القول
ولا يقومون بنشره يحشرون يوم القيامة عميا على مقدار تقصيرهم وهامهم الآن يعدّون في الدنيا باذلال الأمم
لهم فإن تابوا وقاموا بذلك خفف عنا عذاب الخزي في الدنيا بازاحة الأمم الظالمة عنا وفي الآخرة بالخروج من
جهنم . فقال صاحب عرفت الكلام على قلب الشجرة الاسلامية فأحب أن أسمع الكلام عن القسم الثاني
وهو الأطراف . فقلت أما أطراف الشجرة الاسلامية فهي الفروع الفقهية والعلوم الالهية من النحو والصرف
وأمثالها . فهذه العلوم مكملات ومتممات للقسم الأول محيطات به كاحاطة فروع الشجرة الجانبية بالفروع

القلبية • ولا سبيل للقضاة أن يحكموا بالشرعية إلا بسياج يحفظ البلاد والسياج الذي يحفظها هو الصناعات والعلوم الطبيعية والرياضية التي بها تنمو مصالح البلاد والا فهل يقضى القاضي بين خصوم لا يعيشون وإنما الخصام لموجودين أحياء • قال حسن ما قلت

﴿ بيان أن تشبيه الاسلام بالزرع والشجر سيأتى فى سورة ابراهيم وسورة الفتح ﴾

فهل ورد فى القرآن ما يشير الى هذا التشبيه الذى ذكرته • فقلت نعم سترى فى سورة ابراهيم وفى سورة الفتح أن الله يقول - ألم تركب ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها - ويقول - ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه الح -

إن الله عز وجل علم قبل أن ينزل القرآن أن المسلمين سيقعون فى هذا الجهل والذل المشين فأنزل هذين التشبيهين اللذين أبرزوا العلوم كلها كأنها فروع لشجرة واحدة فالاخلال بالقلب أهم من الاخلال بالاطراف وسترى هذا المقام واضحاً فى السورتين إن شاء الله تعالى

﴿ حسن نظم القرآن فى هذا التمثيل ﴾

ومن عجب أن الله عند الامور المهمة يوقظ النفوس لها بالتعبير فيها هوذا فى سورة ابراهيم يقول - ألم تركب ضرب الله مثلا كلمة طيبة الح - فانظر كيف قال - ألم تركب الح - كما قال فى سورة البقرة - ألم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه - فالاتيان بألم ايقاظ لنا نحن كأنه يوبخنا على عدم العناية بالعلوم المكنونة المخزونة فى التعبير بالشجرة الطيبة ذات الفروع المذكورة كما وبخنا على عدم التفكير فى عظام الحمار كيف تكسى باللحم أى على جهل علم التشريع ونحوه كما تقدم فى سورة البقرة موضحاً هناك • فأنا أذكر المسلمين أن ينظروا فى سائر العلوم كما أذكركمهم بعلم التشريع الذى هو أحدها

﴿ ذكر حديثين ﴾

(أحدهما بينى وبين عالم مسلم عظيم • والثانى بينى وبين الاستاذ (ادوارد براون) الانجليزى)
وها أنا ذا أيها الأخ أحدثك حديثاً دار بينى وبين أحد أفاضل علماء الشيعة من جهات حضرموت مشهور الاسم عظيم المقام • وإنما لم أذكر اسمه لأنى لم أستاذن منه فى ذلك لأنه مسافر وقت كتابة هذا الموضوع فى يوم العيد الأكبر من سنة ١٣٤٤ هجرية زرت رجلاً عظيماً رداً لزيارته بمنزله بالعباسية ومنزله محط رجال العلم والأدب من سائر الأقطار فما استقرت جلوسى حتى قدم ذلك العالم الحضرمى الكبير وكنت لم أره من قبل وقد بلغنى عنه قبل ذلك بأسبوع أنه يعترض على ما أكتبه فى هذا التفسير • فلما جلس أخذ يذكر المجلس بما لديه من علم جم وبراعة فى الحديث والعلم فأعجبت أنا وأعجب الحاضرون به • ثم دار الحديث بينى وبينه على ما يأتى

ما تقول فى الوهابية الذين هم قد استولوا على الحجاز ورأيت من كلامه أنه يبغضهم وهكذا جرى الحديث الى الشيعة وأهل السنة • فقلت له ان جميع هذه الأئمة على حق فالوهابية والشيعة وأهل السنة قوم مخلصون وليس عند أحدهم إلا ما اعتقده هو وعلم الفقه عند الجميع قد قام بما هو منوط به • إن علم الفقه به تحفظ العبادات والحقوق وتحفظ البلاد بالقضاء • ولا جرم أن هذه الطوائف كلها قد حافظت على بلادها وعلى عباداتها ولكنهم جميعاً مقصرون • قال جميعاً • قلت نعم جميعاً • ألا ترى أن الخلاف بين الشيعة وأهل السنة الذى جرى عليه المسلمون منذ ١٣ قرناً لا معنى لتكراره الآن • ومن اطلع على كتاب المواقف وغيره من كتب العقائد عرف كيف كان القادة يكيد بعضهم لبعض لأجل الملك • وهكذا ترى الملوك العباسيين قد فضلوا مذاهب أهل السنة حتى لا يتبع الناس آل البيت ويبقى الملك لهم • هذا الخلاف الآن

مضى زمانه . ومن المحزن أن يعيش المسلم في القرن الرابع عشر ويتخيل نفسه في القرن الأول الهجري
وها أنا ذا أقصّ عليكم قصصاً مع عالم انجليزي شهير جاء الى مصر في سنة من سني العشرة الاول من
القرن العشرين المسيحي أي منذ نحو (٢٠) سنة يسمى (ادوارد براون) وقابلني وحادثني في أمور الاسلام
وكان يجيد العربية والتركية والفارسية ولغات أخرى . فقال قد كلفتني دولتنا الانجليزية أن أبحث في أهل
السنة والشيعة من المسلمين هل يتفقون فسافرت الى تركيا وجلست بين ظهرانيهم مدة وهكذا الى بلاد فارس
وعاشرتهم فرأيت مدهشات . رأيتهم جميعاً يكرهون أهل السنة . يتخيلون أنهم هم الذين قتلوا الحسين
رضي الله عنه مع أن الحسين مضى له (١٣) قرناً ولقد قال لي طالب من طلابهم انني قد حاربت مع الروس
ضدّ الترك . حاربتهم بسيفي هذا لأنني أفضل الكلب على التركي لأنه سني . قال الاستاذ وأنا موقن أن هذا
الجبان ما ذبح دجاجة مدة حياته ولكن البغض ملا قلبه . ثم قال فعلت من هذا أن هذين الشعبين
لا يتحدثان . قال وعجبت كل العجب من هذه البلاءة الحقاء . كيف يرى هؤلاء أن يقصر الروس بحوس
رجاله خلال ديارهم ويتغفلون في البلاد ويوشك أن يتلعوها ثم هم يرجعون الى (١٣) قرناً مضت فهل
الحوادث التي مضى عليها تلك القرون كلها تهمهم أكثر مما يبصرونه داخل بيوتهم وما هو محيط بهم من كل
جانب . فقلت له ذلك لأن المسلمين أكثرهم تركوا عقولهم ومواهبهم التي وهبهم الله تعالى وتركوا القرآن
الذي قال الله فيه في مثل هذا المقام - تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبت ولا تسألون عما كانوا
يعملون - . قال الاستاذ ادوارد وقدمت تقريراً لحكومتنا وسردت فيه هذه الوقائع وقلت هذان الشعبان
لا يتحدثان . انتهى

هذا رأيه إذ ذاك . ثم قلت بعد ذلك فهذه المحادثة تبين مصائب المسلمين المقصرين في العلوم . فقال
بعض الحاضرين أي العلوم تعني . قلت إن في القرآن (٧٥٠) آية كلها في معرفة العلوم المحيطة بنا في
الأرض وفي السماء وما هي إلا العلوم الرياضية والطبيعية . فلماذا تركوها وحسروا عقولهم في علوم جدلية وظنية
أليسوا جميعاً ملزمين بالتوحيد . قالوا بلى . قلت أليسوا جميعاً مأمورين بشكر الله . قالوا بلى . قلت
كيف ناموا عن هذه العلوم . نعم ناموا عنها لأنها صعبة عليهم تحتاج لزمان عظيم ومشقات فاستسهلوا الجدال
والطعن والدم والقذح والرجوع الى الوراء وتركوا علوم آبائنا الى أوروبا . علوم آبائنا التي لولاها ما كانت
أوروبا ولا أمريكا ولا اليابان الحديثة ولا الصين الحديثة كما رأيته في كتاب (سديو) الفرنسي (وقد تقمّم
في هذا المقام) أمة تنام عن الحقائق وتقتنع بالجدل والشقاق والخلاف جهالة فاشية وموت أدبي . الله الله
فليقرأ السني كالوهابي والشافعي والحنفي وليقرأ الزيدي والامامي . ليقرأوا كلهم هذه العلوم . ألم يقرأوا
قوله تعالى - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد
اقترب أجلهم - ألم يعلموا أن هذه العلوم هي حياة أممهم . فقال بعض الحاضرين . أأنت تخشى أن يردّ
عليك بعض المشهورين في الفقه الاسلامي . فقلت له اعلم أنه لن يقدر عالم أن يدفع ما قلته لأنني أقول قال
الله وأقول ان العقل قضى بكذا وأقول ان علماءنا السابقين نصوا عليه في كتبهم فأى حجة لقائل بعد ذكر هذا
العلوم شجرة متفرعة عن أصل ثابت وفرع في السماء ولم ينزل دين من السماء ولا حدث علم في الأرض
إلا كان أولاً أصلاً منتظماً ثم تفرّع على مدى الزمان . وها هوذا الفقه أصله من العصر الأول ثم تفرّع طرقاً
ومذاهب والفقه كله من مائة وخمسين آية فأين التفرّع في سائر العلوم التي آياتها كثيرة جداً تعدّ بالمئات .
فأقرّ الحاضرون جميعاً ما قلته واستحسنوه بل فرحوا به بل صاروا من أنصار هذه الدعوة اه
ثم قلت لصاحبي هذا واني موقن أن هذا الذي أذكره سيعم أقطار الاسلام جميعها وسيكون لهذا القول أنصار
وأنصار ورجال عظماء يقومون به وينشر الله هذا في القريب العاجل - ولتعلن نبأه بعد حين -

﴿ خاتمة ﴾

ختمت هذه السورة بقوله تعالى - وهو رب العرش العظيم - وقيل أيضا فوق ذلك أنها خاتمة منازل على رأى . والحكمة في ذلك أن هذه السورة جاءت للقتال والجهاد والبراءة من المشركين . وقد جاهد المسلمون بتبوك بعد غزوات أخرى . وهذا فيه ابتداء سقوط عروش ملوك العالم المعروف إذ ذاك وقد وعد النبي ﷺ المساميين بفتح فارس والروم . ولم يفتحها في زمانه . فها هو ذا يقول - عليه توكلت - ومن توكلت عليه له العرش العظيم . وهذه الأمم التي أحاربها لها عروش أقل من عرشه . فهو لا محالة غالبا وستسقط تلك العروش في سلطان أمتي وتصبح في عداد قوتها . وسيأتي في سورة (النمل) حديث الهدهد وما في قصته من ذكر العرش إذ جاء فيها - انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم - الى قوله - ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم - فذكر عرشها وعرف عرش الله اشارة الى أنه أعظم من عرشها . ولذلك نقل عرش بلقيس فأصبح أمام سليمان الذى هو مرسل من عند رب العرش العظيم فالعرش الذى هو للمخلوق أصبح فى ملك من أرسل من عند رب العرش العظيم فى سورة النمل . فها هنا ذكر العرش العظيم فقل - لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم - ولم تذكر العروش الأخرى بل اكتفى فيها بالخص على الغزوات لا غير . ويفطن الأذكياء الى أن هذه العروش ساقطة لا محالة فى يد المساميين كما أصبح عرش بلقيس بين يدي سليمان عليه السلام . وهذا من لطائف القرآن وعجائبه وهى الحكمة فى اختتام السورة بهذه الجوهرة الثمينة ومن المناسبات قوله - ثم استوى على العرش - بأول يونس

﴿ تذييل لتفسير سورة التوبة وأن الرحمة فيها من أسرار الصلاة ﴾

اعلم أن سورة التوبة فيها سر الرحمة المتجلية فى الصلاة . إن المسلم فى صلاته ينادى ربه بالفاتحة والشهد وبعض الأدعية وكلها مرجعها الرحمة العامة وإرجاع الأمور لله . ففى الفاتحة يقول المسلم ان المحامد كلها لله على تربيته للعالم العلوى والسفلى الذى شملته الرحمة وعمه الاحسان والعدل فى الجزاء فله وحده الخضوع والتوجه . وبه وحده الاستغاثة . ومنه تكون الهداية للضراط السوى . صراط المنعم عليهم الذين هم وسط بين طرفين . وفى شهادته يفوض كل شئ لله . فالثناء فى الفاتحة . والتعظيم فى الشهد خاصان بالله تعالى . وهكذا سائر الأمور . وكما أنه طلب الهداية من الله فى الفاتحة أقر هنا بأن السلام عام من الله على الأنبياء وجميع الصالحين . ثم هو ينادى ربه طالبا ازدياد الرحمت على النبي ﷺ وصالحى أمتيه والتحاقهم بالصالحين من الأمم السابقة . ثم يستعيز بالله من العقبات التى تعوقه عن القربى لربه . وترى المسلم فى الاعتدال من الركوع يقول نحو ذلك فيحمده حمدا يملأ السموات والأرض وغيرها ويبالغ فى التبرى من الحول والقوة فلا عطاء لغيره ولا مانع لعطائه وهناك لا ينفع الاجتهاد بلاعانة وهكذا

فلخص ما يقول المؤمن فى صلاته التبرى من الحول والقوة والاعتماد على الرحمة الواصلة من الله اليه وتفويض الأمور له وتسليمها اليه . هذه هى المقصود من الصلاة وهى لاتصح ولا بقاء لها ولا ثواب إلا اذا حضر قلب المصلى فيها . ومتى حضر أشربت هذه المعانى فى قلبه ولا بد من العمل بها لأن الانسان يعمل بما يعتقده واعتقاد المسلم إذن أن الله هو المربى وهو المستعان وله الخضوع وله العبادة ومنه الهداية ولا عطاء لغيره ولا عمل للعبد . وهذا كله تفويض تام . هذه هى صلاة المسلم يكررها طول النهار وطول الليل وأعماله الدنيوية تتخلل هذه الصلوات واذا تخللتها أثرت فى أحواله وأعماله وأقواله مادام حاضر القلب فى الصلاة . وهنا بيت القصيد . هنا تجلى ما أريده فى هذه الخاتمة فلقد رأيت كيف تخلى المسلم عن الآباء

والأبناء والايوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن وقيل له إياك أن تكون هذه الثمانية أحب إليك من الله فانها منه واليه . وفيها يرى المسلم أنه ان قتل فالقتل مغنم وان نصر فهو مغنم وان عاش عدوه أو مات فذلك كله مغنم للمسلم لأن صدره اشتفى من عدوه بعذاب جهنم أو عذاب القبر إن مات أو بموته قتل بيد المسلم . فالحياة في نظر المسلم كلها سعادة . فلا فوات المال يحزنه ولا ذهاب العمر يؤذيه وان افتقر فالله سيغنيه إما في الدنيا وإما في الآخرة فاذن يكون قلبه غنيا وهو منشراح الصدر . فانظر كيف أصبح هذا الوجود كله والأحوال جميعها في حق المسلم رحمة وسلاما تحقيقا للرحمة المقروءة في الفاتحة المتكررة في كل صلاة والسلام الذي يرفرف عليه في كل تشهد . فالمسلم إذن في رحمة وفي سلام دائمين وأصبحت الرحمة في العقيدة الراسخة التي تغذيها تلك التلاوات . فالحرب والفقر والموت والهزيمة والنصر والحياة والغنى كل هذه المتناقضات يصحبها الرحمة والسلام للمؤمن . واذا أصابه النصب والتعب والمحمصة والفقر فهو في رحمة وسلام لأن المسألة حوت من الماديات الى المعنويات ومن الظواهر الى البواطن واذن سرّ الفاتحة وسرّ الصلاة قد تجلّى تجليا أعظم في سورة التوبة

هنا ظهر سرّ الصلاة . وسرّ الفاتحة . وسرّ التشهد . وسرّ الصلاة على النبي ﷺ وعلى صالحى أمته . وسرّ القنوت وغيره . ولعمري إن هذا كله هو سرّ الحياة وسرّ السعادة . أتدري أيها الذكي ماذا قال الحكماء والفلاسفة في هذا المقام . أتدري ماذا صنف الفلاسفة المتقدمون في هذه المسائل . انى أحيلك على ما تقدم في سورة البقرة فلقد ذكرت لك هناك أن فيلسوفا يسمى (قابس) قبل الميلاد بخمسمائة سنة ألف كتابا يسمى (لغز قابس) لخصته لك هناك ويرجع الأمر فيه الى أن السعادة ليست في المال وجمعه ولا الجمال وبهجته ولا الولد وكثرته ولا العلم وعزته ولا الصيت وشهرته ولكن في الصبر والثبات والرضى في مختلف الحالات فان شئت فارجع اليه وان شئت زدتك اليوم بيانا وأفدتك يقينا وحكمة وإيمانا نجب كيف اتفق العلم والدين . وكيف صنف الفلاسفة بعقولهم ما أنزل الوحي على نبيه . وكيف يرى بعض الناس أن هذه المواعيد الإيمانية والآيات القرآنية والبشارات الأخروية انما جعلت لترغيب الجاهلين والضحك على أذقان الغافلين (ذلك) لأنهم يظنون أنهم امتازوا بعلمهم عن بقية المسلمين اذا هم لافى الغير ولا فى النفير فلا هم بقوا مع العامة المقلدين ولا هم وصلوا الى رتبة الحكماء المحققين . فيا عجبيا كيف يضل العلم أكثر المتعلمين . وكيف يكون العلم ضلالا والتنوير به سرايا

إن الذين يسعدون في الدنيا (رجلان) جاهل له إيمان . وعالم تام الحكمة والعرفان . فأما المتوسطون فهم الذين قتلهم الحيرة والشك في هذه الحياة فهم أبدا معذبون ويتلهون بالشهوات الجثمانية في هذه الحياة طائنين أنها هي السعادة إذ لا سعادة في سواها . وما الشهوات إلا - ظل ذو ثلاث شعب * لا ظليل ولا يغنى من المذهب - فهم يتقون الحرّ بالنار * كالاستنجير من الرمضاء بالنار * فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون

(حكاية الكوخ الهندي)

ألف عالم من علماء أوروبا لا أذكر اسمه الآن كتابا يسمى (الكوخ الهندي) فجعله سياحة من الغرب الى الشرق فطاف مصر وسوريا وسائر البلاد باحثا عن الحق أين هو فوجد المسيحيين والمسلمين واليهود جميعا مختلفين فقال في نفسه أين السعادة إذن فوصل الى الهند واتصل بالبراهمة فلم يبيحوا له الاتصال برئيسهم بل ألزموه أن يجلس في مؤخر المجلس بعد أن اغتسل فأخذ يلقي أسئلة على آخر رجل في المجلس وهذا ياقبه لمن يليه وهكذا حتى وصل الى رئيسهم وصورة السؤال (أين الحق) فكان الجواب أنه عند البراهمة وبعد أخذ ورد وجدال هزى الجمع بهذا الفرنجى فخرج يتثر في أذبال جييته . وبينما هو سائر إذ عثر بامرأة

تبكى حظها وتندب أيامها فسألها ماذا دهالك فقالت إن زوجي مات ولم أحرق معه وكل امرأة مات زوجها ولم تزج نفسها معه في النار فتموت تعتبر نجسة فأنا نجسة فلا يكلمني أحد فقال لها وأنا مثلك لأنني رجل مسيحي يعتبرونني نجسا فاصطلحا أن يتزوجا وعاشا في القفر يشاهدان جمال الله في طلوع الشمس وغروبها وجمال النجوم والقمر وبدائع الطبيعة في النبات والأنهار والحيوان والهواء الطلق ثم رزقا ولدا ومما اتفق لهذا الرجل أن مر به سائح فأخذ يتحدث وقال له أنت سعيد قال إني لم أحسن بالسعادة إلا في هذه الحياة لجمال الله مشرق على أطالعه في نجومه وشمسه وقره وزهره وشجره ونهره ومائه وهوائه وتغريد طيره وحسن صنعه فأنا في أنوار وجمال وبهاء وهذا ولدي قرّة عيني وعين أمه وقد ابتعدنا عن ضوضاء المدن ودخانها وآلامها وكذبها وقضاياها ونفاقها الخ فقال له كيف نلت هذه السعادة قال له بعد أن كملت نفسي بالمصائب وصبرت على النوائب فالمصائب هذبتها والنوائب صقلتها وحوادث الأيام كملتها وقوارع الدهر شذبتها فأصبحت نفسي كالجلد المدبوغ ذهب ننته وصلاح عمله . فأما الذين لم تهذبهم الأيام ولم تصهرهم المصائب فهم أبدا في حزن وألم فلا المال يغنيهم ولا الجبال وحده يرضيهم ولا الصيد يسعدهم ولا الولد يكفيهم فهم عرضة للهوان والمذلة في كل حال . فقال له أيها الأخ كيف تقول ان احتمال النوائب يسعد مع ان النوائب هي الشقاء وهي المذلة وهي الهوان وهي العذاب وإذا لم تكن هي عذابا فأين العذاب إذن . لقد جعلت الجحيم نعيما والفقر غنى وقلبت القضايا ولم تصب الحقيقة . فهل يكون الليل نهارة . أم يكون الظلام ضياء . أم الموت حياة . إن هذا هو العجب العجيب

فقال اسمع يا صاح . ان الجبل صعب المرتقى فإذا تحققت أن فوق هذا الجبل حديقة غناء وطيورا مفرّدة وأنهارا جارية فأنت لا محالة مرتقى اليه فما دمت في الارتقاء فأنت في عناء ولا يكون العناء الا حيث لم تصل الى قته ومتى وصلت الى أعلى الدرجات فهناك لا ألم ولا شقاء بل هناك ما يسر القلوب ويشرح الصدور . هكذا يكون المرء في الحياة . فمادامت نفسه لم تصقل بالنوائب فانه لا يزال في نصب وتعب ويهتم لها كثيرا فأما اذا استكملت نفسه بها فانه لا يهتم أمرها وتمر عليه اللذات والآلام كما يمر الليل والنهار والصباح والمساء . فحمد صاحبه له هذا البيان وأدرك ما لم يعلم في المدارس من قبل فانظر أيها الدكي لدين الاسلام كيف رأيت في هذه السورة أصحاب نبينا ﷺ بلاتعلم ولا فلسفة ولا حكمة عقلية قد نالوا هذه الأمانة وأصبحوا لا يبالون بالأهل والاخوان والحياة حتى قال أبو خيثمة ﴿ ظلّ ظليل . وتمر يانع . وماء بارد . وامرأة حسناء . ورسول الله في الحرّ وشظف السفر والله لا يكون ثم ركب ناقته ﴾ وكيف رأيتهم يتذوقون التمرة ليشربوا الماء عليها . وكيف رأيتهم راضين فرحين مبتهجين في قلوبهم . وكيف رأيتهم يتقدمون للموت . فالمال مبذول والعمر مبذول . كل هذا بشئ واحد وهو الايمان . فانظر كيف فعل الايمان ما عجز عنه العلم والفلسفة والحكمة . وكيف جهل أكثر الناس أن السعادة راجعة للوجدان والفلسفة شرحتها والقرآن أبرزها . انظر كيف كان أكثر الناس لا يعلمون . - يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا - وهم عن سعادة هذه الحياة نفسها معرضون . وبأسرارها جاهلون . وعن الحقائق غافلون . - والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - اهـ

﴿ ذكر المناسبة بين سورة التوبة والسورة التي بعدها وهي سورة يونس ﴾

اعلم أن المناسبة بين السورين من ثلاثة وجوه ﴿ الوجه الأول ﴾ أن سورة التوبة لآداب الجهاد وهداية الكافرين وقسم الغنائم وأكثر ذلك في السفر . أما سورة يونس فانها لتعليم الناس وهم آمنون مطمئنون ﴿ الوجه الثاني ﴾ اعلم أن الله عز وجل علم قبل أن ينزل القرآن أن الأمم الاسلامية ستنبذ العلوم وبدائع آياته في سماواته وأرضه ظهريا وبذلك يذل كثير منهم للأمم المحيطة بهم فلذلك أخذ يقول في آخر التوبة

- وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلخ - فأمرهم أن ينقسموا (فريقين) فريق للسفر والجهاد . وفريق للتفقه في الدين . وعلم سبحانه أن هذه الكلمة سيصطحب الناس قروناً متطاولة بعد الصحابة والتابعين على اختصاصها بفروع من المسائل ليست هي كل الفقه كما تقدم بأوضح عبارة . فلذلك جعل هذه الكلمة في أواخر هذه السورة وأعقبها بسورة يونس وشرح في أولها ما يفيد ذلك التفقه . شرحها شرحاً مستوفياً . يقول الله هنا لتبقى طائفة يتفقهون في الدين ولينذروا قومهم إلخ وينكر على الناس تعجبهم من إرسال أحدهم لينذرهم ويبشرهم . ثم أخذ يبين خلق السموات والأرض واستواء الله على العرش وتبدير الأمر وأنه أضاء الشمس ونور القمر وقدره منازل ليعلم الناس الحساب وأبان اختلاف الليل والنهار وحذر من اليأس من الآخرة والاكتفاء بالدنيا والاطمئنان إليها والغفلة عن هذه الآيات السماوية والأرضية وغيرها ومدح الصالحين المهتدين . وختم هذه الجمل بأن أهل الجنة يخدمون دعاءهم بتزوية الله وبحمده على تربيته للعالمين . لاجرم أن هذه هي مجامع التفقه في الدين . هذا الشرح المذكور في أول سورة يونس هو عينه ما ذكرناه سابقاً ونقلناه معناه من كتب اللغة ومن كلام الإمام الغزالي . إن الله عز وجل ليس عن الخلق غافلاً كما قال - وما كنا عن الخلق غافلين - وسرى إن شاء الله عند تفسير هذه الآية كيف عرف علماء الغرب عجائب هذه الدنيا التي هي داخلة في هذه الآيات القرآنية . وعسى أن تطلع هناك على بدائع ألوان الحيوان وأشكاله التي عرفها القوم وعرفوا أن تلك الألوان وتلك الأشكال إنما خلقت لتكون وقاية لتلك المخلوقات الضعيفة من أعدائها القاتلات . فترى الحشرة تخاف على هيئة حصاة من حجر الصوان مثلاً ليجعلها الطائر الذي يعيش عليها فتبقى محفوظة إلى أمد . فهكذا هنا ألهم الله الإمام الغزالي قبل نحو ٩٠٠ سنة أن يذكر العلماء بعده بأن الفقه الذي لم تعرفوا سواه إنما هو فقه اصطلاحى ولكن التفقه المذكور هنا غير ذلك وقد عرفته وعرفت أيها الذكي أنه يرجع في أكثره إلى (أمرين اثنين) تهذيب النفس واشراقها بالعلم . وهذان الأمران هما المذكوران في سورة الفاتحة التي ابتدئت بهذه الجملة - الحمد لله رب العالمين - ولفظ - العالمين - يشمل العالم العلوى والسفلى . وهو مبسوط في تفسير الفاتحة . فجميع العلوم التي عرفها أهل أوروبا وأمريكا وبلاد اليابان هي الداخلة في قوله - الحمد لله رب العالمين - أفلا تتعجب معي كيف ذكرت الجملة بتمامها هنا في دعوى أهل الجنة ولم تذكر بهذه الهيئة بعد الفاتحة إلا هنا وفي أثناء سورة الأنعام التي ذكر فيها عجائب السموات والأرض . لا يحمد الناس محسناً عليهم إلا إذا عرفوا نعمته وعلى مقدارها يكون اعظامهم له بقلوبهم وقيامهم بقضاء حوائجهم بجوارحهم وثناؤهم عليه باللسان فهنا (ثلاثة أمور) اعظام بالقلب وحب وهذا بالنسبة لله مطلوب ولكن ليس هذا بالكاف وإنما هو نتيجة الشعور بالنعمة والقيام بقضاء الجوارح والأعمال هنا في حق الله مستحيل فيرجع ذلك إلى الإخلاص في خدمة الناس والعمل لاسعادهم . أما الثناء باللسان فأنما هو وظيفة اللسان . فاللسان هو آخر أنواع الشكر الثلاثة . إذن الحمد نتيجة من نتائج الانعام المذكور في قوله تعالى - صراط الذين أنعمت عليهم - ولما أنعمت عليهم وعرفوا النعمة قاموا باعظامك بقلوبهم وخدموا أئمتهم ونطقوا بالثناء عليك فقالوا - الحمد لله رب العالمين - وهذه الجملة مذكورة هنا لتذكيرنا بنعم الله (وبعبارة أخرى) لتذكير المسلمين بقراءة عجائب السموات والأرض التي ذكر منها هنا الشمس والقمر والحساب وتقدير المنازل إلخ فهذه كلها من تربية الله للعالمين . فسورة الفاتحة ثناء ودعاء والثناء في أولها بالحمد وفي قسم الدعاء سبب الحمد وهو النعمة ففي الفاتحة ذكر السبب بعد المسبب . ثم أقول هنا فكما لم يغفل الله عن الحشرات وأنواع الحيوان خلقها على أشكال وهيئات تكون سبباً في بقائها إلى أمد . هكذا هو نظر للأمم الإسلامية الحالية قبل أن يخافها فهيأ لها الأسباب ونظم الكتب وألهم العلماء فشرحوا لفظ التفقه مثل ما رأيته عن

الامام الغزالي وبقى ذلك في الكتب مذكورا والناس عنه غافلون وبقى الخلف يتبع السلف تسعة قرون والأمم من حولهم يعلمون وهم نائمون . وأول ضربة وقعت على عالم بعد موت الامام الغزالي تلك الضربة التي وجهت الى العلامة ابن رشد إذ كفروه لأنه مع ما بينه وبين الغزالي من الخلاف وافقه في أن هذه العلوم كلها هي التوحيد وهي المطلوبة فآذاه المسلمون وأهانوه . ويقال انهم بصقوا في وجهه . ومرة طردوه من المسجد . وأمر الملك بنفيه من العاصمة إذ ذاك بالأندلس . وبقى في بلدة لا يسكنها إلا اليهود احتقارا لشأنه ثم رضى عنه ومات بعد قليل فتناقص العلم من بلاد الاسلام وذل المسلمون في أقطار الأرض ذلا عظيما ذلك لأنهم جهلوا التفقه في الدين الذي أمر به أصحاب النبي ﷺ ولم يعرفوا كيف ينذرون قومهم ويبشرونهم بل عكفوا على قشور من العلوم . يقولون للصبي إذا دخل المدارس الدينية اقرأ فروض الوضوء ويطيلون في ذلك اطالة ويجعلون كل حياته في ذلك ولا يظهرون له جمال الله وعجائبه وبدائع صنعته ولا يشرحون له شرحا مستفيضا اخلاف الوعد والحق والحسد وما أشبه ذلك ولا يهذبون نفسه وصار ذلك خلقا في الأمة الاسلامية فذلوا ذلا عظيما وفقدت الانسانية العامة هذه الأمة المسكينة فلم تنفع نفسها ولم تنفع الناس وصارت عالة على الأمم فأذلوها كما فعلت النحل في قفيرها إذ ترى ملكتها القائمة بتدبير ملكها قد حصل لقاحها فحملت وهناك في القفير ذكران النحل فتحمل سكان القفير من النحل المذكور على أولئك الذكور فتبيدهم من الوجود لأن الله لا يبقى في خلقه مالا يعمل له . هكذا الأمم التي خلقها الله لما رأت الأمم الاسلامية غافلة جاهلة حلت عليها فأخذت بلادها وجعلتها تحت امرتها الا تلك الأمم التي استيقظت كاترك وكالفرس وكالافغان فانها لما استيقظت هذه الأيام أخرج الله منها الفرنجة - وان عدتم عدنا -

أقول فغنى التفقه الذي شرحه الامام الغزالي بقي في الاحياء وقد نام عنه المسلمون . ناموا عنه نوما عميقا لموت العلماء والمفكرين وبقى المسلمون بعد تلك القرون مكتفين بعلوم الصوفية حتى انك ترى العلامة محي الدين بن عربي قد أدخل جل الفلسفة والدين في كتابه (الفتوحات المكية) وخلطه بالتصوف حرصا على العلم ولم يرد أن يعلمهم الفلسفة والعلوم الحكمية وبدائع السموات والأرض لأنها كفر عندهم وقد رأوه فوق طاقتهم فانحط المسلمون حتى جاء العصر الحاضر فأعان الله على هذا التفسير وأعان غيري على تأليف كتب في ذلك وهذا أوان مرقى المسلمين

فلن يقدر صغار العلماء على الطعن في عالم ولا مفكر لأن الأمم المتعلمة أحاطت بالمسلمين من كل جانب فليس يقدر أحد من جهلة المسلمين على مناوأة ما يكتب الآن لنشر العلوم والتفقه في الدين الذي شرحه أسلافنا وغفل عنه من بعدهم فنحن نستأنس بكلامهم ليعلم المسلمون أن هذه الآراء التي أذكرها في هذا التفسير ليست حديثة بل قالها آباؤنا ونام عنها من بعدهم وأن الله عز وجل أراد ايقاظ الأمة اليوم ولا راد لما أراد وستبقى هذه الأمة أمدا يعلمه الله وسيحفظها كما حفظ تلك الحيوانات الضعيفة فانه يقول - وما كنا عن الخلق غافلين -

واني أسأل الله عز وجل أن يوفق عند تفسير هذه الآية برسم صور تلك الحيوانات التي حفظها الله بسبب أنه خلقها مشاكلة لما حولها من شجر أو حجر أو مדר لتعلم أنه هكذا سيفعل بأمة الاسلام فيحفظها لأنها ستكون مشاكلة للأمم في علومها ومعارفها بل ستكون هي الأرقى

فتبين بهذا أن التفقه في الدين قد جاء ملخصه في أول سورة يونس ليعرف هذا المعنى المسلمون ويخرجوا من جمودهم القديم الى مجدهم الحديث ويقرأوا جميع العلوم ويعرفوا آيات ربهم ويفرحوا بجماله وتعمر بلادهم وهم مبتهجون . وسأرى أيها الذكي في سورة يونس من عجائب اتقان الصنعة الالهية ما يبهز الأبصار كالصور الكوكبية المرسومة بالمصور الشمسي وكذلك الصناعة البشرية التي وضعها قدماء المصريين في معابدهم وفوق

جثهم المحنطة • وكيف أبدع الله مئات آلاف من المجرات التي كل منها تشتمل على مئات آلاف الآلاف من الكواكب وعرف الناس أبعادها اجالا • وكيف عرفت ذلك الأمم حولنا فرسمت بعض الصور السماوية بهيئة جميلة تسر الناظرين • وكيف حذر الله من الغفلة عن آياته سواء أكانت بصنع يديه كالصور السماوية أو بصنع عباده كمنطقة فلك البروج التي سترها برسم قدماء المصريين • وهذا قوله تعالى في سورة يونس - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - • هذا تمام الكلام في الوجه الثاني من وجوه المناسبة بين السورتين ﴿الوجه الثالث﴾ ختم الله التوبة بأنه جاء الناس رسول من نوعهم تعز عليهم مشقتهم حرّبص على إيمانهم رؤف رحيم بالمؤمنين منهم • ثم تلا ذلك في أول يونس بأن هذا الكتاب الذي جاء به كتاب ذو حكمه وقال - أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس - فهذه الآية تكملة وتتم لآية آخر السورة هنا • وليس في القرآن من سورة مبدؤها يوافق نهاية التوبة إلا سورة يونس فظهرت المناسبة بين السورتين • وهذه المناسبة كالتي بين سورتي الطور والنجم • ففي آخر الأولى - ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم - وفي الثانية - والنجم إذا هوى - وكآخر المائدة وأول الأنعام إذ يقول في آخر الأولى - تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك - إلى قوله - لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير - ويقول في أول الثانية - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور - إلى قوله - يعلم سركم وجهركم الخ - نخلق السموات والأرض راجع لقوله - لله ملك السموات والأرض - و - يعلم سركم وجهركم - راجع لقوله - تعلم ما في نفسي الخ - وهذا القرآن لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه والحمد لله رب العالمين اهـ

﴿ تكملة للكلام في مناسبة آخر سورة التوبة بأول سورة يونس ﴾

(الفقهاء في الاسلام في الماضي وفي الحال والاستقبال)

مرّة بك أيها الذكي الكلام في هذه المناسبة وأنها من ثلاثة وجوه • ومن أهمها أن التفقه في الدين جاء في آخر التوبة • وجاء بعدها في الترتيب سورة يونس • وجاء في أوائلها ذكر ضوء الشمس ونور القمر إلى آخر مأمرة • وأنبه الآن بذكر ماضي الفقهاء وحاضرهم ومستقبلهم اللهم إن الحكمة والعلم آثمن ما في هذه الدنيا وخير العلوم ما به يعرف الانسان قيمة نفسه وخير ما يكتبه المفكرون في الاسلام البحث في أحوال أمم الاسلام وعاداتها وأخلاقها • وها أنا ذا باحث في الفقهاء بما يناسب المقام

﴿ الفقهاء في عصر الصحابة ﴾

لقد كان أصحاب النبي ﷺ كما مرّ بك من كلام الامام الغزالي يعتدون الفقهاء أنهم هم أولوا الألباب - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - ويعتدون نعم الله عليهم - ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب - وهم الذين - تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا الخ -

﴿ الفقهاء بعد الصدر الأول ﴾

ذهب الصدر الأول فتضاءل التفقه في الدين وانحاز إلى ما هو معروف اليوم من الفروع العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية • فأما ما عدا ذلك من خشية الله وحبه والولوع به والتفكير في جماله فذلك قضى عليه القضاء الأكبر وصار نسيا منسيا • وهذا هو العصر الذي كان فيه الامام الغزالي في القرن الخامس الهجري وقبله وبعده للآن

﴿ الفقهاء في زماننا ﴾

قد قلت لك قبل هذا ان أكابر علماء الاسلام قاموا على تلك الطريقة العقيمة المنتشرة في انحاء الاسلام الى اليوم ودموها وشنعوا على القائلين بالدين ولكن رؤساء الدين في الاسلام لم ترعهم تلك الصيحات ولم توقظهم تلك المنبهات ولم يغيروا نهجهم بل الخلف يتبع السلف - وكل حزب بما لديهم فرحون - فتبع السني السني والشيعة والشيعة فالحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدى والامامى . كل هؤلاء عاكفون على ما درسوه عن أشياخهم موقنون أنهم أهدي من غيرهم عملا وأشرف أملا نابذين ما عدا ذلك مما ليس لهم به علم حافظت الأمة على حصر أفكارها في واد ضيق فنام المسلمون نوما عميقا أدى الى اضمحلالهم إلا قليلا منهم فهم مستيقظون

ثم اتسع نطاق التسمية بالفقيه فلم يقتصر الناس في التسمية به على من يحفظ أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج والبيوع والرهن والسلم والاجارة والوديعة والهبة والميراث والدعاوى والعقود والحيل والنكاح الخ بل صار هذا الاسم يطلق على كل من حفظ القرآن عن ظهر قلب وان كان من أجهل الجاهلين . وهذه طريقة منتشرة في بلادنا المصرية يسمون من حفظ القرآن فقيها وان لم يدرك من معانيه حرفا واحدا

والله يقول - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - * وفي الحديث ﴿ اقرأ القرآن مانهاك فان لم ينهك فليست تقرؤه ﴾ وهذه التسمية لهذه الطائفة التي هي أعم من سابقتها قد تكون مصحوبة باحتقار نوعا ما وباستهزاء لسببين ﴿ السبب الأول ﴾ أن هؤلاء غالبا كانوا قبل الآن يعلمون بالعصا والاذلال فتذل نفوسهم وتخضع ﴿ والثاني ﴾ أن النفوس الانسانية فيها نور إلهي عام تخترق الحجب وتعرف بعض الحقائق وان لم تحسن التعبير عما تعقل فهنا يظن العامة أن هذا الفقيه لحفظه القرآن عنده علم وفي الوقت نفسه تعلم نفوسهم أن قيمته العلمية منحطة ولكن لا يحسنون أن يعبروا عن ذلك

﴿ آثار ما تقدم في الاسلام ﴾

فانظر كيف كانت الأمم الاسلامية صورة مكبرة لفقهاءها . فلما كان في الصدر الأول أمثال أبي بكر وعمر كانت الأمة شامخة الرأس عزيزة الجانب . ولما صار الفقيه محصورا في الفروع في الأزمان المتأخرة أوحاظا للقرآن صارت الأمم الاسلامية كلها صورة مكبرة لفقهاءها . فكما عكف الفقهاء على حفظ السور أو على حفظ الفروع وغفلوا عما سواها . هكذا الأمة غفلت ونامت ثم ذلت وخضعت . ذلك هو تاريخ الأمم الاسلامية وفقهاءها قديما وحديثا

﴿ الفقهاء في مستقبل الزمان ﴾

أما الفقهاء في مستقبل الزمان في أمم الاسلام فانهم سيكونون أشبه بالحكماء في أمة اليونان فيكون الفقيه في دين الاسلام هو المتمكن من العلوم المطلع على حقائقها الباحث المدقق . فاذا قرأ سورة يونس بعد التوبة كما تقدم بحث في الشمس والقمر والمازلات المذكورات في أول السورة وأتبع ذلك بفهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويتمادي في فهم يونس الى أن يرى في آخرها أن الله نجى أجساد بعض الفراعنة لتكون تلك الأجساد البالية والعظام المنخرة المحفوظة في الأبنية المشاهدة عبرة للأمم المتأخرة فيدهشه ما يرى في مصر (كما استراه موصفا في سورة يونس قريبا) من اقبال الأمم من أعيان أمريكا وانكلترا وفرنسا وألمانيا على الاعتبار بتلك الجثث المحنطة والتفكير في تلك الصناعات العجيبة والدروس الشائقة المنيفة وغرائب العلم وعجائب الحكمة والرسوم الفلكية المرسومة في محال عبادتهم وعلى الصناديق التي فيها أجسامهم (وستنظر هذا هناك قريبا) واذا ذاك يقول هذه من

معجزات القرآن لأن الله لم يذم المعرضين عن آيات الله إلا في موضعين في يونس ﴿الأول﴾ عند ذكر السموات والأرض في أول السورة ﴿والثاني﴾ عند ذكر الاعتبار بأجساد الفراغة وانها من آيات الله . وهذه الآيات لم يفكر فيها الناس إلا في هذه الأيام . إذن هذه معجزة قرآنية . ثم ينتقل من ذلك الى أن يحض الأئمة على الاعتراف من محور علم الأوائل من أي دين ونحلة وأمة حتى أنهم يدرسون خرافات الأمم وأساطيرها ليستخلصوا منها الأخلاق والآداب التي كانت عليها تلك الأمم فتزيد العقول حكمة والنفوس عظة فبالأولى يدرسون رسوم مبانيها وهندستها وعمها وحكمتها ويفعلون ما تفعله ألمانيا اليوم وبقية أهل أوروبا فان لهم طوائف خصصوا كلا منهم لعمل أولعلم أولتاريخ أئمة كما نعلم علم اليقين أن أهل ألمانيا عندهم قوم مختصون بالبحث عن علماء الشرق الأدنى مثلا وهكذا فالمسلمون أولى بهذا لأن الله يقول - وكذلك جعلناكم أئمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس الح -

﴿نظر الفقيه في مستقبل الزمان في سور أخرى من القرآن﴾ ثم اذا قرأ سورة هود بعد سورة يونس وجدها قد جاء في أوائلها شيء عجب ﴿ذلك﴾ أن الله ضرب مثلا لتدبيره في خلقه بالملك على عرشه . فاذا كان الملك يدبر أمر الرعية ويحافظ على ثغورها وتجاراتها وزراعتها وسياساتها . فههنا قبيل ذكر العرش يقول - وما من دابة في الأرض إلا على رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين - فيضاهي الفقيه إذن بين عرش الملوك وعرش ملك الملوك . فعرش الملوك لتدبير الجيوش وحفظ الثغور والبلاد الح وعرش ملك الملوك لنظام السموات والأرض واغداق الرزق على الحيوان والاحاطة به عامما والمحافظة على حياته والتكفل به في غدوه ورواحه ثم يرى هذا المعنى يدخل في قصص السورة كقول هود - إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ومن استقامة صراطه أن يأخذ بناصية الدواب وبناصية الانسان . فكل حتى تكفل الله به لافرق بين الانسان والحيوان . ثم يتأمل الفقيه اذ ذاك فيقول . لما ذا ذكرها هود وقد ذكرت في أول السورة ثم يحجب على ذلك بأن علوم الحيوان في زماننا مدهشة عجيبة . مثال ذلك ما استراه في سورة المؤمنون في قوله تعالى - ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين - فانك ستري هناك مالا عين رأت من عيون الغافلين ولا أذن سمعت من آذان المتكبرين ولا خطر على قلب الجاهلين من حكم غالية وجواهر باهرة وغرائب مدهشة . اذ ترى هناك رسوما شمسية لأشكال حيوانية (١) كفراش ذى أجنحة تشبه في صورتها ولونها وشكلها أوراقا جافة منبوذة (٢) وكنوع من الحشرات قد وقع على جذع شجرة عتيقة والتصق بها فيظن من يراه أنه غصن ضخيم من أغصانها قد قطع من أعلاه حديثا (٣) وكدود الفرائش الملون باللون الظاهر الباهر حتى يتبينه كل ناظر ويعرفه كل صادر ووارد وهكذا من كل شاردة غريبة ونادرة عجيبة سترها هناك برسمها ان شاء الله وتطلع على سر هذه الأشكال وضرب تلك الأمثال وتفهم فهمها حقا معنى - وما كنا عن الخلق غافلين - وأن الفرائش ذا الأجنحة التي تشبه الورق الجاف انما خلقت على هذه الصفة لتكون تلك المشابهة وقاية لها من الطيور التي تصطادها فتعيش عليها فتى مرت عليها لم تميزها من الورق الجاف فلا تصطادها ولا تفرسها . وأما الحشرات الواقعة على جذوع الأشجار المناسبة لأغصانها فكذلك للاحتراس من أعداء تلك الحشرات . وأما المسألة الثالثة فذلك أن هذا الدود الذي ظهر وانكشف بلونه وجسمه وتميز عن الشجر المحيط به فانما ذلك لأنه كربه الطعم قد جرّبه الطير المفترس قديما فكربه فلذلك منحه الله لونا زاهيا ليكون ذلك اللون علامة للطيور الآكلة للحشرات تعرفها أن هذا طعمه كربه فتجتنبه لمجرد منظره ولولا هذا اللون الذي به امتاز ذلك الدود لكان دائما محط أنظار تلك الطيور فتأتى اليه فتذوقه وتريد أكله فلا تقدر فيكون الطير في شغل بما لا ينفع وذلك الدود دائما خائف وجل من ذلك

بهذا يفهم الفقيه قوله تعالى في سورة هود - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين - ويفهم لماذا أعاد هذا المعنى هود في قوله - إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - فمن درس هذه العلوم وأتقنها أيقن أن الله نظر لكل حيوان نظرة خاصة وأعطاه شكلاً ولونا وحجماً يوافق كل الموافقة حاله . فإذا عرف ذلك الفقيه عرف أننا معاشر بني آدم لسنا في حجاب عن نظر الخالق لنا . فاذن هو يعامل كلامنا معاملة خاصة تناسب أحواله نتيجتها نافعة له . فإذا رأينا لون الحيوان لحكمة وشكله لحكمة حتى أنك ستري في تلك الآية أن من الحشرات ما إذا جثم على ورقة أو غصن يرى على شكل زرق الطيور وذلك الشكل جعل وقاية له من الطيور والآكلات له فهذه الحشرات حين وقوعها على شجر أو ورق أو حجر لانتقمها الطيور وكيف تلتقم مالاتشك في أنه زرقها فهذا يتبين الفقيه أن الله حقيق بالتوكل عليه وأن كل مانح عليه من عز أو ذل أو حزن أو فرح أو إقامة أو حال لله فيه حكمة تفضل عنا كما تفضل تلك الحكمة عن تلك الحشرات التي أشبهت زرق الطيور لو كانت ذات عقل وقالت ﴿ لم خلقتني يارب على شكل زرق الطيور ولم تخلقني بهيئة بهيمة كالحيابح المضيء في ليالي الظلام ﴾ فهذا يفهم الفقيه الاسلامي لماذا قال هود بعد قوله - إني توكلت على الله الخ - . مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - فان أخذه بنواصي الدواب كما علمت وكما ستعلم عند تفسير آية سورة - قد أفلح المؤمنون - دليل على أنه آخذ بنواصي كل امرئ من بني آدم وأن كل عمله فينا لحكمة تفضل عنا فلتتوكل عليه وذلك الفقيه اذا قرأ أمثال ماسمعه الآن في الطير وغير الطير في موسوعات الكتب الفرنجية كما اتفق لي في هذا المقام يأخذه العجب كل مأخذ لأمرين ﴿ الأول ﴾ أن أمم الفرنجة المتأخرين قد برعوا في تلك المعاني التي هي حقاً وصدقاً تضمنها القرآن والمسامون غافلون ﴿ الثاني ﴾ أنه يدهش حينما يرى القوم يشرحون تلك العلوم لذات العلوم فتتسع قرائحهم وتمود دولهم ويزيد رزقهم ولكنهم (كما رأيت أنا) لا يكثرثون بذكر أنها فعل الخالق ولا بأن ذلك دال على جماله وحكمته إلا قليلاً جداً مثل ما يذكره (اسبفسر وأوليفر لودج) و (اللورد اقبري) وأمثالهم فهؤلاء يذكرون الخالق تبارك وتعالى عند ذكر بعض هذه العجائب . وأكثر القوم لا يهتمون بذلك . وعليه سيكون فقهاء الاسلام مخالفين للأوروبيين في طريقة تدريس هذه العلوم ويصنعون في العلوم كما صنعنا بوجه ما في هذا التفسير فيحب الناس صانع العالم ويفرحون بالعلم غراماً دائماً هذا ما يراه الفقيه المستقبل في سورة هود

﴿ مسيراه الفقهاء الاسلاميون في سورة يوسف بعد هود ﴾

فإذا قرأ ذلك الفقيه سورة يوسف سمع الله يقول - لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين - وأخذ يسرد نظام آداب يوسف في بيت العزيز إذ عفا عن الشهوات وهذا هو تهذيب الشخص وآدابه في السجن إذ أحسن المصاحبة مع المسجونين من المصريين وأخذ يعظهم ويدعوهم للإيمان وهذا أشبه بتدبير المنزل ثم قبض على أزمة الأعمال العامة في الأمة المصرية والاقتصاد وتدير الدولة . فكان هذا هو السياسة العامة وهذه هي نصف علم الفلسفة لأن الفلسفة ﴿ قسمان ﴾ قسم عامي . وقسم عملي . والقسم العلمي هي الرياضيات والطبيعات والالهيات . والقسم العملي تهذيب الشخص وتدبير المنزل وتدبير المدينة . فهذه الثلاثة هي القسم العملي وهناك يسمعه ينجي ربه شاكر له انعامه عليه بالملك والحكمة الخ وطالباً منه وفاته على الاسلام ولحوقه بال صالحين . ومعنى هذا أن الفقيه يقتدى بيوسف في الحكمة العملية بأقسامها وبعد تمام النعمة يشكر الله على نعمة التي أفاضها عليه ويشهد له بإبداع السموات والأرض ثم يطلب الثبات على الإيمان واللاحق بال صالحين

فإذا عرف هذا الفقيه في الاسلام أخذ يبحث في تلك الآيات في أول السورة والآيات في آخرها أي الآيات

التي قبل قصص يوسف والآيات التي بعد قصته بتمامها فيجد عجباً . يجد أن التي في أول السورة جاء فيها أن هذه القصة فيها آيات للسائلين وأن التي في آخرها جاء فيها - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - هنالك يأخذ في الفهم ويقول . يقول الله تعالى إن قصص يوسف إنما هو آيات للذين يسألون ولكنه في آيات أخرى يقول - إن في خلق السموات والأرض آيات للمؤمنين - ويقول إن خلق السموات والأرض من آياته واختلاف الألسن من آياته واختلاف الألوان من آياته والشمس من آياته والقمر من آياته وهكذا كل مخلوق هو من آيات الله . ويقول تارة إنها للتفكرين . وتارة للمؤمنين . وتارة لمن يعقلون . وتارة يقول إنها آيات لقوم يعلمون أو يقول - للعالمين - بكسر اللام . وتارة يقول بعدها - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ولكن في هذا القصص لم يذكر معه إلا السائلين عنه واذن يفهم الفقيه أن هذه القصة إذا كانت آيات للسائلين فهذا لك آيات لا تخص السائلين بل تعم العلماء والعقلاء والمؤمنين وهي التي في السموات والأرض والناس يمرّون عليها وهم عنها معرضون . إذن الآيات (قسمان) قسم مسموع وهذا لمن اعتادوا أن يأخذوا العلم بالسمع والتقليد والاعتبار . وهذا القسم من العلم المسموع يفرح به الجاهل ويعتبر به العالم . فهو للجاهل علم . ولدى العقل اعتبار كما قال تعالى - لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب - أما القسم الآخر هي الآيات المعقولة فهي درجات بعضها فوق بعض للمؤمنين تارة وللعقلاء أخرى وللعلماء آونة . ثم ينظر في سورة يوسف فيجد أن هذه القصة ليست كل آيات الله بل هناك من الآيات مئات ومئات في مئات لا تحصى قد أعرض الناس عنها . بل من الآيات ما يختص بالعلماء الذين يدرسون العلوم كما سيأتي ذكره في سورة الحجر في قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - إذ نظام الأوراق وأنه موضوع بحساب رياضي هندسي له جداول متناسقة بديعة تشمل أوراق الفصائل النباتية مرتبة كترتيب تلاميذ المدارس في الفصول كما ستراه مرسوما مشروحا موضحا . هنالك يأخذك أنت ويأخذ الفقيه العجب إذ يرى نظاما مجهله جيع أهل الأرض إلعاء النبات . فهؤلاء عرفوا نظام الأوراق وجداوله المنظمة والدوائر المشتملة على عدد من الأوراق معلوم مرسوم بأشكال حلزونية لها أعداد خاصة متناسبة كل المناسبة مع أوراق وأشكال النباتات الأخرى . ثم يرى هو وترى أنت أن هذا كله معنى آية واحدة من كتاب الله تعالى ومن الأدلة البديعة على إبداع واحكام صانع هذه الدنيا

ثم بعد ذلك ينظر نظرة أخرى فيقول . اللهم ان هذا العلم اليوم غير معروف في بلاد الاسلام اللهم إلا لمن تعلموا علم النبات تعلما تاما . وهؤلاء لا يعرفون شيئا من الدين ان وجدوا في الشرق واختصت هذه المعرفة بالعلماء بهذه العلوم . اللهم ان قوله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - لم يظهر أكبر سرّه إلا في عصرنا فان اختلاف الألوان والألسنة لم تظهر خبايا سرّه إلا في هذه الأيام إذ استبان أن ألوان الحيوان لها آثار في حياتها كما تقدّم بعرضه في هذا المقال وكما سيأتي في قوله - وما كنا عن الخلق غافلين - وفي غيرها . إذن سرّ القرآن يظهر في هذا العصر . من ذا الذي كان يظن أن للألوان أثرا في حياة الحيوان . ومن ذا الذي كان يعرف أن جمال الزهرة سائق وداع للحشرة أن تدخل الزهرة فتشرب عسلها . من ذا الذي كان يعرف أن الحشرة التي تمائل زرق الطير لونا وشكلا قد جعل ذلك فيها لحايتها وحفظها وبقائها . حقا حقا ان هذا لا يفهمه إلا علماء قد اختصوا بهذا الفن . إذن هذا سرّ قوله تعالى - ان في ذلك لآيات للعالمين -

ولاجرم أن هذا من الآيات التي ليست للسائلين الذين لم يشترط فيهم أن يكونوا علماء بل هي آيات للعلماء بهذه العلوم . وهذه معجزة جديدة يسجلها العلم للاسلام . هذا ما يفهمه الفقهاء في المسامين بعدنا في سورة يوسف

﴿ نظر الفقيه الاسلامي في سورة الرعد بعد سورة يوسف ﴾

ثم ينظر نظرة في سورة الرعد فيجد أن الآيات الالهية التي لم يذكر منها في سورة يوسف الا التنبيه عليها والحث على الاقبال عليها قد كثرت في سورة الرعد كرفع السموات بغير عمد . ثم تمثيل عظمة الله وسلطانه بما يشاهد الناس في الدنيا من عروش الملوك وتدير الجمهور ونظام المدينة فقال - ثم استوى على العرش - ثم أخذ يفصل تدير المملكة وحسن نظامها فأبان أنه ليس هذا العرش كعروش ملوك الأرض الذين ينظمون الممالك الى آخر ما تقدم في السور السابقة في هذه المقالة بل هنا - سخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى - فأما ملوككم فأعلى ما تطلبه عروشهم وغاية ما يقصده وزراءهم أن يسخروا الأمم لشهواتهم ويقودوا الجنود لتسخيرهم فلان مناسبة بين الملكين كما لاناسبة بين التسخيرين

ثم ذكر أنه مد الأرض وجعل فيها جبالاً وأنهاراً ونباتاً مكوّناً من ذكر وأنثى . وفي الأرض أما كن متجاورة مختلفة التربة للنظام العام . ثم ذكر البرق والرعد والسحاب وأنه اذا كان الناس يخضع بعضهم لبعض بحسب القوة والضعف حتى أن الدليل ليخضع للقوى منكم . فهاهو الله يسجد له من في السموات والأرض وطائفة من الناس كما في ملوككم . وهناك سترى ويرى الفقيه الاسلامي بعدنا قوله تعالى في تلك السورة - وكل شئ عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال - ويطلع على المقادير الحسابية والهندسية في العوالم المختلفة ما بين علوية وسفلية لاسيما (القطع الناجية) التي لحظها القوم في الجهات الشمالية اذ أنك سترى هناك أشكالها الهندسية المسدسة البديعة النظام الثلاثية المبتهجة التي عدوها بنحو الألف وقد رسموا منها جملة صالحة وهذا الذي رسموه ستطلع عليه وتجب من أن التسديس تام في كل شكل مع ان كل واحد من تلك الأشكال اختص بحكمة بحيث أنك لا ترى شكلاً منها مع اتحادها في التسديس يوافق الآخر في ابداعه ونقشه ورقشته وبهجته وحسن نظامه فبعضها ترى أضلاعه كأنها أغصان محلاة بالأوراق متقنة الصنع مع ان كل مستدس من تلك المئدسات فيه ٦ مثلثات متساويات الزوايا كل زاوية ثلثا القائمة (١٢٠) درجة وهكذا سترى هناك عجائب القطع المتجاورات حتى أن امتزاج الرمل ببعض المواد كانت منه أنواع الزجاج المقعر والمحدب في وجه أوفى وجهين ونتائج ذلك في منافع الانسان من تقريب الأشكال تارة وتكبيرها أخرى ومنافع ذلك في اصلاح خطأ الأنظار في عيني الانسان . وهكذا ترى رسوم تلك الزجاجات وعجائبها مما يشرح الصدر وبه يهنا الحكماء

﴿ نظر الفقيه في سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴾

ثم ينظر الفقيه الاسلامي في سورة ابراهيم فيجد أنه تعالى في أول السورة أفاد أنه أرسل نبينا ﷺ ليخرج الناس من الظلمات الى النور . ولم يخص الناس بالعرب بل الأمم كلها هم الناس . وقال في هذا الصدد ان الله أمر موسى أن يخرج قومه من الظلمات الى النور اذن موسى لقومه . وهذا هو الذي حصل الآن فان الذين يتبعون موسى في شريعته هم قومه وحدهم الآن وان كان التوحيد ليس خاصاً بهم فنحن اتبعناه واتبعنا رسولنا ﷺ في التوحيد . أما نبينا ﷺ فقد قال الله فيه - لتخرج الناس من الظلمات الى النور - فاذن نحن جئنا في الأرض بعد نبينا للناس كافة لا لأئمة وحدهم . لهذا انتشر المسلمون في الصدر الأول في الكرة الأرضية ولم ينتشر الدين اليهودي الا في بني اسرائيل مع انه قد نسخ بالبعث المحمدي . وسترى في تلك السورة عجائب التذكير . جاء موسى لايخرج قومه من الظلمات الى النور بنص الآية وجاء نبينا ﷺ بعده كذلك لايخرج الناس من الظلمات الى النور . ثم ان موسى ذكر قومه بأيام الله وهكذا سيدنا محمد ﷺ مأمور أن يذكر قومه بأيام الله . وسترى ويرى الفقيه في سورة ابراهيم ما الذي به ذكر سيدنا محمد ﷺ من أيام الله المسلمين كما ذكر موسى قومه بأيام الله من أنهم كانوا أذلاء عند فرعون

وقومه ثم نجوا من ذلك وأنعم الله عليهم ثم ما الذى يجب على علماء الاسلام بعدنا من تذكير شعوبهم بأيام الله فى كل أمة بحسب الوقائع التى حصلت لها وكيف تعتبر الأمم الاسلامية بتاريخها وسترى هناك النموذج الذى ذكرته للأمم الاسلامية من تاريخها العام من عصر النبوة الى الآن . وكيف كان جهل ملوك الاسلام وعلماء الاسلام فى القرن السادس والسابع إذ هجم التتار والمغول على المسلمين وهم قد جهلوا علم الجغرافيا وعلم تعداد الأمم وأحوالها كما ظهر جهل أمتنا المصرية من أمرائها وعلمائها إذ دخل نابليون البلاد وهم كانوا يظنون أنهم أقوى من أوروبا كلها لجهلهم علم الجغرافيا وقد فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن فهزم جعنا فى أقل من ساعة من الزمان . ذلك كله للجهل العام - فبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون - هكذا سترى هناك كيف أراد الفرنسيون أن يحتاطوا للناس عند وقوع الطاعون الذى هو من ترينتنا ومن نظام ديننا وله فى الأحاديث النبوية والآيات القرآنية شأن عظيم فأخذ الناس يفرون من القاهرة لاعتقادهم هم وعلمائهم أن هذا ليس من الدين مع أنه فى الحديث مذكور فى قصة سفر عمر رضى الله عنه فى بعض غزواته وكذلك فى قوله تعالى - ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف - ثم سترى ويرى الفقيه الاسلامى بعدنا فى سورة ابراهيم المذكورة ذكر العلماء من أوروبا بعد ذهاب دولة الاسلام الذين علموا الناس علومًا وصناعات نفعتهم من ابتداء نهضتهم التى جاءت على أقباض دولتنا الاسلامية العالمية الى زماننا الحاضر . كل ذلك هناك لنذكر الناس بأيام الله فى زماننا كما ذكر نبينا ﷺ الأمم فى زمانه وكما ذكر موسى قومه وكما يذكر فقهاء الاسلام بعدنا أمهم - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون - والحمد لله رب العالمين

هذا ما قصدت ذكره هنا من آراء فقهاء الاسلام الذين سيكونون بعدنا وهم الذين سينير الله بهم أمم الاسلام وغير أمم الاسلام تحقيقاً لقوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

(تم بحمد الله رحسن توفيقه الجزء الخامس من كتاب (الجواهر) فى تفسير القرآن الكريم
ويليه الجزء السادس وأوله سورة يونس عليه السلام)

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية • وهذا جدول مما عثرنا عليه

من ذلك

| صواب | خطأ | سطر | صحيفة | صواب | خطأ | سطر | صحيفة |
|---------------|-------------|-----|-------|--------------------|--------------------|-----|-------|
| أنكر | انكسر | ١٢ | ١٠٢ | ثلاث | ثلاثة | ١٣ | ٩ |
| غريغور يوس | غريغور يوس | ٢١ | ١٠٢ | واحياءها | واحيائها | ٢٧ | ١١ |
| البصابت | البصابت | ١٦ | ١٠٣ | غمره | غمره | ٣٢ | ١١ |
| وغيرها | وغيرهم | ٢٣ | ١٠٤ | الا قليل | إلا قليلا | ٣ | ١٣ |
| أعود | أعود | ٤ | ١٠٥ | على قسمين | قسمين | ١٨ | ١٥ |
| حفت | حفت | ٣٣ | ١٠٥ | النصر | التصر | ١٨ | ٢٦ |
| يعيشوا | تعيشوا | ١٤ | ١١١ | والعامى | والعالى | ١٤ | ٣٢ |
| للتعارف | للتعارف | ٢٩ | ١١٢ | رجلا | رجلان | ٢٨ | ٣٢ |
| يعور | يعور | ٣٣ | ١٢١ | بنقوش | ينقوش | ٢ | ٣٩ |
| أى يرضوه | أى يرضوه | ٣١ | ١٢٢ | زويت | ازويت | ١٠ | ٤٤ |
| الشهوات | الشهوات | ٢٦ | ١٢٣ | تذب | تذب | ٢٤ | ٤٦ |
| (١) | (١) | ٣٠ | ١٢٣ | واعد | أعد | ٢٠ | ٥٣ |
| (١) | (١) | ١٥ | ١٢٤ | بامارات | بامارت | ١٣ | ٥٨ |
| على الدم | على الدم | ١٤ | ١٢٥ | فيرغبون | فيرغبون | ٥ | ٥٩ |
| إذا هو | إذا هو | ٢٦ | ١٣١ | الشروط | وجود الشروط | ٢١ | ٦٠ |
| طلب فيها | طلب | ١٧ | ١٣٢ | أن شعور | شعور | ١ | ٦٢ |
| والاستئثار | والاستئثار | ١٣ | ١٣٨ | يعتبر | يعتبره | ١٤ | ٦٤ |
| سرة | سرة | ٢١ | ١٤٠ | وأظهر أمرا | وأظهر أثرا | ٤ | ٦٦ |
| وحدها | وجدتها | ٢٣ | ١٤١ | اجتنبوا | اجتنبوا | ٩ | ٦٦ |
| وعبر | وعبر | ٢٧ | ١٤١ | فازينت | وازينت | ٤ | ٦٨ |
| فيرغبون | فيرغبوا | ١٦ | ١٤٢ | لم ينمها | لم ينلها | ٧ | ٧١ |
| أثر اعراضه | أثره اعراضه | ٤ | ١٤٤ | يوم الفناء | يوم الفناء | ١٦ | ٧٢ |
| اليك الى قوله | اليك | ١٣ | ١٤٥ | فى هذا المقام أن | فى هذا المقام | ١٣ | ٧٦ |
| كل الجهاد | كالجهاد | ١٦ | ١٥٣ | أقول | | | |
| قطانها | قطونها | ٢٤ | ١٥٩ | دونكم خواص | دونكم وخواص | ٤ | ٧٧ |
| قبل | قبيل | ٩ | ١٦١ | الثانية على الأولى | الأولى على الثانية | ١١ | ٨٥ |
| نفسه | نقه | ١٤ | ١٦٦ | ورد عليه | رد عليه | ٢٧ | ٨٦ |
| تهذيب | لتهذيب | ٦ | ١٦٧ | أليق | أليف | ١٤ | ٨٧ |
| التي تعد | الذى يعد | ١٩ | ١٧٠ | بالعز | يالعز | ١ | ٩٣ |

﴿ فهرست الجزء الخامس من كتاب (الجواهر) في تفسير القرآن الكريم ﴾

- صحيفة
- ٢ تفسير سورة الأنفال وهي تشتمل على خمسة أقسام . مقدمة السورة
- ٣ ذكر موجز في ملخص السور السابقة ولماذا رتبت هكذا الى هذه السورة . (القسم الأول)
- يسألونك عن الأنفال - الى - رزق كريم - . التفسير اللفظي
- ٤ بقية التفسير اللفظي
- ٥ اللطيفة الأولى في حال المسامين اليوم يتقاطعون على صغار الأمور وقد جهلوا سبب نزول هذه الآية
اذ أمر الله بتقسيم الغنائم بالعدل فزال شقاق أصحاب النبي ﷺ بسبب العيال فلماذا لا يفعل أمراء
الاسلام ذلك
- ٦ (اللطيفة الثانية) المتوكل على الله يستفيد فائدين . (اللطيفة الثالثة) تبين من هذه الآية أن أعمال
القلوب مقدمة على أعمال الجوارح . حكم ظهرت في هذه الآيات
- ٧ ههنا (أمران) أمر مقاصد السورة العامة . وأمر مناسبة آخر سورة الأعراف لأول سورة
الأنفال . سورة الأعراف منذرة وسورة الأنفال والتوبة مبشرتان بالنصر والغنيمة
- ٨ حديث ﴿ ان مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا الخ ﴾ وكيف جهل المتأخرون من المسلمين
انذار سورة الأعراف وتحذيرهم من الطغيان في سورة يونس التي بعد سورتي النصر والغنائم المؤذنة
بأن الطغيان بعد التمكن هو دليل الهلاك في الدنيا . دواء هذا الداء
- ٩ وذلك بعرض نماذج من جبال هذا العالم تعشق الأطفال في العلم عند قراءة آيات من القرآن . الكلام
على الوجع عند ذكر الله وزيادة الايمان والتوكل على الله . وحديث الايمان بضع وسبعون شعبة
- ١٠ بيان خلاف الأئمة في قول المسلم أنا مؤمن حقا . وتبيان أن النبوة قد أومات الى شرحه . وتبيان
هذا المقام بایضاح
- ١١ الايمان في ديننا قد ابتاع جميع العلوم لأنها داخله في الشعب المذكورة والمؤمنون كلهم كأنهم انسان
واحد ونقص علم أو صناعة نقص في ايمانهم . الصالح في بلاد الاسلام
- ١٢ الايمان أمر واحد كما أن الانسانية عبارة عن الجسم والروح . الكلام على صلح ذات البين
الكذب في القرى وفي المدن ببلادنا . كيف استعاض الناس عن سعادة القلوب بذكر سعادة الباشا الخ
فاستغنوا باللفظ عن المعنى
- ١٣ الأمم الاسلامية وجمعية الأمم في أوروبا . الاصلاح العام وله شروط سبعة . تحسر المؤلف على الأمم
الاسلامية وأنهم لم يجعلوا التعليم عاما اجباريا
- ١٤ تفسير القرآن في الحقول والحشرات . وصف حشرة (بق الهبسكس الدقيق)
- ١٥ انتشار هذه الحشرة في نباتاتنا المصرية . عدواها تنتقل بالماء والهواء والحيوان . نسلها كثير .
يحاربها الانسان وهي تكثر اذن الله أكثر من الحشرات النافعة للنبات بالالقاح والفاثكة به قال
تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - . ان الأنثى من هذه الحشرات قد تلد بدون ذكر كما تكون
الذكورة والانوثة في نبات واحد معا . اذن الذكورة والانوثة في جميع الأحياء متحدتان إما فعلا
واما بالشوق
- ١٦ كل ذلك يفسر معنى قوله تعالى - إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا -

- فهيها ﴿درجتان﴾ اصلاح ذات البين بين المسامين وتعارفهم مع جميع الأمم
 مافوق المادة • تذييل لهذا المقام • ان لذتي بفهم ما يضرنا وما ينفعنا دليل على أن هناك عوالم
 أرقى منا تستلذ بذلك ولا تحب إلا النظام العام
- ١٩ الله مافرق الناس إلا ليجمعهم • تذكرة آية - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الخ -
 سيأتي معناها وهو الملخص الذي كتبه الاستاذ (سنتلانه) التلياني لكتابي ﴿أين الانسان﴾ وذلك
 ستقرؤه في سورة الحجرات لأن الكتاب مبني على تعداد الذكور والاناث في الأرض كما في الآية وهكذا
 جميع أحوال الناس ومنافع الأرض فهي مختلفة وبهذا الاختلاف يتم النظام
- ٢٠ كيف قصر المسامون في قوله تعالى - وأصلحوا ذات بينكم -
 ٢١ فريدة مشرقة في سورة الأنفال والتوبة ثم القتال والفتح والحجرات
 ﴿القسم الثاني﴾ في قوله تعالى - كما أخرجك ربك - الى قوله - وأن الله مع المؤمنين -
 ٢٢ مقدمة في سبب غزوة بدر • والكلام على العير والنفير
 ٢٥ التفسير اللفظي لهذه الآيات
 ٢٧ خمس لطائف • اللطيفة الأولى فيها استبان اقتحام الأخطار في قوله - واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين
 والثانية أن هذا العالم المادى خاضع لناموس العقول
 ٢٨ اللطيفة الثالثة دقة الملاحظة والبحث الصادق في أمور هذه الحياة في قوله - إذ يغشاكم النعاس أمانة منه
 اللطيفة الرابعة الثبات وقوة العزيمة • اللطيفة الخامسة عدم الاعجاب بالنفس وترك الكبرياء
 ﴿القسم الثالث﴾ - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله - الى - والله ذو الفضل العظيم -
 ٢٩ تفسير بعض الألفاظ • بيان ما يحوي القلوب وهو أربعة أمور • وفي قوله تعالى - واعلموا أن الله
 يحول بين المرء وقلبه - أربعة أمور أيضا
 ٣٠ تفسير بقية الألفاظ في هذه الآيات • ست لطائف • اللطيفة الأولى في قوله تعالى - إن شرّ السواب
 عند الله الصمّ البكم -
 ٣١ مشابهة الانسان في حال نقصه لأنواع الحيوان • اللطيفة الثانية - ولوعلم الله فيهم خيرا لأسمعهم -
 اللطيفة الثالثة • كيف يحيل الله بين المرء وقلبه وذلك بالنوم والجنون والاعماء والسكر وأحوال
 المرض • تأثير الخطباء والشعراء والوسط والبيئة • كلام العلامة (جوستاف ليبون)
 ٣٢ أدوار التنويم المغناطيسي وعجائبه وأن هناك ثلاث درجات يتذكر في كل منها ما لا يتذكره في الأخرى
 فها هو ذا الله قد حال بين المرء وقلبه
 ٣٣ لمحات الأنوار وبواهر الأسرار في قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - والحبولة
 تنحصر في ﴿ثلاثة أقسام﴾ الاصول الصناعية • والاصول الخلقية • والاصول العلمية • فالأولى
 كالبخار والكهرباء والمنطاد والطيارة قبل العلم بها ولجهل المسلمين بأكثر الصناعات اليوم لأن الله
 حال بينهم وبين قلوبهم إلا قليلا منهم
 ٣٤ ﴿القسم الثاني﴾ الاصول الخلقية وذلك كاعتباد الحجر وغيره
 ﴿القسم الثالث﴾ الاصول العلمية • وفيه فصلان
 ٣٥ (الفصل الأول) في العلوم العامة • (الفصل الثاني) في معرفة الله عز وجل
 ٣٦ الله جعل الشمس مثالا لنفسه فهي كبيرة مضيئة بعيدة قريبة مقابلة لكل امرئ في الأرض لاحصر

- لضوءها . هكذا الله عظيم كثير الانعام الخ . ايضاح بعض صفات هذا المثل وآية - الله نور السموات والأرض - وحديث ﴿ انكم سترون ربكم عيانا الخ ﴾ . تشبيه النبي ﷺ رؤية الله لكل امرئ مخليا به بما يرى الانسان القمر مخليا به
- ٣٧ شفاء الصدور ومشرق النور من شمس بازغات ومعان باهرات في هذه الآيات - يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول الخ -
- ٣٨ وصف السماء وكواكبها ونور القمر وجمال الصباح وشروق الشمس ووصف قوس قزح وأبيات جميلة في وصفها والكلام على الكتب السماوية والمعارف النفسية والكتب الحكيمية
- ٣٩ الجسم الانساني . النظر في النفس . غفلة الناس عن القلب ذلك الذي جمع وصف السماء وكواكبها وأنوار أقمارها وشمسها وصباحها ومساءها . وكيف كانت الأعداد لها وجود في ذهني فالقلب يجمع بين الموجود في الخارج والذي لا وجود له فيه فهو أوسع والناس عنه غافلون إلا قليلا
- ٤٠ الغذاء في تحوله الى سمع و بصر دليل على أن أصل المادة فكر لأن الثمرة من جنس البذر . النفس تتصور الواجب والجائز والمستحيل فهي من عالم أوسع من عالمنا
- ٤١ النفس في حال النوم تعطيك صورة من الدنيا والآخرة . استيقاظ النفس ونومها يمثلان الحياة والموت يا قوتة في عقد المقال . ليس المدار على كثرة العلوم وانما المدار على حسن التصرف والتعقل
- ٤٢ نفسى ونفسك فيهما قدرة مدهشة وقد حيل بيننا وبينها . غرائب زهاد الهند . و بيان وإن الدار الآخرة لى الحيوان . التنويم المغناطيسى وغيره كالهندى الذى دفن ستة أشهر ثم خرج حيا الخ
- ٤٣ ضوء الياقوتة وازدياد عجائبها كمسألة الوسيط الأمريكى (جيمس) وكفلام صيرفى يجادل أعظم الفلاسفة في حال استيلاء الروح عليه ولكنه في حاله الاعتيادية لا يدري شيئا من العاوم . آراء علماء الاسلام في النفس الانسانية وصفاتها واطلاعها على العجائب
- ٤٤ ما قاله الامام الغزالى من أن النفس الانسانية متى ذكرت الله في خلوة وغابت عن الوجود خاطبتها الملائكة فالانكشاف في النوم وفي الموت وفي صفاء النفس . الجوع والصمت والسهر والعزلة هي الأركان الأربعة للفتوح . طريقة الجوع بحيث يأكل قليلا وذاكر مضارها
- ٤٥ اتجاه الأمم لفتح الحس الباطنى دائما يورثها الانحطاط
- ٤٦ اللطيفة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة في قوله تعالى - واتقوا فتنة الخ - وفي قوله - واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون - وفي قوله - يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله - وفي قوله - واعلموا أنما أموالكم الخ . (القسم الرابع) - واذنكم بك الذين كفروا - الى قوله - ونعم النصير -
- التفسير اللفظى
- ٤٨ بقية التفسير اللفظى . لطيفة في قوله تعالى - فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير - وفي بقية الآيات
- ٥٠ (القسم الخامس) - واعلموا أنما غنمتم - الى آخر السورة
- ٥٣ التفسير اللفظى لهذه الآيات
- ٥٤ بيان التحليل العقلى في قصة بدر وكيف فصل الله فيها ١٤ مسألة فلم يذر ناعسا يغشاهم ولا نصرا ولا خطرا إلا استخرج منها حكما لمنفعتهم
- ٥٥ الكلام على تكثير القليل وتقليل الكثير لاصلاح هذه الدنيا

- ٥٦ بقية التفسير اللفظي . كيف صحّ ان قوله تعالى - إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين - ليس بمنسوخ كما حصل في حرب مراكش حديثا إذ غلب الواحد عشرة كما هو معلوم . وهذا من عجائب القرآن في هذا العصر
- ٦١ لطيفتان (الأولى) قوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وبيان آثار الوهم في الانسان . وبيان ما نقل من محلة في (برازيل) أن امرأة خرج ولدها ضفدعة
- ٦٣ كيف يترن الهندي على الزهد في الحياة . وكيف يكون شؤم التفكير المحزن سببا في الحزن . وكيف جرّب أحد الأطباء قوة الاستهواء في قتل مجرم بالوهم الخ . وكذلك بائع اللبن في انكثرا الذي أوهمه المشترون أنه مريض فرض
- ٦٤ طريقة (اميل كويه) الفرنسي في قوة الاستهواء وانها تشفى كثيرا من الأمراض وقال انه يجب على الأطباء المداواة بالاستهواء
- ٦٥ اذا ردّد الانسان كلمات كل يوم تدل على أنه قد شفى من مرضه فذلك نافع عند (كويه) الطبيب اللطيفة الثانية - وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة الخ -
- ٦٦ الحرب من مقومات الأمم ومنشطاتها في الحياة والكسل والجمول ميمتان . المفرقات في الحروب من القطن والموادّ الملتهبة . كيف يصنع الديناميت . الجلاتين المفرقع وغيره . القطن والكبريت والتريك قد حوّلت الى مادة محرقة . الله أمرنا بهذه الصناعات استعدادا للحرب
- ٦٨ نظرات الفلاح الى شجرة القطن . ونظرات علماء الحرب تناسق آي القرآن وتلاحقها في مسألة عدّة الحرب والقتال
- ٦٩ التعجب من أن القطن الذي نلبسه كمنت فيه قوة مهلكة . وبيان أن هذه الخواص من عجائب خلق السموات والأرض
- ٧٠ الابتهاج بالعلم والحكمة والتعجب من القطن وغيره فكيف كمنت فيها تلك المهلكات
- ٧١ زهرة ناضرة بهجة في قوله تعالى - وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة - . كيف أدرك أبو مسلم الخراساني غايته في الحرب بسبب الكتان . وكيف كان الجيش الفرنسي قد كاد ينحل ولولا تكتم الرؤساء لخسروا الحرب وهذا السرّ ظهر اليوم . أسامرك أيها الذكي في تكثير القليل وتقليل الكثير فتقليل الكثير كما فعل اليابانيون في الحرب مع الروس إذ أخفوا سفنهم بالتلوين وكصغر الشمس في أعيننا والعكس كالطفل عند أبويه
- ٧٣ تفسير بقية السورة من قوله تعالى - ما كان لنبي أن يكون له أسرى الخ -
- ٧٤ حديث ﴿ان أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ﴾ وبقية التفسير لهذه الآيات
- ٧٦ لطيفة ذكر فيها أن الأئمة لو كانوا أحياء ورأوا جهل المسلمين لعلموهم ولأمروهم بما نكتبه لهم الآن . والكلام على ذم المتقاعدين عن هذه العلوم
- ٧٧ الميراث ميراثان . ميراث الحى . وميراث الميت وشرح هذا المقام
- ٧٨ ﴿سورة التوبة﴾ وبيان أنها أربعة أقسام . (القسم الأول) من أول السورة الى قوله - إلا قليل -
- ٨١ الكلام على سبب هذا النداء يوم الحج الأكبر
- ٨٢ تفسير هذه الآيات تفسيراً لفظياً
- ٨٦ لطائف في هذا القسم . الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة

- اللطيفة الأولى في قوله تعالى - ونفصل الآيات لقوم يعلمون - . وبيان أن الصديق رضى الله عنه
أبى أن يترك الزكاة التي قرنت في القرآن بالصلاة . وقد فصل الله الآيات لقوم يعلمون فهو بهذا من
الذين يعلمون . أما المسلمون اليوم فكيف صرح القرآن بالعلوم وهم نائمون
اللطيفة الثانية في قوله تعالى - أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم - الآية ٨٨
اللطيفة الثالثة قوله تعالى - ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم -
اللطيفة الرابعة - أ جعلتم سقاية الحاج الحج -
اللطيفة الخامسة - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم - ٨٩
تفسير بقية الآيات من قوله تعالى - ويوم حنين - الى قوله - عن يدوهم صاغرون -
مقدار الجزية . مناكة المجوس والصابئين وذبايحهم . وقالت اليهود عزيز ابن الله الحج وحكاية
بولس الرسول وحيلته
٩٢ حقيقة مسألة بولس وانه رجل فريسي الحج . نتائج الخلاف في النصرانية . تنازع النصارى في أمر
المسيح . وذلك في أوائل الجيل الرابع وقد انقسموا (خريين) مقرر بالوهية المسيح ومنكرها
وظهور (اريوس) واسكندر أسقف الاسكندرية . الشتم بين آباء النصرانية . أقام قسطنطين
بجمعا في انطاكية
٩٣ تفسير قوله تعالى - ذلك قولهم بأفواههم الحج -
٩٤ تفسير - يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان الحج -
٩٥ تفسير - إن عدة الشهور عند الله - الى قوله - إلا قليل -
٩٦ اللطيفة الأولى في تحقيق الكلام في الأشهر الحرم
٩٨ بيان أن من يقول بنسخ تحريم القتال في هذه الأشهر ومن لا يقول به متفقان ما لا
اللطيفة الثانية الشهور العربية والأفريقية والقبطية وعلة تسميتها بأسمائها كأن يقال المحرم لتحريم
القتال فيه . ويناير مأخوذ من يانوس معبود خرافي كانوا يمثلونه بوجهين الحج . وتوت هوثوت
إله الحكمة والقلم عند القبط
٩٩ اللطيفة الثالثة - يوم يحمى عليها في نار جهنم الحج - . وبيان أن الاطلاع على علم الأرواح معجزة
للقرآن في مثل هذه الآية . جوهرة باهرة في هذه الآيات وهي - قل إن كان آباؤكم - الى - عما
يشركون - مظهران وهما (١) آثارها في الأمم الاسلامية القديمة واهمال المتأخرين (٢) وآثارها
في أمم الاسلام
١٠٠ آثار هذه الآيات في صدر الاسلام . ذكر حكايات عن أبي بكر وعمر وزهدهما . ثم ذكر غرور
المتأخرين من الأمة الاسلامية
١٠١ المقام الثاني آثار هذه الآيات في الانقلاب الاوروبى . الكاثوليكية وكيف كان البابا رئيسهم يذل
الملوك في أوروبا إذ ابتداء حكمهم من سنة ١٠٨ هجرية . كلام المؤرخ (كرنيس اغريبا) في
بيع الغفران بالنقود . وكيف تاجروا بالضمائر الحج
١٠٢ مخازى البابوات ورؤساء النصارى أيام (شرلمان) الكبير والاحراق والقتل والحرق والقتل صبرا .
وقد أحرق لويس الحادى عشر ١٨٣ شخصاً مع راعيهم وهكذا غيره ألوفاً وألوفاً
١٠٣ ذكر المحكوم عليهم بمحكمة التفتيش باسبانيا وانهم ٥١٠٠ في مدة ١٨ سنة والذين أحرقوا ما بين

- ثمانية وعشرة آلاف الخ . وقتل من المسلمين مائة ألف بايعاز رئيس أساقفة أسبانيا . وقتل في انكلترا وايكوسيا لأجل الدين في مائتي سنة ألفي ألف نفس الخ
- ١٠٤ مذكرات سيدة أوروبية أسلمت تحت عنوان (رجال الدين) قد ذكرت ظلم رجال الدين في أوروبا وأن (فولتير وروسو) وأمثالهم ما لم ينشروا مبادئهم إلا بعد أن قرؤوها في كتب المسلمين فأعتقت أوروبا من ذل رجال الدين بفضل الاسلام . تذبذبا بأنه سيأتي وقت قريب تسلم فيه أوروبا وأمريكا تذكر أن عمر كان عادلا والله يقول - وشاورهم في الأمر الخ -
- ١٠٥ القانون المدني . صورة محوورة من الشريعة الاسلامية . تحسرها على الشرق وعلى الاسلام . ذمها لعلماء المسلمين في مصر والحجاز وفي بني غازي الخ
- ١٠٦ (المظهر الثاني) ماجاء عن علماء الأرواح حديثا بأوروبا . معجزات القرآن في هذا الزمان وظهور الكشف الحديث مصداقا للقرآن . (الجوهرة الأولى) . مجمل هذه الآيات
- ١٠٧ (الجوهرة الثانية) في تحليل النفس الانسانية وكيف قبلت جميع الموجودات وشاركت كل حق وتوقفت على كل موجود وتود لو تبطلع العالم كله وشرح هذه الأربعة شرحا مستفيضا
- ١٠٩ (الجوهرة الثالثة) معجزات القرآن التي ظهرت مطابقة لما تقدم عند بعض علماء النصارى الذين حدثوا الأرواح . وذكر (عمانوئيل سودنبرج) وتاريخ حياته ومنزلته في المملكة
- ١١٠ ماذا يحدثنا عمنوئيل . يقول ان الافريقيين من بين جميع الأمم هم المحبوبون أكثر من الجميع في الجنة . ولا جرم أن الافريقيين مسلمون وذم المسيحيين وقال إن نصيبهم في الآخرة مزعج محزن ويقول إن الأرواح أخبرته بأن الله واحد وأن اعتقاد الثلاثة محير في الآخرة وأن الأطفال يدخلون الجنة ولا عبرة بمسألة ماء المعمودية عند النصارى وهكذا
- ١١١ كلامه في جهنم وأن أبوابها تحت صخور وفيها خرابات ومنازل بعد شبوب نيران . وقال انه رأى الأرواح الشريرة تدخلها . وقال إن الله يرى كالشمس وكل ذلك موافق تمام الموافقة للقرآن
- ١١٢ اعتراض على المؤلف بأن هذا لا دليل عليه جوابه بأنه ذكره لثلاثة أمور . أولا هذه الآراء توافق كتاب الأرواح . ثانيا توافق آراء خواص علماء الاسلام . ثالثا اني نظرت في هذه الدنيا بعقلي الخ
- ١١٣ بيان نظام هذا الوجود . وكيف كان كله متحدا واذن لا يتم نظام الانسانية إلا اذا أصبحت كلها نظاما واحدا مشا كلا لنظام هذا الوجود والافهى انسانية حقيرة دنيئة كما هي الآن
- ١١٤ بيان سقراط أن الدين يحكمون الجمهورية يكونون أعف الناس وأعلمهم . وبيان أن أهل كل دين في الأرض طغوا وبعوا كالمسيحيين وكالمسلمين وغيرهم وذكر آيات من القرآن والانجيل ودين الصين القديم للنبي (يوالكبير) ثم الفيلسوف (ليوتسو) ثم (كونفسيوس) وبيان أن الناس هم الذين يجعلون الدين الطاهر جاريا على حسب أخلاقهم فينزل صافيا من السماء وهم يجعلونه كدرا
- ١١٥ (القسم الثاني) - لا تنفروا يعذبكم - الى قوله - ان كنتم تعلمون - التفسير اللفظي - لا تنفروا يعذبكم الخ -
- ١١٦ (القسم الثالث) - لو كان عرضا قريبا - الى قوله - والله عليم حكيم - التفسير اللفظي لهذه الآيات
- ١٢٠ - لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الخ -
- ١٢٢ - ومنهم من يلمزك في الصدقات الخ -

- ١٢٣ - قل استهزئوا إن الله مخرج الخ -
- ١٢٤ - والمؤمنون والمؤمنات بعضهم الخ -
- ١٢٥ - فلما آتاهم من فضله بخلوا به الخ -
- ١٢٦ - قل نار جهنم أشد حرا الخ -
- ١٢٧ - إنما السبيل على الذين يستأذنونك الخ -
- ١٢٨ - وآخرون مرجون لأمر الله الخ -
- ١٢٩ ذكر ١٤ لطيفة وبيان اللطيفة الأولى - الانفروا يعذبكم الله عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم -
وبيان أن الأمم الإسلامية إذا تركت الأعمال العاقبة استبدل الله بها غيرها
- ١٣٠ اللطيفة الثانية - لا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين الخ - وفيه بيان
لهجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة • اللطيفة الثالثة - انفروا خفافا وثقالا -
- ١٣١ - فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم - وهي اللطيفة الرابعة • إيضاح هذا المقام ببيان أن الفكر هو
الذي له أثر في عذابنا ونعيمنا فمن كان في جنة أو نار وهو لا يحس بهما فلا عذاب ولا نعيم عنده
- ١٣٢ ظاهر هذه السورة العذاب وباطنها النعمة • السعادة لا تشرى بمال • وبيان الإيصال إلى المنتحر تحلصا
من الغنى والثروة مع أنه لا يعمل له
- ١٣٣ جمال هذه الآيات وبيان أن الحشرات تلد الآلاف وهي لا تعذب بالنارية والإنسان يلد الآحاد وهو
معذب بها وهذا سر قوله تعالى - ففرّوا إلى الله - بعد قوله - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم
تذكرون - الآية
- ١٣٤ ألسنة الخلق أقلام الحق وبيان أن الناس يتبرّمون من الحياة وهذا تعبير عما سطر بقلم الحكمة في
الظاهر أمام الناس وإن كانوا لا يشعرون • شعر ترنش الإنجليزي مترجما شعرا بالعربية في أن الفقراء
يحسون بالسعادة أكثر من الأغنياء
- ١٣٥ موازنة بين شعر أبي العلاء وبين شعر شارل وكذا شكيير الإنجليزي مما نظمته سابقا في كتاب
﴿جوهرة الشعر والتعريب﴾
- ١٣٦ شعر شكيير مما ترجمته إلى الشعر العربي بما يفيد - كل من عليها فان - شعر المؤلف في كتاب ضاع
منه قبل أن يرجع إليه
- ١٣٧ كيف ينطق الطير للناس بلسان الحكمة يقول اتخذوا لكم مكانا في العلا كما اتخذت • وبيان نطق
الطير لسليمان في قوله - يا أيها الناس عامنا منطلق الطير - غفلة الناس عن الجمال وعن الفهم
وعن النعم العاقبة فالجوع والشبع والمرض وغيره كل هذا نطق أفسح من نطق اللسان
- ١٣٨ فهم بعض سر هذه الآية في هذا الزمان وأن الحرب الكبرى إنما جاءت من أجل المال • والكلام
على الاشتراكية • اللطيفة الخامسة - إنما الصدقات للفقراء والمساكين الخ - وإيضاح المقام
- ١٣٩ اللطيفة السادسة - ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب - وأن الاستهزاء بالدين يورث
افتراق العقائد فتفرق الأفراد فتضيع الأمة • جوهرة في قوله تعالى - قل أبالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزئون - • الاستهزاء بالمتدينين
- ١٤٠ استهزاء علماء الفقه بجميع العلوم واستهزاء بعض الناس بهم • حكاية أمير هندي وسري من سرارة
الهند والعالم الصيني

- ١٤١ نتيجة الاستهزاء في زمن النبي ﷺ وفي زماننا . قاعدة كلما زاد المستهزاء به كلما زاد المستهزئ وبالا . الآيات المستهزأ بها واضحة في سورة يس
- ١٤٢ قاعدة أكثر الناس تعرضا للاستهزاء أكابرهم . آثار الاستهزاء في بلاد الاسلام ايضا . أتم للاستهزاء بآيات الله . مواكب الله ومواكب الملوك والدول في عصرنا
- ١٤٣ اعراض أهل الهند وأهل إيرلنده وأهل مصر عن عظماء الانجليز وجنودهم احتجاجا على احتلالهم لبلادهم . فالاعراض عن مواكب الدول له نظير وهو الاعراض عن مواكب الشمس والقمر والنجوم . لذلك أرسل مواكب أقرب وهي الطيارات والمدافع . ذكر ستة أنواع من مواكب الله تعالى التي عرضها وأعرضنا عنها كما تعرض الأمم المحكومة عن عظمة حكامها
- ١٤٤ أعرض المحكومون عن بطش الحكام فأوجب ذلك أثره . هكذا اعراضنا عن مواكب الله في الأرض وفي السماء
- ١٤٥ اللطيفة السابعة - كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة - الى قوله - ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - اللطيفة الثامنة - ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم -
- ١٤٦ اللطيفة التاسعة - وهموا بما لم ينالوا - اللطيفة العاشرة - قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون - اللطيفة الحادية عشرة الى الثالثة عشرة
- ١٤٧ اللطيفة الرابعة عشرة في أصناف المنافقين وهم عشرة
- ١٤٨ القسم الرابع - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم - الى آخر السورة
- ١٤٩ التفسير اللفظي لهذه الآيات
- ١٥٠ - فاستبشروا ببيعكم الخ -
- ١٥١ - الذين اتبعوه في ساعة العسرة الخ -
- ١٥٢ - ما كان لأهل المدينة الخ -
- ١٥٣ - يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الخ -
- ١٥٤ - فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون الخ -
- ١٥٥ ذكر مقالة أدرجت في الجرائد تناسب هذا المقام
- ١٥٦ الاسلام والاستعمار وسبب تأخر المسلمين (المقالة الأولى) وفيها الأوامر التي صدرت في بلاد هولانده وتلك المقالة كتبت قبل الغاء ذلك الأمر ومعاملة المسلمين بالحسنى
- ١٥٨ بيان أن المسلمين لا يتسنى لهم أن يعيشوا مع أمم أعلم منهم فلا بد أن يساوهم (المقالة الثانية) خطاب الى أمراء الاسلام المستقلين ومن هم تحت سيادة الأجانب والى جميع زعماء الاسلام وعظمائه
- ١٥٩ المصلحون في الاسلام اليوم (المقالة الثالثة)
- ١٦٠ (المقالة الرابعة) تهافت الآراء في بلاد الشرق ولا سيما في بعض البلاد الاسلامية
- ١٦١ حديثي مع قاض شهير (وذلك) أن المؤلف كان يقرأ الرسالة القشيرية مع عالم فرنجي أمره أستاذه الألماني بذلك . وقد حضر لزيارة العالم الفرنجي قاض مشهور في مصر بالتأليف وملخص الحديث أن القاضي يحقر الديانات وان لم ينطق بذلك والمؤلف يوجب مزج العلوم بالدين والقاضي يأبى ذلك

ثم إنه خضع لحجج المؤلف

١٦٢ اعتراف القاضي الأهلئ المذكور بأنه مقتنع ولم يقنعه أكبر عالم فى مصر قبل ذلك • حديث الامام الغزالى اذ يذم علماء الدين فى زمانه ويصفهم بأنهم شر من الشياطين لصدتهم الناس عن هذه العلوم المعروفة الآن فى أوروبا وأمريكا • وذلك فى مقالة عنوانها (الاسلام والاستعمار)

١٦٣ مخاطبة المؤلف للامام الغزالى يقول له المسلمون اليوم هم لا يزالون كما تركتهم لا يحبون إلا علم القضاء والمحاماة والراغبون فى العلوم الأخرى قليل • الواجب على المجالس الشورية (المقالة السادسة) هل فى الاسلام نابعون

١٦٤ ذكر ماجاء فى الجرائد سنة طبع هذه السورة أن ملك الأفغان كان قد أقفل مدارس البنات فاستفتى علماء مصر والهند فأفتوا بأن الأئمة كالدكر ففتح المدارس لهن ثانيا

١٦٥ بيان أن تقسيم الأعمال مأخوذ من الآية بطريق الاستنتاج بل بطريق النص • وفى هذا ذكر المعنى اللغوى للتفقه وهو غير الاصطلاحى المعروف • وبيان ما بدل من ألفاظ العلوم وهى خمس الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة

١٦٦ أقوال السلف فى هذه الألفاظ وأن الفقه كان يطلق على تعدد نعم الله وعلى ما به الخوف منه الخ

١٦٨ من هم الأولى أن يسموا علماء فى الاسلام

١٦٩ منافع المرجان النابت فى البحر الأبيض المتوسط أمام تونس والجزائر ونحوهما فى قاع البحر من ٣٠ قامة الى ١٣٠ ويعوص الايطاليون عليه والفرنسيون والاسبانيون وبيان النقود التى كسبوها فى بعض السنين والمسلمون نائمون • وذكر أن الملعومات والملبوسات والجواهر من حشرة برية ودودة وحيوان بحرى الخ

١٧١ نقل الكلام فى فروض الكفايات من كتاب (جمع الجوامع) وشرحه • أيهما أفضل الملك أم العالم نقل كلام المؤرخ الشهير (سيدى) الفرنسى الذى اجتهد فى اظهار علوم العرب وانهم هم الذين أناروا أوروبا ١٧٢ ذكر انهم ملكوا من نهر (التاج) الى نهر (الكنج) وانهم بعد العز والملك والعلم لزموا جزيرتهم ككرة أرضى • حقيقة النبى ﷺ الباطنية عند الفرنجة وصف المدنية العربية

١٧٣ ذكر من اشتهر من علماء العرب وبيان أنهم أعلم من الترك ومن الصين بعد البحث الطويل وانتقال علمهم الى الهندستان بواسطة البيرونى وإلى المغول بواسطة الطوسى وإلى العثمانيين أيضا ثم أهل أوروبا بعد ذلك • وذكر أن العرب هم الذين أيقظوا أوروبا من الجهل وهكذا نشر علم العرب بين أهل الصين (كوشوكىغ) • الكلام على العلوم الطبيعية عند العرب

١٧٤ مبحث علم الكيمياء عندهم • مبحث علم النباتات عندهم أيضا • وكذا المادة الطبية والاقتصاد الزراعى فى علم الطب عندهم والمدرسة اليونانية العربية والفخر الرازى وابن سينا

١٧٦ مبحث فى عدم اقتصار العرب على شرحهم فاسفة أرسطاطاليس وتكذيب العلامة (سيدى) المذكور علماء الفرنجة القائلين أن العرب ليس لهم إلا النقل عن اليونان

١٨٥ بيان أن الله ليس عن خلقه غافلا • ولذلك حفظ فى كتب المتقدمين معنى التفقه لنعرفه فى هذا الزمان كما أنه جعل بعض الحشرات على هيئة حصة ليكون هذا الشكل وقاية لها يصد عنها الطيور التى تصطادها

١٨٦ إذلال المسلمين سابقا للعلماء كابن رشد بصقوا فى وجهه ونفوه فلذلك هرب العلم الى أوروبا من بلاد

الاسلام وصار الناس يقرؤون التصوّف وحده ولكن في عصرنا لن يقدر أحد أن يقاوم المفكرين لأن الأمم كلها استيقظت والمسامون أدّبهم الدهر ووعظهم ملخص التفقه في الدين قد جاء في أوّل سورة يونس

١٨٧ في الوجه الثالث في ختم الله التوبة بأنه جاء للناس رسول من جنسهم الخ وأوّل سورة يونس فيها مثل هذا تكملة الكلام في مناسبة آخر سورة التوبة بأوّل سورة يونس . الفقهاء في الماضي والحال والاستقبال الفقهاء في عصر الصحابة . الفقهاء بعد الصدر الأوّل

١٨٨ الفقهاء في زماننا . آثار ما تقدّم في الاسلام

١٨٩ بقية نظرات الفقيه في سورة يونس . نظر الفقيه في مستقبل الزمان في سور أخرى من القرآن كسورة هود . وكيف يفهم استواء الله على العرش . وما الفرق بين عرش ملك الملوك وعروش أولئك الملوك . ويفهم معنى كون الله آخذاً بناصية كل دابة ومناسبتها لتوكل هود وما مثال هذا في الكشف الحديث . وذكر الفراش ذي الأجنحة التي تشبه أوراقا جافة أو التي تشبه غصنا ضخما على شجرة عتيقة أو الدود الملوّن الظاهر الباهر لأن طعمه كريه فكان ذلك وقاية له . فهذه أخذ الله بناصيتها فهكذا يأخذ بناصية الانسان لاسيما الأنبياء

١٩٠ بيان أن من درس علوم الحيوان وأتقنها فهم هذه الآية حقّ فهمها . وبيان أن الفقيه في مستقبل الاسلام ينظر فيما في موسوعات الفرنجة من الحكم العجيبة ويعجب كيف كان أكثرهم لا يتعجب إلا من نفس الصنعة ثم لا يتعجب من الصانع . وذكر ما سيراه الفقهاء الاسلاميون في سورة يوسف بعد سورة هود عليهما السلام

١٩١ ذكر ما يراه الفقيه في سورة يوسف ولم قال - آيات للسائلين - . وبيان أن القصص المسموع غير الآيات المشاهدة أو المعقولة ولكل أناس مذاهب في العلم ففهم الذين يستمعون ومنهم الذين يفكرون فلا أولين قصة يوسف وغيرها وللاّخرين آيات السموات والأرض التي هم عنها معرضون بيان أن بعض الآيات الكونية كغرائب الترتيب في نظام الأوراق على النبات اختصّ به علماء هذا الفن . وأن نجاة الحيوان بسبب لونه كما تقدّم لم يظهر إلا في زماننا ظهورا واضحا وهذا يفهم من قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للعالمين - بكسر اللام ولم يقل للسائلين الخ

١٩٢ نظرة الفقيه الاسلامي في سورة الرعد بعد سورة يوسف

ذكر القطع الثلجية التي ستذكر في قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وسترسم هناك وبيان أنها مشتملة على مسدسات كل مسدس فيه ست مثلثات كل مثلث منها متساوي الزوايا كل زاوية منها (١٢٠) درجة

نظر الفقيه في سورة ابراهيم عليه السلام . وأن موسى ذكر قومه وأخرجهم من الظلمات الى النور وهكذا نبينا في الأمرين معا